الجَامِعُ

لِلخُطَبِ وَالدُّرُوسِ

فِي أَسْمَاءِ اللهِ الحُسْنَى

جَمَعَهَا وَرَتَّبَهَا

الدَّكْتُورُ: عَبْدُ اللهِ بْنُ مُشَبِّبٍ القَحْطَانِيُّ

إِمَامُ وَخَطِيبُ جَامِعِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ ﷺ بِالدَّمَّامِ

حُقُوقُ الطَّبْعِ مَحْفُوظَةٌ

الطَّبْعَةُ الأَوْلَى

١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م

ح **عبد الله بن مشبب بن مسفر القحطاني ، ١٤٤٠ هـ**
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

القحطاني ، عبد الله بن مشبب بن مسفر.
الجامع للخطب والدروس في أسماء الله الحسنى.
عبد الله بن مشبب بن مسفر القحطاني - الدمام ، ١٤٤٠ هـ
(٤٨٥ ص ، سم١٤ ١)
ردمك : ٦-٠٤١٩-٠٣-٦٠٣-٩٧٨
١ - الأسماء الحسنى أ. العنوان ب. السلسلة
ديوي ٢٤١ ١٤٤٠/٧٤٦٠

رقم الإيداع: ١٤٤٠/٧٤٦٠
ردمك: ٦-٠٤١٩-٠٣-٦٠٣-٩٧٨

الجامع

للخطب والدروس

في أسماء الله الحسنى

مُقَدِّمَةٌ

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الأَنْبِياءِ وَخَاتَمِ المُرْسَلِينَ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، أَمَّا بَعْدُ:

أَخِي إِمَامَ المَسْجِدِ..

هَذِهِ مَجْمُوعَةُ خُطَبٍ وَدُرُوسٍ أَلْقَيْتُ أَكْثَرَهَا عَلَى المِنْبَرِ وَفِي المِحْرَابِ، أُقَدِّمُهَا بَيْنَ يَدَيْكَ، وَأَسْمَيْتُهَا: (الجَامِعُ لِلخُطَبِ وَالدُّرُوسِ فِي أَسْمَاءِ اللهِ الحُسْنَى)، وَسَبَبُ تَسْمِيَتِهَا بِـ (الجَامِعِ) لِكَوْنِ الإِمَامِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُلْقِيَهَا دَرْسًا أَوْ خُطْبَةً دُوْنَ تَكَلُّفٍ.

وَقَدْ جَمَعْتُ جَمِيعَ مَا يَتَعَلَّقُ بِكُلِّ اسْمٍ مِنْ مَظَانِّهِ، مُتَوَخِّيًا مُعْتَقَدَ السَّلَفِ الصَّالِحِ فِي الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ، ثُمَّ صُغْتُهَا بِمَا يُنَاسِبُ المَقَامَ، مُرَاعِيًا حَالَ المُسْتَمِعِينَ، مُخْتَصِرًا دُوْنَ إِخْلَالٍ، قَاصِدًا التَّشْوِيقَ وَالتَّرْغِيبَ لِمَعْرِفَةِ أَسْمَاءِ اللهِ الحُسْنَى وَالعَمَلِ بِمُقْتَضَاهَا.

وَالفَضْلُ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ للهِ وَحْدَهُ، ثُمَّ لِأَهْلِ العِلْمِ الَّذِينَ جَمَعْتُ هَذِهِ المَادَّةَ عَنْهُمْ، فَمَا أَنَا إِلَّا كَنَاظِمِ عِقْدٍ، فَإِنْ أَصَبْتُ فَمِنَ اللهِ وَحْدَهُ؛ فَلَهُ الشُّكْرُ، وَإِنْ أَخْطَأْتُ فَمِنْ نَفْسِي وَالشَّيْطَانِ، وَمَا أَرَدْتُ إِلَّا الخَيْرَ؛ فَأَسْتَغْفِرُ اللهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ.

وَأَخِيرًا؛ هَذَا جُهْدُ المُقِلِّ، وَقُدْرَةُ المُقَصِّرِ، حَامِدًا اللهَ عَلَى إِتْمَامِهِ، رَاجِيًا مِنَ اللهِ قَبُولَهُ، كَمَا أَسْأَلُهُ ﷻ أَنْ يَجْعَلَهُ صَوَابًا، خَالِصًا لِوَجْهِهِ الكَرِيمِ، وَأَنْ يَغْفِرَ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِجَمِيعِ المُسْلِمِينَ؛ إِنَّهُ سَمِيعٌ مُجِيبٌ.

أَخُوكَ

عَبْدُ اللهِ بْنُ مُشَبِّبٍ القَحْطَانِيُّ

اللهُ الإِلَـهُ ﷻ

إِنَّ الحَمْدَ لله؛ نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِالله مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَـهَ إِلَّا اللهُ؛ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[آلِ عِمْرَانَ: ١٠٢]،

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾[النِّسَاءَ: ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾[الأَحْزَابِ: ٧٠- ٧١].

أَمَّا بَعْدُ:

فَيَا عِبَادَ الله خُطْبَتُنَا هَذِهِ عَنْ أَعْظَمِ وَأَعْذَبِ اسْمٍ عَرَفَتْهُ البَشَرِيَّةُ، أَحْسَنُ الأَسْمَاءِ، وَأَجْمَلُ الحُرُوْفِ..

تَشْدُوْ بِهِ الأَلْسُنُ.. تَسْكُنُ إِلَيْهِ الأَرْوَاحُ.. قَرِيبٌ مِنَ النَّفْسِ.. حَبِيبٌ إِلَى القَلْبِ..

إِنَّهُ: اسْمُ (اللهُ ﷻ)، ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾[مَرْيَمَ: ٦٥].

اسْمُ الله ﷻ تَفَرَّدَ بِهِ الإِلَهُ عَنِ العَالَمِينَ؛ فَهُوَ اسْمٌ لَهُ وَحْدَهُ، لَا يَتَعَلَّقُ بِأَحَدٍ سِوَاهُ، وَلَا يُطْلَقُ عَلَى غَيْرِهِ، وَلَا يَدَّعِيهِ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِهِ، قَبَضَ اللهُ ﷻ أَفْئِدَةَ الجَاهِلِينَ وَأَلْسِنَتَهُمْ عَنِ التَّسَمِّي بِهِ.

إِنَّهُ اللهُ ﷻ، ذُوْ الجَلَالِ وَالعَظَمَةِ وَالهَيْبَةِ وَالجَبَرُوْتِ.

مَهْمَا رَسَمْنَا فِي جَلَالِكَ أَحْرُفًا قُدْسِيَّةً تَشْدُوْ بِهَا الأَرْوَاحُ
فَلأَنْتَ أَعْظَمُ وَالمَعَانِي كُلُّهَا يَا رَبُّ عِنْدَ جَلَالِكُمْ تَنْدَاحُ

اسْمُ الله ﷻ.. مَا ذُكِرَ فِي قَلِيلٍ إِلَّا كَثَّرَهُ، وَلَا عِنْدَ خَوْفٍ إِلَّا أَزَالَهُ، وَلَا عِنْدَ كَرْبٍ إِلَّا كَشَفَهُ، وَلَا عِنْدَ هَمٍّ وَلَا غَمٍّ إِلَّا فَرَّجَهُ، وَلَا عِنْدَ ضِيقٍ إِلَّا وَسَّعَهُ، وَلَا تَعَلَّقَ بِهِ ضَعِيفٌ إِلَّا قَوَّاهُ، وَلَا ذَلِيلٍ إِلَّا أَعَزَّهُ، وَلَا فَقِيرٍ إِلَّا أَغْنَاهُ، وَلَا مَغْلُوْبٌ إِلَّا نَصَرَهُ.

فَهُوَ الاسِمُ الَّذِي تُكْشَفُ بِهِ الكُرُبَاتُ، وَتُسْتَنْزَلُ بِهِ البَرَكَاتُ، وَتُجَابُ بِهِ الدَّعَوَاتُ، وَتُسْتَجْلَبُ بِهِ الحَسَنَاتُ، وَتُدفَعُ بِهِ السَّيِّئَاتُ، وَتُقَالُ بِهِ العَثَرَاتُ.. فَلَا أَعْظَمُ مِنْ جَلَالِ الله!

وَاسْمُ الله أَصْلُهُ: الإِلَهُ، وَهُوَ بِمَعْنَى: المَعْبُودِ، قَالَ ﷻ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾﴾[التَّوْبَة:٣١].

وَاللهُ هُوَ: المُسْتَعَانُ بِهِ عَلَى كِلِّ نَائِبَةٍ وَفَادِحَةٍ، ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾﴾[النَّحْل:٥٣].

وَاللهُ هُوَ: المَحْبُوْبُ المُعَظَّمُ الَّذِي تَحِنُّ إِلَيْهِ النُّفُوْسُ، وَتَأْنَسُ بِذِكْرِهِ وَقُرْبِهِ، وَتَشْتَاقُ إِلَيْهِ القُلُوْبُ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾[البَقَرَة:١٦٥].

وَاللهُ هُوَ: الَّذِي تَحَارُ العُقُوْلُ فِيهِ؛ فَلَا تُحِيطُ بِهِ العُقُوْلُ، وَلَا تُدْرِكُهُ الأَفْهَامُ، وَلَا تَصِلُ إِلَى عَظَمَتِهِ الظُّنُوْنُ، فَلَا يُحِيطُ الخَلْقُ بِهِ عِلْمًا: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾﴾[طه:١١٠].

فَاللهُ ﷻ هُوَ: الَّذِي تُؤَلِّهُهُ القُلُوْبُ حُبًّا وَذُلًّا، وَخَوْفًا، وَطَمَعًا، وَرَجَاءً، وَتَعْظِيمًا، وَطَاعَةً؛ فَهُوَ ﷻ الَّذِي يُوَلِّيهِ الخَلْقُ وُجُوْهَهُمْ فِي حَوَائِجِهِمْ، وَيَتَضَرَّعُوْنَ إِلَيْهِ فِيمَا يُصِيبُهُمْ، ويَفْزَعُوْنَ إِلَيْهِ فِي كُلِّ مَا يَنُوْبُهُمْ.

فَهُوَ الإِلَهُ بِحَقٍّ، وَكُلُّ مَا عُبِدَ مِنْ دُوْنِهِ فَهُوَ بَاطِلٌ مِنْ عَرْشِهِ إِلَى قَرَارِ أَرْضِهِ.

وَاللهُ ﷻ هُوَ: الجَامِعُ لِصِفَاتِ الأُلُوْهِيَّةِ، وَهِيَ: صِفَاتُ الكَمَالِ، وَالجَلَالِ، وَالجَمَالِ، وَالعَظَمَةِ، مَعَ نَفْيِ أَضْدَادِهَا عَنْهُ ﷻ.

وَلِذَا؛ إِذَا كُشِفَ مَعْنَى اسْمِ (الله) لِعَبْدٍ تَعَلَّقَ قَلْبُهُ بِرَبِّهِ؛ فَأَصْبَحَ مُشْتَغِلًا بِهِ؛ حُبًّا وَشَوْقًا وَلَذَّةً لَا أَجْمَلَ مِنْهَا وَلَا أَطْيَبَ، وَهَذَا أَعْظَمُ مَا عَبَدَهُ بِهِ العَابِدُوْنَ، وَتَقَرَّبَ إِلَيْهِ المُتَقَرِّبُوْنَ.

قَالَ شَيْخُ الإِسْلَام ابْنُ تَيْمِيَّةَ ﷺ: "إِنَّ فِي الدُّنْيَا جَنَّةً مَنْ لَمْ يَدْخُلْهَا لَمْ يَدْخُلْ جَنَّةَ الآخِرَةِ".

وَقَالَ بَعْضُ العَارِفِينَ: إِنَّهُ لَيَمُرُّ بِالْقَلْبِ أَوْقَاتٌ أَقُوْلُ: إِنْ كَانَ أَهْلُ الجَنَّةِ فِي مِثْلِ هَذَا إِنَّهُمْ لَفِي عَيْشٍ طَيِّبٍ!

قَالَ بَعْضُ العُلَمَاءِ: اسْمُ (الله) هُوَ: الاسْمُ الأَعْظَمُ الَّذِي إِذَا دُعِي بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى.

سَمِعَ النَّبِيُّ ﷺ رَجُلًا يَقُوْلُ: اللَّهُمَّ! إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، الأَحَدُ الصَّمَدُ، الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُوْلَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ؛ فَقَالَ رَسُوْلُ الله ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! لَقَدْ سَأَلَ اللهَ بِاسْمِهِ الأَعْظَمِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى» [حَدِيثٌ صَحِيحٌ. رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ].

وَاقْتَرَنَ بِهِ عَامَّةُ الأَذْكَارِ المَأْثُورَةِ.

وَهُوَ أَصْلُ أَسْمَاءِ الله الحُسْنَى؛ ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾[الأَعْرَافِ: ١٨٠].

وهَذَا الاسْمُ يُفْتَتَحُ بِهِ كُلُّ أَمْرٍ؛ تَبَرُّكًا وَتَيَمُّنًا، أَوَّلُ اسْمٍ فِي أَوَّلِ آيَةٍ فِي القُرْآنِ: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾.

هَذَا الاسْمُ الوَحِيدُ الَّذِي فِي الشَّهَادَةِ الَّتِي تَنْقُلُ مِنَ الكُفْرِ إِلَى الإِسْلَامِ: (أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ.

هَذَا الاسْمُ العَظِيمُ مِنْ شَرَفِهِ: أَنَّ اللهَ يَرْفَعُهُ مِنَ الأَرْضِ فِي آخِرِ الزَّمَانِ إِذَا قَبَضَ أَرْوَاحَ المُؤْمِنِينَ، قَالَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ عَلَى أَحَدٍ يَقُوْلُ: اللهُ.. اللهُ»[أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ].

إِنَّهُ أَكْثَرُ أَسْمَاءِ اللهِ الحُسْنَى وُرُوْدًا فِي القُرْآنِ الكَرِيمِ؛ فالعبدُ المؤمن يتقرب إلى الله بمعرفةِ أسمائه وصفاتِه.

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ الصَّالِحِيْنَ!

أَقُولُ قَولِي هَذَا، وَأَستَغْفِرُ اللهَ لِي وَلَكُمْ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرُوهُ؛ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ:

الحَمْدُ للهِ حَمْدًا طَيِّبًا كَثِيرًا مُبَارَكًا فِيهِ كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنِ اهْتَدَى بِهُدَاهُمْ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

عِبَادَ اللهِ..

العَبْدُ إِذَا لَمْ يُقْبِلْ عَلَى اللهِ بِطَوْعِهِ وَاخْتِيَارِهِ؛ أَقْبَلَ عَلَيْهِ بِسَوْطِ الضَّرُوْرَةِ.

قِفْ بِالخُضُوعِ وَنَادِ يَا اللهُ ... إِنَّ الكَرِيمَ يُجِيبُ مَنْ نَادَاهُ

وَإِذَا بُلِيتَ بِغُرْبَةٍ أَوْ كُرْبَةٍ ... فَادْعُ الإِلَهَ وَنَادِ يَا اللهُ

فَإِذَا حَلَّ الهَمُّ وَادْلَهَمَّ الغَمُّ، وَاشْتَدَّ الكَرْبُ، وَعَظُمَ الخَطْبُ، وَضَاقَتِ السُّبُلُ، وَبَارَتِ الحِيَلَ؛ نَادَى المُنَادِي: يَا اللهُ!

إِذَا اشْتَدَّ المَرَضُ بِالمَرِيضِ، وَعَجَزَ الطَّبِيبُ؛ نَادَى: يَا اللهُ!

إِذَا اضْطَرَبَ المَرْكِبُ فِي ظُلُمَاتِ البَحْرِ، وَتَلَاعَبَتِ الرِّيحُ؛ نَادَى المُنَادِي: يَا اللهُ!

إِذَا أَجْدَبَتِ الأَرْضُ، وَمَاتَ الزَّرْعُ، وَجَفَّ الضَّرْعُ، نَادَى المُنَادِي: يَا اللهُ!

إِنَّهُ اللهُ: المَلَاذُ فِي الشِّدَّةِ، وَالأَنِيسُ فِي الوَحْشَةِ، وَالنَّصِيرُ فِي القِلَّةِ.

النَّاسُ أَعْجَزُ مِنْ أَنْ يُلْحِقُوْا ضَرَرًا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللهُ، وَأَنْ يجُرُّوْا نَفْعًا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللهُ؛ فَعَلِّقْ قَلْبَكَ بِاللهِ!

كُلُّ الحِبَالِ تَنْصَرِمُ إِلَّا حَبْلَهُ، وَكُلُّ الأَبْوَابِ تُوْصَدُ إِلَّا بَابَهُ، ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾[النَّمْلِ:٦٢].

يَا صَاحِبَ الهَمِّ إِنَّ الهَمَّ مُنْفَرِجُ ... أَبْشِرْ بِخَيرٍ فَإِنَّ الفَارِجَ اللهُ

اليَأْسُ يَقْطَعُ أَحْيَانًا بِصَاحِبِهِ ... لَا تَيأَسَنَّ فَإِنَّ الكَافِيَ اللهُ

اللهُ يُحْدِثُ بَعْدَ العُسْرِ مَيْسَرَةً ... لَا تَجْزَعَنَّ فَإِنَّ القَاسِمَ اللهُ

إِذَا بُلِيتَ فَثِقْ بِاللهِ، وَارْضَ بِهِ ... إِنَّ الَّذِي يَكْشِفُ البَلْوَى هُوَ اللهُ

وَاللهِ مَا لَكَ غَيْرُ اللهِ مِنْ أَحَدٍ ... فَحَسْبُكَ اللهُ فِي كُلٍّ لَكَ اللهُ

لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؛ مَا عَبَدْنَاكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ!

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ الجَنَّةَ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ، ونَعُوْذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ الهُدَى وَالسَّدَادَ، وَنَسْأَلُكَ التُّقَى وَالعِفَّةَ وَالغِنَى.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنَ الخَيْرِ كُلِّهِ؛ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ؛ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَأَنْ تَجْعَلَ كُلَّ قَضَاءٍ قَضَيْتَهُ لَنَا خَيْرًا.

اللَّهُمَّ! أَصْلِحْ لَنَا دِيْنَنَا الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا دُنْيَانَا الَّتِي فِيهَا مَعَاشُنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا آخِرَتَنَا الَّتِي فِيهَا مَعَادُنَا، وَاجْعَلِ الحَيَاةَ زِيَادَةً لَنَا فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَالمَوْتَ رَاحَةً لَنَا مِنْ كُلِّ شَرٍّ.

اللَّهُمَّ! أَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا، وَأَلِّفْ بَيْنَ قُلُوْبِنَا، وَاهْدِنَا سُبَلَ السَّلَامِ، وَأَخْرِجْنَا مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوْرِ.

اللَّهُمَّ! بَارِكْ لَنَا فِي أَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوَّاتِنَا وَأَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّتِنَا وَأَمْوَالِنَا، وَاجْعَلْنَا مُبَارَكِيْنَ أَيْنَمَا كُنَّا.

وَآخِرُ دَعْوَانَا: أَنِ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ.

الرَّبُّ ﷻ

إِنَّ الحَمْدَ لله؛ نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِالله مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَـهَ إِلَّا اللهُ؛ وَحْـدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ.

أَمَّا بَعْدُ:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[آل عِمْرَان: ١٠٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾[النِّسَاء: ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾[الأَحْزَاب: ٧٠- ٧١].

يَا رَبُّ! نَسْأَلُكَ بِعِزِّكَ وَذُلِّنَا، وَبِقُوَّتِكَ وَضَعْفِنَا، وَبِغِنَاكَ عَنَّا وَفَقْرِنَا إِلَيْكَ، نَوَاصِينَا الكَاذِبَةُ الخَاطِئَةُ بَيْنَ يَدَيْكَ، عَبِيدُكَ سِوَانَا كَثِيرٌ وَلَيْسَ لَنَا رَبٌّ سِوَاكَ، لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنْجَى مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ.

نَسْأَلُكَ مَسْأَلَةَ المِسْكِينِ، وَنَبْتَهِلُ إِلَيْكَ ابْتِهَالَ الخَاضِعِ الذَّلِيلِ، وَنَدْعُوْكَ دُعَاءَ الخَائِفِ الضَّرِيرِ، سُؤَالَ مَنْ خَضَعَتْ لَكَ رِقَابُهُمْ وَرَغِمَتْ لَكَ أُنُوْفُهُمْ، وَفَاضَتْ لَكَ عُيُوْنُهُمْ، وَذَلَّتْ لَكَ قُلُوْبُهُمْ: أَنْ تَغْفِرَ لَنَا وَلِجَمِيعِ المُسْلِمِينَ، وَتُدْخِلَنَا فِي رَحْمَتِكَ؛ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ!

بِمَـنْ يَـسْتَغِيثُ العَبْـدُ إِلَّا بِرَبِّـهِ

وَمَـنْ لِلْفَتَـى عِنْـدَ الـشَّدَائِدِ وَالكَـرْبِ

وَمَنْ مَالِكُ الـدُّنْيَا وَمالِـكُ أَهْلِهَـا

وَمَنْ كَاشِفُ البَلْوَى عَلَى البُعْدِ وَالقُرْبِ

وَمَـنْ يَـدْفَعُ الغَـمَّاءَ وَقْـتَ نُزُوْلِهَـا

وَهَــلْ ذَاكَ إِلَّا مِــنْ فِعَالِــكَ يَــا رَبِّي

عِبَادَ الله..

فِي هَذِهِ الخُطْبَةِ نَتَشَرَّفُ بِالْكَلَامِ عَنْ اسْمٍ مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ الحُسْنَى، وَهُوَ: (الرَّبُّ ﷻ).

قَالَ ﷻ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾[الفَاتِحَة:٢]، وقَالَ ﷻ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۝٢٦﴾[النَّمْل:٢٦]، وقَالَ ﷻ: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ۝١٧﴾[الرَّحْمَن: ١٧]، وقَالَ ﷻ: ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ۝٥٨﴾[يَس:٥٨].

فَرَبُّنَا الخَالِقُ المَالِكُ المُدَبِّرُ المُتَصَرِّفُ، رَبُّ الأَرْبَابِ وَمَعْبُوْدُ العِبَادِ، يَمْلِكُ المَمَالِكَ وَالمُلُوْكَ وَجَمِيعَ العِبَادِ، وَهُوَ الَّذِي دَبَّرَ لِخَلْقِهِ مَصَالِحَهُمْ، وَهُوَ جَابِرُهُمْ وَالقَائِمُ بِأُمُوْرِهُمْ -إِنْسِهِمْ وَجِنِّهِمْ-، قَيُّوْمُ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ.

فَرَبُّنَا ﷻ لَهُ جَمِيعُ مَعَانِي الرُّبُوْبِيَّةِ؛ الَّتِي لَا يُشَارِكُهُ فِيهَا أَحَدٌ؛ لَا بَشَرٌ وَلَا مَلَكٌ، بَلْ هُمْ جَمِيعًا عَبِيدٌ مَرْبُوْبُوْنَ لِرَبِّهِمْ، مَقْهُوْرُوْنَ خَاضِعُوْنَ لِجَلَالِهِ وَعَظَمَتِهِ ﷻ.

وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنَازِعَ اللهَ ﷻ فِي رُبُوْبِيَّتِهِ وَمُلْكِهِ الأَعْلَى؛ كَفِرْعَوْنَ عِنْدَمَا قَالَ: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٢٤﴾[النَّازِعَات:٢٤]؛ يَكُوْنُ مَآلُهُ الهَلَاكَ وَالذِّلَّةَ، قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْءَاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ۝٢٥﴾[النَّازِعَات:٢٥].

وَرُبُوْبِيَّتُهُ ﷻ لِخَلْقِهِ نَوْعَانِ:

رُبُوْبِيَّةٌ عَامَّةٌ: تَشْمَلُ جَمِيعَ الخَلَائِقِ؛ بَرَّهُمْ وَفَاجِرَهُمْ، مُؤْمِنَهُمْ وَكَافِرَهُمْ، حَتَّى الجَمَادَاتِ.

وَهِيَ: أَنْ يَرُبَّهُمْ بِالخَلْقِ، وَالرِّزْقِ وَالتَّدْبِيرِ، وَالإِنْعَامِ، وَالعَطَاءِ.

وَرُبُوْبِيَّةٌ خَاصَّةٌ، وَهِيَ: رَبُّهُ ﷻ لِأَوْلِيَائِهِ وَأَصْفِيَائِهِ؛ فَيُرَبِّيْهِمْ بِالإِيْمَانِ وَيُوَفِّقُهُمْ لَهُ، وَيُصْلِحُ قُلُوْبَهُمْ وَأَرْوَاحَهُمْ وَأَخْلَاقَهُمْ، وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوْرِ.

وَهِيَ: تَرْبِيَةُ تَوْفِيقٍ لِكُلِّ خَيْرٍ وَعِصْمَةٍ مِنْ كُلِّ شَرٍّ.

وَلِذَا؛ حَمِدَتْ جَمِيعُ المَخْلُوْقَاتِ الرَّبَّ ﷻ: ﴿وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾﴾[الزُّمَر:٧٥]، فَهُوَ مَحْمُوْدٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ: ﴿دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾﴾[يُوْنُس:١٠].

وَرَبُّنَا ﷻ امْتَدَحَ نَفْسَهُ بِأَنَّهُ رَبُّ العَالَمِيْنَ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾﴾[الفَاتِحَة:٢]، وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ﴾[الأَنْعَام:١٦٤].

وَمَدَحَ نَفْسَهُ بِأَنَّهُ رَبُّ العَرْشِ، قَالَ ﷻ: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾﴾[الزُّخْرُف:٨٢]، ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٦﴾﴾[النَّمْل:٢٦].

وَمَدَحَ نَفْسَهُ بِأَنَّهُ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ؛ فَقَالَ: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾﴾[الزُّخْرُف:٨٢].

وَمَدَحَ نَفْسَهُ بِأَنَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّ آبَائِنَا الأَوْلِينَ، قَالَ ﷻ: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾﴾[الدُّخَان:٨].

وَمَدَحَ نَفْسَهُ ﷻ بِأَنَّهُ رَبُّ المَشْرِقِ وَالمَغْرِبِ، قَالَ ﷻ: ﴿رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾﴾[المُزَّمِّل:٩].

فَمَا أَعْظَمَ شَأْنَهُ، وَأَفْخَمَ مُلْكَهُ، وَأَعْلَى مَكَانَهُ، وَأَقْرَبَهُ مِنْ خَلْقِهِ، وَأَلْطَفَهُ بِعِبَادِهِ.

وَرُبُوْبِيَّةُ الله ﷻ: رُبُوْبِيَّةُ عَظَمَةٍ وَجَلَالٍ، ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾﴾[الأَعْلَى:١].

وَرُبُوْبِيَّتُهُ ﷻ: بَرَكَةٌ وَنِمَاءٌ وَعَطَاءٌ، ﴿تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾[الأَعْرَاف:٥٤].

وَرُبُوْبِيَّتُهُ ﷻ: سَتْرٌ وَمَغْفِرَةٌ، ﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾﴾[سبإ:١٥].

وَرُبُوْبِيَّتُهُ ﷻ: عِزَّةٌ وَقُوَّةٌ وَغَلَبَةٌ وَمَنَعَةٌ، ﴿رَبُّ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ﴿٦٦﴾﴾ [ص:٦٦].

وَرُبُوْبِيَّتُهُ ﷻ: رَحْمَةٌ، ﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَٰنِ﴾[النبإ:٣٧].

وَرُبُوْبِيَّتُهُ ﷻ: كَرَمٌ، ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٦﴾﴾[الانفطار:٦].

لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ الوَاحِدُ الأَحَدُ، مَا عَبَدْنَاكَ رَبَّنَا حَقَّ العِبَادَةِ!

فَمَنْ عَرَفَ أَنَّ اللهَ هُوَ: رَبُّ الأَرْبَابِ ﷻ لَمْ يَطْلُبْ غَيْرَ اللهِ رَبًّا لَهُ، وَرَضِيَ بِرُبُوْبِيَّتِهِ، وَمَنْ رَضِيَ ذَاقَ حَلَاوَةَ الإِيمَانِ، فَقَدْ صَحَّ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «ذَاقَ طَعْمَ الإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللهِ رَبًّا، وَبِالإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُوْلًا»[أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ].

لَمَّا عَلِمَ الأَنْبِيَاءُ وَالصَّالِحُونَ بِأَنَّ هَذَا الاسْمَ: مِفْتَاحُ الدُّعَاءِ؛ تَضَرَّعُوْا إِلَى اللهِ بِهِ فِي دُعَائِهِمْ؛ فَدَعَا بِهِ آدَمُ ﷺ وَزَوْجَهُ حَوَّاءُ: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾[الأعراف:٢٣].

وَدَعَا بِهِ نُوْحٌ ﷺ: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [نوح:٢٨].

وَدَعَا بِهِ إِبْرَاهِيمُ وَإِسْمَاعِيلُ ﷺ: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[البقرة:١٢٧].

وَدَعَا بِهِ مُوْسَى ﷺ: ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٥١﴾﴾[الأعراف:١٥١].

وَدَعَا بِهِ عِيسَى ﷺ: ﴿اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِّنكَ وَارْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١٤﴾﴾[المائدة:١١٤].

وَدَعَا بِهِ الْمُصْطَفَى ﷺ: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾﴾[المؤمنون:٩٧-٩٨].

وَلِبَرَكَةِ هَذَا الاسْمِ فِي الدُّعَاءِ؛ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَدْعُوْ كَثِيرًا بِهِ، وَيُعِظِّمُ اللهَ بِهِ، فَمِنْ ذَلِكَ: مَا جَاءَ فِي «الصَّحِيحِ»: أَنَّهُ ﷺ قَالَ: «سَيِّدُ الاسْتِغْفَارِ: أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ! أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ؛ أَعُوْذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوْءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوْءُ لَكَ بِذَنْبِي؛ فَاغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوْبَ إِلَّا أَنْتَ -قَالَ-: وَمَنْ قَالَهَا مِنَ النَّهَارِ مُوْقِنًا بِهَا؛ فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يُمْسِيَ؛ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَمَنْ قَالَهَا مِنَ اللَّيْلِ وَهُوَ مُوْقِنٌ بِهَا، فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ؛ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ»[أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ].

وَكَانَ إِذَا أَخَذَ مَضْجَعَهُ يَقُوْلُ: «اللَّهُمَّ! رَبَّ السَّمَاوَاتِ وَرَبَّ الأَرْضِ وَرَبَّ العَرْشِ العَظِيمِ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، فَالِقَ الحَبِّ وَالنَّوَى، وَمُنْزِلَ التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالفُرْقَانِ؛ أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ شَيْءٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهِ.

اللَّهُمَّ! أَنْتَ الأَوَّلُ؛ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الآخِرُ؛ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ؛ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ البَاطِنُ؛ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ؛ اقْضِ عَنَّا الدَّيْنَ، وَأَغْنِنَا مِنَ الفَقْرِ» [أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ].

وَكَانَ إِذَا افْتَتَحَ صَلَاتَهُ بِاللَّيْلِ قَالَ: «اللَّهُمَّ رَبَّ جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ، فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ، عَالِمَ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوْا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ.

اللَّهُمَّ! اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الحَقِّ؛ إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ»[حَدِيثٌ حَسَنٌ. رَوَاهُ أَبُوْ دَاوُدَ].

وَإِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ، وَحَلَّ بِهِ كَرْبٌ يَقُوْلُ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ العَظِيمُ الحَلِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ رَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَرَبُّ الأَرْضِ، وَرَبُّ العَرْشِ الكَرِيمِ»[أَخْرَجَهُ

البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ].

وَمِنْ دُعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ الَّذِي عَلَّمَهُ رَبُّهُ: ﴿رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾[طه:١١٤]، قَالَ العُلَمَاءُ: مَا زَالَ فِي زِيَادَةٍ مِنَ العِلْمِ حَتَّى تُوُفِّيَ.

وَمَنْ أَرَادَ المَغْفِرَةَ؛ فَعَلَيْهِ بِهَذَا الدُّعَاءِ: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١١٨﴾﴾ [المُؤْمِنُونَ:١١٨].

رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ!

أَقُولُ قَولِي هَذَا، وَأَستَغْفِرُ اللهَ لِي وَلَكُمْ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرُوهُ؛ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ:

الحَمْدُ للهِ حَمْدًا طَيِّبًا كَثِيرًا مُبَارَكًا فِيهِ كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنِ اهْتَدَى بِهُدَاهُمْ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

عِبَادَ اللهِ..

مَنْ لَمْ يَدْعُ بِأَسْمَاءِ اللهِ ﷻ اخْتِيَارًا؛ رَجَعَ إِلَيْهَا اضْطِرَارًا، فَهَا هُوَ المَرِيضُ عَلَى فِرَاشِهِ، وَهُوَ يُصَارِعُ المَرَضَ يُنَادِي: يَا رَبِّ.. يَا رَبِّ! فَإِذَا العَافِيَةُ تَدْلِفُ مِنْ لَدُنْهُ، وَإِذَا الشِّفَاءُ يَنْزِلُ مِنْ عِنْدِهِ ﷻ.

وَيَتَضَرَّعُ بِاسْمِهِ الفَقِيرُ؛ الَّذِي لَا يَمْلِكُ قِطْمِيرًا، يَتَنَهَّدُ مِنَ البُؤْسِ، وَيَصِيحُ مِنَ الفَاقَةِ: يَا رَبِّ.. يَا رَبِّ! فَإِذَا بِهِ يَرْفَعُ عَنْهُ الحَاجَةَ، وَيَكْشِفُ الضَّائِقَةَ مِنْ عِنْدِهِ وَحْدَهُ ﷻ.

وَيُنَادِي الجَائِعُ، وَهُوَ يَتَضَوَّرُ جُوعًا، وَيَتَلَوَّى مِنَ الضُّرِّ: يَا رَبِّ.. يَا رَبِّ! فَإِذَا بِالرِّزْقِ يَغْمُرُهُ، وَعَطَاءُ اللهِ يَنْهَمِرُ عَلَيْهِ.

وَيَسْتَجِيرُ بِهِ المَظْلُومُ، وَهُوَ يَمْسَحُ دَمْعَتَهُ الحَارَّةَ، وَيُخْفِي أَنِينَهُ السَّاخِنَ: يَا رَبِّ.. يَا رَبِّ! فَإِذَا النَّصْرُ الأَكْبَرُ، وَالعَاقِبَةُ الحَمِيدَةُ.

نَادَى بِهَا السَّجِينُ المَظْلُوْمُ فِي زِنْزَانَتِهِ، وَهُـوَ مُكَبَّـلٌ بِالحَدِيـدِ، مَغْلُـوْلٌ بِـالقُيُوْدِ: يَـا رَبِّ.. يَا رَبِّ! فَإِذَا الأَبْوَابُ تُفْتَحُ -بِقُدْرَةِ القَادِرِ!-، وَإِذَا القُيُوْدُ تُحَلُّ، وَالفَرَجُ يَحْصُلُ.

وَلَجَأَتْ إِلَيْهِ الأُمُّ وَهِيَ فِي وِلَادَتِهَا، وَقَدْ تَعَسَّرَتِ الوِلَادَةُ وَصَعُبَتْ، وَأَوْشَـكَتِ الأُمُّ عَـلَى الهَلَاكِ: يَا رَبِّ.. يَا رَبِّ! فَزَالَ أَنِينُهَا، وَخَرَجَ جَنِينُهَا.

الطَّائِرَةُ فِي السَّمَاءِ، يُؤَشِّرُ مُؤَشِّرُ الخَلَلِ، وَيَظْهَرُ العُطْلُ؛ فَيَذْعُرُ القَائِدُ، وَتَضِجُّ الأَصْـوَاتُ، وَيَذْهَلُ الرِّجَالُ، وَتَصِيحُ النِّسَاءُ، وَيَفْجَعُ الأَطْفَالُ، وَيَعْظُمُ الفَزَعُ؛ فَيَهْتِفُ الجَمِيـعُ: يَـا رَبِّ.. يَا رَبِّ! فَيَأْتِي لُطْفُهُ، وَتَنْزِلُ رَحْمَتُهُ، وَتَعْظُمُ مِنَّتُـهُ؛ فَتَهْـدَأُ القُلُـوْبُ، وَتَـسْكُنُ النُّفُـوْسُ، وَتَهْـبِطُ الطَّائِرَةُ بِسَلَامٍ.

رُحْمَـاكَ يَـا رَبَّ العِبَـادِ رَجَـائِي

وَرِضَاكَ قَصْدِي فَاسْتَجِبْ لِدُعَائِي

نَادَيْتُ بِاسْـمِكِ يَـا إِلَهِـي ضَـارِعًا

إِنْ لَمْ تُجِبْنِـي فَمَـنْ يُجِيـبُ بُكَـائِي؟

يَا رَبُّ! رَحْمَتَكَ نَرْجُوْ؛ فَلَا تَكِلْنَا إِلَى أَنْفُسِنَا طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ.

يَا رَبُّ! اغْفِرْ وَارْحَمْ، وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ الجَنَّةَ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ، ونَعُوْذُ بِكَ مِنَ النَّـارِ وَمَـا قَـرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ الهُدَى وَالسَّدَادَ، وَنَسْأَلُكَ التُّقَى وَالعِفَّةَ وَالغِنَى.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنَ الخَيْرِ كُلِّهِ؛ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ؛ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَأَنْ تَجْعَلَ كُلَّ قَضَاءٍ قَضَيْتَهُ لَنَا خَيْرًا.

اللَّهُمَّ! أَصْلِحْ لَنَا دِيْنَنَا الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِنَـا، وَأَصْـلِحْ لَنَـا دُنْيَانَـا الَّتِـي فِيهَـا مَعَاشُـنَا،

وَأَصْلِحْ لَنَا آخِرَتَنَا الَّتِي فِيهَا مَعَادُنَا، وَاجْعَلِ الحَيَاةَ زِيَادَةً لَنَا فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَالمَوْتَ رَاحَةً لَنَا مِنْ كُلِّ شَرٍّ.

اللَّهُمَّ! أَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا، وَأَلِّفْ بَيْنَ قُلُوْبِنَا، وَاهْدِنَا سُبَلَ السَّلَامِ، وَأَخْرِجْنَا مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوْرِ.

اللَّهُمَّ! بَارِكْ لَنَا فِي أَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوَّاتِنَا وَأَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّتِنَا وَأَمْوَالِنَا، وَاجْعَلْنَا مُبَارَكِيْنَ أَيْنَمَا كُنَّا.

وَآخِرُ دَعْوَانَا: أَنِ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ.

الواجِبُ الأَجَلُّ ﷺ

إِنَّ الحَمْدَ لله؛ نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِالله مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَـهَ إِلَّا اللهُ؛ وَحْـدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[آلِ عِمْرَانَ: ١٠٢]،

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾[النِّسَاءَ: ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾[الأَحْزَابِ: ٧٠- ٧١].

أَمَّا بَعْدُ:

جَاءَ فِي «صَحِيحِ البُخَارِيِّ»: أَنَّ رَسُوْلَ الله ﷺ قَالَ: «يَلْقَى إِبْرَاهِيمُ أَبَاهُ آزَرَ يَـوْمَ القِيَامَـةِ وَعَلَى وَجْهِ آزَرَ قَتَرَةٌ وَغَبَرَةٌ، فَيَقُوْلُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ: أَلَمْ أَقُلْ لَكَ: لا تَعْصِنِي! فَيَقُوْلُ أَبُوْهُ: فَـالْيَوْمَ لا أَعْصِيكَ.

فَيَقُولُ إِبْرَاهِيمُ: يَا رَبِّ! إِنَّكَ وَعَدْتَنِي أَنْ لَا تُخْزِيَنِي يَوْمَ يُبْعَثُوْنَ؛ فَأَيُّ خِـزْيٍ أَخْـزَى مِـنْ أَبِي الأَبْعَدِ؟!

فَيَقُوْلُ اللهُ -تَعَالَى-: إِنِي حَرَّمْتُ الجَنَّةَ عَلَى الكَـافِرِينَ، ثُـمَ يُقَـالُ: يَـا إِبْـرَاهِيمُ! مَـا تَحْـتَ رِجْلَيْكَ؟ فَيَنْظُرُ فَإِذَا هُوَ بِذِيخٍ مُلْتَطِخٍ، فَيُؤْخَذُ بِقَوَائِمِهِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ».

إِنَّ اللهَ ﷻ لَا يَقْبَلُ شَفَاعَةَ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام فِي أَبِيهِ؛ لِأَنَّ أَبَاهُ مَاتَ مُشْرِكًا، وَاللهُ حَرَّمَ الجَنَّةَ عَلَى

كُلِّ كَافِرٍ مُشْرِكٍ، وَلِأَنَّ اللهَ وَعَدَ إِبْرَاهِيمَ أَنْ لَا يُخْزِيَهُ فِي يَوْمِ القِيَامَةِ؛ فَإِنَّهُ يَمْسَخُ فِي ذَلِكَ اليَوْمِ أَبَاهُ ضَبْعًا، فَيُلْقَى بِهِ فِي النَّارِ، فَلَا يَعْرِفُ أَحَدٌ أَنَّهُ وَالِدُ إِبْرَاهِيمَ، فَلَا يُخْزَى بِهِ.

فَشَفَاعَةُ خَلِيلِ اللهِ لَمْ تُقْبَلْ فِي مُشْرِكٍ؛ فَكَيْفَ بِمَنْ دُوْنَ الخَلِيلِ ﷺ؟!

قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ٤٨﴾[النِّسَاءَ:٤٨].

وَلِذَا؛ فَإِنَّ مِنْ أَوْجَبِ الوَاجِبَاتِ عَلَى العَبْدِ: تَوْحِيدَ اللهِ فِي العِبَادَةِ.

وَقَدْ سَمَّى اللهُ ﷻ نَفْسَهُ بِـ (الأَحَدِ وَالوَاحِدِ): ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١﴾[الإِخْلَاصِ: ١]، ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾[التَّوْبَةِ: ٣١].

وَنَقِفُ فِي هَذِهِ الخُطْبَةِ مَعَ هَذَيْنِ الاسْمَيْنِ نَتَفَيَّأُ فِي ظِلَالِهِمَا؛ لَعَلَّ اللهَ يَرْزُقُنَا تَحْقِيقَ تَوْحِيدِهِ، وَحُسْنَ الإِيمَانِ بِتَفَرُّدِهِ وَوِحْدَانِيَّتِهِ:

رَبُّنَا ﷻ المُتَفَرِّدُ بِصِفَاتِ المَجْدِ وَالجَلَالِ، المُتَوَحِّدُ بِنُعُوْتِ العَظَمَةِ وَالكِبْرِيَاءِ وَالجَمَالِ.

فَهُوَ وَحْدَهُ فِي ذَاتِهِ؛ لَا شَبِيهَ لَهُ.

وَوَاحِدٌ فِي صِفَاتِهِ؛ لَا مَثِيلَ لَهُ.

وَوَاحِدٌ فِي أَفْعَالِهِ؛ لَا شَرِيكَ لَهُ وَلَا ظَهِيرَ.

وَوَاحِدٌ فِي أُلُوْهِيَّتِهِ؛ فَلَيْسَ لَهُ نِدٌّ فِي المَحَبَّةِ وَالتَّعْظِيمِ، وَالذُّلِّ وَالخُضُوْعِ.

وَهُوَ الوَاحِدُ الَّذِي عَظُمَتْ صِفَاتُهُ؛ حَتَّى تَفَرَّدَ بِكُلِّ كَمَالٍ، وَتَعَذَّرَ عَلَى جَمِيعِ الخَلْقِ أَنْ يُحِيطُوْا بِشَيْءٍ مِنْ صِفَاتِهِ، أَوْ يُدْرِكُوْا شَيْئًا مِنْ نُعُوْتِهِ؛ فَضْلًا عَنْ أَنْ يُمَاثِلَهُ أَحَدٌ فِي شَيْءٍ مِنهَا.

وَالوَحْدَانِيَّةُ: هِيَ خُلَاصَةُ دَعْوَةِ الرُّسُلِ، وَقِوَامُ رِسَالَاتِهِمْ: ﴿قُلۡ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٨﴾[الأَنْبِيَاءِ:١٠٨].

وَالوَحْدَانِيَّةُ: هِيَ فِطْرَةُ اللهِ ﷻ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا، وَمِيثَاقُهُ الَّذِي أَخَذَهُ مِنَ النَّاسِ،

وَدَعْوَةُ رُسُلِهِ الَّتِي بُعِثُوْا بِهَا، وَمَنْطُوْقُ كُتُبِهِ الَّتِي أَنْزَلَهَا.

وَمِنْ أَجْلِهَا قَامَ سُوْقُ الجَنَّةِ وَسُوْقُ النَّارِ، وَبِسَبَبِهَا مُدَّ الصِّرَاطُ، وَتَطَايَرَتِ الصُّحُفُ، وَوُضِعَ المِيزَانُ، وَسُلَّ سَيْفُ المِلَّةِ، وَرُفِعَ عَلَمُ الجِهَادِ، وَطَارَتْ أَرْوَاحُ الشُّهَدَاءِ، وَلَذَّ طَعْمُ المَوْتِ، وَأَمْهَرَتِ المَنَايَا نُفُوْسَ المُقَاتِلِينَ، ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾﴾[فُصِّلَتْ:٦].

وَفِي تَقْرِيرِ الوَحْدَانِيَّةِ وَوُجُوْبِ إِخْلَاصِ الدِّينِ لَهُ قَالَ ﷻ: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾[البَقَرَة:١٦٣].

وَأَوْجَبَ ﷻ الخُضُوْعَ لِوَحْدَانِيَّتِهِ وَعَظَمَتِهِ: ﴿فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾﴾[الحَجِّ:٣٤].

وَقَدْ أَبْطَلَ عَقَائِدَ المُشْرِكِينَ؛ فَقَالَ ﷻ: ﴿۞ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٥١﴾﴾[النَّحْلِ:٥١]، ﴿ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾﴾ [يُوْسُفَ:٣٩].

وَرَدَّ ﷻ عَلَى مَنْ قَالَ: إِنَّ اللهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾[النِّسَاءِ:١٧١].

وَنَفَى المِثْلَ وَالنِّدَّ وَالكُفْءَ مِنْ جَمِيعِ الوُجُوْهِ؛ فَهُوَ ﷻ: الأَحَدُ الَّذِي لَا مَثِيلَ لَهُ وَلَا نَظِيرَ؛ ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾[مَرْيَمَ:٦٥].

وَنَهَانَا أَنْ نُشْبِّهَهُ بِشَيْءٍ مِنْ مَخْلُوْقَاتِهِ، إِلَّا أَنَّهُ أَخْبَرَنَا عَنْ نَفْسِهِ؛ وَهُوَ أَعْلَمُ بِنَفْسِهِ.

وَكُلُّ مَا خَطَرَ فِي بَالِ البَشَرِ عَنِ اللهِ؛ فَاللهُ بِخِلَافِ ذَلِكَ، فَلَيْسَ لَهُ نِدٌّ وَلَا نَظِيرٌ وَلَا شَبِيهٌ وَلَا مَثِيلٌ، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾[الشُّوْرَى:١١]، فَلَا يُشْبِهُهُ أَحَدٌ

مِنْ خَلْقِهِ، فَلَهُ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى وَالصِّفَاتُ العُلْيَا، وَلَهُ الكَمَالُ وَالجَمَالُ وَالجَلَالُ وَالعَظَمَةُ وَالمَجْدُ وَالكِبْرِيَاءُ.

قَالَ المُشْرِكُوْنَ لِرَسُوْلِ اللهِ ﷺ: صِفْ لَنَا رَبَّكَ! أَمِنْ ذَهَبٍ هُوَ؟ أَمْ مِنْ نَحَاسٍ أَمْ صُفْرٍ؟ وَكَانَ بَعْضُهُمْ يَقُوْلُ: اِنْسِبْ لَنَا رَبَّكَ يَا مُحَمَّدُ!

وَكَانَتِ اليَهُوْدُ تَقُوْلُ: نَحْنُ نَعْبُدُ عُزَيرًا ابْنَ اللهِ، وَالنَّصَارَى يَقُوْلُوْنَ: نَحْنُ نَعْبُدُ المَسِيحَ ابْنَ اللهِ، وَكَانَتِ المَجُوْسُ تَقُوْلُ: نَحْنُ نَعْبُدُ الشَّمْسَ وَالقَمَرَ، وَكَانَ المُشْرِكُوْنَ يَقُوْلُوْنَ: نَحْنُ نَعْبُدُ الأَوْثَانَ..

فَأَجَابَهُمُ اللهُ بِجَوَابٍ مُفْحِمٍ بِقَوْلِهِ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾[الإِخْلَاصِ:١].

تَجَرَّؤُوْا عَلَى اللهِ ﷻ، وَجَاؤُوْا بِجَرِيمَةٍ نَكْرَاءَ، كَادَتِ السَّمَاوَاتُ لِعَظَمَتِهَا تَنْفَطِرُ، وَالأَرْضُ تَنْشَقُّ، وَالجِبَالُ تَخِرُّ هَدًّا!! أَنْ نَسَبُوْا لِلَّهِ الوَلَدَ -تَعَالَى اللهُ عَمَّا يَقُوْلُوْنَ!-.

فَالْكُلُّ تَحْتَ مُلْكِهِ وَقَهْرِهِ، وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ القِيَامَةِ فَرْدًا: ﴿لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ۝٨٩ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ۝٩٠ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ۝٩١ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ۝٩٢ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ۝٩٣ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ۝٩٤ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ۝٩٥﴾[مَرْيَمَ:٨٩-٩٥].

وَفِي «صَحِيحِ البُخَارِيِّ»: أَنَّ رَسُوْلَ اللهِ ﷺ قَالَ: «قَالَ اللهُ: كَذَّبَنِي ابْنُ آدَمَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يُكَذِّبَنِي! وَشَتَمَنِي ابْنُ آدَمَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَشْتُمَنِي!

وَأَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ؛ فَقَوْلُهُ: لَنْ يُعِيدَنِي كَمَا بَدَأَنِي، وَلَيْسَ أَوَّلُ الخَلْقِ بِأَهْوَنَ مَا يَكُوْنُ عَلَيَّ مِنْ إِعَادَتِهِ، وَأَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ؛ فَقَوْلُهُ: اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا، وَأَنَا اللهُ الأَحَدُ الصَّمَدُ؛ الَّذِي لَمْ أَلِدْ، وَلَمْ أُوْلَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لِي كُفُوًا أَحَدٌ».

فَاللهُ ﷻ إِلَهٌ وَاحِدٌ؛ لَيْسَ لَهُ شَرِيكٌ، وَلَيْسَ لَهُ مَثِيلٌ فِي ذَاتِهِ أَوْ صِفَاتِهِ أَوْ أَفْعَالِهِ.

كُلُّ مَا فِي الكَوْنِ مِنْ إِبْدَاعٍ وَنِظَامٍ وَتَوَافُقٍ وَانْسِجَامٍ؛ يَدُلُّ عَلَى: أَنَّ مُبْدِعَهُ وَمُدَبِّرَهُ وَاحِدٌ، وَلَوْ كَانَ وَرَاءَ هَذَا الكَوْنِ أَكْثَرُ مِنْ مُدَبِّرٍ وَأَكْثَرُ مِنْ مُنَظِّمٍ؛ لَاخْتَلَّ نِظَامُهُ، وَاضْطَرَبَتْ سُنَّنُهُ؛ ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾﴾[الأَنْبِيَاءِ:٢٢].

تَأَمَّلْ فِي نَبَاتِ الأَرْضِ وَانْظُرْ ... إِلَى آثَارِ مَا صَنَعَ المَلِيكُ
عُيُونٌ مِنْ لُجَيْنٍ شَاخِصَاتٌ ... بِأَحْدَاقٍ هِيَ الذَّهَبُ السَّبِيكُ
عَلَى قَضَبِ الزَّبَرْجَدِ شَاهِدَاتٌ ... بِأَنَّ اللهَ لَيْسَ لَهُ شَرِيكُ

فَاللهُ ﷻ المُسْتَحِقُّ وَحْدَهُ العِبَادَةَ؛ فَلَا يَتَوَجَّهُ العَبْدُ لِغَيْرِ اللهِ، وَلَا يَصْرِفُ لِغَيْرِهِ شَيْئًا مِنَ العِبَادَاتِ: صَلَاةً كَانَتْ أَوْ دُعَاءً أَوْ ذَبْحًا أَوْ نَذْرًا أَوْ تَوَكُّلًا أَوْ رَجَاءً أَوْ خَوْفًا أَوْ خُشُوْعًا أَوْ خُضُوْعًا: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾[الأَنْعَام:١٦٢-١٦٣].

فَالْقَضِيَّةُ العُظْمَى هِيَ: إِفْرَادُ اللهِ بِالعِبَادَةِ؛ ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذَّارِيَاتِ:٥٦]، ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾[التَّوْبَةِ: ٣١].

فَالتَّوْحِيدُ أَلْطَفُ شَيْءٍ وَأَنْزَهُهُ وَأَصْفَاهُ، فَأَدْنَى شَيْءٍ يُخْدِشُهُ وَيُدَنِّسُهُ وَيُؤَثِّرُ فِيهِ، صَحَّ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «قَالَ اللهُ ﷻ: مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي؛ تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ»[أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ]، وَصَحَّ عَنْهُ ﷺ قَوْلُهُ: «إِذَا جَمَعَ اللهُ ﷻ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ؛ نَادَى مُنَادٍ: مَنْ كَانَ أَشْرَكَ فِي عَمَلٍ عَمِلَهُ لِلَّهِ أَحَدًا؛ فَلْيَطْلُبْ ثَوَابَهُ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ ﷻ، فَإِنَّ اللهَ أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ»[حَدِيثٌ حَسَنٌ. رَوَاهُ أَحْمَدُ فِي «المُسْنَدِ»].

اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوْذُ بِكَ أَنْ نُشْرِكَ بِكَ وَنَحْنُ نَعْلَمُ، وَنَسْتَغْفِرُكَ مِمَّا لَا نَعْلَمُ؛ يَا رَبَّ العَالَمِينَ!

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَأَستَغْفِرُ اللهَ لِي وَلَكُمْ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرُوهُ؛ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ:

الحَمْدُ للهِ حَمْدًا طَيِّبًا كَثِيرًا مُبَارَكًا فِيهِ كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنِ اهْتَدَى بِهُدَاهُمْ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

عِبَادَ اللهِ..

جاءَ فِي صَحِيحِ السُّنَّةِ أَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ تَحُثُّ عَلَى التَّوْحِيدِ، وَتُبَيِّنُ فَضْلَهُ، مِنْهَا:

حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُوْلَ اللهِ ﷺ: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، فِي يَوْمٍ مِئَةَ مَرَّةٍ؛ كَانَتْ لَهُ عَدْلَ عَشْرِ رِقَابٍ، وَكُتِبَتْ لَهُ مِئَةُ حَسَنَةٍ، وَمُحِيَتْ عَنْهُ مِئَةُ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتِ لَهُ حِرْزًا مِنَ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّى يُمْسِيَ، وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ، إِلَّا أَحَدٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ»[أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ].

وَفِي الحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وَأَبُوْ دَاوُدَ عَنْ بُرَيْدَةَ: أَنَّ رَسُوْلَ اللهِ ﷺ سَمِعَ رَجُلًا يَقُوْلُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّكَ أَنْتَ اللهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الأَحَدُ الصَّمَدُ، الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُوْلَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ!

قَالَ ﷺ: «لَقَدْ سَأَلْتَ اللهَ بِاسْمِهِ الأَعْظَمِ؛ الَّذِي إِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى، وَإِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ» [حَدِيثٌ صَحِيحٌ].

وَدَخَلَ الرَّسُوْلُ ﷺ المَسْجِدَ وَسَمِعَ رَجُلًا يَدْعُوْ: اللَّهُمَّ! إِنِّي أَسْأَلُكَ يَا اللهُ الأَحَدُ الصَّمَدُ، الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَكَ كُفُوًا أَحَدٌ: أَنْ تَغفِرَ لِي ذُنُوْبِي؛ إِنَّكَ أَنْتَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ.

فَقَالَ ﷺ: «قَدْ غُفِرَ لَهُ، قَدْ غُفِرَ لَهُ، قَدْ غُفِرَ لَهُ» ثَلَاثَ مِرَارٍ. [حَدِيثٌ صَحِيحٌ. رَوَاهُ أَحْمَدُ فِي «المُسْنَدِ»].

وَرَأَى رَسُوْلُ اللهِ ﷺ رَجُلًا كَانَ يَدْعُوْ بِإِصْبَعَيْهِ؛ فَقَالَ لَهُ ﷺ: «أَحَدٌ أَحَدٌ!»[حَدِيثٌ

صَحِيحٌ. رَوَاهُ أَبُوْ دَاوُدَ]، وفِيهِ: إِذَا أَرَادَ أَنْ يُشِيرَ فِي الدُّعَاء فَلَا يُشِيرُ إِلَّا بِإِصْبَعٍ وَاحِدَةٍ.

اللَّهُمَّ! إنا نسألُك يَا وَاحِدُ.. يَا أَحَدُ.. يَا صَمَدُ! أن تَجْعَلَنَا مِمَّنْ دَعَاكَ فَأَجَبْتَهُ، وَمِمَّنْ تَضَرَّعَ إِلَيْكَ فَرَحِمْتَهُ، وَمِمَّنْ اسْتَجَارَكَ فَأَجَرْتَه مِنَ النَّارِ.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ الهُدَى وَالسَّدَادَ، وَنَسْأَلُكَ التُّقَى وَالعِفَّةَ وَالغِنَى.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ الجَنَّةَ، وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، وَنَعُوْذُ بِكَ مِنَ النَّارِ، وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنَ الخَيْرِ كُلِّهِ؛ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ؛ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَأَنْ تَجْعَلَ كُلَّ قَضَاءٍ قَضَيْتَهُ لَنَا خَيْرًا.

اللَّهُمَّ! أَصْلِحْ لَنَا دِيْنَنَا الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا دُنْيَانَا الَّتِي فِيهَا مَعَاشُنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا آخِرَتَنَا الَّتِي فِيهَا مَعَادُنَا، وَاجْعَلِ الحَيَاةَ زِيَادَةً لَنَا فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَالمَوْتَ رَاحَةً لَنَا مِنْ كُلِّ شَرٍّ.

اللَّهُمَّ! أَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا، وَأَلِّفْ بَيْنَ قُلُوْبِنَا، وَاهْدِنَا سُبَلَ السَّلَامِ، وَأَخْرِجْنَا مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوْرِ.

اللَّهُمَّ! بَارِكْ لَنَا فِي أَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوَّاتِنَا وَأَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّتِنَا وَأَمْوَالِنَا، وَاجْعَلْنَا مُبَارَكِيْنَ أَيْنَمَا كُنَّا.

وَآخِرُ دَعْوَانَا: أَنِ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ.

الصَّمَدُ ﷻ

إِنَّ الحَمْدَ لله؛ نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِالله مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَـهَ إِلَّا اللهُ؛ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[آلِ عِمْرَانَ: ١٠٢]،

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾﴾[النِّسَاءَ: ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾[الأَحْزَابِ: ٧٠- ٧١].

أَمَّا بَعْدُ:

قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ﴿٣﴾ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ﴿٤﴾﴾[سُوْرَةُ الإِخْلَاصِ].

عِبَادَ الله..

نَتَحَدَّثُ فِي هَذِهِ الخُطْبَةِ عَنِ اسْمِ الله: (الصَّمَدِ ﷻ).

فَرَبُّنَا ﷻ هو الَّذِي تَقْصُدُهُ الخَلَائِقُ كُلُّهَا: إِنْسُهَا وَجِنُّهَا، بَلِ العَالَمُ بِأَسْرِهِ العُلْوِيُّ وَالسُّفْلِيُّ، وَتَقْصُدُ إِلَيْهِ فِي الرَّغَائِبِ، وَتَسْتَغِيثُ بِهِ عِنْدَ المَصَائِبِ.

وَرَبُّنَا ﷻ هُوَ السَّيِّدُ الَّذِي كَمُلَ فِي سُؤْدُدِهِ، الشَّرِيفُ الَّذِي كَمُلَ فِي شَرَفِهِ، وَالعَظِيمُ الَّذِي كَمُلَ فِي عَظَمَتِهِ، وَالحَلِيمُ الَّذِي كَمُلَ فِي حِلْمِهِ، وَالغَنِيُّ الَّذِي كَمُلَ فِي غِنَاهُ، وَهَذِهِ الصِّفَاتُ لَا

تَنْبَغِي إِلَّا لَهُ ﷻ.

وَرَبُّنَا ﷻ هُوَ الَّذِي لَا جَوْفَ لَهُ؛ فَلَا يَأْكُلُ وَلَا يَشْرَبُ، وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ، الْمُسْتَغْنِي عَمَّا سِوَاهُ؛ الَّذِي يَحْتَاجُ إِلَيْهِ كُلُّ مَا عَدَاهُ ﷻ، لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، قَالَ ﷻ: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾[الإِخْلَاصِ:٤].

اسْمُ الله: (الصَّمَدِ) قَلِيلُ الوُرُوْدِ وَالذِّكْرِ؛ لَكِنَّهُ ذُوْ جَلَالٍ خَاصٍّ.

إِنَّهُ الوَاحِدُ الَّذِي لَا يُضَاهَى ... فِي مَعَانِي أَسْمَائِهِ وَالصِّفَاتِ

صَمَدٌ تَصْمُدُ البَرَايَا إِلَيْهِ ... وَأَنِيْسُ الضَّمَائِرِ المُوْحِشَاتِ

ذَكَرَ البَيْهَقِيُّ وَحَسَّنَهُ الحَافِظُ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ: أَنَّ اليَهُوْدَ جَاؤُوْا إِلَى رَسُوْلِ الله ﷺ، فَقَالُوْا: يَا مُحَمَّدُ! اِنْسِبْ لَنَا رَبَّكَ الَّذِي بَعَثَكَ؟! فَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ قَوْلَهُ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [سُوْرَةُ الإِخْلَاصِ:٤].

وَرَوَى الوَاحِدِيُّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ: "أَنَّ وَفْدًا مِنْ نَجْرَانَ قَدِمُوْا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالُوْا: صِفْ لَنَا رَبَّكَ؛ أَمِنْ زَبَرْجَدٍ؟ أَمْ مِنْ يَاقُوْتٍ؟ أَمْ مِنْ ذَهَبٍ؟ أَمْ مِنْ فِضَّةٍ؟ فَأَنْزَلَ اللهُ قَوْلَهُ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾[سُوْرَةُ الإِخْلَاصِ:٤]".

سُوْرَةٌ قَصِيرَةٌ جَمَعَتْ صِفَاتِ الكَمَالِ وَنُعُوْتِ العَظَمَةِ وَالجَلَالِ.

وَلِعَظَمَتِهَا فَإِنَّ مَنْ قَرَأَهَا فَكَأَنَّمَا قَرَأَ ثُلُثَ القُرْآنِ، فَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِأَصْحَابِهِ: «أَيَعْجَزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ فِي لَيْلَةٍ ثُلُثَ القُرْآنِ؟»، قَالُوْا: وَكَيْفَ يَقْرَأُ ثُلُثَ القُرْآنِ؟ قَالَ: «﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾﴾[الإِخْلَاصِ:١] تَعْدِلُ ثُلُثَ القُرْآنِ»[هَذَا لَفْظُ مُسْلِمٍ].

قَالَ بَعْضُ العُلَمَاءِ: "إِنَّ القُرْآنَ أُنْزِلَ ثَلَاثًا: ثُلُثٌ مِنْهُ: أَحْكَامٌ، وَثُلُثٌ مِنْهُ: وَعْدٌ وَوَعِيدٌ،

وَثُلُثٌ مِنْهُ: أَسْمَاءٌ وَصِفَاتٌ، وَسُوْرَةُ الصَّمَدِ جَمَعَتْ أَحَدَ الثَّلَاثَةِ، وَهِيَ: الأَسْمَاءُ وَالصِّفَاتُ؛ لِذَا جُعِلَ أَجْرُ قِرَاءَتِهَا كَثُلُثِ القُرْآنِ".

وَفِي «صَحِيحِ البُخَارِيِّ»: أَنَّ صَحَابِيًّا كَانَ يَقرَأُ لِأَصْحَابِهِ فِي صَلَاتِهِمْ كُلِّهَا بِـ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾[الإِخْلَاصِ:١]، فَذَكَرُوْا ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ! فَقَالَ: «سَلُوهُ لِأَيِّ شَيْءٍ يَصْنَعُ ذَلِكَ؟»؛ فَسَأَلُوْهُ، فَقَالَ: لِأَنَّهَا صِفَةُ الرَّحْمَنِ؛ فَأَنَا أُحِبُّ أَنْ أَقْرَأَ بِهَا، فَقَالَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ: «أَخْبِرُوهُ أَنَّ اللهَ ﷻ يُحِبُّهُ».

هَذَا الحُبُّ فِي نُفُوْسِ الصَّالِحِينَ جَعَلَ المُحِبِّينَ يَبْحَثُوْنَ عَنْ حُبِّ مَوْلَاهُمْ..

هَذَا الحُبُّ فِي قُلُوْبِ العِبَادِ لَا يُشْبِعُهُ إِلَّا الانْحِنَاءُ لَهُ، وَالطَّوَافُ بِبَيتِهِ، وَالوُقُوْفُ بَيْنَ يَدْيهِ، وَالقِيَامُ مِنَ النَّوْمِ لِأَجْلِهِ، وَبَذْلُ المُهَجِ فِي سَبِيلِهِ.

وَلَا تَطْمَئِنُّ قُلُوْبُ المُحِبِّينَ إِلَّا بِذِكْرِهِ، وَأَرْوَاحُ المُشْتَاقِينَ لَا تَسْكُنُ إِلَّا بِرُؤْيَتِهِ.

إِذَا مَرِضْنَا تَدَاوَيْنَا بِذِكْرِكُمُ ... فَنَتْرُكُ الذِّكْرَ أَحْيَانًا فَنَنْتَكِسُ

فَهَؤُلَاءِ صَمَدُوْا إِلَى اللهِ فِي الرَّخَاءِ؛ فَعَرَفَهُمْ فِي الشِّدَّةِ، فَبِقَدْرِ الصُّمُوْدِ تَكُوْن الرِّفْعَةُ وَالفَرَجُ..

فَهَذَا نَبِيُّ اللهِ إِبْرَاهِيمُ ﷺ تَمُرَّ بِهِ عِدَّةُ بَلَاءَاتٍ؛ فَيَرْفَعُهُ اللهُ ﷻ بِهَا؛ حَتَّى اسْتَحَقَّ مِنَ اللهِ مَنْزِلَةَ الخُلَّةِ، قَالَ ﷻ: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ۝١٢٥﴾[النِّسَاءَ:١٢٥].

وَهَذَا أَيُّوْبُ إِمامُ أَهْلِ البَلَاءِ، وَعُمْدَةُ أَهْلِ المَرَضِ وَالابْتِلَاءِ؛ لَـمَّا صَمَدَ إِلَى رَبِّهِ ﷻ بِقَوْلِهِ: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ۝٨٣﴾[الأَنْبِيَاءِ:٨٣]؛ كَانَ الجَوَابُ مِنَ الصَّمَد ﷻ: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ﴾[الأَنْبِيَاءِ:٨٤].

وَهَذَا يُوْنُسُ ﷺ فِي بَطْنِ الحُوْتِ، وَفِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ؛ يَصْمُدُ إِلَى رَبِّهِ ﷻ بِقَوْلِهِ: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٨٧ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ

نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾[الأَنْبِيَاء:٨٧-٨٨].

وَهَذَا حَالُ جَمِيعِ الأَنْبِيَاءِ ﷺ وَالصَّالِحِينَ مِنَ النَّاسِ.. عَرَفُوْا اللهَ فِي الرَّخَاءِ فَعَرَفَهُمْ فِي الشِّدَّةِ.

اللَّهُمَّ! اجْعَلْنَا مِنْ أَوْلِيَائِكَ وَعِبَادِكَ الصَّالِحِينَ.

أَقُولُ قَولِي هَذَا، وَأَستَغْفِرُ اللهَ لِي وَلَكُمْ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرُوهُ؛ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ:

الحَمْدُ للهِ حَمْدًا طَيِّبًا كَثِيرًا مُبَارَكًا فِيهِ كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنِ اهْتَدَى بِهُدَاهُمْ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

يَا عَبْدَ الله..

إِنَّ رَبَّكَ الصَّمَدَ ﷻ فَتَحَ بَابَهُ لَيْسَ فَقَطْ لِلْأَوْلِيَاءِ بَلْ لِجَمِيعِ الخَلْقِ.

وَهَذَا مِنْ لُطْفِهِ وَرَحْمَتِهِ وَكَرَمِهِ؛ فَهَؤُلَاءِ المُشْرِكُوْنَ لَمَّا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الدُّنْيَا، وَرَأَوْا المَوْتَ المُحَقَّقَ؛ صَمَدُوْا إِلَى اللهِ ﷻ؛ وَنَادَوْا: يَا اللهُ.. يَا اللهُ! فَإِذَا بِالنَّجَاةِ؛ ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾﴾[العَنْكَبُوْت:٦٥].

وَهُمْ يُقِرُّوْنَ بِذَلِكَ؛ فَالْعَالَمُ بِأَسْرِهِ إِذَا لَمْ يَصْمُدُوْا إِلَى اللهِ ﷻ رَغْبَةً؛ صَمَدُوْا إِلَيْهِ بِسَوْطِ الاضْطِرَارِ.

وقد اسْتَجَابَ اللهُ ﷻ لِلْكَافِرِينَ فِي اضْطِرَارِهِمْ؛ فَكَيْفَ بِمَنْ شَهِدَ للهِ بِالوَحْدَانِيَّةِ وَلِلنَّبِيِّ ﷺ بِالرِّسَالَةِ؟! فَإِذَا نَزَلَتْ بِكَ حَاجَةً فَاصْمُدْ إِلَيْهِ، وَأَنْزَلَ فَاقَتَكَ عِنْدَ بَابِهِ، وَنَادَي: يَا صَمَدُ فَرِّجْ مَا بِي!

فَلَا تَضِقْ ذَرْعًا بِهَمِّكَ أَوْ بِمَرَضِكَ أَوْ بِدَيْنِكَ؛ فَرَبُّكَ الصَّمَدُ الَّذِي إِذَا الْتَجَأْتَ إِلَيْهِ لَنْ

يُخَيِّبَكَ، وَلَنْ يَخْذِلَكَ، وَتَـذَكَّرْ أَنَّ أَفْـضَلَ العِبَـادَةِ: انْتِظَـارُ الفَـرَجِ، وَدَوَامُ الحَـالِ مِـنَ المُحَـالِ، وَالدَّهْرُ قُلَّبٌ، وَاللَّيَالِي حُبَالَى، وَالغَيْبُ مَسْتُوْرٌ، وَإِنَّ مَعَ العُسْرِ يُسْرًا.

جَاءَ فِي «سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ»: أَنَّ رَسُوْلَ الله ﷺ دَخَلَ المَسْجِدَ وَسَمِعَ رَجُلًا يَـدْعُوْ: اللَّهُـمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ يَا اللهُ! الأَحَدُ الصَّمَدُ، الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُوْلَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ: أَنْ تَغْفِرَ لِي ذُنُـوْبِي؛ إِنَّكَ أَنْتَ الغَفُوْرُ الرَّحِيمُ.

فَقَالَ ﷺ: «قَدْ غُفِرَ لَهُ، قَدْ غُفِرَ لَهُ، قَدْ غُفِرَ لَهُ» -ثَلَاثًا-[حَدِيثٌ صَحِيحٌ].

وَفِي رِوَايَةٍ: «لَقَدْ سَأَلْتَ اللهَ بِالِاسْمِ الَّـذِي إِذَا سُـئِلَ بِـهِ أَعْطَـى، وَإِذَا دُعِـيَ بِـهِ أَجَـابَ» [حَدِيثٌ صَحِيحٌ. رَوَاهُ أَبُوْ دَاوُدَ].

رُحْمَـاكَ يَـا رَبَّ العِبَـادِ رَجَـائِي

وَرِضَاكَ قَصْدِي فَاسْتَجِبْ لِدُعَائِي

نَادَيْتُ بِاسْـمِكِ يَـا إِلَهِـي ضَـارِعًا

إِنْ لَمْ تُجِبْنِـي فَمَـنْ يُجِيـبُ بُكَـائِي؟

أَنْـتَ الكَـرِيمُ فَـلَا تَـدَعْنِي تَائِهًـا

فَلَقَـدْ عَيِيـتُ مِـنَ البِعَـادِ النَّـائِي

وَلَقَدْ رَجَوْتُـكَ يَـا إِلَهِـي ضَـارِعًا

مُتَـــذَلِّلًا فَـــلَا تَـــرُدَّ رَجَـــائِي

اللَّهُمَّ يَا وَاحِدُ.. يَا أَحَدُ.. يَا صَمَدُ! نَسْأَلُكَ الجَنَّةَ وَمَـا قَـرَّبَ إِلَيْهَـا مِـنْ قَـوْلٍ أَوْ عَمَـلٍ، وَنَعُوْذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ الجَنَّةَ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ، ونَعُوْذُ بِكَ مِنَ النَّـارِ وَمَـا قَـرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ الهُدَى وَالسَّدَادَ، وَنَسْأَلُكَ التُّقَى وَالعِفَّةَ وَالغِنَى.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنَ الخَيْرِ كُلِّهِ؛ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ؛ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَأَنْ تَجْعَلَ كُلَّ قَضَاءٍ قَضَيْتَهُ لَنَا خَيْرًا.

اللَّهُمَّ! أَصْلِحْ لَنَا دِيْنَنَا الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا دُنْيَانَا الَّتِي فِيهَا مَعَاشُنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا آخِرَتَنَا الَّتِي فِيهَا مَعَادُنَا، وَاجْعَلِ الحَيَاةَ زِيَادَةً لَنَا فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَالمَوْتَ رَاحَةً لَنَا مِنْ كُلِّ شَرٍّ.

اللَّهُمَّ! أَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا، وَأَلِّفْ بَيْنَ قُلُوْبِنَا، وَاهْدِنَا سُبَلَ السَّلَامِ، وَأَخْرِجْنَا مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوْرِ، وَبَارِكْ لَنَا فِي أَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوَّاتِنَا وَأَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَتِنَا وَأَمْوَالِنَا، وَاجْعَلْنَا مُبَارَكِيْنَ أَيْنَمَا كُنَّا.

وَآخِرُ دَعْوَانَا: أَنِ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ.

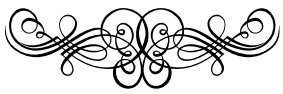

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الحَمْدَ لله؛ نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِالله مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَـهَ إِلَّا اللهُ؛ وَحْـدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾[آل عِمْرَانَ: ١٠٢]،

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾[النِّسَاءَ: ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾[الأَحْزَابِ: ٧٠- ٧١].

أَمَّا بَعْدُ:

قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾[الإِسْرَاءِ: ١١٠].

عِبَادَ الله..

نَبِيُّنا ﷺ كَانَ إِذَا كَرَبَهُ أَمْرٌ قَالَ: «يَا حَيُّ.. يَا قَيُّوْمُ! بِرَحْمَتِـكَ أَسْـتَغِيثُ»[حَـدِيثٌ حَـسَنٌ. رَوَاهُ أَحْمَـدُ فِي «المُـسْنَدِ»]، كَيْـفَ لَا يُـسْتَغَاثُ بِـالرَّحْمَنِ؛ وَهُـوَ المَـلَاذُ فِي الـشِّدَّةِ، وَالأَنِـيسُ فِي الوَحْشَةِ، وَالنَّصِيرُ فِي القِلَّةِ؟

فَهُوَ سَلْوَةُ الطَّائِعِينَ، وَمَلَاذُ الهَارِبِينَ، وَمَلْجَأُ الخَائِفِينَ؛ إِنَّهُ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ.

إِلَيْهِ وَإِلَّا لَا تُشَدُّ الرَّكَائِبُ وَمِنْهُ وَإِلَّا فَالمُؤَمِّلُ خَائِبُ

مَوْضُوْعُ خُطْبَتِنَا فِي هَذَا اليَوْمِ عَنِ اسْمَيْنِ مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ ﷻ: (الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ).

قَالَ ﷻ: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾[البَقَرَة:١٦٣].

الرَّحْمَةُ: سِمَةُ الرُّبُوْبِيَّةِ، وَعُنْوَانُ الأُلُوْهِيَّةِ؛ وَلِذَلِكَ وَصَفَ ﷻ نَفْسَهُ بِأَنَّهُ: الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ.

هَذَانِ الاسْمَانِ الكَرِيمَانِ مُشْتَقَّانِ مِنَ (الرَّحْمَةِ) عَلَى وَجْهِ المُبَالَغَةِ.

وَالرَّحْمَةُ فِي اللُّغَةِ هِيَ: الرِّقَّةُ، وَالشَّفَقَةُ، وَالعَطْفُ وَالرَّأْفَةُ.

فَالرَّحْمَنُ ﷻ هُوَ: ذُوْ الرَّحْمَةِ الشَّامِلَةِ لِجَمِيعِ الخَلَائِقِ فِي الدُّنْيَا، وَلِلْمُؤْمِنِينَ فِي الآخِرَةِ؛ ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾[الأَعْرَاف:١٥٦].

وَالرَّحِيمُ هُوَ: ذُوْ الرَّحْمَةِ لِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ القِيَامَةِ، ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾ [الأَحْزَاب:٤٣].

فَهُوَ ﷻ أَرْحَمُ بِنَا مِنْ كُلِّ رَاحِمٍ، أَرْحَمُ بِنَا مِنْ آبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا وَأَوْلَادِنَا، بَلْ وَمِنْ أَنْفُسِنَا.

ذَكَرَ البُخَارِيُّ فِي كِتَابِهِ «الأَدَبِ المُفْرَدِ»: أَنَّ رَجُلًا جَاءَ وَمَعَهُ صَبِيٌّ يَضُمُّهُ إِلَى صَدْرِهِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ؛ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَتَرْحَمُهُ؟»، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «فَاللهُ أَرْحَمُ بِكَ مِنْكَ بِهِ، وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ»[حَدِيثٌ صَحِيحٌ].

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»: عَنْ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ ﷺ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ وَقَفَ عَلَى سَبْيٍ، فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنَ السَّبْيِ تَبْحَثُ عَنْ طِفْلِهَا؛ فَلَمَّا وَجَدَتْهُ أَخَذَتْهُ، فَأَلْصَقَتْهُ بِبَطْنِهَا وَأَرْضَعَتْهُ، فَقَالَ لَنَا النَّبِيُّ ﷺ: «أَتَرَوْنَ هَذِهِ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ؟»، قُلْنَا: لَا، وَهِيَ تَقْدِرُ عَلَى أَنْ لَا تَطْرَحَهُ! فَقَالَ: «لَلَّهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بِوَلَدِهَا».

وَرَحْمَةُ اللهِ ﷻ نَوْعَانِ:

رَحْمَةٌ عَامَّةٌ: وَهِيَ لِجَمِيعِ الخَلَائِقِ؛ فَكُلُّ الخَلْقِ مَرْحُوْمُوْنَ بِرَحْمَةِ اللهِ، بِإِيجَادِهِمْ وَتَرْبِيَتِهِمْ، وَرِزْقِهِمْ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ النِّعَمِ الَّتِي لَا تُحْصَى، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾﴾[البَقَرَة:

١٤٣]، ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمًا ٦٦﴾[الإِسْرَاءِ:٦٦].

وَرَحْمَةٌ خَاصَّةٌ: الَّتِي تَكُوْنُ بِهَا سَعَادَةُ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَهِيَ لَا تَكُوْنُ إِلَّا لِخَوَاصِّ عِبَادِهِ المُؤْمِنِينَ؛ ﴿وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمًا ٤٣﴾[الأَحْزَابِ:٤٣]، ﴿يُبَشِّرُهُمۡ رَبُّهُم بِرَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَرِضۡوَٰنٖ وَجَنَّٰتٖ﴾[التَّوْبَةِ:٢١].

اسْمُ الرَّحْمَنِ ﷻ مُخْتَصٌّ بِهِ، لَا يَجُوْزُ أَنْ يُسمَّى بِهِ أَحَدٌ غَيْرُ اللهِ ﷻ، وَلَا يُوْصَفُ بِهِ غَيْرُهُ؛ ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾[الإِسْرَاءِ:١١٠]، فَعَادَلَ بِهِ اسْمَ الجَلَالَةِ الَّذِي لَا يُشْرِكُهُ فِيهِ غَيْرُهُ؛ حَتَّى قَالَ بَعْضُهُمْ: هُوَ الاسْمُ الأَعْظَمُ.

وَأَمَّا اسْمُ الرَّحِيمِ؛ فَيَجُوْزُ وَصْفُ المَخْلُوْقِ بِهِ كَذَلِكَ؛ ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٢٨﴾[التَّوْبَةِ: ١٢٨]، فَيُقَالُ: رَجُلٌ رَحِيمٌ، وَلَا يُقَالُ: رَجُلٌ رَحْمَنٌ.

إِنَّهُ الرَّحْمَنُ..

أَحَقُّ مَنْ ذُكِرَ، وَأَحَقُّ مَنْ عُبِدَ، وَأَوْلَى مَنْ شُكِرَ عَلَى إِحْسَانِهِ وَرَحْمَتِهِ.

فَأَيْنَمَا تُوَلِّ وَجْهَكَ تَرَ رَحْمَةَ اللهِ فِي هَذَا الكَوْنِ، وَأَعْظَمُهَا فِي هَذَا الكَوْنِ: الوَحِيُّ المُنَزَّلُ؛ ﴿وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ٨٩﴾[النَّحْلِ:٨٩].

إِذَا أَجْدَبَتِ الأَرْضُ، وَمَاتَ الزَّرْعُ، وَجَفَّ الضَّرْعُ، وَاشْتَدَّ البَلَاءُ؛ نَزَلَتِ الرَّحَمَاتُ؛ ﴿فَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحۡمَتِ ٱللَّهِ كَيۡفَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٥٠﴾[الرُّوْمِ:٥٠].

عِنْدَمَا حَلَّ العَذَابُ، وَبَكَى الرِّجَالُ، وَصَاحَتِ النِّسَاءُ، وَفَزِعَتِ الأَطْفَالُ، وَعَمَّ الرُّعْبُ، وَعَظُمَ الفَزَعُ؛ نَزَلَتِ الرَّحَمَاتُ عَلَى عِبَادِهِ المُخْلِصِينَ؛ ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا هُودٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا﴾[هُوْدٍ:٥٨]، ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا شُعَيۡبٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا﴾

[هُوْدٍ:٩٤].

لَا عُبُوْرَ لِأَيِّ رَغْبَةٍ إِلَّا مِنْ طَرِيقِ الرَّحْمَنِ، وَلَا وُجُوْدَ لِأَيِّ حَاجَةٍ إِلَّا فِي سَاحَةِ الرَّحْمَنِ، لَا إِمْكَانِيَّةَ لِخُرُوْجِ شَيْءٍ إِلَّا بِالرَّحْمَنِ؛ فَإِنَّهُ وَحَدَهُ الرَّحْمَنُ الَّذِي لَا حَوْلَ فِي الوُجُوْدِ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِهِ ﷻ.

فَبِرَحْمَتِهِ أَرْسَلَ إِلَيْنَا رُسُلَهُ.

وَبِرَحْمَتِهِ أَنْزَلَ عَلَيْنَا كُتُبَهُ.

وَبِرَحْمَتِهِ هَدَانَا مِنَ الضَّلَالَةِ.

وَبِرَحْمَتِهِ أَرْشَدَنَا مِنَ العَمَى.

وَبِرَحْمَتِهِ عَلَّمَنَا مَا لَمْ نَكُنْ نَعْلَمَ.

وَبِرَحْمَتِهِ سَخَّرَ الشَّمْسَ وَالقَمَرَ، وَجَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، وَبَسَطَ الأَرْضَ.

وَبِرَحْمَتِهِ أَنْشأَ السَّحَابَ، وَأَنْزَلَ المَطَرَ، وَأَنْبتَ الفَوَاكِهَ وَالأَقْوَاتَ.

وَبِرَحْمَتِهِ سَخَّرَ الجِبَالَ وَالإِبِلَ وَالأَنْعَامَ.

وَبِرَحْمَتِهِ خُلِقَتِ الجَنَّةُ، وَعُمِّرَتْ بِأَهْلِهَا، وَطَابَ عَيْشُهُم.

وَبِرَحْمَتِهِ احْتَجَبَ عَنْ خَلْقِهِ بِالنُّوْرِ، وَلَوْ كَشَفَ ذَلِكَ الحِجَابَ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ.

وَمِنْ رَحْمَتِهِ: أَنَّهُ يُعِيذُ مِنْ سَخَطِهِ بِرِضَاهُ، وَمِنْ عُقُوْبَتِهِ بِعَفْوِهِ، وَمِنْ نَفْسِهِ بِنَفْسِهِ.

وَمِنْ رَحْمَتِهِ: أَنَّهُ خَلَقَ مِئَةَ رَحْمَةٍ كُلُّ رَحْمَةٍ مِنْهَا طِبَاقُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ؛ فَأَنْزَلَ مِنْهَا إِلَى الأَرْضِ رَحْمَةً وَاحِدَةً، نَشَرَهَا بَيْنَ الخَلِيقَةِ لِيَتَرَاحَمُوْا بِهَا، بِهَا تَعْطِفُ الوَالِدَةُ عَلَى وَلَدِهَا، وَبِهَذِهِ الرَّحْمَةِ قِوَامُ العَالَمِ وَنِظَامُهُ.

يَا عَبْدَ الله..

وَلْتَسْمَعْ عَنْ سِعَةِ رَحْمَتِهِ: ﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٥٣﴾[الزُّمَر:٥٣]، وَصَحَّ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «لَوْ يَعْلَمُ المُؤْمِنُ مَا عِنْدَ اللهِ مِنَ العُقُوْبَةِ؛ مَا طَمِعَ بِجَنَّتِهِ أَحَدٌ، وَلَوْ يَعْلَمُ الكَافِرُ مَا عِنْدَ اللهِ مِنَ الرَّحْمَةِ؛ مَا قَنَطَ مِنْ جَنَّتِهِ أَحَدٌ»[أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ].

بَلْ إِنَّ رَحْمَتَهُ غَلَبَتْ غَضَبَهُ، صَحَّ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «لَمَّا خَلَقَ اللهُ الخَلْقَ: كَتَبَ فِي كِتَابِهِ؛ فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ العَرْشِ: إِنَّ رَحْمَتِي تَغْلِبُ غَضَبِي»[أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ]، وَفِي رِوَايَةٍ: «وَإِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي»[أَخْرَجَهَا البُخَارِيُّ].

وَاللهُ قَدْ قَالَ: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمۡ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَ﴾[الأَنْعَام:٥٤].

بَلْ لَهُ ﷻ مِئَةُ رَحْمَةٍ، أَنْزَلَ وَاحِدَةً وَأَمْسَكَ تِسْعًا وَتِسْعِينَ رَحْمَةً، وَهُوَ أَرْحَمُ مِنَ الوَالِدَةِ بِوَلِدِهَا، بَلْ أَرْحَمُ بِالمَرْءِ مِنْ نَفْسِهِ.

وَعِنْدَ التِّرْمِذِيِّ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَمَّا أَغْرَقَ اللهُ فِرْعَوْنَ قَالَ: ﴿ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾[يُونُس:٩٠]، فَقَالَ جِبْرِيلُ: يَا مُحَمَّدُ! فَلَوْ رَأَيْتَنِي وَأَنَا آخُذُ مِنْ حَالِ البَحْرِ فَأَدُسُّهُ فِي فِيهِ؛ مَخَافَةَ أَنْ تُدْرِكَهُ الرَّحْمَةُ»[حَدِيثٌ حَسَنٌ].

وَهَذِهِ الرَّحَمَاتُ: رَحْمَةٌ بِعِزَّةٍ وَقُوَّةٍ وَغَلَبَةٍ وَمَنَعَةٍ، لَا رَحْمَةُ ضَعْفٍ وَذِلَّةٍ؛ ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ٩﴾[الشُّعَرَاء:٩].

وَأَشْهَدُ أَنَّ اللهَ لَا رَبَّ غَيْرُهُ ... كَرِيمٌ رَحِيمٌ يُرتَجَى وَيُؤَمَّلُ
عَفُوٌّ يُحِبُّ العَفْوَ مِنْ كُلِّ خَلْقِهِ ... عَنِ الجُوْدِ وَالإِحْسَانِ لَا يَتَحَوَّلُ
تَبَارَكَ فَهُوَ اللهُ جَلَّ جَلَالُهُ ... جَوَادٌ كَرِيمٌ كَامِلٌ لَا يُمَثَّلُ
إِذَا أَكْثَرَ المُثْنِي عَلَيْهِ مِنَ الثَّنَا ... فَذُوْ العَرْشِ أَعْلَى فِي الجَلَالِ وَأَجْمَلُ

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ لِي وَلَكُمْ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرُوهُ؛ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ:

الْحَمْدُ لله حَمْدًا طَيِّبًا كَثِيرًا مُبَارَكًا فِيهِ كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنِ اهْتَدَى بِهُدَاهُمْ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

عِبَادَ الله..

رَبُّنَا الغَنِيُّ عَنَّا وَعَنْ عِبَادَتِنَا، لَنْ نَدْخُلَ الجَنَّةَ إِلَّا بِرَحْمَتِهِ؛ حَتَّى نَبِيُّنَا ﷺ، جَاءَ فِي «الصَّحِيحَيْنِ» مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لَنْ يُدْخِلَ أَحَدًا عَمَلُهُ الجَنَّةَ»، قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: «لَا، وَلَا أَنَا؛ إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللهُ بِفَضْلٍ وَرَحْمَةٍ».

فَمَنْ عَلِمَ هَذَا؛ فَعَلَيْهِ بِعُبُودِيَّةِ الرَّجَاءِ، وَالتَّعَلُّقِ بِرَحْمَةِ الله ﷻ، وَالسَّعْيِ إِلَيْهَا، وَتَكُونُ بِالتَّقْوَى وَالإِيمَانِ وَأَدَاءِ الطَّاعَاتِ.

فَبِذَلِكَ تُنَالُ الرَّحَمَاتُ؛ ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾﴾[الأَعْرَافِ:١٥٦].

وَتُنَالُ الرَّحَمَاتُ بِطَاعَةِ الله ﷻ وَالرَّسُولِ ﷺ؛ لِأَنَّ اللهَ قَالَ: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾[آلِ عِمْرَانَ:١٣٢].

وَتُنَالُ بِالإِحْسَانِ؛ لِأَنَّ اللهَ ﷻ قَالَ: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [الأَعْرَافِ:٥٦].

وَتُنَالُ بِالاسْتِغْفَارِ؛ لِأَنَّ اللهَ ﷻ قَالَ: ﴿لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [النَّمْلِ:٤٦].

وَتُنَالُ بِذِكْرِ الله ﷻ، جَاءَ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي المِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللهِ العَظِيمِ»[أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ

وَمُسْلِمٌ].

وَتُنَالُ الرَّحَمَاتُ بِكَثْرَةِ الدُّعَاءِ، وَطَلَبِ الرَّحْمَةِ فِي الرَّخَاءِ وَالشِّدَّةِ، جَاءَ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمُ المَسْجِدَ؛ فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ افْتَحْ لِي أَبْوَاب رَحْمَتِكَ»[أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ].

وَلَا يَنَالُ الرَّحْمَةَ إِلَّا عِبَادُ اللهِ الرُّحَمَاءُ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «وَإِنَّمَا يَرْحَمُ اللهُ مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ»[أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ]، فَهَذِهِ مُوْمِسُ دَخَلَتِ الجَنَّةَ بِرَحْمَتِهَا لِكَلْبٍ أَصَابَهُ العَطَشُ؛ سَقَتْهُ بِخُفِّيهَا.

وَفِي «سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ» عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «دَعَوَاتُ المَكْرُوبِ: اللَّهُمَّ رَحْمَتَكَ أَرْجُوْ! فَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَأَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ»[حَدِيثٌ حَسَنٌ].

وَإِذَا حَصَلَ لِلْمُؤْمِنِ رَحْمَةٌ فِي الدُّنْيَا وَرَحْمَةٌ فِي الآخِرَةِ؛ كَانَتْ هَذِهِ الرَّحْمَةُ الكَامِلَةُ المُطْلَقَةُ المُتَّصِلَةُ بِالسَّعَادَةِ الأَبَدِيَّةِ؛ لِأَنَّ اللهَ ﷻ قَالَ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾[النَّحْلِ:٩٧].

عِبَادَ اللهِ..

مِنَ النَّاسِ مَنْ إِذَا ابْتُلِيَ بِالمَصَائِبِ وَالأَزَمَاتِ وَالأَحْزَانِ؛ تَخَلَّى عَنْ إِيمَانِهِ، وَلَمْ يَتَذَكَّرْ بِأَنَّ اللهَ أَرْحَمُ بِهِ مِنْ نَفْسِهِ! فَلَا يَطْرُقُ بَابَ الرَّحْمَنِ، وَلَا يَرْجُوْ رَحْمَتَهُ، فَإِذَا هُوَ يَقَعُ فِي إِغْوَاءِ الشَّيْطَانِ، وَرُبَّمَا أَوْصَلَهُ إِلَى هَلَاكِ نَفْسِهِ، وَاللهُ ﷻ قَالَ: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾﴾[النِّسَاءَ:٢٩].

وَإِيَّاكَ أَنْ تَعْتَقِدَ أَنَّ ذَنْبَكَ مَهْمَا عَظُمَ هُوَ أَعْظَمُ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ! إِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يُرِيدُ مِنْكَ إِلَّا هَذِهِ، يُرِيدُ: أَنْ يُكَبِّرَ الذَّنْبَ فِي عَيْنَيكَ، وَيُصَغِّرَ رَحْمَةَ اللهِ.

وَرَحْمَةُ اللهِ أَوْسَعُ مِنْ ذَنْبِكَ وَمِنْ كُلِّ ذَنْبٍ؛ فَالرَّجُلُ الَّذِي قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ إِنْسَانًا وَأَكْمَلَهُمْ بِالمِئَةِ؛ عَلِمَ اللهُ صِدْقَ تَوْبَتِهِ فَصَدَّقَهُ اللهُ ﷻ.

وَإِنِّي بِكَ اللَّهُمَّ رَبِّي لَوَاثِقٌ وَمَا لِي بِبَابٍ غَيْرَ بَابِكَ مَدْخَلُ

اللَّهُمَّ! إِنْ لَمْ نَكُنْ أَهْلًا أَنْ نَبْلُغَ رَحْمَتَكَ؛ فَإِنَّ رَحْمَتَكَ أَهْلٌ أَنْ تَبْلُغَنَا، وَرَحْمَتُكَ وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ؛ فَلْتَسَعْنَا رَحْمَتُكَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ؛ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ!

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ الجَنَّةَ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ، ونَعُوْذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ الهُدَى وَالسَّدَادَ، وَنَسْأَلُكَ التُّقَى وَالعِفَّةَ وَالغِنَى.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنَ الخَيْرِ كُلِّهِ؛ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ؛ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَأَنْ تَجْعَلَ كُلَّ قَضَاءٍ قَضَيْتَهُ لَنَا خَيْرًا.

اللَّهُمَّ! أَصْلِحْ لَنَا دِيْنَنَا الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا دُنْيَانَا الَّتِي فِيهَا مَعَاشُنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا آخِرَتَنَا الَّتِي فِيهَا مَعَادُنَا، وَاجْعَلِ الحَيَاةَ زِيَادَةً لَنَا فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَالمَوْتَ رَاحَةً لَنَا مِنْ كُلِّ شَرٍّ.

اللَّهُمَّ! أَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا، وَأَلِّفْ بَيْنَ قُلُوْبِنَا، وَاهْدِنَا سُبَلَ السَّلَامِ، وَأَخْرِجْنَا مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوْرِ.

اللَّهُمَّ! وَبَارِكْ لَنَا فِي أَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوَّاتِنَا وَأَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَتِنَا وَأَمْوَالِنَا، وَاجْعَلْنَا مُبَارَكِيْنَ أَيْنَمَا كُنَّا.

وَآخِرُ دَعْوَانَا: أَنِ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ.

الحَيِيُّ ﷻ

إِنَّ الحَمْدَ لله؛ نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِالله مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَـهَ إِلَّا اللهُ؛ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[آلِ عِمْرَانَ: ١٠٢]،

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾﴾[النِّسَاءَ: ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾[الأَحْزَابِ: ٧٠- ٧١].

أَمَّا بَعْدُ:

أَيُّهَا النَّاسُ..

صَحَّ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ اللهَ حَيِيٌّ سِتِّيرٌ، يُحِبُّ الحَيَاءَ وَالسَّتْرَ؛ فَإِذَا اغْتَسَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَتِرْ»[حَدِيثٌ صَحِيحٌ. رَوَاهُ أَبُوْ دَاوُدَ].

مِنْ أَسْمَاءِ الله ﷻ: (الحَيِيُّ).

فَرَبُّنَا ﷻ هُوَ الحَيِيُّ، المَوْصُوْفُ بِكَمَالِ الحَيَاءِ، الَّذِي يَلِيقُ بِكَمَالِهِ وَجَلَالِهِ وَعُلُوِّهِ؛ لَيْسَ كَحَيَاءِ المَخْلُوْقِينَ، الَّذِي هُوَ: تَغَيُّرٌ وَانْكِسَارٌ.

حَيَاءُ الرَّبِّ ﷻ نَوْعٌ آخَرُ، لَا تُدْرِكُهُ الأَفْهَامُ، وَلَا تُكَيِّفُهُ العُقُوْلُ؛ فَإِنَّهُ حَيَاءُ كَرَمٍ وَبِرٍّ وَجُوْدٍ وَجَلَالٍ.

فَمَنْ جَلَالِ اللهِ ﷻ: أَنَّ حَيَاءَهُ هُوَ: تَرْكُ مَا لَيْسَ يَتَنَاسَبُ مَعَ سِعَةِ رَحْمَتِهِ وَكَمَالِ جُوْدِهِ وَكَرَمِهِ وَعَظِيمِ عَفْوِهِ وَحِلْمِهِ، ومِنْ ذَلِكَ: أَنَّهُ يَسْتَحِي أَنْ يَرُدَّ عَبْدَهُ إِذَا رَفَعَ يَدَيْهِ إِلَيْهِ بِالدُّعَاءِ.

وَمِنْ جَلَالِهِ ﷻ: أَنَّهُ -مَعَ كَمَالِ غِنَاهُ، وَتَمَامِ قُدْرَتِهِ- يَسْتَحِي مِنْ هَتْكِ سِتْرِ العَبْدِ وَفَضْحِهِ، فَالْعَبْدُ يَتَقَوَّى وَيَسْتَعِينُ بِنِعَمِ اللهِ عَلَى مَعْصِيتِهِ، وَاللهُ -مَعَ كَمَالِ غِنَاهُ- يَتَحَبَّبُ إِلَى عَبْدِهِ بِالنِّعَمِ، وَهُوَ يَتَبَغَّضُ إِلَيْهِ بِالمَعَاصِي وَالذُّنُوْبِ فِي كُلِّ الأَوْقَاتِ.

وَهُوَ الحَيِيُّ فَلَيْسَ يَفْضَحُ عَبْدَهُ ... عِنْدَ التَّجَاهُرِ مِنْهُ بِالعِصْيَانِ
لَكِنَّهُ يُلْقِي عَلَيْهِ سِتْرَهُ ... فَهُوَ السِّتِّيرُ وَصَاحِبُ الغُفْرَانِ

وَمِنْ كَرَمِ اللهِ ﷻ: أَنَّهُ يَسْتَحِي مِنَ العَبْدِ إِذَا رَفَعَ يَدَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا، جَاءَ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ اللهَ حَيِيٌّ كَرِيمٌ، يَسْتَحِي إِذَا رَفَعَ الرَّجُلُ إِلَيْهِ يَدَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا خَائِبَتَيْنِ»[حَدِيثٌ صَحِيحٌ. رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ].

وَمِنْ عَدْلِ اللهِ ﷻ: أَنَّهُ لَا يَسْتَحِي مِنَ الحَقِّ، قَالَ ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [الأَحْزَاب:٥٣]، وَعَلَى قَدْرِ المُشَاهَدَةِ لله تَكُوْنُ قَوَّةُ الحَيَاءِ فِي قَلْبِ المُؤْمِنِ.

وَمَنْ زَادَ إِيمَانُهُ زَادَ حَيَاؤُهُ، لِذَا كَانَ الأَنْبِيَاءُ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ حَيَاءً، وَقَدْ وُصِفَ النَّبِيُّ ﷺ بِأَنَّهُ: "أَشَدُّ حَيَاءً مِنَ العَذْرَاءِ فِي خِدْرِهَا".

جَاءَ فِي «صَحِيحِ البُخَارِيِّ»: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ مُوْسَى كَانَ رَجُلًا حَيِيًّا سِتِّيرًا، لاَ يُرَى مِنْ جِلْدِهِ شَيْءٌ؛ اسْتِحْيَاءً مِنْهُ، فَآذَاهُ مَنْ آذَاهُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ؛ فَقَالُوْا: مَا يَسْتَتِرُ هَذَا التَّسَتُّرَ إِلَّا مِنْ عَيْبٍ بِجِلْدِهِ؛ إِمَّا بَرَصٌ، وَإِمَّا أُدْرَةٌ، وَإِمَّا آفَةٌ.

وَإِنَّ اللهَ أَرَادَ أَنْ يُبَرِّئَهُ مِمَّا قَالُوا لِمُوْسَى، فَخَلَا يَوْمًا وَحْدَهُ، فَوَضَعَ ثِيَابَهُ عَلَى الحَجَرِ، ثُمَّ اغْتَسَلَ، فَلَمَّا فَرَغَ أَقْبَلَ إِلَى ثِيَابِهِ لِيَأْخُذَهَا، وَإِنَّ الحَجَرَ عَدَا بِثَوْبِهِ، فَأَخَذَ مُوْسَى عَصَاهُ وَطَلَبَ الحَجَرَ؛ فَجَعَلَ يَقُولُ: ثَوْبِي حَجَرُ.. ثَوْبِي حَجَرُ! حَتَّى انْتَهَى إِلَى مَلَإٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ؛ فَرَأَوْهُ

عُرْيَانًا أَحْسَنَ مَا خَلَقَ اللهُ، وَأَبْرَأَهُ مِمَّا يَقُوْلُوْنَ.

وَقَامَ الحَجَرُ، فَأَخَذَ ثَوْبَهُ فَلَبِسَهُ، وَطَفِقَ بِالحَجَرِ ضَرْبًا بِعَصَاهُ، فَوَاللهِ! إِنَّ بِالحَجَرِ لَنُدَبًا مِنْ أَثَرِ ضَرْبِهِ، ثَلَاثًا أَوْ أَرْبَعًا أَوْ خَمْسًا، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾﴾[الأَحْزَاب:٦٩]».

وَالحَيَاءُ جُزْءٌ مِنْ أَجْزَاءِ الإِيمَانِ، جَاءَ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، وَالحَيَاءُ: شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ»[أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ].

وَأَعْظَمُ الحَيَاءِ وَأَحَبُّهُ: الحَيَاءُ مِنَ اللهِ ﷻ، وَلَمَّا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِأَصْحَابِهِ: «اسْتَحْيُوا مِنَ اللهِ حَقَّ الحَيَاءِ»، قَالُوْا: يَا رَسُوْلَ اللهِ! إِنَّا نَسْتَحِيِي؛ والحَمْدُ للهِ!

قَالَ: «لَيْسَ ذَاكَ، وَلَكِنْ مَنِ اسْتَحْيَا مِنَ اللهِ حَقَّ الحَيَاءِ؛ فَلْيَحْفَظِ الرَّأْسَ وَمَا وَعَى، وَلْيَحْفَظِ البَطْنَ وَمَا حَوَى، وَلْيَذْكُرِ المَوْتَ والبِلَى، وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ تَرَكَ زِينَةَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا؛ فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ اسْتَحْيَا مِنَ اللهِ حَقَّ الحَيَاءِ»[حَدِيثٌ حَسَنٌ. رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ].

اللَّهُمَّ! اجْعَلْنَا مِنْ أَهْلِ الحَيَاءِ.

أَقُولُ قَولِي هَذَا، وَأَستَغْفِرُ اللهَ لِي وَلَكُمْ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرُوهُ؛ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ:

الحَمْدُ للهِ حَمْدًا طَيِّبًا كَثِيرًا مُبَارَكًا فِيهِ كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنِ اهْتَدَى بِهُدَاهُمْ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

عِبَادَ اللهِ..

الحَيَاءُ لَا يَأْتِي إِلَّا بِالخَيْرِ، مَرَّ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ عَلَى رَجُلٍ يُعَاتِبُ آخَرَ فِي حَيَائِهِ: إِنَّكَ لَتَسْتَحِيِي! حَتَّى كَأَنَّهُ يَقُوْلُ: قَدْ أَضَرَّ بِكَ! فَقَالَ لَهُ ﷺ: «دَعْهُ! فَإِنَّ الحَيَاءَ مِنَ الإِيمَانِ»[حَدِيثٌ

صَحِيحٌ. رَوَاهُ أَبُوْ دَاوُدَ].

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ» عَنْ رَسُوْلِ الله ﷺ قَالَ: «الحَيَاءُ لاَ يَأْتِي إِلَّا بِخَيْرٍ»، وَفِي لَفْظٍ: «الحَيَاءُ كُلُّهُ خَيْرٌ»[أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ].

الحَيَاءُ: دَلِيلٌ عَلَى المُرُوْءَةِ، وَعُنْوَانٌ عَلَى الشَّهَامَةِ، وَآيَةٌ عَلَى حُسْنِ الخُلُقِ.

الحَيَاءُ: اسْتِشْعَارٌ لِعَظَمَةِ الله، وَاسْتِحْضَارٌ لِهَيْبَتِهِ، وَمُرَاقَبَةٌ لِجَلَالِهِ ﷻ.

قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: عَلِمْتُ أَنَّ اللهَ مُطَّلِعٌ عليَّ؛ فَاسْتَحْيَيتُ أَنْ يَرَانِي عَلَى مَعْصِيَةٍ.

وَإِذَا خَلَـوْتَ بِرِيبَـةٍ فِي ظُلْمَـةٍ ... وَالـنَّفْسُ دَاعِيَـةٌ إِلَى العِـصْيَانِ

فَاسْتَحِيِي مِنْ نَظَرِ الإِلَهِ وَقُلْ لَهَـا ... إِنَّ الَّـذِي خَلَـقَ الظَّـلَامَ يَـرَانِي

قَالَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ ﷺ: "مَنْ قَلَّ حَيَاؤُهُ قَلَّ وَرَعُهُ، وَمَنْ قَلَّ وَرَعُهُ مَاتَ قَلْبُهُ".

وَهَذَا عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ ﷺ تَسْتَحِيِي مِنْهُ المَلَائِكَةُ؛ لِشِدَّةِ حَيَائِهِ مِنْ رَبِّهِ.

قِيلَ: مِنْ عُقُوْبَاتِ المَعَاصِي: ذَهَابُ الحَيَاءِ وَصَفَاءِ الوَجْهِ، يقول الرَّسُوْل ﷺ: «إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النُّبُوَّةِ الأُولَى: إِذَا لَمْ تَسْتَحِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ»[أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ].

إِذَا لَمْ تَخْـشَ عَاقِبَـةَ اللَّيَـالِي ... وَلَمْ تَـسْتَحِ فَاصْـنَعْ مَـا تَـشَاءُ

يَعِيشُ المَرْءُ مَا اسْـتَحْيَا بِخَـيرٍ ... وَيَبْقَى العُودُ مَـا بَقِـيَ اللِّحَـاءُ

اللَّهُمَّ! ارْزُقْنَا الحَيَاءَ مِنْكَ، وَوَفِّقْنَا لِتَحْقِيقِ خَشْيَتِكَ فِي الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَالسِّرِّ وَالعَلَانِيَةِ.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ الجَنَّةَ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ، ونَعُوْذُ بِكَ مِنَ النَّـارِ وَمَـا قَـرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ الهُدَى وَالسَّدَادَ، وَنَسْأَلُكَ التُّقَى وَالعِفَّةَ وَالغِنَى.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنَ الخَيْرِ كُلِّهِ؛ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ؛ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَأَنْ تَجْعَلَ كُلَّ قَضَاءٍ قَضَيْتَهُ لَنَا خَيْرًا.

اللَّهُمَّ! أَصْلِحْ لَنَا دِيْنَنَا الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا دُنْيَانَا الَّتِي فِيهَا مَعَاشُنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا آخِرَتَنَا الَّتِي فِيهَا مَعَادُنَا، وَاجْعَلِ الحَيَاةَ زِيَادَةً لَنَا فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَالمَوْتَ رَاحَةً لَنَا مِنْ كُلِّ شَرٍّ.

اللَّهُمَّ! أَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا، وَأَلِّفْ بَيْنَ قُلُوْبِنَا، وَاهْدِنَا سُبَلَ السَّلَامِ، وَأَخْرِجْنَا مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوْرِ.

اللَّهُمَّ! بَارِكْ لَنَا فِي أَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوَّاتِنَا وَأَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّتِنَا وَأَمْوَالِنَا، وَاجْعَلْنَا مُبَارَكِيْنَ أَيْنَمَا كُنَّا.

وَآخِرُ دَعْوَانَا: أَنِ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ.

القَيُّومُ ﷻ

إِنَّ الحَمْدَ لله؛ نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِالله مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَـهَ إِلَّا اللهُ؛ وَحْـدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ.

أَمَّا بَعْدُ:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[آلِ عِمْرَانَ: ١٠٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾[النِّسَاءَ: ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾[الأَحْزَابِ: ٧٠- ٧١].

يَا مِبْدَعَ الأَكْـوَانِ أَنْـتَ الوَاحِـدُ ... كُلُّ الوُجُوْدِ عَلَى وُجُـوْدِكَ شَـاهِدُ

يَا حَـيُّ يَـا قَيُّـوْمُ أَنْـتَ المُرْتَجَـى ... وَإِلَى عُلَاكَ عَـلَا الجَبِـينُ الـسَّاجِدُ

جَاءَ عِنْدَ التِّرْمِذِيِّ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سَمِعَ رَجُلًا يَقُوْلُ فِي صَلَاتِهِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَـكَ الحَمْدُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ المَنَّانُ، بَدِيعُ الـسَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ! يَـا ذَا الجَـلَالِ وَالإِكْـرَامِ.. يَـا حَـيُّ.. يَا قَيُّوْمُ!

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! لَقَدْ سَـأَلَ اللهَ بِاسْـمِهِ الأَعْظَـمِ الَّـذِي إِذَا دُعِـيَ بِـهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى»[حَدِيثٌ صَحِيحٌ].

هَذِهِ رِسَالَةٌ مِنْ نَبِيِّكَ ﷺ إِلَى كُلِّ مَنْ صَرَخَتِ الحَيَاةُ فِي وَجْهِهِ: أَقْبِـلْ عَـلَى رَبِّـكَ، وَفَـرِّغْ

قَلْبَكَ مِنْ غَيْرِهِ، ثُمَّ ادْعُهُ بِـ (يَا حَيُّ.. يَا قَيُّوْمُ!)؛ فَإِنَّهُ يُجِيبُكَ.

إِلَيْهِ وَإِلَّا لَا تُشَدُّ الرَّكَائِبُ وَمِنْهُ وَإِلَّا فَالمُؤَمِّلُ خَائِبُ

نَقِفُ فِي خُطْبَتِنَا هَذِهِ مَعَ اسْمٍ عَظِيمٍ مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ الحُسْنَى وَهُوَ: (القَيُّوْمُ ﷻ):

قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿ ۞ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ ﴾[طه:١١١].

فَرَبُّنَا ﷻ القَائِمُ بِنَفْسِهِ مُطْلَقًا، لَا يَحْتَاجُ فِي قِيَامِهِ وَدَوَامِهِ إِلَى أَحَدٍ، غَنِيٌّ بِنَفْسِهِ عَمَّا سِوَاهُ؛ ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ ﴾[فاطِر:١٥].

وَرَبُّنَا ﷻ هُوَ الَّذِي قَامَتْ بِهِ جَمِيعُ المَخْلُوْقَاتِ؛ مَنْ فِي الأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ، فَلَا بَقَاءَ لَهَا وَلَا صَلَاحَ إِلَّا بِهِ ﷻ، فَهِيَ فَقِيرَةٌ إِلَيْهِ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ، وَهُوَ غَنِيٌّ عَنْهَا مِنْ كُلِّ وَجْهٍ؛ حَتَّى العَرْشَ وَحَمَلَتُهُ، فَإِنَّ العَرْشَ إِنَّمَا قَامَ بِالله ﷻ، وَحَمَلَةَ العَرْشِ مَا قَامَتْ إِلَّا بِالله ﷻ.

وَرَبُّنَا هُوَ ﷻ القَائِمُ عَلَى كُلِّ العَالَمِ؛ العُلْوِيِّ وَالسُّفْلِيِّ، وَمَا فِيهِمَا مِنْ مَخْلُوْقَاتٍ، فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِمْ؛ بِتَدْبِيرِهِمْ وَأَرْزَاقِهِمْ وَحِفْظِهِمْ، وَفِي كُلِّ شُؤُوْنِهِمْ بِالْعِنَايَةِ وَالرِّعَايَةِ، فِي كُلِّ وَقْتٍ وَحِينٍ.

بَلْ هُوَ القَائِمُ ﷻ عَلَى عِبَادِهِ، المُحْصِي لِأَعْمَالِهِمْ وَأَقْوَالِهِمْ، وَحَسَنَاتِهِمْ وَذُنُوْبِهِمْ؛ فَهُوَ الَّذِي يُجَازِيهِمْ عَلَيْهَا فِي الدَّارِ الآخِرَةِ، ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۗ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ۗ قُلْ سَمُّوهُمْ ۚ أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ أَم بِظَٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ ۗ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا۟ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ ﴾[الرَّعْد:٣٣].

وَمِنْ تَمَامِ أُلُوْهِيَّتِهِ: أَنْ قَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ وَاسْتَقَرَّتَا وَثَبَتَتَا بِأَمْرِهِ وَقُدْرَتِهِ؛ بِلَا عَمَدٍ يَعْمِدُهَا: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾ ﴾[فاطِر:٤١].

فَاللهُ هُوَ: الحَيُّ القَيُّوْمُ ﷻ، رَبُّ العَالَمِينَ، وَأَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، وَأَقْدَرُ القَادِرِينَ، وَأَحْكَمُ

الحَاكِمِينَ، الَّذِي لَهُ الخَلْقُ وَالأَمْرُ، وَبِيَدِهِ النَّفْعُ وَالضُّرُّ.

المَعْرُوْفِ بِالْفِطْرَةِ.. الَّذِي أَقَرَّتْ بِهِ العُقُوْلُ، وَدَلَّتْ عَلَيْهِ كُلُّ المَوْجُوْدَاتِ، المَشْهُوْدِ وُجُوْدُهُ وَقَيُّوْمِيَّتِهِ بِكُلِّ حَرَكَةٍ وَسُكُوْنٍ.. الَّذِي يُجِيبُ المُضْطَرَ إِذَا دَعَاهُ، وَيُغِيثُ المَلْهُوْفَ إِذَا نَادَاهُ، وَيَكْشِفُ السُّوْءَ، وَيُفَرِّجُ الكَرْبَ، وَيُقِيلُ العَثَرَاتِ.

المُسْتَعَانُ بِهِ عَلَى كُلِّ نَائِبَةٍ وَفَادِحَةٍ، وَالمَعْهُوْدُ مِنْهُ كُلُّ بِرٍّ وَكَرَامَةٍ.

الَّذِي عَنَتْ لَهُ الوُجُوْهُ، وَخَشَعَتْ لَهُ الأَصْوَاتُ؛ ﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ﴾[طه: ١١١].

أَحَقُّ مَنْ ذُكِرَ، وَأَحَقُّ مَنْ عُبِدَ، وَأَحَقُّ مَنْ حُمِدَ، وَأَوْلَى مَنْ شُكِرَ، وَأَنْصَرُ مَنِ ابْتُغِي، وَأَرْأَفُ مَنْ مَلَكَ، وَأَجْوَدُ مَنْ سُئِلَ، وَأَعْفَى مَنْ قَدَرَ، وَأَكْرَمُ مَنْ قُصِدَ، وَأَعْدَلُ مَنِ انْتَقَمَ.

وَحِلْمُهُ بَعْدَ عِلْمِهِ، عَفْوُهُ بَعْدَ قُدْرَتِهِ، مَغْفِرَتُهُ عَنْ عِزَّتِهِ، وَمَنْعُهُ مِنْ حِكْمَتِهِ.

فَهُوَ اللهُ الحَيُّ القَيُّوْمُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَالفَرْدُ الَّذِي لَا نِدَّ لَهُ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ﴾[البَقَرَة:٢٥٥].

أَوْضَحَ دَلَالَتَهِ لِلْمُتَفَكِّرِينَ، وَأَبْدَى شَوَاهِدَهُ لِلنَّاظِرِينَ، وَبَيَّنَ آيَاتِهِ لِلْعَالَمِينَ، وَقَطَعَ أَعْذَارَ المُعَانِدِينَ، وَأَدْحَضَ حُجَجَ الجَاحِدِينَ؛ فَاسْتَنَارَتْ آيَاتُ الرُّبُوْبِيَّةِ، وَسَطَعَتْ دَلَائِلُ الأُلُوْهِيَّةِ.

فَاللهُ ﷻ هُوَ المُقِيمُ لِمَخْلُوْقَاتِهِ، لَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِمْ، وَهُمْ جَمِيعًا إِلَيْهِ مُحْتَاجُوْنَ، الكُلُّ مُحْتَاجٌ إِلَيْهِ: المَلَائِكَةُ المُقَرَّبُوْنَ، وَحَمَلَةُ العَرْشِ، وَأَهْلُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾[فَاطِر:١٥].

العِزَّةُ لَهُ، وَالجَبَرُوْتُ لَهُ، وَالعَظَمَةُ لَهُ، وَالكِبْرِيَاءُ لَهُ، وَالسُّلْطَانُ لَهُ، وَالمُلْكُ لَهُ، وَالحُكْمُ لَهُ، وَالقُوَّةُ لَهُ، وَالتَّسْبِيحُ لَهُ، وَالتَّقْدِيسُ لَهُ.. كَمُلَ فِي أَوْصَافِهِ وَأَفْعَالِهِ، ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾[البَقَرَة:٢٥٥].

فَاللهُ ﷻ لَا يَنَامُ، وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، صَحَّ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ اللهَ ﷻ لَا يَنَامُ، وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، يَخْفِضُ القِسْطَ وَيَرْفَعُهُ، يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ، حِجَابُهُ النُّورُ -النَّارُ- لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ»[أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ].

فَسُبْحَانَ مَنْ أَشْرَقَتْ لِنُوْرِهِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ، وَأَنَارَتْ بِوَجْهِهِ الظُّلُمَاتُ!

فَسُبْحَانَ الحَيِّ القَيُّوْمِ!

هَـذَا وَمِـنْ أَوْصَـافِهِ القَيُّـوْمُ ... وَالقَيُّـوْمُ فِي أَوْصَـافِهِ أَمْـرَانِ

إِحْـدَاهُمَا القَيُّـوْمُ قَـامَ بِنَفْـسِهِ ... وَالكَـوْنُ قَـامَ بِـهِ هُمَـا أَمْـرَانِ

فَـالْأَوَّلُ اسْـتِغْنَاؤُهُ عَـنْ غَـيْرِهِ ... وَالفَقْـرُ مِـنْ كُـلٍّ إِلَيْـهِ الثَّـانِي

وَالوَصْفُ بِالقَيُّومِ ذُوْ شَأْنٍ كَذَا ... مَوْصُوْفُهُ أَيْضًا عَظِيمُ الـشَّانِ

أَقُولُ قَولِي هَذَا، وَأَستَغْفِرُ اللهَ لِي وَلَكُمْ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرُوهُ؛ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ:

الحَمْدُ للهِ حَمْدًا طَيِّبًا كَثِيرًا مُبَارَكًا فِيهِ كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَـهُ، وَأَشْـهَدُ أَنَّ مُحَمَّـدًا عَبْـدُهُ وَرَسُـولُهُ، صَـلَّى اللهُ وَسَـلَّمَ وَبَـارَكَ عَلَيْـهِ وَعَـلَى آلِـهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنِ اهْتَدَى بِهُدَاهُمْ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

عِبَادَ اللهِ..

مَنْ عَلِمَ أَنَّ اللهَ هُوَ القَيُّوْمُ انْقَطَعَ قَلْبُـهُ عَـنِ الخَلْـقِ، وَاسْـتَرَاحَ قَلْبُـهُ إِلَى خَالِقِـهِ وَرَازِقِـهِ وَمُدَبِّرِهِ، فَفِي النَّفْسِ حَاجَةٌ لَا يَرْوِيهَا المَالُ، وَلَا رِفْعَةُ المَكَانِ، وَلَا المُتَعُ، وَلَا الشُّهْرَةُ..

لَا يَرْوِيهَا إِلَّا الإِيمَانُ بِاللهِ ﷻ، وَالاطْمِئْنَانُ إِلَيْهِ وَالتَّوَكُّلُ عَلَيْهِ، فَاللهُ ﷻ قَـدْ قَـالَ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨﴾[الرَّعْدِ:٢٨].

يَا أَيُّهَا الإِنْسَانُ مَهْلًا مَا الَّـذِي ... بِـالله جَـلَّ جَلَالُـهُ أَغْرَاكَـا
فَاسْجُدْ لَـوْلَاكَ القَـدِيرِ فَـإِنَّمَا ... لَا بُـدَّ يَوْمًـا تَنْتَهِـي دُنْيَاكَـا
وَتَكُوْنُ فِي يَوْمَ القِيَامَـةِ مَـاثِلًا ... تُجْزَى بِـمَا قَـدْ قَدَّمَتْـهُ يَـدَاكَا

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ يَا حَيُّ.. يَا قَيُّوْمُ! أَنْ تَغْفِرَ ذُنُوْبَنَا، وَتَسْتُرَ عُيُوْبَنَا، وَتُعِينَنَا عَلَى طَاعَتِـكَ، وَأَنْ تُدْخِلَنَا الجَنَّةَ، وَتُجِيرَنَا مِنَ النَّارِ.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ الجَنَّةَ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ، ونَعُوْذُ بِكَ مِنَ النَّـارِ وَمَـا قَـرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ الهُدَى وَالسَّدَادَ، وَنَسْأَلُكَ التُّقَى وَالعِفَّةَ وَالغِنَى.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنَ الخَيْرِ كُلِّهِ؛ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ؛ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَأَنْ تَجْعَلَ كُلَّ قَضَاءٍ قَضَيْتَهُ لَنَا خَيْرًا.

اللَّهُمَّ! أَصْلِحْ لَنَا دِيْنَنَا الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِنَـا، وَأَصْـلِحْ لَنَـا دُنْيَانَـا الَّتِـي فِيهَـا مَعَاشُـنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا آخِرَتَنَا الَّتِي فِيهَا مَعَادُنَا، وَاجْعَلِ الحَيَاةَ زِيَادَةً لَنَا فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَالمَوْتَ رَاحَةً لَنَا مِـنْ كُلِّ شَرٍّ.

اللَّهُمَّ! أَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا، وَأَلِّفْ بَيْنَ قُلُوْبِنَا، وَاهْدِنَا سُبَلَ السَّلَامِ، وَأَخْرِجْنَا مِنَ الظُّلُـمَاتِ إِلَى النُّوْرِ.

اللَّهُمَّ! بَارِكْ لَنَـا فِي أَسْـمَاعِنَا وَأَبْـصَارِنَا وَقُوَّاتِنَـا وَأَزْوَاجِنَـا وَذُرِّيَّتِنَـا وَأَمْوَالِنَـا، وَاجْعَلْنَـا مُبَارَكِيْنَ أَيْنَمَا كُنَّا.

وَآخِرُ دَعْوَانَا: أَنِ الحَمْدُ لله رَبِّ العَالَمِيْنَ.

المَلِيكُ المَالِكُ المَلِكُ ﷺ

إِنَّ الحَمْدَ للهِ؛ نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؛ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾[آلِ عِمْرَانَ: ١٠٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾[النِّسَاءَ: ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾[الأَحْزَابِ: ٧٠- ٧١].

أَمَّا بَعْدُ:

عِبَادَ اللهِ..

أَخْرَجَ البُخَارِيُّ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ: جَاءَ حَبْرٌ مِنَ الأَحْبَارِ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ! إِنَّا نَجِدُ: أَنَّ اللهَ يَجْعَلُ السَّمَوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ وَالأَرْضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالمَاءَ وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ الخَلَائِقِ عَلَى إِصْبَعٍ، فَيَقُولُ: أَنَا المَلِكُ.

فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ تَصْدِيقًا لِقَوْلِ الحَبْرِ، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٦٧﴾[الزُّمَرِ: ٦٧].

لَا يَعْلَمُ مَا يَسْتَحِقُّ إِلَّا هُوَ...!

وَلَا يُحِيطُ بِعِلْمِهِ سِوَاهُ...!

وَلَا يَقْدُرُ قَدْرَهُ إِلَّا هُوَ...!

وَلَا يُحْسِنُ الثَّنَاءَ عَلَيْهِ غَيْرُهُ...!

البَيَانُ وَالبَلَاغَةُ وَالتَّعْبِيرُ.. تُعْلِنُ التَّقْصِيرَ...!

وَالحَيَاءُ يَمْلَأُ فُؤَادَنَا وَنَحْنُ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ نُرِيدُ أَنْ نَشْدُوَ بِأَوْصَافِ مَلِكِ المُلُوْكِ! وَلَنَا الشَّرَفُ أَنْ نُمَرِّغَ أُنُوْفَنَا فِي التُّرَابِ لِجَلَالِهِ وَعَظِيمِ سُلْطَانِهِ ﷻ، وَأَنْ تَشْرُفَ أَلْسِنَتُنَا وَأَقْلَامُنَا بِمَدِيحِهِ، وَإِنْ قَدَّسْنَاهُ أَوْ سَبَّحْنَاهُ أَوْ مَجَّدْنَاهُ؛ فَهَذِهِ مِنَّةٌ مِنْهُ عَلَيْنَا ﷻ.

وَمَا بَلَغَ المُهْدُوْنَ نَحوَكَ مِدْحَةً وَإِنْ أَطْنَبُوْا، إِنَّ الَّذِي فِيكَ أَعْظَمُ

فَمِنْ أَسْمَاءِ اللهِ ﷻ: (المَلِيْكِ وَالمَالِكِ والمَلِكِ).

قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ﴾[الحَشْر:٢٣].

فَرَبُّنَا ﷻ هُوَ الَّذِي يَنْفُذُ أَمْرُهُ فِي مُلْكِهِ، وَهُوَ مَالِكُ المُلْكِ كُلِّهِ، وَهُوَ تَامُّ المُلْكِ، وَهُوَ مَالِكُ يَوْمِ الدِّينِ، وَهُوَ مَلِيكُ الخَلْقِ، وَلَا مَلِيكَ فَوْقَهُ، وَلَا شَيْءَ إِلَّا دُوْنَهُ، مُتَصَرِّفٌ بِجَمِيعِ الأَشْيَاءِ، فَلَا مُمَانِعَ وَلَا مُدَافِعَ لَهُ ﷻ.

مَلِكٌ عَزِيزٌ لَا يُفَارِقُ عِزَّهُ يُقْضَى وَيُرْجَى عِنْدَهُ الغُفْرَانُ

مَلِكٌ لَهُ ظَهْرُ الفَضَاءِ وَبَطْنُهُ لَمْ تُبْلِ جِدَّةَ مُلْكِهِ الأَزْمَانُ

مَلِكٌ هُوَ المَلِكُ الَّذِي مِنْ حِلْمِهِ يُعْصَى بِحُسْنِ بَلَائِهِ وَيُخَانُ

يَبْلَى لِكُلِّ مُسَلْطَنٍ سُلْطَانُهُ وَاللهُ لَا يَبْلَى لَهُ سُلْطَانُ

فَالمُلْكُ الحَقِيقِيُّ لِلَّهِ ﷻ وَحْدَهُ؛ لَا يُشَارِكُهُ فِيهِ أَحَدٌ، وَكُلُّ مَنْ مَلَكَ شَيْئًا فَإِنَّمَا هُوَ بِتَمْلِيكِ اللهِ لَهُ، قَالَ ﷺ: «لَا مَالِكَ إِلَّا اللهُ ﷻ»، وَفِي رواية: «لَا مَلِكَ إِلَّا اللهُ»[أَخْرَجَهُمَا

مُسْلِمٌ]، ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾﴾[آلِ عِمْرَانَ:٢٦].

فَرَبُّنَا ﷻ هُوَ المَالِكُ لِخَزَائِنِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ، بِيَدِهِ الخَيْرُ، يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ.

وَهُوَ ﷻ المَالِكُ لِلْمَوْتِ وَالحَيَاةِ وَالنُّشُوْرِ، وَالنَّفْعِ وَالضُّرِّ، وإِلَيْهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ.

يَتَصَرَّفُ فِي مَلَكُوْتِهِ كَيْفَ يَشَاءُ، كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ! صَحَّ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مِنْ شَأْنِهِ: أَنْ يَغْفِرَ ذَنْبًا، وَيُفَرِّجَ كَرْبًا، وَيَرْفَعَ قَوْمًا، وَيَخْفِضَ آخَرِينَ»[حَدِيثٌ حَسَنٌ. رَوَاهُ ابْنُ مَاجه].

وَهَذَا مُلْكُ الله ﷻ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ: ﴿وَٱللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ﴾[البَقَرَةِ:٢٤٧].

جَاءَ فِي «مُسْنَدِ الإِمَامِ أَحْمَدَ»: قَالَ رَسُوْلُ الله ﷺ: «لَا تَسُبُّوا الدَّهْرَ! فَإِنَّ اللهَ ﷻ قَالَ: أَنَا الدَّهْرُ، الأَيَّامُ وَاللَّيَالِي لِي؛ أُجَدِّدُهَا وَأُبْلِيهَا، وَآتِي بِمُلُوْكٍ بَعْدَ مُلُوْكٍ»[حَدِيثٌ صَحِيحٌ. وَأَوَّلُهُ فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»].

أَيْنَ المُلُوْكُ ذُوُوْ التِّيجَانِ مِنْ يَمَنٍ ... وَأَيْنَ مِنْهُمْ أَكَالِيلٌ وَتِيجَانُ

أَتَى عَلَى الكُلِّ أَمْرٌ لَا مَرَدَّ لَهُ ... حَتَّى قَضَوْا فَكَأَنَ القَوْمَ مَا كَانُوْا

لَمَّا أَعْطَى اللهُ ﷻ فِرْعَوْنَ المُلْكَ؛ ظَنَّ أَنَّهُ المَالِكُ الحقِيقِيُّ، فَتَكَبَّرَ وَتَجَبَّرَ وَظَلَمَ النَّاسَ؛ حَتَّى وَصَلَ بِهِ الحَالُ أَنَّهُ: زَعَمَ لِنَفْسِهِ المُلْكَ وَالأُلُوْهِيَّةَ! ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾[القَصَصِ:٣٨]، فَأَهْلَكَهُ اللهُ ﷻ، وَجَعَلَهُ عِبْرَةً لِمُلُوْكِ الأَرْضِ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ؛ حَتَّى لَا يُطْغِيَهُمُ المُلْكُ وَيُنْسِيَهُمْ أَصْلَهُمْ وَضَعْفَهُمْ وَمِيعَادَهُمْ.

وَمَعَ أَنَّ المُلُوْكَ لَهُمْ شُبْهَةُ مُلْكٍ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيا؛ فَهُمْ يَمْلِكُوْنَ الضِّيَاعَ وَالقُصُوْرَ وَالبَسَاتِينَ وَالذَّهَبَ وَالفِضَّةَ، فَإِنَّهُمْ بَيْنَ خَيَارَيْنِ: إِمَّا أَنْ يَزُوْلَ عَنْهُمْ، أَوْ يَزُوْلُوْنَ عَنْهُ، فَهُوَ مُلْكٌ زَائِلٌ، وَعَارِيَةٌ مُسْتَرْجَعَةٌ..

فَذَكَّرَهُمُ اللهُ ﷻ بِأَنَّ مَرْجِعَهُمْ إِلَيْهِ؛ ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ

﴿ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾﴾[المَائِدَة:١٨].

وَذَكَّرَهُمْ بِمَا هُوَ أَهَمُّ مِنَ الدُّنْيَا وَهُوَ: يَوْمُ الحِسَابِ وَالجَزَاءِ، يَوْمَ يُحْشَرُ النَّاسُ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا بُهْمًا.

فِي هَذَا اليَوْمِ: يَأْخُذُ اللهُ ﷻ السَّمَاوَاتِ بِيَمِينِهِ وَالأَرْضِ بِيَدِهِ الأُخْرَى؛ كَمَا قَالَ ﷻ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾[الزُّمَر:٦٧].

جَاءَ فِي «الصَّحِيحَيْنِ» عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُوْلُ الله ﷺ: «يَقْبِضُ اللهُ ﷻ الأَرْضَ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَيَطْوِي السَّمَاءَ بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا المَلِكُ! أَيْنَ مُلُوْكُ الأَرْضِ؟».

وجَاءَ فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ الله بْنِ عُمَرَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُوْلُ الله ﷺ: «يَطْوِي اللهُ ﷻ السَّمَاوَاتِ يَوْمَ القِيَامَةِ، ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِيَدِهِ اليُمْنَى، ثُمَّ يَقُوْلُ: أَنَا المَلِكُ! أَيْنَ الجَبَّارُوْنَ؟ أَيْنَ المُتَكَبِّرُوْنَ؟

ثُمَّ يَطْوِي الأَرْضِينَ بِشِمَالِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا المَلِكُ! أَيْنَ الجَبَّارُوْنَ؟ أَيْنَ المُتَكَبِّرُوْنَ؟».

وَفِي يَوْمَ القِيَامَةِ: يُنَادِي الرَّبُّ ﷻ: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾؟ فَلَا يُجِيبُهُ أَحَدٌ! فَيُجِيبُ الحَقُّ نَفْسَهُ بِنَفْسِهِ: ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾﴾[غَافِر:١٦].

لِذَا؛ كَانَ مِنْ أَخْنَعِ الأَسْمَاءِ: التَّسَمِّي بِـ(مَلِكِ المُلُوْكِ)، جَاءَ فِي «الصَّحِيحَيْنِ»: أَنَّ رَسُوْلَ الله ﷺ قَالَ: «أَخْنَعُ الأَسْمَاءِ عِنْدَ الله: رَجُلٌ تَسَمَّى بِمَلِكِ الأَمْلاَكِ»[هَذَا لَفْظُ البُخَارِيِّ]، وَيَلْتَحِقُ بِهِ مَا فِي مَعْنَاهُ، مِثْلُ: خَالِقُ الخَلْقِ، وَأَحْكَمُ الحَاكِمِينَ، وَسُلْطَانُ السَّلَاطِينِ، وَأَمِيرُ الأُمَرَاءِ، قَالَ المَنَاوِيُّ ﷺ: "وَلَوْ لَمْ يَعْتَقِدْهُ".

وَمَعَ أَنَّ اللهَ ﷻ هُوَ المَلِكُ، وَهُوَ غَنِيٌّ عَنْ عِبَادَتِنَا؛ لَكِنْ مِنْ جَمِيلِ إِحْسَانِهِ وَامْتِنَانِهِ عَلَى عِبَادِهِ: قَرَنَ اسْمَهُ: (المَلِكَ) بِبَعْضِ أَسْمَائِهِ؛ لِتَطْمَئِنَّ النُّفُوْسُ وَتَشْتَاقَ لِلْقَائِهِ، قَالَ ﷻ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ

ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾﴾[الفَاتِحَة:٣-٤]، وَقَالَ ﷻ: ﴿هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ﴾[الحَشْر:٢٢-٢٣].

وَاللهُ ﷻ يُخْبِرُنَا بِأَنَّ المُلْكَ لَا يَحْسُنُ وَلَا يَكْمُلُ إِلَّا مَعَ الإِحْسَانِ وَالرَّحْمَةِ؛ فَهُوَ ﷻ المَلِكُ الرَّحِيمُ.

وَمُلْكُ رَبِّنَا ﷻ مُنَزَّهٌ عَنِ النَّقَائِصِ؛ ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾﴾[الجُمُعَة:١].

وَلَـمَّا كَانَتْ مُلُوكُ الأَرْضِ تُصِيبُهُمُ النَّقَائِصُ مِنْ غُرُوْرٍ، وَاسْتِرْسَالٍ فِي الشَّهَوَاتِ، وَظُلْمٍ وَجَوْرٍ؛ أخبرنا اللهُ ﷻ بِأَنَّ مُلْكَهُ تَامٌّ، تَجْتَمِعُ فِيهِ كُلُّ صِفَاتِ الكَمَالِ الحِسِانِ؛ وَلِهَذَا كَانَ الرَّسُوْلُ ﷺ إِذَا سَلَّمَ بَعْدَ الوِتْرِ قَالَ: «سُبْحَانَ المَلِكِ القُدُّوسِ»، ثَلَاثًا، وَيَرْفَعُ صَوْتَهُ بِالثَّالِثَةِ. [حَدِيثٌ صَحِيحٌ. رَوَاهُ النَّسَائِيُّ].

وَالوَاجِبُ عَلَى العَبْدِ: أَنْ يَحْمَدَ اللهَ عَلَى مُلْكِهِ وَرَحْمَتِهِ، وَأَنْ يُثْنِيَ عَلَيْهِ عَلَى الدَّوَامِ؛ قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ﴾[التَّغَابُن:١]، فَهُوَ مَحْمُوْدٌ فِي مُلْكِهِ، فَإِنَّ المُلْكَ بِلَا حَمْدٍ يَسْتَلْزِمُ نَقْصًا، وَالحَمْدُ بِلَا مُلْكٍ يَسْتَلْزِمُ عَجْزًا؛ وَالحَمْدُ مَعَ المُلْكِ غَايَةُ الكَمَالِ وَالجَلَالِ.

وَمِنْ جَلَالِ مُلْكِهِ: أَنَّهُ يُجِيرُ مَنِ اسْتَجَارَ بِهِ، وَلَا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يُجِيرَ وَيَحْمِيَ مَنْ أَرَادَ اللهُ هَلَاكَهُ؛ ﴿قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [المُؤْمِنُونَ:٨٨].

يَا مَالِكًا هُوَ بِالنَّوَاصِي آخِذُ ... وَقَضَاؤُهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ نَافِذُ
أَنَا عَائِذٌ بِكَ يَا كَرِيمُ وَلَمْ يَخِبْ ... عَبْدٌ بِعِزِّكَ مُسْتَجِيرٌ عَائِذُ

أَقُولُ قَولِي هَذَا، وَأَستَغْفِرُ اللهَ لِي وَلَكُمْ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرُوهُ؛ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ:

الحَمْدُ لله حَمْدًا طَيِّبًا كَثِيرًا مُبَارَكًا فِيهِ كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنِ اهْتَدَى بِهُدَاهُمْ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

ذَكَرَ أَهْلُ السِّيَرِ: "لَمَّا بَنَى هَارُوْنُ الرَّشِيدُ قَصْرَهُ، وَلَمْ يُرَ مِثْلَهُ قَطُّ فِي الجَمَالِ فِي زَمَانِهِ! دَخَلَ النَّاسُ يُهَنِّئُوْنَهُ، وَدَخَلَ مَعَهُمْ أَبُوْ العَتَاهِيَةِ؛ فَقَامَ وَأَنْشَدَ:

عِشْ مَا بَدَا لَكَ سَالِمًا ... فِي ظِلِّ شَاهِقَةِ القُصُوْر
يُسْعَى إِلَيْكَ بِمَا اشْتَهَيْتَ ... لَدَى الرَّوَاحِ وَفِي البُكُوْر
يُجْرَى عَلَيْكَ بِمَا أَرَدْتَ ... مَعَ الغُدُوِّ مَعَ البُكُوْر
فَإِذَا النُّفُوْسُ تَقَعْقَعَتْ ... فِي ظِلِّ حَشْرَجَةِ الصُّدُوْر
فَهُنَاكَ تَعْلَمُ مُوْقِنًا ... مَا كُنْتَ إِلَّا فِي غُرُوْر

فَبَكَى هَارُوْنُ حَتَّى وَقَعَ عَلَى الأَرْضِ، وَلَمْ يَمْضِ عَلَيْهِ شَهْرٌ وَاحِدٌ حَتَّى أَصْبَحَ فِي عِدَادِ المَوْتَى".

هَارُوْنُ!.. الَّذِي قَالَ لِلسَّحَابَةِ: أَمْطِرِي أَنَّى شِئْتِ؛ فَإِنَّ خَرَاجَكِ سَيَصِلُ إِلَيَّ؟! هَارُوْنُ.. الَّذِي كَانَ يَحُجُّ عَامًا وَيَغْزُوْ عَامًا؟!

وَعَبْدُ المَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ -حَاكِمُ العَالَمِ الإِسْلَامِيِّ- لَمَّا أَتَتْهُ سَكَرَاتُ المَوْتِ؛ سَمِعَ غَسَّالًا حَوْلَ قَصْرِهِ يُغَنِّي فِي سَعَادَةٍ وَهَنَاءْ! فَقَالَ عَبْدُ المَلِكِ: يَا لَيْتَنِي كُنْتُ غَسَّالًا! يَا لَيْتَنِي مَا عَرَفْتُ المُلْكَ وَالخِلَافَةَ! ثُمَّ مَاتَ.

وَآخَرُ يَقُوْلُ: يَا مَنْ لَا يَزُوْلُ مُلْكَهُ؛ اِرْحَمْ مَنْ زَالَ مُلْكُهُ، وَلَمَّا سَمِعَ سَعِيدُ بْنُ المُسَيِّبِ هَذِهِ الكَلِمَاتِ رَدَّ عَلَيْهِ قَائِلًا: "الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَهُمْ يَفِرُّوْنَ إِلَيْنَا فِي سَكَرَاتِ المَوْتِ، وَلَا نَفِرُّ إِلَيْهِمْ".

أَيُّهَا المُؤْمِنُ..

المَرَضُ يَزُوْلُ، وَالمُصَابُ يَحُوْلُ، وَالذَّنْبُ يُغْفَرُ، وَالدَّيْنُ يُقْضَى، وَالمَحْبُوْسُ يُفَكُّ، وَالغَائِبُ يَقْدُمُ، وَالعَاصِي يَتُوْبُ، وَالفَقِيرُ يَغْتَنِي.. وَهَذِهِ جَمِيعُهَا بِيَدِ مَلِكِ المُلُوْكِ ﷻ، فَلْيَكُنِ اللهُ ﷻ مَلَاذَكَ وَمَعَاذَكَ وَرَجَاءَكَ فِي كُلِّ سَاعَةٍ، وَفِي كُلِّ حِينٍ؛ وَخَاصَّةً فِي آخِرِ اللَّيْلِ؛ فَإِنَّ اللهَ ﷻ يَنْزِلُ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا وَيُنَادِي: «أَنَا المَلِكُ، أَنَا المَلِكُ، مَنْ ذَا الَّذِي يَدْعُوْنِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ ذَا الَّذِي يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟ مَنْ ذَا الَّذِي يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ،؟ فَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يُضِيءَ الفَجْرُ»[أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ].

ونَبِيُّنَا ﷺ -وَهُوَ أَعْلَمُ الخَلْقِ بِاللهِ وَأَشَدُّهُمْ لَهُ عِبَادَةً- حَثَّنَا أَنْ نُرَدِّدَ عَلَى الدَّوَامِ الإِقْرَارَ بِمُلْكِ اللهِ ﷻ بَعْدَ الصَّلَوَاتِ مُبَاشَرَةً، وَعِنْدَ الفَزَعِ مِنَ النَّوْمِ لَيْلًا، وَأَنْ يَكُوْنَ ذَلِكَ مِنْ ضِمْنِ أَوْرَادِنَا فِي الصَّبَاحِ وَالمَسَاءِ، وَبَعْدَ العَوْدَةِ مِنَ السَّفَرِ، ثُمَّ إِنْ كَرَّرَتَ ذَلِكَ مِائَةَ مَرَّةٍ فِي يَوْمِكَ كُنْتَ مِنَ الفَائِزِينَ.

صحَّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ؛ كَانَتْ لَهُ عَدْلَ عَشْرِ رِقَابٍ، وَكُتِبَتْ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ، وَمُحِيَتْ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنَ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّى يُمْسِيَ، وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ؛ إِلَّا أَحَدٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ»[أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ].

اللَّهُمَّ يَا مَالِكَ يَوْمِ الدِّينِ! اجْعَلْ خَيْرَ أَعْمَارِنَا آخِرَهَا، وَهَوِّنْ عَلَيْنَا الحِسَابَ؛ يَا رَبَّ العَالَمِينَ!

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ الهُدَى وَالسَّدَادَ، وَنَسْأَلُكَ التُّقَى وَالعِفَّةَ وَالغِنَى.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ الجَنَّةَ، وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، وَنَعُوْذُ بِكَ مِنَ النَّارِ، وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنَ الخَيْرِ كُلِّهِ؛ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ

الشَّرِّ كُلِّهِ؛ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَأَنْ تَجْعَلَ كُلَّ قَضَاءٍ قَضَيْتَهُ لَنَا خَيْرًا.

اللَّهُمَّ! أَصْلِحْ لَنَا دِيْنَنَا الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا دُنْيَانَا الَّتِي فِيهَا مَعَاشُنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا آخِرَتَنَا الَّتِي فِيهَا مَعَادُنَا، وَاجْعَلِ الحَيَاةَ زِيَادَةً لَنَا فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَالمَوْتَ رَاحَةً لَنَا مِنْ كُلِّ شَرٍّ.

اللَّهُمَّ! أَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا، وَأَلِّفْ بَيْنَ قُلُوْبِنَا، وَاهْدِنَا سُبَلَ السَّلَامِ، وَأَخْرِجْنَا مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوْرِ.

اللَّهُمَّ! بَارِكْ لَنَا فِي أَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوَّاتِنَا وَأَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّتِنَا وَأَمْوَالِنَا، وَاجْعَلْنَا مُبَارَكِيْنَ أَيْنَمَا كُنَّا.

وَآخِرُ دَعْوَانَا: أَنِ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ.

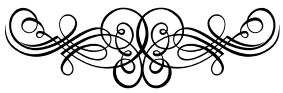

القُدُّوسُ ﷻ

إِنَّ الحَمْدَ لله؛ نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِالله مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَـهَ إِلَّا اللهُ؛ وَحْـدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[آلِ عِمْرَانَ: ١٠٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾﴾[النِّسَاءَ: ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾[الأَحْزَابِ: ٧٠- ٧١].

أَمَّا بَعْدُ:

عِبَادَ الله..

قَالَ ﷺ: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ﴾[الحَشْـر:٢٣]، وجَاءَ فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُوْلُ فِي رُكُوْعِهِ وَسُجُوْدِهِ: «سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ، رَبُّ المَلَائِكَةِ وَالرُّوْحِ».

وجَاءَ فِي «مُسْنَدِ الإِمَامِ أَحْمَدَ» وَفِي «سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ وَالنَّسَائِيِّ»: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ إِذَا انْتَهَى مِـنْ صَلَاةِ الوِتْرِ قَالَ: «سُبْحَانَ المَلِكِ القُدُّوسِ، سُبْحَانَ المَلِكِ القُدُّوسِ، سُبْحَانَ المَلِكِ القُدُّوسِ»، وَيَرْفَعُ صَوْتَهُ بِالثَّالِثَةِ. [حَدِيثٌ صَحِيحٌ].

حَدِيْثُنَا فِي هَذَا اليَوْمِ عَنِ اسْمِ اللهِ: (القُدُّوْسِ ﷻ).

وَالقُدُّوْسُ فِي اللُّغَةِ يَأْتِي بِمَعْنَى: الطَّهَارَةِ، وَالنَّزَاهَةِ، وَكَذِلِكَ يَأْتِي بِمَعْنَى: المُبَارَكِ.

فَرَبُّنَا ﷻ القُدُّوْسُ، وَهُوَ: المُطَهَّرُ مِنَ النَّقَائِصِ وَالعُيُوبِ، المُنَزَّهُ عَنِ الصَّاحِبَةِ وَالأَوْلَادِ وَالأَنْدَادِ، المَمْدُوْحُ بِالفَضَائِلِ وَالمَحَاسِنِ، المَوْصُوْفُ بِصِفَاتِ الكَمَالِ.

وَرَبُّنَا ﷻ هُوَ المُبَارِكُ؛ الَّذِي كَثُرَتْ وَعَمَّتْ خَيْرَاتُهُ عَلَى طُوْلِ الأَوْقَاتِ فِي الأَرْضِ والسَّمَاوَاتِ، تَبَارَكَ اسْمُهُ وَتَبَارَكَتْ أَفْعَالُهُ وَذَاتُهُ وَصِفَاتُهُ العُلَا.

وَهُوَ الَّذِي يُطَهِّرُ مَنْ شَاءَ مِنْ خَلْقِهِ وِفْقَ حِكْمَتِهِ؛ ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾[الأحزاب:٣٣].

وَرَبُّنَا ﷻ المُسْتَحِقُّ لِلتَّقْدِيسِ، وَالتَّنْزِيهِ، وَالإِجْلَالِ؛ مِنْ جَمِيعِ الخَلَائِقِ.

وَالتَّقْدِيسُ: عِبَادَةُ أَهْلِ السَّمَاءِ مِنَ المَلَائِكَةِ: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾[البقرة: ٣٠].

وَالكَوْنُ كُلُّهُ يُقَدِّسُ اللهَ ﷻ وَيُسَبِّحُهُ: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۖ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾[التغابن:١]، ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾[الإسراء:٤٤].

وَأَحَقُّ المَخْلُوْقَاتِ بِالتَّقْدِيسِ: بَنُوْ آدَمَ.

وَتَقْدِيسُ اللهِ ﷻ يَكُوْنُ:

بِمَحَبَّتِهِ وَتَعْظِيمِهِ ﷻ عَنْ كُلِّ نَقْصٍ وَعَيْبٍ.

وَإِثْبَاتِ مَا أَثْبَتَهُ لِنَفْسِهِ أَوْ أَثْبَتَهُ لَهُ رَسُوْلُهُ ﷺ.

وَتَنْزِيهِهِ عَنْ مُشَابَهَةِ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشُّوْرَى:١١].

وَتَنْزِيهِهِ عَنْ الشِّرْكِ بِهِ، ثُمَّ التَّحَاكُمِ إِلَى شَرْعِهِ وَالرِّضَى بِهِ، وَالبُعْدِ عَنْ سُوْءِ الظَّنِّ بِهِ ﷻ.

وَمَنْ ظَنَّ بِهِ خِلَافُ مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ وَوَصَفَهُ بِهِ رُسُلُهُ، أَوْ عَطَّلَ حَقَائِقَ مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، وَوَصَفَتْهُ بِهِ رُسُلُهُ؛ فَقَدْ ظَنَّ بِاللهِ ظَنَّ السَّوْءِ.

هَذَا وَمِنْ أَوصَافِهِ القُدُّوْسُ ذُوْ ... التَّنْزِيهِ بِالتَّعْظِيمِ لِلرَّحْمَنِ

وَالمُؤْمِنُ يُقَدِّسُ نَفْسَهُ بِفِعْلِ الطَّاعَاتِ، وَالبُعْدِ عَنِ الذُّنُوْبِ وَالمَعَاصِي، وَإِزَالَةِ مَا يَعْلَقُ بِالقُلُوْبِ مِنَ الرَّانِ، وَالابْتِعَادِ عَنْ أَكْلِ المَالِ الحَرَامِ بِتَطْهِيرِ المَالِ مِنَ الشُّبُهَاتِ، وَهَذَا الَّذِي امْتَدَحَهُ اللهُ ﷻ بِقَوْلِهِ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾[الشَّمْسِ:٩-١٠].

وَقَدْ بَيَّنَ اللهُ ﷻ لِمُوْسَى ﷺ الغَايَةَ مِنْ إِرْسَالِهِ لِفِرْعَوْنَ، وَهِيَ: أَنْ يُزَكِّي نَفْسَهُ بِتَقْدِيسِ اللهِ ﷻ: ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ۝١٧ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ۝١٨ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ۝١٩﴾ [النَّازِعَاتِ:١٧-١٩].

وَلِذَلِكَ؛ لَا فَلَاحَ إِلَّا بِهَذِهِ التَّزْكِيَةِ الإِيمَانِيَّةِ، ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝١٤ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ۝١٥﴾ [الأَعْلَى:١٤-١٥]، بَلْ وَيُنْزَعُ التَّقْدِيسُ عَنِ الأُمَّةِ الظَّالِمَةِ، صَحَّ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ اللهَ لَا يُقَدِّسُ أُمَّةً لَا يَأْخُذُ الضَّعِيفُ حَقَّهُ مِنَ القَوِيِّ»[حَدِيثٌ صَحِيحٌ. رَوَاهُ البَيْهَقِيُّ فِي «السُّنَنِ الكُبْرَى»]، وَصَحَّ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «كَيْفَ يُقَدِّسُ اللهُ أُمَّةً لَا يُؤْخَذُ لِضَعِيفِهِمْ مِنْ شَدِيدِهِمْ؟» [حَدِيثٌ صَحِيحٌ. رَوَاهُ ابْنُ مَاجَه].

وَلَمَّا كَتَبَ أَبُو الدَّرْدَاءِ إِلَى سَلْمَانَ الفَارِسِيِّ ﷺ لِيُهَاجِرَ مِنَ العِرَاقِ إِلَى الأَرْضِ المُقَدَّسَةِ؛ رَدَّ عَلَيْهِ سَلْمَانُ بِبَلَاغَةٍ تُوْضِحُ مَفْهُوْمَ القَدَاسَةِ؛ فَقَالَ: "إِنَّ الأَرْضَ لَا تُقَدِّسُ أَحَدًا! وَإِنَّمَا يُقَدِّسُ الإِنْسَانَ عَمَلُهُ".

سُبْحَانَ مَنْ هُوَ لَا يَزَالُ وَرِزْقُهُ ... لِلْعَالَمِينَ بِهِ عَلَيْهِ ضَمَانُ

سُبْحَانَ مَنْ يُعْطِي المُنَى بِخَوَاطِرٍ ... فِي النَّفْسِ لَمْ يَنْطِقْ بِهِنَّ لِسَانُ

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَأَستَغْفِرُ اللهَ لِي وَلَكُمْ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرُوهُ؛ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ:

الْحَمْدُ لله حَمْدًا طَيِّبًا كَثِيرًا مُبَارَكًا فِيهِ كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنِ اهْتَدَى بِهُدَاهُمْ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

يَا عَبْدَ الله..

اِشْتَرِ نَفْسَكَ اليَوْمَ! فَإِنَّ السُّوْقَ قَائِمَةٌ، وَالثَّمَنَ مَوْجُوْدٌ، وَالبَضَائِعَ رَخِيصَةٌ، وَسَيَأْتِي عَلَى تِلْكَ السُّوْقِ وَالبَضَائِعِ يَوْمٌ لَا تَصِلُ فِيهِ إِلَى قَلِيلٍ أَوْ كَثِيرٍ: ﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ﴾[التَّغَابُنِ:٩]، ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ﴾[الفُرْقَانَ:٢٧].

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَرْحَلْ بِزَادٍ مِنَ التُّقَى ... وَأَبْصَرْتَ يَوْمَ الحَشْرِ مَنْ قَدْ تَزَوَّدَا

نَدِمْتَ عَلَى أَنْ لَا تَكُوْنَ كَمِثْلِهِ ... وَأَنَّكَ لَمْ تَرْصُدْ لِمَا كَانَ أَرْصَدَا

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ يَا سُبُّوْحُ.. يَا قُدُّوْسُ! أَنْ تُطَهِّرَنَا، وَأَنْ تَغْفِرَ لَنَا وَتَرْحَمَنَا؛ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ!

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ الجَنَّةَ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ، ونَعُوْذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ الهُدَى وَالسَّدَادَ، وَنَسْأَلُكَ التُّقَى وَالعِفَّةَ وَالغِنَى.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنَ الخَيْرِ كُلِّهِ؛ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ؛ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَأَنْ تَجْعَلَ كُلَّ قَضَاءٍ قَضَيْتَهُ لَنَا خَيْرًا.

اللَّهُمَّ! أَصْلِحْ لَنَا دِيْنَنَا الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا دُنْيَانَا الَّتِي فِيهَا مَعَاشُنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا آخِرَتَنَا الَّتِي فِيهَا مَعَادُنَا، وَاجْعَلِ الحَيَاةَ زِيَادَةً لَنَا فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَالمَوْتَ رَاحَةً لَنَا مِنْ كُلِّ شَرٍّ.

اللَّهُمَّ! أَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا، وَأَلِّفْ بَيْنَ قُلُوْبِنَا، وَاهْدِنَا سُبَلَ السَّلَامِ، وَأَخْرِجْنَا مِنَ الظُّلُـمَاتِ إِلَى النُّوْرِ.

اللَّهُمَّ! بَارِكْ لَنَـا فِي أَسْـمَاعِنَا وَأَبْـصَارِنَا وَقُوَّاتِنَـا وَأَزْوَاجِنَـا وَذُرِّيَّتِنَـا وَأَمْوَالِنَـا، وَاجْعَلْنَـا مُبَارَكِيْنَ أَيْنَمَا كُنَّا.

وَآخِرُ دَعْوَانَا: أَنِ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ.

السَّلَامُ ﷻ

إِنَّ الحَمْدَ لله؛ نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِالله مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَـهَ إِلَّا اللهُ؛ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[آلِ عِمْرَانَ: ١٠٢]،

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾[النِّسَاءَ: ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾[الأَحْزَابِ: ٧٠- ٧١].

عِبَادَ الله..

الْكُلُّ يَبْحَثُ عَنِ السَّلَامِ، وَاللهُ هُوَ السَّلَامُ ﷻ، وَقَدْ سَمَّى نَفْسَهُ بِالسَّلَامِ.

وَهُنَا نَقِفُ مَعَ هَذَا الاسْمِ العَظِيمِ مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ الحُسْنَى، وَهُوَ: (السَّلَامُ ﷻ)؛ الَّذِي يَنْبَغِي أَنْ نُجَدِّدَ إِيمَانَنَا بِهِ، وَنَتَأَمَّلَهُ:

قَالَ ﷻ: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ﴾ [الحَشْرِ: ٢٣].

فَرَبُّنَا السَّلَامُ ﷻ هُوَ: السَّالِمُ مِنْ كُلِّ عَيْبٍ وَنَقْصٍ؛ لِكَمَالِهِ فِي ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ.

وَهُوَ السَّلَامُ عَلَى الحَقِيقَةِ سَالِمٌ ... مِنْ كُلِّ تَمْثِيلٍ وَمِنْ نُقْصَانِ

وَتَأَمَّلْ هَذَا الاسْمَ فِي صِفَاتِ اللهِ ﷻ! فَحَيَاتُهُ سَلَامٌ مِنَ المَوْتِ، وَمِنَ السِّنَةِ وَالنَّوْمِ،

وَقَيُّوْمِيَّتُهُ وَقُدْرَتُهُ سَلَامٌ مِنَ التَّعَبِ وَاللُّغُوْبِ.

وَتَأَمَّلْ فِي عِلْمِهِ! فَهُوَ سَالِمٌ مِنْ عُزُوْبِ شَيْءٍ عَنْهُ، أَوْ عُرُوْضِ نِسْيَانٍ، أَوْ حَاجَةٍ إِلَى تَذَكُّرٍ.

وَتَفَكَّرْ! ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾﴾[يُوْنُس:٦١]، ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾﴾[مَرْيَم:٦٤].

وَكَلِمَاتُهُ سَلَامَةٌ مِنَ الكَذِبِ وَالظُّلْمِ، بَلْ تَمَّتْ كَلِمَاتُهُ صِدْقًا وَعَدْلًا: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾[الأَنْعَام:١١٥].

وَغِنَاهُ سَلَامٌ مِنَ الحَاجَةِ إِلَى غَيْرِهِ بِوَجْهٍ مَا، بَلْ كُلُّ مَا سِوَاهُ مُحْتَاجٌ إِلَيْهِ، وَهُوَ غَنِيٌّ عَنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ.

وَمُلْكُهُ سَلَامٌ مِنْ مُنَازِعٍ فِيهِ أَوْ مُشَارِكٍ أَوْ مُعَاوِنٍ أَوْ مُظَاهِرٍ.

وَحِلْمُهُ وَعَفْوُهُ وَصَفْحُهُ وَمَغْفِرَتُهُ وَتَجَاوَزُهُ سَلَامٌ مِنْ أَنْ تَكُوْنَ عَنْ حَاجَةٍ مِنْهُ أَوْ ذُلٍّ أَوْ مُصَانَعَةٍ؛ كَمَا يَكُوْنُ مِنْ غَيْرِهِ.

حَتَّى عَذَابُهُ وَانْتِقَامُهُ سَلَامٌ مِنَ أَنْ يَكُوْنَ ظُلْمًا أَوْ تَشَفِّيًا أَوْ غِلْظَةً أَوْ قَسْوَةً، بَلْ هُوَ مَحْضُ حِكْمَتِهِ وَعَدْلِهِ، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾﴾[فُصِّلَتْ:٤٦].

تَأَمَّلْ فِي قَضَائِهِ وَقَدَرِهِ! فَهُوَ سَلَامٌ مِنَ العَبَثِ وَالجَوْرِ وَالظُّلْمِ.

تَأَمَّلْ فِي شَرْعِهِ وَدِينِهِ! فَهُوَ سَلَامٌ مِنَ التَّنَاقُضِ وَالاخْتِلَافِ وَالاضْطِرَابِ؛ ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾[النِّسَاء:٨٢].

اسْتِوَاؤُهُ وَعُلُوُّهُ عَلَى عَرْشِهِ سَلَامٌ مِنْ أَنْ يَكُوْنَ مُحْتَاجًا إِلَى مَا يَحْمِلُهُ أَوْ يَسْتَوِي عَلَيْهِ؛ بَلِ العَرْشُ مُحْتَاجٌ إِلَيْهِ، وَحَمَلَتُهُ مُحْتَاجُوْنَ إِلَيْهِ؛ فَهُوَ الغَنِيُّ عَنِ العَرْشِ، وَعَنْ حَمَلَتِهِ، وعَنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ.

وَسَمْعُهُ وَبَصَرُهُ سَلَامٌ مِنْ كُلِّ مَا يَتَخَيَّلُهُ مُشَبِّهٌ، أَوْ يَتَقَوَّلُهُ مُعَطِّلٌ.

وَسَلَّمَ اللهُ ﷻ عَلَى أَنْبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ لِإِيمَانِهِمْ وإِحْسَانِهِمْ، وَلِيَقْتَدِيَ بِذَلِكَ البَشَرُ؛ فَلَا يَذْكُرُهُمْ أَحَدٌ بِسُوْءٍ: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾﴾[الصَّافَّات:١٨١].

ثُمَّ أَكْرَمَ اللهُ ﷻ يَحْيَى عليه السلام؛ فَخَصَّهُ بِسَلَامٍ فِي مَوَاضِعَ -قِيلَ: إِنَّهَا الأَكْثَرُ وَحَشَةً لِلْخَلْقِ-: يَوْمَ وُلِدَ؛ فَيَرَى نَفْسَهُ خَارِجًا مِمَّا كَانَ، وَيَوْمَ يَمُوْتُ؛ فَيَرَى قَوْمًا لَمْ يَكُنْ عَايَنَهُمْ مِنْ قَبْلُ، وَيَوْمَ يُبْعَثُ؛ فَيَرَى نَفْسَهُ فِي المَحْشَرِ العَظِيمِ؛ ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾﴾ [مَرْيَمَ:١٥].

وَمَنْ تَبِعَ هُدَى اللهِ ﷻ سَلِمَ مِنْ سَخَطِهِ وَعَذَابِهِ، وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِهِ ﷻ: ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾﴾[طه:٤٧].

وَالجَنَّةُ: دَارُ السَّلَامِ: ﴿۞ لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ﴾[الأَنْعَام:١٢٧].

وَاللهُ ﷻ يُسَلِّمُ عَلَى عِبَادِهِ فِي الجَنَّةِ: ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾﴾[يس:٥٨].

وَالمَلَائِكَةُ تُسَلِّمُ عَلَى عِبَادِهِ الصَّالِحِينَ عِنْدَ قَبْضِ أَرْوَاحِهِمْ وَتُطَمْئِنُهُمْ: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾﴾[النَّحْلِ:٣٢].

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنْهُمْ؛ يَا رَبَّ العَالَمِينَ!

أَقُولُ قَولِي هَذَا، وَأَستَغْفِرُ اللهَ لِي وَلَكُمْ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرُوهُ؛ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ:

الحَمْدُ للهِ حَمْدًا طَيِّبًا كَثِيرًا مُبَارَكًا فِيهِ كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنِ اهْتَدَى بِهُدَاهُمْ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

عِبَادَ اللهِ..

مِنَ التَّعَبُّدِ للهِ بِاسْمِهِ: (السَّلَامِ ﷻ): أَنْ يَسْلَمَ قَلْبُ المُسْلِمِ وَلِسَانُهُ مِنْ كُلِّ سَوْءٍ

لِلْمُسْلِمِينَ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «المُسْلِمُ: مَنْ سَلِمَ المُسْلِمُوْنَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللهُ عَنْهُ»[أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ].

وَلَا يَقِفُ عِنْدَ هَذَا الحَدِّ مِنْ كَفِّ الأَذَى، بَلْ يَجِبُ أَنْ يُؤَدِّيَ حَقَّ هَذَا الاسْمِ العَظِيمِ؛ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ السَّلَامَ: اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ -تَعَالَى-، وَضَعَهُ اللهُ فِي الأَرْضِ؛ فَأَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ»[حَدِيثٌ صَحِيحٌ. رَوَاهُ البُخَارِيُّ فِي «الأَدَبِ المُفْرَدِ»].

وَالسَّلَامُ مِنْ أَسْبَابِ التَّآلُفِ، وَمِفْتَاحُ جَلْبِ المَوَدَّةِ، وَلُزُوْمِ التَّوَاضُعِ، وَتَعْظِيمِ حُرُمَاتِ المُسْلِمِينَ، فَإِذَا قَالَ المُسْلِمُ لِلْمُسْلِمِ: (السَّلَامُ عَلَيْكُمْ)؛ فَهُوَ يُخْبِرُهُ بِالسَّلَامَةِ مِنْ جَانِبِهِ، وَيُؤَمِّنُهُ مِنْ شَرِّهِ وَغَائِلَتِهِ.

وَكَمَا أَنَّ الرَّسُوْلَ ﷺ أَمَرَ بِإِلْقَاءِ السَّلَامِ؛ وَأَوْجَبَ رَدَّهُ: «حَقُّ المُسْلِمِ عَلَى المُسْلِمِ خَمْسٌ: رَدُّ السَّلَامِ...»[أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ -وَهَذَا لَفْظُهُ-، وَمُسْلِمٌ].

وَمِنْ فَضْلِ التَّحِيَّةِ -وَهِيَ: "السَّلَامُ عَلَيْكُمْ"-: أَنَّهَا تُوْصِلُ إِلَى دَارِ السَّلَامِ، صَحَّ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «لَا تَدْخُلُونَ الجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوْا، وَلَا تُؤْمِنُوْا حَتَّى تَحَابُّوْا، أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوْهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوْا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ»[أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ].

وَاعْلَمُوْا أَنَّهُ لَا يُقَالُ: السَّلَامُ عَلَى اللهِ! فَالسَّلَامُ مِنَ اللهِ وَلَهُ، وَلَمَّا سَمِعَ النَّبِيُّ ﷺ الصَّحَابَةَ يَقُوْلُوْنَ: السَّلَامُ عَلَى اللهِ! قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ اللهَ هُوَ السَّلَامُ، وَلَكِنْ قُوْلُوْا: التَّحِيَّاتُ للهِ وَالصَّلَوَاتُ وَالطَّيِّبَاتُ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللهِ الصَّالِحِينَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ»[أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ بِنَحْوِهِ]، وَفِي رِوَايَةٍ: «فَإِنَّكُمْ إِذَا قُلْتُمُوْهَا أَصَابَتْ كُلَّ عَبْدٍ للهِ صَالِحٍ فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ»[أَخْرَجَهَا البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ].

اللَّهُمَّ! سَلِّمْنَا وَسَلِّمْ لَنَا دِينَنَا؛ الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِنَا.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ الجَنَّةَ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ، ونَعُوْذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَمَا قَرَّبَ

إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ الهُدَى وَالسَّدَادَ، وَنَسْأَلُكَ التُّقَى وَالعِفَّةَ وَالغِنَى.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنَ الخَيْرِ كُلِّهِ؛ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ؛ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَأَنْ تَجْعَلَ كُلَّ قَضَاءٍ قَضَيْتَهُ لَنَا خَيْرًا.

اللَّهُمَّ! أَصْلِحْ لَنَا دِيْنَنَا الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا دُنْيَانَا الَّتِي فِيهَا مَعَاشُنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا آخِرَتَنَا الَّتِي فِيهَا مَعَادُنَا، وَاجْعَلِ الحَيَاةَ زِيَادَةً لَنَا فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَالمَوْتَ رَاحَةً لَنَا مِنْ كُلِّ شَرٍّ.

اللَّهُمَّ! أَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا، وَأَلِّفْ بَيْنَ قُلُوْبِنَا، وَاهْدِنَا سُبَلَ السَّلَامِ، وَأَخْرِجْنَا مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوْرِ.

اللَّهُمَّ! بَارِكْ لَنَا فِي أَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوَّاتِنَا وَأَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّتِنَا وَأَمْوَالِنَا، وَاجْعَلْنَا مُبَارَكِيْنَ أَيْنَمَا كُنَّا.

وَآخِرُ دَعْوَانَا: أَنِ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ.

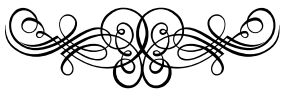

المُؤْمِنُ ﷻ

إِنَّ الحَمْدَ لله؛ نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِالله مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؛ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾[آلِ عِمْرَانَ: ١٠٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾[النِّسَاءَ: ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾[الأَحْزَابِ: ٧٠- ٧١].

أَمَّا بَعْدُ:

عِبَادَ الله..

المُؤْمِنُ ﷻ: اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ الله ﷻ؛ فَاللهُ قَدْ قَالَ: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ﴾[الحَشْرِ: ٢٣].

وَرَدَ اسْمُ (المُؤْمِنِ) فِي القُرْآنِ فِي آيَةٍ وَاحِدةٍ، وَجَاءَ وُرُوْدُهَا: أَمْنًا لِلْخَائِفِينَ، وَأَمَانًا لِلرَّاجِينَ، وَفَرَجًا لِلمَهْمُوْمِينَ.

قَالَ أَهْلُ العِلْمِ: المُؤْمِنُ لَهُ مَعْنَيَانِ:

أَوَّلُهُمَا: التَّصْدِيقُ، وَأَعْظَمُ تَصْدِيقٍ مُنْذُ أَنْ خَلَقَ اللهُ الخَلِيقَةَ إِلَى أَنْ تَقُوْمَ السَّاعَةُ: تَصْدِيقُ اللهِ ﷻ لِنَفْسِهِ، وَشَهَادَتُهُ لِنَفْسِهِ بِالْوَحْدَانِيَّةِ وَانْفِرَادُهُ بِالعُبُوْدِيَّةِ، وَبِمَا أَثْنَى عَلَى نَفْسِهِ بِهِ مِنَ

الكَمَالِ وَالصِّفَاتِ العَلِيَّةِ.

أَلَمْ تَسْمَعْ قَوْلَ الله ﷻ عَنْ نَفْسِهِ: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾[آلِ عِمْرَانَ:١٨]؟ فَهَذِهِ أَجَلُّ الشَّهَادَاتِ الصَّادِرَةِ مِنَ المَلِكِ العَظِيمِ، وَهُوَ: اللهُ رَبُّ العَالَمِينَ؛ عَلَى أَعْظَمِ وَأَجَلِّ مَشْهُوْدٍ بِهِ، وَهُوَ: تَوْحِيدُ الله ﷻ، وَإِخْلَاصُ الدِّينِ لَهُ، وَقِيَامُهُ بِالْقِسْطِ.

وأَشْهَدُ أَنَّ اللهَ لَا رَبَّ غَيرُهُ كَرِيمٌ رَحِيمٌ يُرْتَجَى وَيُؤَمَّلُ

وَهُوَ ﷻ الَّذِي يُصَدِّقُ قَوْلَهُ وَيُصَدِّقُ وَعْدَهُ: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾﴾[النِّسَاءَ: ١٢٢].

وَصَدَّقَ أَنْبِيَاءَهُ بِإِظْهَارِ الآيَاتِ البَاهِرَةِ عَلَى أَيْدِيهِمْ: ﴿قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾[آلِ عِمْرَانَ:٤٩]، ﴿وَأَتَيْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٦٤﴾﴾[الحِجْرِ:٦٤].

وَيُصَدِّقُ عِبَادَهُ مَا وَعَدَهُمْ بِهِ مِنَ النَّصرِ فِي الدُّنْيَا، وَالتَّمْكِينِ فِي الأَرْضِ، وَمِنَ الثَّوَابِ فِي الآخِرَةِ، قَالَ ﷻ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾[النُّوْرِ:٥٥]، ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ﴾[الزُّمَرِ:٧٤]، ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾﴾[الأَحْزَابِ:٢٢].

وَيُصَدِّقُ الكُفَّارَ مَا وَعَدَهُمْ مِنَ العِقَابِ وَالخُذْلَانِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، قَالَ ﷻ: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ۖ قَالُوا۟ نَعَمْ ۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾[الأَعْرَافِ:٤٤].

وَأَخْبَارُ الله ﷻ صِدْقٌ كُلُّهَا، خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ طَرِيدًا خَائِفًا مِنْ مَكَّةَ، وَمَا هِيَ إِلَّا سَنَوَاتٌ

قَلَائِلُ حَتَّى عَادَ إِلَيْهَا فَاتِحًا مُنْتَصِرًا: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾[الفتح:١].

وَإِنِّي بِكَ اللَّهُمَّ رَبِّي لَوَاثِقٌ وَمَا لِي بِبَابٍ غَيْرَ بَابِكَ مَدْخَلُ

وَاللهُ ﷻ يُحِبُّ الصَّادِقِينَ فِي وَعْدِهِمْ وَخَبَرِهِمْ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾[التَّوْبَة:١١٩].

وَثَانِيهُمَا: الأَمَانُ، وَهُوَ ضِدُّ: الإِخَافَةِ، ﴿وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴿٤﴾﴾[قريش:٤].

فَالْأَوَّلُ: مَرْغُوْبٌ فِيهِ، وَالثَّانِي: مَهْرُوْبٌ مِنْهُ.

فَالنَّاسُ بَيْنَ خَوْفٍ مِنَ الدَّاءِ، أَوْ نَقْصٍ فِي الدَّوَاءِ، أَوْ تَسَلُّطِ الأَعْدَاءِ، أَوْ فَقْرٍ مُنْسٍ، أَوْ مَوْتٍ مُجْهِزٍ؛ فَتَرَاهُمْ يَبْحَثُوْنَ عَنِ الأَمْنِ فِي تَأْمِينِ الطَّعَامِ، وَيُقِيمُوْنَ القِلَاعَ وَالحُصُوْنَ، وَيُقِيمُوْنَ المَشَافِي، وَيَبْنُوْنَ السُّدُوْدَ، وَالضُّعَفَاءُ مِنَ الأَفْرَادِ وَالدُّوَلِ قَدْ يَلْجَؤُوْنَ إِلَى الأَقْوِيَاءِ طَلَبًا لِلأَمْنِ.

وَفِي لَحْظَاتٍ تَنْهَارُ هَذِهِ القُوَى، وَتَنْكَشِفُ الأُمُوْرُ، وَلَا يَبْقَى مَعَ هَؤُلَاءِ إِلَّا الالْتِجَاءُ إِلَى المُؤْمِنِ ﷻ؛ وَاهِبِ الأَمْنِ لِعِبَادِهِ، فَرُّوْا مِنْهُ ثُمَّ عَادُوْا إِلَيْهِ، خَالِقُهُمْ وَخَالِقُ الكَوْنِ أَجْمَعَ، مُهَيْمِنٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، نَوَاصِي العِبَادِ بِيَدِهِ.

فَعَذَابُ اللهِ ﷻ إِذَا جَاءَ يَأْخُذُ المُكَذِّبِينَ بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُوْنَ، أَوْ ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُوْنَ؛ ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [الأَعْرَاف:٩٧-٩٩].

فَإِذَا وَقَعَ عَذَابُ اللهِ ﷻ بِقَوْمٍ؛ فَلَا يُوْجَدُ مَنْ يَؤَمِّنُهُمْ مِنْهُ، وَلَا طَاقَةَ لِلْبَشَرِ فِي دَفْعِهِ: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾﴾[المُلْك:١٦-١٧].

فَالنَّاسُ تَبْحَثُ عَنِ الأَمْنِ فِي ثَلَاثَةِ مَوَاضِعَ، وَجَمِيعُهَا بِيَدِ الْمُؤْمِنِ ﷺ، القَادِرِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، وَلَا يَهَبُهَا إِلَّا لِأَوْلِيَائِهِ الْمُتَّقِينَ:

المَوْضِعُ الأَوَّلُ: أَمْنٌ دُنْيَوِيٌّ بِشَتَّى أَنْوَاعِهِ، ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾[الأَعْرَافِ:٩٦].

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الله يُؤَمِّنُ أَوْلِيَاءَهُ، وَيَهَبُ لَهُمْ الاطْمِئْنَانَ فِي قُلُوبِهِمْ؛ حَتَّى فِي أَشَدِّ المَوَاقِفِ وَأَشَدِّ المِحَنِ، وَهُوَ: القِتَالُ، وَذَلِكَ فِيمَا يُنَزِّلُ عَلَيْهِمْ مِنَ الأَسْبَابِ الَّتِي تُؤَمِّنُهُمْ.

فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ: قِلَّةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَمَامَ كَثْرَةٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، قِلَّةٌ فِي العَتَادِ، وَقِلَّةٌ فِي الزَّادِ، وَقِلَّةٌ فِي الدَّوَابِّ، وَقِلَّةٌ فِي الرِّجَالِ؛ أَمَامَ كَثْرَةٍ مِنَ الكَافِرِينَ، كَثْرَةٍ فِي مَالٍ وَعُدَّةٍ وَعَتَادٍ وَدَوَابٍّ..

وَهُنَا يَأْتِي وَعْدُ الله ﷻ: ﴿وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ﴾[الأَنْفَالِ:٤٤]، ثُمَّ يُغَشِّيهِمُ النُّعَاسَ جُنْدًا مِنْ جُنْدِ الله ﷻ: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ﴾[الأَنْفَالِ:١١]، ثُمَّ يُنْزِلُ آلَافًا مِنَ المَلَائِكَةِ وَيُوْحِي إِلَيْهِمْ: ﴿أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾﴾[الأَنْفَالِ:١٢].

وَالمَوْضِعُ الثَّانِي: يُطْلَبُ الأَمْنُ فِيهِ عِنْدَ الاحْتِضَارِ، وَنُزُوْلِ مَلَكِ المَوْتِ..

وَهُنَا يَأْتِي الأَمَانُ وَالبِشَارَةُ لِلْمُؤْمِنِينَ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [فُصِّلَتْ:٣٠].

وَفِي البَرْزَخِ عِنْدَ رُؤْيَةِ المَلَكَيْنِ؛ كَمَا صَحَّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «فَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ الصَّالِحُ؛ أُجْلِسَ فِي قَبْرِهِ غَيْرَ فَزِعٍ، وَلَا مَشْعُوْفٍ»[حَدِيثٌ صَحِيحٌ. رَوَاهُ أَحْمَدُ فِي «المُسْنَدِ»].

وَالمَوْضِعُ الثَّالِثُ: فِي الآخِرَةِ عِنْدَ الفَزَعِ الأَكْبَرِ؛ حَيْثُ الأَمَانُ الأَكْبَرُ لِلْمُتَّقِينَ، قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ

تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾[الأَنْبِيَاءِ:١٠٣].

وَاللهُ المُؤْمِنُ ﷻ هُوَ الَّذِي يُؤَمِّنُ عِبَادَهُ فِي المَوْقِفِ العَظِيمِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾﴾[الحَجِّ:١-٢].

اللَّهُمَّ! آمِنْ رَوْعَاتِنَا.

الأَمْنُ لَا يُعْطَى إِلَّا لِلمُوَحِّدِ: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [النَّمْلِ:٨٩].

وَعَلَى قَدْرِ إِيمَانِكَ يَكُونُ أَمَانُكَ؛ لِأَنَّ اللهَ ﷻ قَالَ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾[الأَنْعَامِ:٨٢]، فَقَارِنْ نَفْسَكَ بِحَالِ غَيْرِكَ؛ ﴿أَفَمَن يُلْقَىٰ فِي ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِيٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۚ﴾[فُصِّلَتْ:٤٠].

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنَ الآمِنِينَ المُهْتَدِينَ؛ يَا رَبَّ العَالَمِينَ!

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ لِي وَلَكُمْ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرُوهُ؛ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ:

الحَمْدُ للهِ حَمْدًا طَيِّبًا كَثِيرًا مُبَارَكًا فِيهِ كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنِ اهْتَدَى بِهُدَاهُمْ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

عِبَادَ اللهِ..

مِنْ ثَمَرَاتِ هَذَا الاسْمِ العَظِيمِ عَلَى المُؤْمِنِينَ: أَنْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ ﷻ هُوَ الَّذِي يُؤَمِّنُهُمْ عِنْدَ المِحَنِ وَالشَّدَائِدِ وَالمَصَائِبِ، وَيَعْلَمُوا كَذَلِكَ: أَنَّ الجَزَاءَ مِنْ جِنْسِ العَمَلِ، فَهُمْ يُؤَمِّنُونَ النَّاسَ

شَرَّهُمْ وَغَوَائِلَهُمْ؛ رَغْبَةً بِمَا عِنْدَ الله مِنَ الأَمْنِ، وَرَهْبَةً مِنْ نَزْعِ الأَمْنِ مِنْهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ.

صَحَّ عَنْ رَسُوْلِ الله ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِالْمُؤْمِنِ؟ مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ، وَالْمُسْلِمُ: مَنْ سَلِمَ النَّاسُ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ»[حَدِيثٌ صَحِيحٌ. رَوَاهُ أَحْمَدُ فِي «الْمُسْنَدِ»]، وَأَوْلَى النَّاسِ بِذَلِكَ: جَارُكَ، قَالَ ﷺ: «وَالله لَا يُؤْمِنُ، وَالله لَا يُؤْمِنُ، وَالله لَا يُؤْمِنُ!»، قِيلَ: وَمَنْ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: «الَّذِي لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَايِقَهُ»[أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ].

وَالْمُسْلِمُوْنَ إِخْوَةٌ فِي الإِيمَانِ وَالأَمْنِ أَيْضًا، فَإِنْ أَعْطَى أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ عَهْدَ الأَمَانِ لِأَحَدٍ مَا؛ لَزِمَ جَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ هَذَا العَهْدُ، وَمَنْ نَقَضَهُ فَقَدْ وَعَدَهُ الله ﷻ بِالْعَذَابِ؛ كَمَا بَيَّنَ الرَّسُوْل ﷺ: «ذِمَّةُ الْمُسْلِمِينَ وَاحِدَةٌ؛ يَسْعَى بِهَا أَدْنَاهُمْ، فَمَنْ أَخْفَرَ مُسْلِمًا فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ الله وَالمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لَا يَقْبَلُ الله مِنْهُ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا»[أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ -وَاللَّفْظُ لَهُ-، وَمُسْلِمٌ].

وَهَذِهِ أُمُّ هَانِئٍ ﵂ حِينَ أَجَارَتْ رَجُلَيْنِ فَرَّا مِنَ الْمُسْلِمِينَ؛ فَالْتَزَمَ رَسُوْلُ الله ﷺ بِعَهْدِهَا، وَقَالَ: «قَدْ أَجَرْنَا مَنْ أَجَرْتِ يَا أُمَّ هَانِئٍ!»[أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ].

وَالله ﷻ يُحِبُّ أَسْمَاءَهُ وَصِفَاتَهُ، وَيُحِبُّ ظُهُوْرَ آثَارِهَا فِي خَلْقِهِ؛ فَكُنْ كَمَا يُحِبُّ الله ﷻ يَكُنْ لَكَ كَمَا تُحِبُّ!

اللَّهُمَّ! آمِنَّا فِي أَوْطَانِنَا.

اللَّهُمَّ! آمِنْ رَوْعَاتِنَا، وَيَمِّنْ كِتَابَنَا، وَيَسِّرْ حِسَابَنَا.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ الهُدَى وَالسَّدَادَ، وَنَسْأَلُكَ التُّقَى وَالعِفَّةَ وَالغِنَى.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ الجَنَّةَ، وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، وَنَعُوْذُ بِكَ مِنَ النَّارِ، وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنَ الخَيْرِ كُلِّهِ؛ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ

الشَّرِّ كُلِّهِ؛ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَأَنْ تَجْعَلَ كُلَّ قَضَاءٍ قَضَيْتَهُ لَنَا خَيْرًا.

اللَّهُمَّ! أَصْلِحْ لَنَا دِيْنَنَا الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا دُنْيَانَا الَّتِي فِيهَا مَعَاشُنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا آخِرَتَنَا الَّتِي فِيهَا مَعَادُنَا، وَاجْعَلِ الحَيَاةَ زِيَادَةً لَنَا فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَالمَوْتَ رَاحَةً لَنَا مِنْ كُلِّ شَرٍّ.

اللَّهُمَّ! أَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا، وَأَلِّفْ بَيْنَ قُلُوْبِنَا، وَاهْدِنَا سُبَلَ السَّلَامِ، وَأَخْرِجْنَا مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوْرِ.

اللَّهُمَّ! بَارِكْ لَنَا فِي أَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوَّاتِنَا وَأَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّتِنَا وَأَمْوَالِنَا، وَاجْعَلْنَا مُبَارَكِيْنَ أَيْنَمَا كُنَّا.

وَآخِرُ دَعْوَانَا: أَنِ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ.

المُهَيْمِنُ ﷺ

إِنَّ الحَمْدَ لله؛ نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِالله مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؛ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[آلِ عِمْرَانَ: ١٠٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾[النِّسَاءَ: ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾[الأَحْزَابِ: ٧٠- ٧١].

أَمَّا بَعْدُ:

عِبَادَ الله..

هَذِهِ رِسَالَةٌ إِلَى.. كُلِّ مَنْ مَلَّ مِنَ الحَيَاةِ، وَسَئِمَ مِنَ العَيْشِ، وَضَاقَ ذَرْعًا بِالأَيَّامِ، وَذَاقَ الغُصَصَ.. نُبَشِّرُكَ بِأَنَّ هُنَاكَ فَتْحًا مُبِينًا، ونَصْرًا قَرِيبًا، وَفَرَجًا بَعْدَ شِدَّةٍ، وَيُسْرًا بَعْدَ عُسْرٍ.

هُنَاكَ أَمَلٌ مُشْرِقٌ، وَمُسْتَقْبَلٌ حَافِلٌ، وَوَعْدٌ صَادِقٌ: ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ﴾[الرُّوْمِ: ٦]، أَلَمْ يَقُلْ مَوْلَاكَ وَخَالِقُكَ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾[الأَعْرَافِ: ١٨٠]، ثُمَّ إِذَا دَعَوْتَهُ بِهَا؛ فَمَا النَّتِيجَةُ؟

﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[غَافِرٍ: ٦٠].

وَنَحْنُ فِي هَذَا المَقَامِ نَتَقَرَّبُ إِلَى الله ﷻ بِمَعْرِفَةِ اسْمٍ مِنْ أَسْمَائِهِ الحُسْنَى: (المُهَيْمِنُ ﷺ):

وَمَعْرِفَةُ الله ﷻ بِأَسْمَائِهِ الحُسْنَى وَصِفَاتِهِ هُوَ: أَصْلُ الدِّينِ، وَأَسَاسُ الهِدَايَةِ، وَأَفْضَلُ وَأَوْجَبُ مَا اكْتَسَبَتْهُ القُلُوْبُ، وَحَصَّلَتْهُ النُّفُوْسُ، وَأَدْرَكَتْهُ العُقُوْلُ.

اسْمُ الله (المُهَيمِنِ ﷻ) وَرَدَ فِي آخِرِ سُوْرَةِ الحَشْرِ: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ﴾[الحَشْرِ:٢٣].

وَرَبُّنَا المُهَيْمِنُ ﷻ هُوَ: القَائِمُ عَلَى خَلْقِهِ فِي كُلِّ أُمُوْرِهِمْ وشُؤُوْنِهِم؛ فَهُوَ المُطَّلِعُ عَلَى خَفَايَا الأُمُوْرِ، وَخَبَايَا الصُّدُوْرِ؛ الَّذِي أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا، الشَّاهِدُ عَلَى الخَلْقِ بِأَعْمَالِهِمْ، الرَّقِيبُ عَلَيْهِم فِيمَا يَصْدُرُ مِنْهُمْ مِنْ قَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ، لَا يَغِيبُ عَنْهُ مِنْ أَفْعَالِهِمْ شَيْءٌ، وَلَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾﴾[يُوْنُس:٦١].

هَذِهِ حَالَاتُ العَبْدِ وَتَقَلُّبَاتُهُ فِي لَيْلِهِ وَنَهَارِهِ، وَسِرِّهِ وَجَهْرِهِ، وَحَضَرِهِ وَسَفَرِهِ؛ عَلِمَهَا عَلَّامُ الغُيُوْبِ، وَأَحْصَاهَا عَلَى العَبْدِ: ﴿فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾﴾[طَه:٧].

وَرَبُّنَا ﷻ هُوَ يَعْلَمُ مَا كَانَ وَمَا سَيَكُوْنُ، وَما لَمْ يَكُنْ لَوْ كَانَ كَيْفَ يَكُوْنُ، يَعْلَمُ الشَّيْءَ وَيَكْتُبُهُ وَيُقَدِّرُهُ؛ فَيَأْتِي كَمَا عَلِمَ وَكَتَبَ وَقَدَّرَ، وَسِعَ عِلْمُهُ كُلَّ شَيْءٍ، عَلِمَ الخَلَائِقَ وَالأَعْمَالَ وَالسَّرَائِرَ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَهَا وَيُقَدِّرَهَا وَيَقْضِيَهَا.

النَّجْوَى عِنْدَهُ جَهْرٌ، وَالسِّرُّ عِنْدَهُ عَلَانِيَةٌ، وَالخَافِي لَدَيْهِ مَكْشُوْفٌ.

بَاتَ نَفَرٌ مِنَ المُنَافِقِينَ يُدَبِّرُوْنَ الدَّسَائِسَ، وَيَحِيكُوْنَ الخُطَطَ؛ فَكَشَفَهُمْ عَلَّامُ الغُيُوْبِ، وَقَالَ: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾﴾[النِّسَاءَ:١٠٨].

جَلَسَ عُمَيْرُ بْنُ وَهْبٍ وَصَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ بَعْدَ بَدْرٍ عِنْدَ الكَعْبَةِ لَيْلًا؛ يُدَبِّرَانِ اغْتِيَالَ رَسُوْلِ

اللهِ ﷻ، فَأَخْبَرَ اللهُ رَسُوْلَهُ بِكَيْدِهِمْ، وَأَطْلَعَهُ عَلَى فِعْلِهِمْ.

مَلِيكٌ عَلَى عَرْشِ السَّمَاءِ مُهَيْمِنٌ لِعِزَّتِهِ تَعْنُوْ الوُجُوْهُ وَتَسْجَدُ

نَعَمْ؛ إِنَّهُ المُهَيْمِنُ الحَافِظُ ﷻ، وَالأَمِينُ وَالشَّاهِدُ، وَالرَّقِيبُ عَلَى خَلْقِهِ بِأَعْمَالِهِمْ.

وَاطْمَئِنَّ -أَيُّهَا العَبْدُ!- فَقَدْ فُرِغَ مِنَ القَضَاءِ، وَوَقَعَ الاخْتِيَارُ، وَحَصُلَ اللُّطْفُ.

كَمْ مَرَّةً خِفْنَا مِنَ المَوْتِ؛ فَمَا مِتْنَا؟!

كَمْ مَرَّةً ضَاقَتْ بِنَا السُّبُلُ، وَتَقَطَّعَتْ بِنَا الحِبَالُ، وَأَظْلَمَتْ فِي وُجُوْهِنَا الآفَاقُ؛ فَإِذَا هُوَ الفَتْحُ وَالنَّصْرُ، وَالخَيْرُ وَالبِشَارَةُ؟! ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [الأَنْعَام:٦٤].

كَمْ مَرَّةً أَظْلَمَتْ أَمَامَنَا الدُّنْيَا، وَضَاقَتْ عَلَيْنَا السَّمَاءُ وَالأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ؛ فَإِذَا هُوَ الخَيْرُ العَمِيمُ وَاليُسْرُ؟! ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾﴾[يُوْنُس:١٠٧].

فَرَبُّنَا المُهَيْمِنُ ﷻ، وَالعِزَّةُ لَهُ، وَالغَلَبَةُ لَهُ، وَالفَرَجُ مِنْهُ.

ذَكَرَ ابْنُ كَثِيرٍ عَنْ وَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ أَثَرًا، قَالَ: "يَقُوْلُ اللهُ ﷻ فِي بَعْضِ كُتُبِهِ: (وَعِزَّتِي وَجَلَالِي! مَا اعْتَصَمْ بِي عَبْدٌ، فَكَادَتْ لَهُ السَّمَاوَاتُ والأَرْضُ؛ إِلَّا جَعَلْتُ لَهُ مِنْ بَيْنِهِنَّ فَرَجًا وَمَخْرَجًا، وَعِزَّتِي وَجَلَالِي! مَا مِنْ عَبْدٍ اعْتَصَمَ بِغَيْرِي؛ إِلَّا أَسَخْتُ الأَرْضَ مِنْ تَحْتِ قَدَمَيهِ)".

قَالَ ﷻ: ﴿سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾﴾[الطَّلَاق:٧]، وَهَذَا وَعْدٌ مِنْ أَصْدَقِ القَائِلِينَ، وَعَهْدٌ مِنْ أَكْرَمِ المُعْطِينَ.

إِنَّهُ المُهَيْمِنُ ﷻ؛ الَّذِي يَكْشِفُ الشِّدَّةَ بِالْفَرَجِ، وَيُبَدِّلُ اليُسْرَيْنَ بِالْعُسْرِ، وَاللهُ ﷻ لَا يُخْلِفُ وَعْدَهُ، ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥ ۚ﴾[الطَّلَاق:٢-٣].

وَالشَّقِيُّ: مَنْ غَفِلَ عَنْ دُعَائِهِ، وَأَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِهِ، وَنَسِيَ مَسْأَلَتَهُ؛ ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾[طه:١٢٤].

فَإِذَا مَسَّكَ الضُّرُّ فَالْجَأْ إِلَى الْمُهَيْمِنِ ﷻ؛ فَإِنَّهُ الرُّكْنُ القَوِيُّ، فَمَا قَصَدَهُ أَحَدٌ إِلَّا وَجَاءَتْهُ أَلْطَافُ رَبِّهِ، وَرَحَمَاتُ مَوْلَاهُ؛ فَأَزَالَتِ الهَمَّ وَأَبْعَدَتِ الغَمَّ، وَأَزَاحَتِ الحُزْنَ؛ ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾﴾[الأنعام:٦٤].

جَلَالُكَ يَا مُهَيْمِنُ لَا يَبِيْدُ ... وَمُلْكُكَ دَائِمٌ أَبَدًا جَدِيدُ
وَحُكْمُكَ نَافِذٌ فِي كُلِّ أَمْرٍ ... وَلَيْسَ يَكُوْنُ إِلَّا مَا تُرِيدُ
ذُنُوْبِي لَا تَضُرُّكَ يَا إِلَهِي ... وَعَفْوُكَ نَافِعٌ وَبِهِ تَجُوْدُ
فَهَبْهَا لِي وَإِنْ كَثُرَتْ وَجَلَّتْ ... فَأَنْتَ اللهُ تَحْكُمُ مَا تُرِيدُ
فَنِعْمَ الرَّبُّ مَوْلَانَا وَإِنَّا ... لَنَعْلَمُ أَنَّنَا بِئْسَ العَبِيدُ
وَيَنْقُصُ عُمْرُنَا فِي كُلِّ يَوْمٍ ... وَلَا زَالَتْ خَطَايَانَا تَزِيدُ
قَصَدْتُ إِلَى الْمُلُوكِ فَكُلُّ بَابٍ ... عَلَيْهِ حَاجِبٌ فَظٌّ شَدِيدُ
وَبَابُكَ مَعْدِنٌ لِلْجُودِ يَا مَنْ ... إِلَيْهِ يَقْصِدُ العَبْدُ الطَّرِيدُ

أَقُولُ قَولِي هَذَا، وَأَستَغْفِرُ اللهَ لِي وَلَكُمْ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرُوهُ؛ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ:

الحَمْدُ للهِ حَمْدًا طَيِّبًا كَثِيرًا مُبَارَكًا فِيهِ كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنِ اهْتَدَى بِهُدَاهُمْ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

عِبَادَ اللهِ..

وَصَفَ رَبُّنَا ﷻ كِتَابَهُ -وَهُوَ: القُرْآنُ- بِأَنَّهُ: مُهَيْمِنٌ عَلَى الكُتُبِ السَّابِقَةِ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ

﴿ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾[المَائِدَة:٤٨].

فَالْقُرْآنُ الكَرِيمُ حَاكِمٌ عَلَى الكُتُبِ قَبْلَهُ؛ فَقَدْ جَاءَ بِأَحْسَنِ مَا فِيهَا، وَنَسَخَ مِنْهَا مَا نَسَخَهُ، وَقَصَّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ؛ فَأَظْهَرَ تَحْرِيفَهُمْ، وَأَظْهَرَ الحَقَّ الَّذِي تَضَمَّنَتْهُ الكُتُبُ السَّابِقَةُ، وَمَا آمَنَ مُسْلِمٌ بِهَذَا إِلَّا أَثْمَرَ تَعْظِيمُ كِتَابِ الله ﷻ فِي صَدْرِهِ مَحَبَّةً وَفَرَحًا، وَحَمْدًا لِلَّهِ وَشُكْرًا عَلَى الهِدَايَةِ إِلَيْهِ؛ وَهِيَ الَّتِي يَرْجُوهَا كُلُّ إِنْسَانٍ، وَيَطْلُبُهَا المُؤْمِنُ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾[الفَاتِحَة:٦].

اللَّهُمَّ يَا مُهَيْمِنُ! اهْدِنَا فِيمَنْ هَدَيْتَ، وَتَوَلَّنَا فِيمَنْ تَوَلَّيْتَ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ المُسْلِمِينَ.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ الجَنَّةَ، وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ، وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنَ الخَيْرِ كُلِّهِ؛ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ؛ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَأَنْ تَجْعَلَ كُلَّ قَضَاءٍ قَضَيْتَهُ لَنَا خَيْرًا.

اللَّهُمَّ! أَصْلِحْ لَنَا دِينَنَا الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا دُنْيَانَا الَّتِي فِيهَا مَعَاشُنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا آخِرَتَنَا الَّتِي فِيهَا مَعَادُنَا، وَاجْعَلِ الحَيَاةَ زِيَادَةً لَنَا فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَالمَوْتَ رَاحَةً لَنَا مِنْ كُلِّ شَرٍّ.

اللَّهُمَّ! أَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا، وَأَلِّفْ بَيْنَ قُلُوبِنَا، وَاهْدِنَا سُبُلَ السَّلَامِ، وَأَخْرِجْنَا مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ.

اللَّهُمَّ! بَارِكْ لَنَا فِي أَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوَّاتِنَا وَأَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّتِنَا وَأَمْوَالِنَا، وَاجْعَلْنَا مُبَارَكِينَ أَيْنَمَا كُنَّا.

وَآخِرُ دَعْوَانَا: أَنِ الحَمْدُ لله رَبِّ العَالَمِينَ.

العَزِيزُ ﷻ

إِنَّ الحَمْدَ لله؛ نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِالله مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَـهَ إِلَّا اللهُ؛ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[آلِ عِمْرَانَ: ١٠٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾﴾[النِّسَاءَ: ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾[الأَحْزَابِ: ٧٠- ٧١].

أَمَّا بَعْدُ:

عِبَادَ الله..

امْتَدَحَ رَبُّنَا ﷻ نَفْسَهَ بِأَنَّهُ: العَزِيزُ؛ كَمَا قَالَ: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩﴾﴾[الشُّعَرَاءِ: ٩]، ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٦﴾﴾[آلِ عِمْرَانَ: ٦]، وَأَمَرَنَا مِنْ فَوْقِ سَبعِ سَمَاوَاتٍ أَنْ نَعلَمَ ذَلِكَ وَنَتيَقَّنَهُ: ﴿وَٱعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٢٦٠﴾﴾[البَقَرَةِ: ٢٦٠].

فَمِنْ أَسْمَاءِ الله الحُسْنَى: (العَزِيزِ ﷻ).

فَرَبُّنَا العَزِيزُ ﷻ؛ الَّذِي جَمَعَ مَعَانِيَ العِزَّةِ كُلَّهَا -وَصْفًا وَمُلْكًا-، فِي أَسْمَى مَعَانِيهَا، وَأَعْلَى كَمَالِهَا.

فَلَهُ عِزَّةُ الغَلَبَةِ وَالقَهْرِ.

وَلَهُ عِزَّةُ الامْتِنَاعِ؛ فَهُوَ الغَنِيُّ بِذَاتِهِ.

وَلَهُ عِزَّةُ القُوَّةِ وَالقُدْرَةِ؛ فَهُوَ الشَّدِيدُ فِي قُوَّتِهِ، الَّذِي ذَلَّتْ لِعِزَّتِهِ الصِّعَابُ، وَلَانَتْ لِقُوَّتِهِ الشَّدَائِدُ الصِّلَابُ.

وَرَبُّنَا هُوَ العَزِيزُ ﷻ؛ الشَّدِيدُ فِي نِقْمَتِهِ إِذَا انْتَقَمَ مِنْ أَعْدَائِهِ.

وَرَبُّنَا هُوَ العَزِيزُ ﷻ؛ الَّذِي يَهَبُ العِزَّةَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ.

وَرَبُّنَا هُوَ العَزِيزُ ﷻ؛ الَّذِي لَا يُضَامُ جَارُهُ، وَلَا يُذَلُّ أَنْصَارُهُ.

وَهُوَ العَزِيزُ فَلَنْ يُرَامَ جَنَابُهُ ... أَنَّى يُرَامُ جَنَابُ ذِي السُّلْطَانِ

وَهُوَ العَزِيزُ القَاهِرُ الغَلَّابُ لَمْ ... يَغْلِبْهُ شَيْءٌ هَذِهِ صِفَتَانِ

وَهُوَ العَزِيزُ بِقُوَّةٍ هِيَ وَصْفُهُ ... فَالعِزُّ حِينَئِذٍ ثَلَاثُ مَعَانِ

وَهِيَ الَّتِي كَمُلَتْ لَهُ سُبْحَانَهُ ... مِنْ كُلِّ وَجْهٍ عَادِمِ النُّقْصَانِ

وَأَهْلُ الإِيمَانِ لَمَّا عَلِمُوْا وَآمَنُوْا أَنَّ العِزَّةَ مِنْهُ وَحْدَهُ؛ ذَلُّوْا لِلْعَزِيزِ، وَالْتَجَؤُوْا إِلَيْهِ، وَاحْتَمُوْا بِحِمَاهُ، وَلَاذُوْا بِجَنَابِهِ، وَطَلَبُوْا مِنْهُ العِزَّةَ؛ لِأَنَّهُمْ تَلَوْا قَوْلَهُ ﷻ: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾[فَاطِرٍ:١٠].

ذَكَرَ المَدَائِنِيُّ فِي كِتَابِهِ قَالَ: "قَدِمَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ اليَمَنِ عَلَى الحَجَّاجِ يَشْكُوْ أَخَاهُ مُحَمَّدُ بْنُ يُوْسُفَ، فَصَادَفَ الحَجَّاجَ عَلَى المِنبَرِ، فَقَامَ إِلَيْهِ؛ فَشَكَا أَخَاهُ مُحَمَّدًا، فَأَمَرَ بِهِ الحَجَّاجُ فَحُبِسَ، فَلَمَّا نَزَلَ عَنِ المِنْبَرِ؛ اسْتَدْعَاهُ وَهُوَ مُتَغَيِّظٌ عَلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ: مَا جَرَّأَكَ عَلَى أَنْ تَرْفَعَ أَخِي؟! فَقَالَ لَهُ: أَنَا بِاللهِ أَعَزُّ مِنْ أَخِيكَ بِكَ، فَقَالَ الحَجَّاجُ: خَلُّوْا سَبِيلَهُ".

لَا تَسْقِنِي كَأْسَ الحَيَاةِ بِذِلَّةٍ ... بَلْ فَاسْقِنِي بِالعِزِّ كَأْسَ الحَنْظَلِ

وَكُلَّمَا عَظُمَ الاسْمُ فِي قَلْبِ المُسْلِمِ، وَعَمِلَ عَلَى تَحْقِيقِهِ فِي حَيَاتِهِ؛ كَانَ نَيْلُهُ لِلْعَزَّةِ أَعْظَمَ، ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾[المُنَافِقُونَ:٨].

فَأَعَزُّ النَّاسِ: الأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُوْنَهُمْ مِنَ المُؤْمِنِينَ.

وَلِذَا؛ لَا عَزِيزَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ إِلَّا مَنْ أَعَزَّهُ اللهُ؛ ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ ﴾ [آلِ عِمْرَانَ:٢٦].

فَمَنِ اعْتَزَّ بِغَيرِ اللهِ ﷻ فَقَدِ اعْتَزَّ بِسُلْطَانٍ زَائِلٍ، وَقُوَّةٍ فَانِيَةٍ.

وَمَنِ الَّذِي يَقُوْمُ فِي وَجْهِ اللهِ ﷻ وَيُصَارِعُهُ وَيَغْالِبُهُ؟! وَقَدْ اعْتَزَّ قَوْمُ فِرْعَوْنَ بِفِرْعَوْنَ: ﴿ فَأَلْقَوْا۟ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا۟ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾[الشُّعَرَاءِ:٤٤]، فَمَاذَا كَانَتْ النَّتِيجَةُ؟ ﴿ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾[الشُّعَرَاءِ:٤٥].

يَبْحَثُ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ عَنِ العِزَّةِ عِنْدَ الكَافِرِينَ وَعِنْدَ أَعْدَاءِ الدِّينِ، وَهَؤُلَاءِ لَمْ يَقْدُرُوْا اللهَ ﷻ حَقَّ قَدْرِهِ، وَلَمْ يَعْرِفُوْهُ حَقَّ مَعْرِفَتِهِ! وَإِلَّا لَهَانَ فِي نُفُوْسِهِمْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُوَالُوْنَهُمْ؛ فَإِنَّهُمْ مَهْمَا بَلَغَتْ قُوَّتَهُمْ، وَكَثُرَ أَتْبَاعَهُمْ؛ لَيْسُوْا بِشَيْءٍ بِجَانِبِ عِزَّةِ اللهِ ﷻ وَقُوَّتِهِ وَجَبْرُوْتِهِ وَقَهْرِهِ.

وَاللهُ ﷻ أَخْبَرَهُمْ أَنَّ العِزَّةَ الَّتِي يَبْحَثُوْنَ عَنْهَا وَالمُتْعَةَ لَنْ يَجِدُوْهَا عِنْدَ غَيْرِهِ، بَلْ صَارَ حَالُهُمْ حَالَ المُنَافِقِينَ؛ خَالَفَ ظَاهِرُهُمْ بَاطِنَهُمْ، ﴿ بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾ ﴾ [النِّسَاءَ: ١٣٨-١٣٩].

وَمِنْهُمْ مَنِ اعْتَزَّ بِنَفْسِهِ وَعَشِيرَتِهِ، جَاءَ فِي «مُسْنَدِ الإِمَامِ أَحْمَدَ» عَنْ أُبَيِّ ابْنِ كَعْبٍ ﷺ قَالَ: انْتَسَبَ رَجُلَانِ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ؛ فَقَالَ أَحَدُهُمَا: أَنَا فُلَانُ بْنُ فُلَانِ بْنِ فُلَانٍ، فَمَنْ أَنْتَ؛ لَا أُمَّ لَكَ؟!

فَقَالَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ: «انْتَسَبَ رَجُلَانِ عَلَى عَهْدِ مُوْسَى ﷺ؛ فَقَالَ أَحَدُهُمَا: أَنَا فُلَانُ ابْنُ فُلَانٍ، حَتَّى عَدَّ تِسْعَةً، فَمَنْ أَنْتَ؛ لَا أُمَّ لَكَ؟! قَالَ: أَنَا فُلَانِ بْنُ فُلَانِ ابْنِ الإِسْلَامِ».

قَالَ: «فَأَوْحَى اللهُ إِلَى مُوْسَى ﷺ: أَنَّ هَذَيْنِ الْمُنْتَسِبَيْنِ؛ أَمَّا أَنْتَ أَيُّهَا الْمُنْتَمِي أَوِ الْمُنْتَسِبُ إِلَى تِسْعَةٍ: فِي النَّارِ؛ فَأَنْتَ عَاشِرُهُمْ، وَأَمَّا أَنْتَ يَا هَذَا! الْمُنْتَسِبَ إِلَى اثْنَيْنِ: فِي الجَنَّةِ؛ فَأَنْتَ ثَالِثُهُمَا فِي الجَنَّةِ»[حَدِيثٌ صَحِيحٌ].

وَصَدقَ مَنْ قَالَ: "نَحْنُ قَوْمٌ أَعَزَّنَا اللهُ بِالإِسْلَامِ، فَمَهْمَا ابْتَغَيْنَا العِزَّةَ فِي غَيْرِهِ أَذَلَّنَا اللهُ".

ذَكَرَ الحَاكِمُ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ»: أَنَّ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ ﷺ "لَـمَّا قَدِمَ الشَّامَ عَرَضَتْ لَهُ مَخَاضَةٌ، فَنَزَلَ عُمَرُ عَنْ بَعِيرِهِ وَنَزَعَ خُفَّيْهِ -أَوْ قَالَ: مُوْقَيْهِ-، ثُمَّ أَخَذَ بِخِطَامِ رَاحِلَتِهِ، وَخَاضَ المَخَاضَةَ، فَقَالَ لَهُ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الجَرَّاحِ: لَقَدْ فَعَلْتَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فِعْلًا عَظِيمًا عِنْدَ أَهْلِ الأَرْضِ! نَزَعْتَ خُفَّيْكَ، وَقَدَّمْتَ رَاحِلَتَكَ، وَخُضْتَ المَخَاضَةَ.

فَصَكَّ عُمَرُ بِيَدِهِ فِي صَدْرِ أَبِي عُبَيْدَةَ؛ فَقَالَ: أَوْهِ! لَوْ غَيْرُكَ يَقُولُهَا يَا أَبَا عُبَيْدَةَ! أَنْتُمْ كُنْتُمْ أَقَلَّ النَّاسِ؛ فَأَعَزَّكُمُ اللهُ بِالإِسْلَامِ، فَمَهْمَا تَطْلُبُوا العِزَّةَ بِغَيْرِهِ؛ يُذِلُّكُمُ اللهُ -تَعَالَى-".

قَالَ ﷻ: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾[فَاطِرٍ:١٠].

لَـمَّا أَخَذَ الكَافِرُوْنَ يُهَدِّدُوْنَ رَسُوْلَ اللهِ ﷺ، وَيُلْقُوْنَ عَلَيْهِ فَاحِشَ القَوْلِ، وَيُبْدُوْنَ قُـوَّتَهُمْ؛ أَنْزَلَ اللهُ آيَةً مُوَاسِيًا لِرَسُولِهِ ﷺ وَمُخْبِرًا عَنْ ضَعْفِ البَشَرِيَّةِ جَمْعَاءَ فِي قَوْلِـهِ: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ۚ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٥﴾﴾[يُوْنُس:٦٥].

وَكُلَّمَا زَادَ الإِيمَانُ زَادَتِ العِزَّةُ فِي قَلْبِ الْمُؤْمِنِ، وَزَادَ يَقِينُهُ بِالنَّصْرِ وَالغَلَبَةِ؛ فَاللهُ قَدْ قَالَ: ﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾﴾ [آلِ عِمْرَانَ:١٢٦]، وَقَالَ ﷻ: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾﴾ [الحَجِّ:٤٠].

مَنْ حَازَ الإِيمَانَ حَازَ العِزَّةَ، وَمَنْ حَازَ العِزَّةَ فَازَ بِحُبِّ اللهِ ﷻ؛ فَقَدْ قَالَ ﷻ: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[المَائِدَةِ:٥٤].

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِمَّنْ فَازَ بِحُبِّكَ؛ يَا رَبَّ العَالَمِينَ!

أَقُولُ قَولِي هَذَا، وَأَستَغْفِرُ اللهَ لِي وَلَكُمْ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرُوهُ؛ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ:

الحَمْدُ للهِ حَمْدًا طَيِّبًا كَثِيرًا مُبَارَكًا فِيهِ كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنِ اهْتَدَى بِهُدَاهُمْ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

عِبَادَ الله..

لَا تَتَحَقَّقُ العِزَّةُ إِلَّا بِالإِتْيَانِ بِأَسْبَابِهَا:

بِالإِيْمَانِ أَوَّلًا؛ لِأَنَّ اللهَ ﷻ قَالَ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾[المُنَافِقُونَ:٨].

وَبِالتَّوَاضِعِ لِلْمُؤْمِنِينَ؛ لِأَنَّ اللهَ ﷻ قَالَ: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[المَائِدَةِ: ٥٤].

وَبِالعَفْوِ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا»[أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ].

وَبِالتَّقَرُّبِ إِلَى اللهِ بِهَذَا الاسْمِ فِي الدُّعَاءِ، فَهَذَا إِبْرَاهِيمُ عليه السلام؛ كَانَ مِنْ دُعَائِهِ: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٥﴾﴾[المُمْتَحِنَةِ:٥]، وَدَعَتْ بِهِ المَلَائِكَةُ مِنْ حَمَلَةِ العَرْشِ لِلْمُؤْمِنِينَ: ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨﴾﴾[غَافِرٍ:٨].

بَلْ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا فَزِعَ مِنْ نَوْمِهِ لَيْلًا كَانَ يَقُولُ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ الوَاحِدُ القَهَّارُ، رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا العَزِيزُ الغَفَّارُ»[حَدِيثٌ صَحِيحٌ. رَوَاهُ ابْنُ حِبَّانَ].

وَهَذَا النَّبِيُّ ﷺ يُعَلِّمُ رَجُلًا جَاءَهُ يَشْكُو وَجَعًا بِأَنْ يَتَعَبَّدَ بِعِزَّةِ اللهِ؛ فَقَالَ لَهُ الحَبِيبُ ﷺ:

«اجْعَلْ يَدَكَ اليُمْنَى عَلَيْهِ، وَقُلْ: بِاسْمِ اللهِ، أَعُوْذُ بِعِزَّةِ اللهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ، سَبْعَ مَرَّاتٍ» [حَدِيثٌ صَحِيحٌ. رَوَاهُ ابْنُ مَاجَه].

اقْتَرَنَ اسْمُهُ ﷻ العَزِيزُ بِأَسْمَائِهِ: (القَوِيُّ وَالحَكِيمُ وَالعَلِيمُ وَالحَمِيدُ وَالغَفُوْرُ وَالوَهَّابُ وَالمُقْتَدِرُ).

وَهَذَا -وَاللهِ!- مِنْ كَمَالِ رَحْمَتِهِ بِنَا، وَإِفَاضَةِ الخَيْرِ وَالإِحْسَانِ عَلَيْنَا.

وَهَذَا يَدُلُّنَا عَلَى: كَمَالِ أَسْمَاءِ رَبِّنَا وَصِفَاتِهِ العُلَا، وَأَنَّهَا يَتَضَمَّنُ بَعْضُهَا بَعْضًا؛ فَإِنَّهُ ﷻ مَعَ كَمَالِ عِزَّتِهِ وَقُوَّتِهِ، وَمَنَعَتِهِ، وَشِدَّةِ بَطْشِهِ؛ فَهُوَ كَامِلٌ فِي حِكْمَتِهِ وَعِلْمِهِ، رَحِيمٌ بِعِبَادِهِ عَطُوْفٌ عَلَيْهِمْ، مَحْمُوْدٌ فِي أُمُوْرِهِ، وَحَمِيدٌ فِي أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ وَأَحْكَامِهِ.

فَعِزَّتُهُ: حِكْمَةٍ، وَرَحْمَةٍ، وَعَدْلٍ، ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٦﴾[آل عِمْرَان: ٦].

وَلَـمَّا كَانَتْ عِزَّتُهُ: عِزَّةَ كَمَالٍ وَجَلَالٍ؛ اسْتَحَقَّ اللهُ أَنْ يُحْمَدَ عَلَيْهَا عَلَى الدَّوَامِ، قَالَ ﷻ: ﴿ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝١﴾[إِبْرَاهِيمَ: ١].

يَا مَالِكًا هُوَ بِالنَّوَاصِي آخِذٌ ... وَقَضَاؤُهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ نَافِذُ
أَنَا عَائِذٌ بِكَ يَا كَرِيمُ وَلَمْ يَخِبْ ... عَبْدٌ بِعِزِّكَ مُسْتَجِيرٌ عَائِذُ

﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝١٨٠ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ۝١٨١ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٨٢﴾[الصَّافَّات: ١٨٠-١٨٢].

اللَّهُمَّ يَا عَزِيزُ! أَعِزَّنَا بِدِينِكَ وَنَصْرِكَ.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ الجَنَّةَ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ، ونَعُوْذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ الهُدَى وَالسَّدَادَ، وَنَسْأَلُكَ التُّقَى وَالعِفَّةَ وَالغِنَى.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنَ الخَيْرِ كُلِّهِ؛ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ

الشَّرِّ كُلِّهِ؛ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَأَنْ تَجْعَلَ كُلَّ قَضَاءٍ قَضَيْتَهُ لَنَا خَيْرًا.

اللَّهُمَّ! أَصْلِحْ لَنَا دِيْنَنَا الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا دُنْيَانَا الَّتِي فِيهَا مَعَاشُنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا آخِرَتَنَا الَّتِي فِيهَا مَعَادُنَا، وَاجْعَلِ الحَيَاةَ زِيَادَةً لَنَا فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَالمَوْتَ رَاحَةً لَنَا مِنْ كُلِّ شَرٍّ.

اللَّهُمَّ! أَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا، وَأَلِّفْ بَيْنَ قُلُوْبِنَا، وَاهْدِنَا سُبَلَ السَّلَامِ، وَأَخْرِجْنَا مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوْرِ.

اللَّهُمَّ! بَارِكْ لَنَا فِي أَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوَّاتِنَا وَأَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّتِنَا وَأَمْوَالِنَا، وَاجْعَلْنَا مُبَارَكِيْنَ أَيْنَمَا كُنَّا.

وَآخِرُ دَعْوَانَا: أَنِ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ.

الجَبَّارُ ﷻ

إِنَّ الحَمْدَ لله؛ نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِالله مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَـهَ إِلَّا اللهُ؛ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[آل عِمْرَان: ١٠٢]،

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾[النِّسَاء: ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾[الأَحْزَاب: ٧٠- ٧١].

أَمَّا بَعْدُ:

عِبَادَ الله..

قَالَ اللهُ ﷻ عَنْ نَفْسِهِ: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾﴾[الحَشْر: ٢٣].

فَمِنْ أَسْمَاءِ الله ﷻ: (الجَبَّارِ).

وَالجَبَّارُ ﷺ هُوَ: الَّذِي يَجْبُرُ قَلْبَ الكَسِيرِ، وَيُغْنِي الفَقِيرَ، وَيُيَسِّرُ كُلَّ عَسِيرٍ؛ وَهُوَ يَجْبُرُ قُلُوْبَ الخَاضِعِينَ لِعَظَمَتِهِ وَجَلَالِهِ جَبْرًا خَاصًّا.

وَالجَبَّارُ ﷺ هُوَ: القَهَّارُ لِكُلِّ شَيْءٍ؛ الَّذِي دَانَ لَهُ كُلُّ شَيْءٍ، وَخَضَعَ لَهُ كُلَّ شَيْءٍ.

وَالجَبَّارُ ﷺ هُوَ: العَلِيُّ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ فَوْقَ خَلْقِهِ، مُسْتَوٍ عَلَى عَرْشِهِ.

وَكَـذِلِكَ الجَبَّـارُ مِـنَ أَوْصَـافِهِ ... وَالجَـبْرُ فِي أَوْصَـافِهِ قِـسْمَانِ
جَبْرُ الضَّعِيفِ وَكُلِّ قَلْبٍ قَدْ غَـدَا ... ذَا كَـسْـرَةٍ فَـالجَبْرُ مِنْـهُ دَانِ
وَالثَّانِي جَـبْرُ القَهْـرِ بِـالعِزِّ الَّـذِيْ ... لَا يَنْبَغِـي لِـسِوَاهُ مِـنْ إِنْـسَانِ
وَلَـهُ مُـسَمًّى ثَالِـثٌ وَهُـوَ العُلُـوُّ ... فَلَـيْسَ يَـدْنُوْ مِنْـهُ مِـنْ إِنْـسَانِ
مِنْ قَوْلِهِمْ: جَبَـارَةٌ لِلنَّخْلَـةِ العُلْيَـا ... الَّتِـي فَاتَـتَ لِكُـلِّ بَنَـانِ

فَرَبُّنَا لَهُ الجَبَرُوْتُ وَحْدَهُ، فَهُوَ قَاهِرُ الجَبَابِرَةِ بِجَبَرُوْتِهِ، وَهُوَ الَّذِي عَلَاهُمْ بِعَظَمَتِهِ.

وَقَدْ مَدَحَ اللهُ نَفْسَهُ بِهَذَا الاسْمِ؛ فَقَالَ: ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ﴾[الحَشْرِ:٢٣].

وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَدْعُوْ فِي سُجُوْدِهِ وَرُكُوْعِهِ: «سُبْحَانَ ذِي الجَبَرُوْت وَالمَلَكُوتِ وَالكِبْرِيَاء وَالعَظَمَة»[حَدِيثٌ صَحِيحٌ. رَوَاهُ أَبُوْ دَاوُدَ].

وَالجَبَّارُ: صِفَةُ مَدْحٍ وَكَمَالٍ فِي حَقِّ اللهِ؛ وَأَمَّا عِنْدَ اتِّصَافِ البَشَرِ بِهَا فَهِيَ: صِفَةُ ذَمٍّ وَنَقْصٍ وَعَيْبٍ غالبا، أَمَا تَرَى أَنَّ الَّذِي يَدَّعِي مِنَ البَشَرِ بِأَنَّهُ جَبَّارٌ؛ تُؤْذِيهِ البَقَّةُ، وَتَأْكُلُهُ الدُّوْدَةُ، وَتُشَوِّشُهُ الذُّبَابَةُ، وَهُوَ أَسِيرُ جُوْعِهِ، وَصَرِيعُ شَبَعِهِ؟!

لِذَلِكَ؛ أَنْكَرَتِ الرُّسُلُ عَلَى أَقْوَامِهَا صِفَةَ (التَّجَبُّرِ وَالتَّكَبُّرِ) فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الحَقِّ، وَاللهُ قَدْ قَالَ: ﴿وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾﴾[الشُّعَرَاءِ:١٣٠].

وَمَنْ تَجَبَّرَ طَبَعَ اللهُ ﷻ عَلَى قَلْبِهِ: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾﴾ [غَافِرٍ: ٣٥]، وَتَوَعَّدَ اللهُ ﷻ الجَبَابِرَةَ بالخيبة وبالعَذَابِ: ﴿وَٱسْتَفْتَحُوا۟ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾﴾[إِبْرَاهِيمَ:١٥-١٦].

وَجَاءَ فِي الحَدِيثِ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «تَخْرُجُ عُنُقٌ مِنَ النَّارِ يَوْمَ القِيَامَةِ؛ لَهَا عَيْنَانِ تُبْصِرَانِ، وَأُذُنَانِ تَسْمَعَانِ، وَلِسَانٌ يَنْطِقُ، يَقُولُ: إِنِّي وُكِّلْتُ بِثَلَاثَةٍ: بِكُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ، وَبِكُلِّ مَنْ دَعَا مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ، وَبِالمُصَوِّرِينَ»[حَدِيثٌ صَحِيحٌ. رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ].

وَصَحَّ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «تَحَاجَّتِ الجَنَّةُ وَالنَّارُ؛ فَقَالَتِ النَّارُ: أُوثِرْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ، وَالْمُتَجَبِّرِينَ..»[أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ].

فَأَيْنَ الْمُتَكَبِّرُوْنَ.. أَيْنَ الْمُتَجَبِّرُوْنَ؟

أَيْـنَ الْمُلُـوْكُ وَأَبْنَـاءُ الْمُلُـوْكِ وَمَـنْ
كَانَـتْ تَخِـرُّ لَـهُ الأَذْقَـانُ إِذْعَانَـا
صَاحَتْ بِهِمْ حَادِثَاتُ الدَّهْرِ فَانْقَلَبُوْا
مُـسْتَبْدِلِينَ مِـنَ الأَوْطَـانِ أَوْطَانَـا
خَلَّـوْا مَـدَائِنَ كَـانَ العِـزُّ مَفْرَشَـهَا
وَاسْتَفْرَشُـوْا حُفَـرًا غُـبْرًا وَقِيعَانَـا
يَـا رَاكِـضًا فِي مَيَـادِينِ الهَـوَى مَرِحًـا
وَرَافِـلًا فِي ثِيَـابِ الغَـيِّ نَـشْوَانَا
مَـضَى الزَّمَـانُ وَوَلَّى العُمْـرُ فِي لَعِـبٍ
يَكْفِيكَ مَا قَدْ مَضَى قَدْ كَانَ مَا كَانَـا

وَكَانَ مِنْ دُعَاءِ نَبِيِّنَا ﷺ: «اللَّهُـمَّ! اغْفِـرْ لِي، وَارْحَمْنِـي، وَاجْـبُرْنِي، وَاهْـدِنِي، وَارْزُقْنِـي» [حَدِيثٌ صَحِيحٌ. رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ].

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَاهْدِنَا وَارْزُقْنَا؛ يَا رَبَّ العَالَمِينَ!

أَقُولُ قَولِي هَذَا، وَأَستَغْفِرُ اللهَ لِي وَلَكُمْ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرُوهُ؛ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ:

الحَمْدُ للهِ حَمْدًا طَيِّبًا كَثِيرًا مُبَارَكًا فِيهِ كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَـهُ، وَأَشْـهَدُ أَنَّ مُحَمَّـدًا عَبْـدُهُ وَرَسُـولُهُ، صَـلَّى اللهُ وَسَـلَّمَ وَبَـارَكَ عَلَيْـهِ وَعَـلَى آلِـهِ

وَأَصْحَابِهِ وَمَنِ اهْتَدَى بِهُدَاهُمْ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

عِبَادَ الله..

اِنْكِسَارَاتُ الحَيَاةِ عَدِيدَةٌ، وَكُلُّ يَوْمٍ نَتَكَسَّرُ بِهُمُوْمِ هَذِهِ الحَيَاةِ؛ فَنَحْتَاجُ إِلَى الله ﷻ فِي كُلِّ سَاعَةٍ؛ حَتَّى يَجْبُرَ كَسْرَنَا، وَيُقَوِّي ضَعْفَنَا.

شَبَابٌ وَشِيبٌ وَافْتِقَارٌ وَثَرْوَةٌ فَلِلَّهِ هَذَا الدَّهْرُ كَيْفَ تَرَدَّدَا؟!

يَنْكَسِرُ المَرِيضُ عَلَى فِرَاشِهِ، يُصَارِعُ المَرَضَ؛ فَيُنَادِي يَا الله! فَإِذَا الجَبَّارُ يَجْبُرُ كَسْرَهُ، وَيُنْزِلُ الشِّفَاءَ مِنْ عِنْدِهِ.

يَنْكَسِرُ الفقير فَلَا يَمْلِكُ قِطْمِيرًا، وَيَتَنَهَّدُ مِنَ البُؤْسِ، وَيَبْكِي مِنَ الفَاقَةِ، وَيَنْظُرُ فِي السَّمَاءِ وَيَقُوْلَ: يَا الله! فَإِذَا الجَبَّارُ يَجْبُرُ كَسْرَهُ، وَيَرْفَعُ حَاجَتَهُ، وَيَكْشِفُ ضَائِقَتَهُ.

يَنْكَسِرُ المَظْلُوْمُ، وَيُخْفِي أَنِينَهُ، وَيَمْسَحُ دَمْعَتَهُ، وَيَنْطَرِحُ عِنْدَ بَابِ الله وَيَقُوْلُ: يَا الله! فَإِذَا بِالجَبَّارِ يَنْتَقِمُ لَهُ، وَيُرْسِلُ جُنْدَهُ، وَيُنْزِلُ نَصْرَهُ.

يَنْكَسِرُ السَّجِينُ فِي زِنْزَانَتِهِ؛ وَقَدْ كُبِّلَ بِالحَدِيدِ، وَغُلَّ بِالقُيُوْدِ؛ فَيُنَادِي: يَا الله! فَإِذَا بِالجَبَّارِ يَجْبُرُ كَسْرَهُ، وَيَفْتَحُ الأَبْوَابَ لَهُ، وَإِذَا القُيُوْدُ تُحَلُّ، وَالفَرَجُ يَحْصُلُ.

يَنْكَسِرُ العَقِيمَ، وَيَلُفُّهُ الحُزْنَ، وَيَضْعُفُ الأَمَلُ؛ فَيَأْخُذُ سِجَّادَتَهُ، وَيُطِيلُ بُكَاءَهُ، وَيُنَادِي: رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيةً طَيِّبَةً! فَإِذَا بِالجَبَّارِ يَجْبُرُ كَسْرَهُ، وَيُرسِلُ أَمْرَهُ وَعَوْنَهُ وَمَدَدَهُ؛ فَإِذَا المُسْتَحِيلُ مَوْجُوْدٌ، وَإِذَا الابْتِسَامَةُ تَحْصُلُ، وَالحَمْلُ قَدْ حَلَّ.

إِنَّهُ الجَبَّارُ ﷻ؛ يُحِلُّ العُقَدَ، وَيَجْبُرُ القُلُوْبَ وَالعِظَامَ وَالنُّفُوْسَ، وَيُكَفْكِفُ الدُّمُوْعَ، وَيَرْفَعُ البَلَاءَ، وَيَكْشِفُ الضَّرَّاءِ، وَيُرْسِلُ السَّرَّاءِ..

يُنَادِيهِ الجَمِيعُ: اجْبُرْ كَسْرَنَا، وَارْحَمْ ضَعْفَنَا! ﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٢٩﴾﴾[الرَّحْمَن:٢٩].

وَإِذَا العِنَايَةُ لَاحَظَتْكَ عُيُوْنُهَا نَمْ فَالحَوَادِثُ كُلُّهُنَّ أَمَانُ

يَقُوْلُ اللهُ ﷻ: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾﴾[الحِجْر: ٢١]، فَبِيَدِهِ مَفَاتِيحُ الفَرَجِ ﷻ، فَإِذَا أَوْقَفَتْكَ الآلَامُ وَالهُمُوْمُ؛ فَاتَّجِهْ إِلَى المَلِكِ العَلَّام، جَابِرُ القُلُوْبِ وَجَابِرُ الكُسُوْرِ، وَنَادِ: يَا جَابِرَ المُنْكَسِرِينَ! اُجْبُرْ كَسْرِي، وَارْحَمْ ضَعْفِي، وَفَرِّجْ هَمِّي، ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾[النَّمْل: ٦٢].

وَلَرُبَّ نَازِلَةٍ يَضِيقُ بِهَا الفَتَى

ذَرْعًا وَعِنْدَ اللهِ مِنْهَا المَخْرَجُ

ضَاقَتْ فَلَمَّا اسْتَحْكَمَتْ حَلَقَاتُهَا

فُرِجَتْ وَكَانَ يَظُنُّهَا لَا تُفْرَجُ

وَلَكِنَّ الكَثِيرَ يَسْتَعْجِلُوْنَ الفَرَجَ، أَوْ يَغْفَلُوْنَ عَنْ مَلِكِ المُلُوْكِ وَجَابِرِ القُلُوْبِ، وَيَفْزَعُوْنَ إِلَى الضَّعِيفِ المَمْلُوْكِ؛ فَلَا يَجِدُوْنَ مَا يَبْتَغُوْنَ! ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾[التَّوْبَة: ٦٧].

وَتَذَكَّرْ: أَنَّ الكَرْبَ كُسُوْرُ الدُّنْيَا، فَإِذَا رَأَيْتَ مُؤْمِنًا فِي كُرْبَةٍ؛ فَكُنْ أَنْتَ مَنْ يَسْتَخْدِمُكَ اللهُ لِجَبْرِ كَسْرِهِ؛ فَإِنَّ المُكَافَأَةَ العُظْمَى يَوْمَ يَبْحَثُ النَّاس جَمِيعًا عَمَّنْ يَجْبُرُ كُسُوْرَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ.

صَحَّ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً؛ فَرَّجَ اللهُ عَنْهُ بِهَا كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ القِيَامَةِ»[أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ]، ﴿وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾[القَصَص: ٧٧]، ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾[آلِ عِمْرَان: ١٣٤].

كُنْ بَلْسَمًا إِنْ صَارَ دَهْرُكَ أَرْقَمًا وَحَلَاوَةً إِنْ صَارَ غَيْرُكَ عَلْقَمًا

اللَّهُمَّ! يَا جَابِرَ قُلُوْبِ المُنْكَسِرِينَ اُجْبُرْ كَسْرَنَا، وَارْحَمْ ضَعْفَنَا، وَتَجَاوَزْ عَنَّا؛ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ!

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ الجَنَّةَ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ، ونَعُوْذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ الهُدَى وَالسَّدَادَ، وَنَسْأَلُكَ التُّقَى وَالعِفَّةَ وَالغِنَى.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنَ الخَيْرِ كُلِّهِ؛ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ؛ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَأَنْ تَجْعَلَ كُلَّ قَضَاءٍ قَضَيْتَهُ لَنَا خَيْرًا.

اللَّهُمَّ! أَصْلِحْ لَنَا دِيْنَنَا الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا دُنْيَانَا الَّتِي فِيهَا مَعَاشُنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا آخِرَتَنَا الَّتِي فِيهَا مَعَادُنَا، وَاجْعَلِ الحَيَاةَ زِيَادَةً لَنَا فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَالمَوْتَ رَاحَةً لَنَا مِنْ كُلِّ شَرٍّ.

اللَّهُمَّ! أَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا، وَأَلِّفْ بَيْنَ قُلُوْبِنَا، وَاهْدِنَا سُبَلَ السَّلَامِ، وَأَخْرِجْنَا مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوْرِ.

اللَّهُمَّ! بَارِكْ لَنَا فِي أَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوَّاتِنَا وَأَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّتِنَا وَأَمْوَالِنَا، وَاجْعَلْنَا مُبَارَكِيْنَ أَيْنَمَا كُنَّا.

وَآخِرُ دَعْوَانَا: أَنِ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ.

الْمُتَكَبِّرُ ﷻ

إِنَّ الحَمْدَ لله؛ نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِالله مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَـهَ إِلَّا اللهُ؛ وَحْـدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[آلِ عِمْرَانَ: ١٠٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾[النِّسَاءَ: ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾[الأَحْزَابِ: ٧٠- ٧١].

أَمَّا بَعْدُ:

عِبَادَ الله..

الكِبْرِيَاءُ لِـلَّهِ وَحْدَهُ ﷻ، قَالَ اللهُ مَادِحًا نَفْسَهُ: ﴿وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾[الجَاثِيَةِ: ٣٧]، وَقَالَ ﷻ: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الحَشْرِ: ٢٣].

فَمِنْ أَسْمَاءِ الله ﷻ: (المُتَكَبِّرِ).

فَرَبُّنَا ﷻ تَكَبَّرَ عَنْ كُلِّ سُوْءٍ، وَتَكَبَّرَ عَنِ السَّيِّئَاتِ، وَتَكَبَّرَ عَنْ ظُلْمِ العِبَادِ.

وَرَبُّنَا ﷻ هُوَ الَّذِي يَتَكَبَّرُ عَلَى عُتَاةِ خَلْقِهِ إِذَا نَازَعُوْهُ العَظَمَةَ.

فَهُو ﷻ المُتَكَبِّرُ عَنْ كُلِّ سُوْءٍ، المُتَعَظِّمُ عَمَّا لَا يَلِيقُ بِهِ مِنْ صِفَاتِ الحَدَثِ وَالذَّمِّ.

وَأَصْلُ الكِبْرِيَاءِ: الامْتِنَاعُ، وَرَبُّنَا ﷻ مُمْتَنِعٌ عَنِ النَّقْصِ وَالسُّوْءِ وَالعَيْبِ.

وَالتَّاءُ فِي اسْمِهِ (المُتَكَبِّرِ) لَيْسَتْ تَاءَ التَّعَاطِي وَالتَّكَلُّفِ؛ كَمَا يُقَالُ: فَلَانٌ يَتَعَظَّمُ وَلَيْسَ بِعَظِيمٍ، وَإِنَّمَا هِيَ: تَاءُ التَّفَرُّدِ وَالاخْتِصَاصِ.

وَالتَّكَبُّرُ لَا يَلِيقُ إِلَّا بِهِ ﷻ؛ لِأَنَّهُ وَحْدَهُ المَلِكُ وَمَا سِوَاهُ مَمْلُوْكٌ، وَهُوَ وَحْدَهُ الرَّبُّ وَمَا سِوَاهُ مَرْبُوْبٌ، وَهُوَ الخَالِقُ وَحْدَهُ وَمَا سِوَاهُ مَخْلُوْقٌ، وَهُوَ وَحْدَهُ المُتَفَرِّدُ بِصِفَاتِ الكَمَالِ وَالجَمَالِ وَالعَظَمَةِ وَالجَلَالِ.

وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُوْلُ فِي رُكُوْعِهِ وَسُجُوْدِهِ: «سُبْحَانَ ذِي الجَبَرُوْت وَالمَلَكُوتِ وَالكِبْرِيَاءِ وَالعَظَمَةِ»[حَدِيثٌ صَحِيحٌ. رَوَاهُ أَبُوْ دَاوُدَ]، وَاللهُ ﷻ قَالَ: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾﴾[الحَشْر:٢٣].

فَالمُنَزَّهُ عَنِ النَّقَائِصِ؛ الَّذِي لَهُ المُلْكُ وَالتَّصَرُّفُ وَالتَّدْبِيرُ وَالعَظَمَةُ وَالكَمَالُ فِي أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ؛ هُوَ وَحْدَهُ المُتَكَبِّرُ، لَا شَرِيكَ لَهُ.

لِذَا؛ اسْتَأْثَرَ اللهُ ﷻ بِهَذِهِ الصِّفَةِ لِنَفْسِهِ، وَتَوَعَّدَ مَنِ اتَّصَفَ بِهَا بِالعِقَابِ الشَّدِيدِ.

صَحَّ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «قَالَ اللهُ ﷻ: الكِبْرِيَاءُ رِدَائِي، وَالعَظَمَةُ إِزَارِي، فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمْا؛ قَذَفْتُهُ فِي النَّارِ»[حَدِيثٌ صَحِيحٌ. رَوَاهُ أَبُوْ دَاوُدَ].

وَصِفَاتُ الله ﷻ: صِفَاتُ كَمَالٍ وَجَلَالٍ.

فَرَبُّنَا ﷻ يَتَكَبَّرُ وَيَتَعَالَى وَيَتَقَدَّسُ وَيَتَنَزَّهُ عَنِ الاتِّصَافِ بِالْعَجْزِ وَالقُصُوْرِ، وَالنَّقْصِ وَالجَهْلِ، وَالضَّعْفِ وَالنَّوْمِ؛ وَغَيْرِهَا مِمَّا اتَّصَفَ بِهِ الخَلْقُ.

وَلِذَا؛ فَأَنْتَ -يَا عَبْدَ الله!- إِذَا اسْتَحْضَرْتَ صِفَاتِ الله فَاعْلَمْ أَنَّهَا صِفَاتُ كَمَالٍ وَجَلَالٍ،

وَانْفِ التَّشْبِيهَ بِمُجَرَّدِ ذِكْرِ صِفَاتِهِ ﷻ.

فَجَمَالُهُ بِالـذَّاتِ وَالأَوْصَـافِ وَالأَفْعَالِ وَالأَسْـمَاءِ بِالْبُرْهَـانِ

لَا شَيْءَ يُـشْبِهُ ذَاتَـهُ وَصِـفَاتَهُ سُبْحَانَهُ عَنْ إِفْكِ ذِي البُهْتَـانِ

وَمَقَامُ المَخْلُوْقِ: مَقَـامُ عُبُوْدِيَّـةٍ وَخُـضُوْعٍ، وَذُلٍّ وَانْكِـسَارٍ لِلْكَبِـيرِ المُتَعَـالِ، ذِيْ الجَـلَالِ وَالإِكْرَامِ.

لِذَلِكَ؛ نَزَّهَ اللهُ ﷻ أَنْبِيَاءَهُ وَعِبَادَهُ الصَّالِحِينَ عَـنِ الكِـبْرِ، وَكَـانُوْا يَـسْتَعِيذُوْنَ مِـنَ الكِـبْرِ وَالتَّكَـبُّرِ: ﴿وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾﴾[مَـرْيَمَ:١٤]، ﴿وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾﴾[مَرْيَمَ:٣٢]، ﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٧﴾﴾[غَافِرِ:٢٧].

وَمَنِ اتَّصَفَ بِهَا فَسَدَتْ نَفْسُهُ، وَزَالَ عَنْهَا صَلَاحُهَا، وَطُبِعَ عَلَى قَلْبِهِ بِالرَّانِ، ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾﴾[غَافِرِ:٣٥].

وَلِذَا؛ كَانَ إِبْلِيسُ إِمَامَ المُتَكَبِّرِينَ؛ ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾﴾[ص:٧٤].

وَهِيَ صِفَاتُ المُلُوْكِ الطُّغَاةِ؛ كَفِرْعَوْنَ وَمَنْ عَلَى شَاكِلَتِهِ مِنَ الطُّغَاةِ: ﴿وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾﴾[القَصَصِ:٣٩].

وَمَنْ زَادَ مَالُهُ وَكَثُرَ عِيَالُهُ، وَبَارَزَ اللهَ بِهِمَا؛ تَسَلَّلَ الكِبْرُ إِلَى قَلْبِهِ، فَمَنَعَهُ مِنْ قَبُوْلِ الحَقِّ؛ كَالْوَلِيدِ بْنِ المُغِيرَةِ: ﴿ذَرْنِى وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّآ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِـَٔايَٰتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴿١٧﴾ إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾﴾[المدَّثر:١١-٢٦].

وَالكِبْرُ: سَبَبُ هَلَاكِ الأُمَمِ المُكَذِّبَةِ بِالحَقِّ؛ ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ [فُصِّلَتْ:١٥].

وَقَالَ ﷻ عَنْ قَوْمِ شُعَيْبَ عليه السلام: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾﴾[الأَعْرَافِ:٨٨].

وَقَالَ ﷻ عَنْ قَوْمِ صَالِحٍ عليه السلام: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٧٦﴾﴾[الأَعْرَافِ:٧٦].

وَمَآلُ المُتَكَبِّرِينَ: جَهَنَّمُ، وَبِئْسَ المَصِيرُ -نَعُوْذُ بِاللهِ مِنْهَا!-: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾[غَافِرِ:٦٠]، ﴿أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾﴾[الزُّمَرِ:٦٠].

وَلَا يَتَسَلَّلُ الكِبْرُ إِلَّا إِلَى القَلْبِ المَرِيضِ؛ ﴿إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ﴾ [غَافِرِ:٥٦].

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ رضي الله عنهم: "مَا دَخَلَ قَلْبُ امْرِئٍ شَيْءٌ مِنَ الكِبْرِ قَطُّ إِلَّا نَقَصَ مِنْ عَقْلِهِ بِقَدْرِ مَا دَخَلَ مِنْ ذَلِكَ؛ قَلَّ أَوْ كَثُرَ".

وَقَالَ الأَحْنَفُ بْنُ قَيْسٍ رحمه الله: "مَا تَكَبَّرَ أَحَدٌ إِلَّا مِنْ ذِلَّةٍ يَجِدُهَا فِي نَفْسِهِ".

فَإِذَا تَسَلَّلَ أَصْبَحَ مُنَازِعًا، صَحَّ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ»، قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُوْنَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً!

قَالَ: «إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الجَمَالَ، الكِبْرُ: بَطَرُ الحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ»[أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ].

وَمَنْ لَمْ يَقْبَلِ الحَقَّ وَازْدَرَى النَّاسَ يَكُنْ مُتَكَبِّرًا، وَمَآلُهُ الخُسْرَانُ المُبِينُ، صَحَّ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: شَيْخٌ

زَانٍ، وَمَلِكٌ كَذَّابٌ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ»[أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ].

وجَاءَ عِنْدَ التِّرْمِذِيِّ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ أَمْثَالَ الذَّرِّ فِي صُوَرِ الرِّجَالِ، يَغْشَاهُمُ الذُّلُّ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ، يُسَاقُونَ إِلَى سِجْنٍ فِي جَهَنَّمَ، يُقَالُ لَهُ: بُولَسُ، تَعْلُوهُمْ نَارُ الأَنْيَارِ، يُسْقَوْنَ مِنْ عُصَارَةِ أَهْلِ النَّارِ: طِينَةِ الخَبَالِ»[حَدِيثٌ صَحِيحٌ] -أَعَاذَنَا اللهُ مِنْهَا-.

حُكِيَ: "أَنَّ مُطَرِّفَ بْنَ عَبْدِ اللهِ بْنِ الشِّخِّيرِ نَظَرَ إِلَى الْمُهَلَّبِ بْنِ أَبِي صُفْرَةَ وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ يَسْحَبُهَا، وَيَمْشِي الخُيَلَاءَ؛ فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ! مَا هَذِهِ المِشْيَةُ الَّتِي يُبْغِضُهَا اللهُ وَرَسُولُهُ؟

فَقَالَ الْمُهَلَّبُ: أَمَا تَعْرِفُنِي؟

فَقَالَ: بَلْ أَعْرِفُكَ، أَوَّلُكَ نُطْفَةٌ مَذِرَةٌ، وَآخِرُكَ جِيفَةٌ قَذِرَةٌ، وَحَشْوُكَ فِيمَا بَيْنَ ذَلِكَ بَوْلٌ وَعَذِرَةٌ".

لَوْ فَكَّرَ النَّاسُ فِيمَا فِي بُطُوْنِهِمُ ... مَا اسْتَشْعَرَ الكِبْرَ شُبَّانٌ وَلَا شِيَبُ

أَقُولُ قَولِي هَذَا، وَأَستَغْفِرُ اللهَ لِي وَلَكُمْ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرُوهُ؛ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ:

الحَمْدُ للهِ حَمْدًا طَيِّبًا كَثِيرًا مُبَارَكًا فِيهِ كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنِ اهْتَدَى بِهُدَاهُمْ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

عِبَادَ اللهِ..

الْكِبْرُ: مَرَضٌ عُضَالٌ، وَهُوَ مَذْهَبُ إِبْلِيسَ، وَقَدْ ابتُلِيَ بِهِ فِي هَذَا الزَّمنِ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ؛ فَهُمْ يَعْتَقِدُوْنَ أَنَّهُمْ مِنْ أَفْضَلِ الخَلْقِ! سَوَاءٌ فِي المَعِيشَةِ أَوْ العَشِيرَةِ أَوْ الذَّهَبِ أَوْ المَالِ؛ حَتَّى إِنَّ مِنْهُمْ مَنْ يَعْتَقِدُ أَنَّهُ لَنْ يَدْخُلَ الجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ مِنْهُمْ!

وَمَنِ اعْتَرَاهُ هَذَا؛ فَقَدْ اعْتَرَاهُ الكِبْرُ..

فَلْيَنْظُرْ فِي بَاطِنِهِ نَظَرَ العُقَلَاءِ، وَلَا يَنْظُرْ إِلَى ظَاهِرِهِ نَظَرَ البَهَائِمِ!

وَلْيَتَذَكَّرْ أَصْلَ وُجُوْدِهِ، وَمِنْ أَيْنَ خَرَجَ؟ وَنِهَايَتُهُ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا.. جِيفَةٌ مُنْتِنَةٌ!

وَعَلَيْهِ بِالتَّوَاضُعِ وَمُجَالَسَةِ العُلَمَاءِ وَضِعَافِ النَّاسِ، وَعِيَادَةِ المَرْضَى، وَمُشَاهَدَةِ المُحْتَضِرِينَ وَأَهْلَ البَلَاءِ، وَالنَّظَرِ فِي سِيَرَ المُتَكَبِّرِينَ وَأَخْبَارِهُمْ؛ كَيْفَ كَانُوْا؟ وَإِلَى أَيِّ شَيْءٍ صَارُوْا؟

كَأَنَّكَ لَمْ تَسْمَعْ بِأَخْبَارِ مَنْ مَضَى ... وَلَمْ تَرَ فِي البَاقِينَ مَا يَصْنَعُ الدَّهْرُ

فَإِنْ كُنْتَ لَا تَدْرِي فَتِلْكَ دِيَارُهُمْ ... مَحَاهَا مَجَالُ الرِّيحِ بَعْدَكَ وَالقَبْرُ

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ المُتَكَبِّرِ: أَنْ تَرْحَمَ ضَعْفَنَا، وَتَسْتُرَ عَيْبَنَا، وَتَغْفِرَ ذَنْبَنَا.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ الجَنَّةَ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ، ونَعُوْذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ الهُدَى وَالسَّدَادَ، وَنَسْأَلُكَ التُّقَى وَالعِفَّةَ وَالغِنَى.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنَ الخَيْرِ كُلِّهِ؛ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ؛ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَأَنْ تَجْعَلَ كُلَّ قَضَاءٍ قَضَيْتَهُ لَنَا خَيْرًا.

اللَّهُمَّ! أَصْلِحْ لَنَا دِيْنَنَا الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا دُنْيَانَا الَّتِي فِيهَا مَعَاشُنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا آخِرَتَنَا الَّتِي فِيهَا مَعَادُنَا، وَاجْعَلِ الحَيَاةَ زِيَادَةً لَنَا فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَالمَوْتَ رَاحَةً لَنَا مِنْ كُلِّ شَرٍّ.

اللَّهُمَّ! أَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا، وَأَلِّفْ بَيْنَ قُلُوْبِنَا، وَاهْدِنَا سُبَلَ السَّلَامِ، وَأَخْرِجْنَا مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوْرِ.

اللَّهُمَّ! بَارِكْ لَنَا فِي أَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوَّاتِنَا وَأَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّتِنَا وَأَمْوَالِنَا، وَاجْعَلْنَا مُبَارَكِيْنَ أَيْنَمَا كُنَّا.

وَآخِرُ دَعْوَانَا: أَنِ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ.

الكَبِيرُ ﷻ

إِنَّ الحَمْدَ لله؛ نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِالله مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَـهَ إِلَّا اللهُ؛ وَحْـدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ.

أَمَّا بَعْدُ:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[آلِ عِمْرَانَ: ١٠٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾[النِّسَاءَ: ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾[الأَحْزَابِ: ٧٠- ٧١].

اللهُ أَكْبَرُ تَرْجُفُ لَهَا القُلُوْبُ، وَتُغْفَرُ بِهَا الذُّنُوْبُ، وَتَصْغُرُ لَهَا الشُّعُوْبُ.

وَاللهُ أَكْبَرُ تُكْسَرُ بِهَا آمَالُ الأَكَاسِرَةِ، وَتُقْصَرُ بِهَا أَعْمَارُ القَيَاصِرَةِ، وَتُرْغَمُ بِهَا أُنُوْفُ الجَبَابِرَةِ.

وَاللهُ أَكْبَرُ إِذَا أَظْلَمَ الأُفُقُ، وَضَاقَتِ الطُّرُقُ، وَانْشَقَّ بِالمَصَائِبِ الأُفُقُ.

وَاللهُ أَكْبَرُ إِذَا جَاعَتِ البُطُوْنُ، وَأَخْطَأَتِ الظُّنُوْنُ، وَحَلَّتِ المَنُوْنُ.

وَاللهُ أَكْبَرُ الوَاحِدُ القَهَّارُ، المَلِكُ الجَبَّارُ، مُكَوِّرُ اللَّيْلِ عَلَى النَّهَارِ.

وَاللهُ أَكْبَرُ لَهُ الكِبْرِيَاءُ وَالثَّنَاءُ، وإِلَيْهِ الرَّجَاءُ، وَمِنْهُ النَّعْمَاءُ.

مَدَحَ اللهُ نَفْسَهُ بِأَنَّهُ الكَبِيرُ؛ فَقَالَ ﷻ: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴿٩﴾﴾

[الرَّعْدِ:٩].

وَمِنْ أَسْمَاءِ الله ﷻ: (الكَبِير):

فَرَبُّنَا الكَبِيرُ ﷻ؛ الَّذِي كَبُرَ وَعَلَا فِي ذَاتِهِ، فَلَا أَكْبَرَ وَلَا أَعْظَمَ مِنْهُ ﷻ عَلَى الإِطْلَاقِ، ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ﴾[الزُّمَرِ:٦٧].

وَرَبُّنَا ﷻ هُوَ الكَبِيرُ فِي أَوْصَافِهِ؛ فَكُلُّهَا كَمَالٌ وَعَظَمَةٌ وَجَلَالٌ، لَا سَمِيَّ لَهُ فِيهَا، وَلَا مَثِيلَ وَلَا شَبِيهَ وَلَا نَظِيرَ.

وَرَبُّنَا ﷻ هُوَ الكَبِيرُ فِي أَفْعَالِهِ، فَعَظَمَةُ خَلْقِهِ تَشْهَدُ بِجَلَالِ أَفْعَالِهِ، ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾﴾[غَافِرٍ:٥٧].

رَبُّنَا ﷻ الكَبِيرُ العَظِيمُ ذُو الكِبْرِيَاءِ، الَّذِي صَغُرَ دُونَ جَلَالِهِ وَعَظَمَتِهِ كُلُّ كَبِيرٍ.

وَرَبُّنَا ﷻ كَبُرَ وَتَعَالَى عَنْ كُلِّ النَّقَائِصِ وَالمَسَاوِئِ وَالعُيُوبِ.

وَرَبُّنَا ﷻ هُوَ الَّذِي تَكَبَّرَ عَنْ كُلِّ سُوْءٍ وَشَرٍّ وَظُلْمٍ؛ ﴿ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴿٩﴾﴾[الرَّعْدِ: ٩]، ﴿فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِيِّ ٱلْكَبِيرِ ﴿١٢﴾﴾[غَافِرٍ:١٢].

وَاللهُ ﷻ: أَكْبَرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَأَكْبَرُ مِنْ أَنْ نُحِيطَ بِهِ عِلْمًا؛ ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾﴾ [طَه:١١٠].

فَاللهُ ﷻ: أَكْبَرُ مِنْ أَنْ نَعْرِفَ كَيْفِيَةَ ذَاتِهِ أَوْ صِفَاتِهِ؛ وَلِذَلِكَ نُهِينَا عَنِ التَّفَكُّرِ فِي الله؛ لِأَنَّنَا لَنْ نُدْرِكَ ذَلِكَ بِعُقُوْلِنَا الصَّغِيرَةِ القَاصِرَةِ المَحْدُوْدَةِ، جَاءَ عِنْدَ الطَّبَرَانِيِّ فِي «الأَوْسَطِ»: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «تَفَكَّرُوْا فِي آلَاءِ الله، وَلَا تَفَكَّرُوْا فِي الله ﷻ»[حَدِيثٌ صَحِيحٌ].

وَجَلَالُ كِبرِيَائِهِ ﷻ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا هُوَ؛ لَا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ؛ فَاخْتَصَّ اللهُ ﷻ بِهِ.

فَاللهُ ﷻ أَكْبَرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ؛ ذَاتًا وَقَدْرًا وَمَعْنًى وَعِزَّةً وَجَلَالَةً؛ وَلِهَذَا يُقَالُ: إِنَّ أَبْلَغَ لَفْظَةٍ لِلْعَرَبِ فِي مَعْنَى التَّعْظِيمِ وَالإِجْلَالِ هِيَ: (اللهُ أَكْبَرُ).

وَلِذَا؛ شُرِعَتْ هَذِهِ الكَلِمَةُ لِلدُّخُوْلِ فِي الصَّلَاةِ، فَإِنَّ المُسْلِمَ يَدْخُلُ دُخُوْلَ العَبِيدِ عَلَى المُلُوْكِ فِيهَا، فَإِذَا تَشَرَّفَ بِالدُّخُوْلِ شُرِعَ لَهُ أَبْلَغُ لَفْظٍ وَهُوَ: (اللهُ أَكْبَرُ)، وَحَالُهُ يَقُوْلُ: "اللهُ أَكْبَرُ؛ أَدْخُلُ بِهَا عَلَى مَوْلَايَ وَخَالِقِي وَرَازِقِي، وَاللهُ أَكْبَرُ مِنْ شَوَاغِلِ الحَيَاةِ"، فَإِذَا قَالَهَا مُخْلِصًا مُتَفَكِّرًا بِهَا؛ عَظُمَ اللهُ فِي قَلْبِهِ، وَخَشَعَتْ أَطْرَافُهُ، وَاسْتَحْيَا مِنَ اللهِ، وَمَنَعَهُ وَقَارُهُ وَكِبرِيَاؤُهُ أَنْ يَنْشَغِلَ قَلْبُهُ بِغَيرِهِ.

وَلِعِظَمِ هَذِهِ الكَلِمَةِ صَاحَبَتِ المُسْلِمَ فِي عِبَادَاتٍ عَدِيدَةٍ: عِنْدَ إِكْمَالِ الصِّيَامِ، وَالانْتِقَالِ فِي أَرْكَانِ الصَّلَاةِ، وَالأَذَانِ وَالإِقَامَةِ، وَالطَّوَافِ وَالسَّعْيِ، وَرَكْوْبِ الدَّابَّةِ، وَعِنْدَ رَمْيِ الجَمَرَاتِ، وَفِي عَشْرِ ذِيْ الحِجَّةِ، وَعَقْبِ الصَّلَوَاتِ، وَعِنْدَ النَّوْمِ، وَعِنْدَ رُؤْيَةِ الهِلَالِ، وَعِنْدَ الجِهَادِ، وَعِنْدَ رُؤْيَةِ آيَاتِ اللهِ، وَعِنْدَ التَّعَجُّبِ.

فَاللهُ أَكْبَرُ عَدَدَ قَطْرِ البِحَارِ، وَوَرَقِ الأَشْجَارِ، وَرَذَاذَ الأَمْطَارِ، وَذَرَّاتِ الغُبَارِ.

وَاللهُ أَكْبَرُ كُلَّمَا تَلَأْلَأَ الضِّيَاءُ، وَشَعَّ السَّنَاءُ، وَتَدَفَّقَ المَاءُ، وَسَرَى الهَوَاءُ.

اللهُ أَكْبَرُ تُفْتَحُ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ؛ يَقُوْلُ ابْنُ عُمَرَ ﷺ: بَيْنَمَا نَحْنُ نُصَلِّي مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِذْ قَالَ رَجُلٌ مِنَ القَوْمِ: اللهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا، وَالحَمْدُ للهِ كَثِيرًا، وَسُبْحَانَ اللهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا، فَقَالَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ: «مَنِ القَائِلُ كَلِمَةَ كَذَا وَكَذَا؟»، قَالَ رَجُلٌ مِنَ القَوْمِ: أَنَا، يَا رَسُولَ اللهِ!

قَالَ: «عَجِبْتُ لَهَا! فُتِحَتْ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ»، قَالَ ابْنُ عُمَرَ: فَمَا تَرَكْتُهُنَّ مُنْذُ سَمِعْتُ رَسُوْلَ اللهِ ﷺ يَقُولُ ذَلِكَ.[أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ].

وَهِيَ مِنَ البَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ؛ كَمَا فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»: أَنَّ أَعْرَابِيًّا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ؛ فَقَالَ: يَا رَسُوْلَ اللهِ! عَلِمْنِي كَلَامًا أَقُوْلُهُ؟ فَقَالَ ﷺ: «قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، اللهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا، وَالحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا، سُبْحَانَ اللهِ رَبِّ العَالَمِينَ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ العَزِيزِ الحَكِيمِ».

(اللهُ أَكْبَرُ) إِذَا خَالَطَتِ القَلْبَ؛ اعْتَزَّ بِهَا المُؤْمِنُ، وَوَثِقَ بِاللهِ، وَاعْتَمَدَ عَلَيْهِ، وَتَوَكَّلَ عَلَيْهِ، وَصَغُرَ كُلُّ شَيْءٍ عِنْدَ كِبرِيَاءِ اللهِ وَعَظَمَتِهِ.

ذَكَرَ أَهْلُ السِّيَرِ: "أَنَّ الحَجَّاجَ بَعْدَ أَنْ أَدَّى الرَّكْعَتَينِ خَلْفَ المَقَامِ؛ جَاءَ رَجُلٌ فَقِيرٌ مِنْ أَهْلِ اليَمَنِ، وَقَامَ يَطُوْفُ بِالْبَيتِ، وَأَثْنَاءَ طَوَافِهِ نَشَبَتْ حَرْبَةٌ بِثَوْبِ الفَقِيرِ اليَمَنِيِّ، ثُمَّ وَقَعَتْ عَلَى بَدَنِ الحَجَّاجِ؛ فَفَزِعَ الحَجَّاجُ، وَقَالَ: خُذُوْهُ! فَأَخَذَهُ الجُنُوْدُ، فَقَالَ: قَرِّبُوْهُ مِنِّي؛ فَقَرَّبُوْهُ مِنْهُ.

فَقَالَ الحَجَّاجُ: أَعَرَفْتَنِي؟ قَالَ: مَا عَرَفْتُكَ!

قَالَ الحَجَّاجُ: مَنْ وَالِيكُمْ عَلَى اليَمَنِ؟ قَالَ: مُحَمَّدُ بْنُ يُوْسُفَ -أَخُوْ الحَجَّاجِ-، ظَالِمٌ مِثْلُهُ، أَوْ أَسْوَأُ مِنْهُ، قَالَ: أَمَّا عَلِمْتَ أَنِّي أَنَا أَخُوْهُ؟

قَالَ: أَنْتَ الحَجَّاجُ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَقَالَ الفَقِيرُ: بِئْسَ أَنْتَ! وَبِئْسَ أَخُوْكَ!

قَالَ: كَيْفَ تَرَكْتَ أَخِي فِي اليَمَنِ؟ قَالَ: تَرَكْتُهُ بَطِينًا سَمِينًا.

قَالَ: مَا سَأَلْتُكَ عَنْ صِحْتِهِ، إِنَّمَا سَأَلْتُكَ عَنْ عَدْلِهِ، قَالَ: تَرَكْتُهُ غَاشِمًا ظَالِمًا.

قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ أَخِي؟ أَمَّا تَخَافُ مِنِّي؟ قَالَ: أَتَظُنُّ يَا حَجَّاجُ أَنَّ أَخَاكَ يَعْتَزُّ بِكَ أَكْثَرَ مِنْ عِزَّتِي بِالْوَاحِدِ الأَحَدِ؟!".

قَالَ طَاوُوْسٌ -الرَّاوِي-: "وَاللهِ! لَقَدْ قَامَ شَعْرُ رَأْسِي! ثُمَّ أَطْلَقَ الحَجَّاجُ الرَّجُلَ؛ فَجَعَلَ يَطُوْفُ بِالْبَيتِ لَا يَخَافُ إِلَّا اللهَ".

أَكْفَانَهُمْ بِدِمَاءِ البَذْلِ قَدْ صُبِغَتْ
اللهُ أَكْبَرُ مِنْ سَلْسَالِهَا رَشَفُوْا
فِي كَفِّكَ الشَّهْمِ مِنْ حَبْلِ الهُدَى طَرَفٌ
عَلَى الصِّرَاطِ وَفِي أَرْوَاحِنَا طَرَفُ

أَقُولُ قَولِي هَذَا، وَأَستَغْفِرُ اللهَ لِي وَلَكُمْ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرُوهُ؛ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ:

الحَمْدُ للهِ حَمْدًا طَيِّبًا كَثِيرًا مُبَارَكًا فِيهِ كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنِ اهْتَدَى بِهُدَاهُمْ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

يَا عَبْدَ الله..

مَا هُوَ الأَمْرُ الكَبِيرُ وَالكَرْبُ الشَّدِيدُ وَالهَمُّ العَظِيمُ الَّذِي سَيَسْتَعْصِي عَلَى الله الكَبِيرِ؟

إِذًا؛ الكَبِيرُ هُوَ اللهُ ﷻ، وَكُلُّ كَبِيرٍ رَأَيْتَهُ أَوْ سَمِعْتَ بِهِ أَوْ عَلِمْتَهُ؛ فَاللهُ رَبُّهُ، وَهُوَ أَكْبَرُ مِنْهُ، فَكَيْفَ يُمْكِنُ لِكُرُوبٍ أَنْ تَصْمُدَ أَمَامَ إِرَادَةِ رَبِّ العِزَّةِ وَالكِبْرِيَاءِ وَالعَظَمَةِ؟

يَكْبُرُ المَرَضُ فِي عَيْنِ المَرِيضِ؛ فَإِذَا قُلْتَ: (اللهُ أَكْبَرُ) مِنْ قَلْبٍ صَادِقٍ؛ فَأَنْتَ تَعْنِي بِقَوْلِكَ: أَنَّ اللهَ قَادِرٌ عَلَى شِفَائِيَ التَّامَّ.

وَيَكْبُرُ عَدُوُّكَ؛ فَإِذَا قُلْتَ: (اللهُ أَكْبَرُ)؛ صَغُرَ هَذَا العَدُوِّ.

وَيَكْبُرُ الدَّيْنُ؛ فَإِذَا تَعَلَّقَ قَلْبُكَ بِالله الكَبِيرِ؛ قُضِيَ الدَّيْنُ، وَزَالَ الهَمُّ.

فَاللهُ الكَبِيرُ ﷻ، وَهُوَ الَّذِي سَيُحَوِّلُ مُشْكِلَاتِكَ إِلَى حُلُولٍ، وَكُلَّ آلَامِكَ إِلَى عَافِيَةٍ، وَكُلَّ أَحْلَامِكَ إِلَى وَاقِعٍ، وَكُلَّ دُمُوعِكَ إِلَى ابْتِسَامَاتٍ.

أَعْظَمُ المُلُوكِ وَرَبُّ الأَرْبَابِ، الكَبِيرُ المُتَعَالِي ﷻ.. يَأْمُرُكَ أَنْ تَتَّجِهَ إِلَيْهِ، وَتَلْجَأَ إِلَى حِمَاهُ، وَتَضَعَ حَاجَاتِكَ فِي فِنَائِهِ؛ لِيَقْضِيَهَا لَكَ، وَلِيُزِيلَ هَمَّكَ وَغَمَّكَ، وَيُدَبِّرَكَ أَحْسَنَ التَّدْبِيرِ؛ فَإِنَّهُ الرُّكْنُ الشَّدِيدُ، صَحَّ عَنْ نَبِيِّنَا ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «يَرْحَمُ اللهُ لُوطًا! لَقَدْ كَانَ يَأْوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ» [أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ].

فَالْزَمْ يَدَيْكَ بِحَبْلِ اللهِ مُعْتَصِمًا ... فَإِنَّهُ الرُّكْنُ إِنْ خَانَتْكَ أَرْكَانُ

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ، قَالَ: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ؛ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! عَلِّمْنِي

خَيْرًا؟ فَأَخَذَ النَّبِيُّ ﷺ بِيَدِهِ وَقَالَ: «قُلْ: سُبْحَانَ الله، وَالحَمْدُ لله، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ».

فَعَقَدَ الأَعْرَابِيُّ عَلَى يَدِهِ، ثُمَّ مَضَى، وَتَفَكَّرَ ثُمَّ رَجَعَ، فَتَبَسَّمَ النَّبِيُّ ﷺ؛ قَالَ: «تَفَكَّرَ البَائِسُ!»، فَجَاءَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله! سُبْحَانَ الله، وَالحَمْدُ لله، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ؛ هَذَا لِلَّهِ، فَمَا لِي؟

فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «يَا أَعْرَابِيُّ! إِذَا قُلْتَ: سُبْحَانَ الله، قَالَ اللهُ: صَدَقْتَ، وَإِذَا قُلْتَ: الحَمْدُ لِلَّهِ، قَالَ اللهُ: صَدَقْتَ، وَإِذَا قُلْتَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، قَالَ اللهُ: صَدَقْتَ، وَإِذَا قُلْتَ: اللهُ أَكْبَرُ، قَالَ اللهُ: صَدَقْتَ، وَإِذَا قُلْتَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي؛ قَالَ اللهُ: قَدْ فَعَلْتُ، وَإِذَا قُلْتَ: اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي، قَالَ اللهُ: قَدْ فَعَلْتُ، وَإِذَا قُلْتَ: اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي، قَالَ اللهُ: قَدْ فَعَلْتُ».

فَعَقَدَ الأَعْرَابِيُّ عَلَى سَبْعٍ فِي يَدِهِ، ثُمَّ وَلَّى. [حَدِيثٌ حَسَنٌ. رَوَاهُ البَيْهَقِيُّ فِي «شُعَبِ الإِيمَانِ»].

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الكَبِيرِ: أَنْ تَمُنَّ عَلَيْنَا بِدُخُولِ الجَنَّةِ وَالنَّجَاةِ مِنَ النَّارِ.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ الجَنَّةَ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ، ونَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ الهُدَى وَالسَّدَادَ، وَنَسْأَلُكَ التُّقَى وَالعِفَّةَ وَالغِنَى.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنَ الخَيْرِ كُلِّهِ؛ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ؛ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَأَنْ تَجْعَلَ كُلَّ قَضَاءٍ قَضَيْتَهُ لَنَا خَيْرًا.

اللَّهُمَّ! أَصْلِحْ لَنَا دِينَنَا الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا دُنْيَانَا الَّتِي فِيهَا مَعَاشُنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا آخِرَتَنَا الَّتِي فِيهَا مَعَادُنَا، وَاجْعَلِ الحَيَاةَ زِيَادَةً لَنَا فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَالمَوْتَ رَاحَةً لَنَا مِنْ كُلِّ شَرٍّ.

اللَّهُمَّ! أَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا، وَأَلِّفْ بَيْنَ قُلُوبِنَا، وَاهْدِنَا سُبُلَ السَّلَامِ، وَأَخْرِجْنَا مِنَ الظُّلُمَاتِ

إِلَى النُّوْرِ.

اللَّهُمَّ! بَارِكْ لَنَا فِي أَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوَّاتِنَا وَأَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّتِنَا وَأَمْوَالِنَا، وَاجْعَلْنَا مُبَارَكِيْنَ أَيْنَمَا كُنَّا.

وَآخِرُ دَعْوَانَا: أَنِ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ.

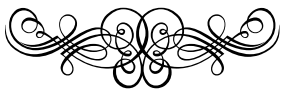

الخَالِقُ الخَلَّاقُ ﷻ

إِنَّ الحَمْدَ لله؛ نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِالله مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَـهَ إِلَّا اللهُ؛ وَحْـدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ.

أَمَّا بَعْدُ:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾[آلِ عِمْرَانَ: ١٠٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾[النِّسَاءَ: ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾[الأَحْزَابِ: ٧٠- ٧١].

تِلْكَ الطَّبِيعَةُ قِفْ بِنَا يَا سَارِي ... حَتَّى أُرِيكَ بَدِيعَ صُنْعِ البَارِي

الأَرْضُ حَوْلَكَ وَالسَّمَاءُ اهْتَزَّتَا ... لِرَوَائِعِ الآيَاتِ وَالآثَارِ

سُبْحَانَ مَنْ خَلَقَ الوُجُوْدَ مُصَوِّرًا ... تِلْكَ الدُّمَى وَمُقَدِّرِ الأَقْدَارِ

مَنِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ والأَرْضَ؟ مَنِ الَّذِي خَلَقَ الحَبَّ وَالنَّوَى؟ مَنِ الَّذِي فَلَقَ الإِصْبَاحَ، وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا، وَالشَّمْسَ وَالقَمَرَ حُسْبَانًا؟ مَنِ الَّذِي بَدَأَ خَلْقَ الإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ؟ مَنِ الَّذِي أَنْشَأَ الخَلِيقَةَ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ؟ مَنِ الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى؟

إِنَّه اللهُ خَالِقُ الخَلْقِ أَجْمَعِينَ ﷻ، ﴿هَٰذَا خَلۡقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾ [لُقْمَانَ: ١١].

سُبْحَانَ مَنْ بَهَرَتْ عَظَمَتُهُ عُقُوْلَ العَارِفِينَ!

سُبْحَانَ مَنْ ظَهَرَتْ بَدَائِعُهُ لِنَوَاظِرِ المُتَأَمِّلِينَ!

سُبْحَانَ مَنْ بَهَرَتْ أَنْوَارُهُ بَصَائِرَ السَّالِكِينَ!

﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾﴾[المُؤْمِنُونَ:١٤].

وَاللهُ ﷻ الخَالِقُ، وَمِنْ أَسْمَائِهِ: (الخَالِقِ وَالخَلَّاقِ ﷺ).

فَرَبُّنَا المُبْدِعُ لِلْخَلْقِ وَالمُخْتَرِعُ لَهُ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ سَابِقٍ، وَهُوَ الَّذِي يَخْلُقُ خَلْقًا بَعْدَ خَلْقٍ، وَمُقَدِّرُ الأَشْيَاءَ عَلَى مُقْتَضَى حِكْمَتِهِ وَمُقْتَضَى مَشِيئَتِهِ.

كُلُّ مَا فِي الكَوْنِ خَلْقُهُ، وَهُوَ نَاطِقٌ مُعْتَرِفٌ بِأُلُوْهِيَّتِهِ وَرُبُوْبِيَّتِهِ، وَكُلُّ مَا تَرَاهُ حَوْلَكَ -وَمَا لَا تَرَاهُ- فَهُوَ دَلِيلٌ عَلَى اللهِ؛ فَهُوَ الَّذِي خَلَقَ جَمِيعَ المَوْجُوْدَاتِ وَبَرَأَهَا وَسَوَّاهَا بِحِكْمَتِهِ، وَصَوَّرَهَا بِحِكْمَتِهِ، وَهُوَ لَمْ يَزَلْ وَلَا يَزَالُ عَلَى هَذَا الوَصْفِ العَظِيمِ.

جَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا، وَالقَمَرَ نُوْرًا، وَالنُّجُوْمَ هِدَايَةً، وَاللَّيْلَ لِبَاسًا، وَالنَّهَارَ مَعَاشًا، والسَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوْظًا، وَالأَرْضَ قَرَارًا، وَالجِبَالَ أَوْتَادًا، وَالمَالَ حَيَاةً، وَأَنْشَأَ الخَلِيقَةَ أَفْرَادًا وَأَفْوَاجًا، ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾﴾[المُؤْمِنُونَ:١٤].

أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً، وَأَخْرَجَ مِنَ الأَرْضِ نَبَاتًا، وَجَعَلَ حَبًّا مُتَرَاكِبًا، وَأَنْشَأَ زَيْتُوْنًا وَنَخْلًا وَحَدَائِقَ غُلْبًا، وَفَاكِهَةً وَأَبًّا، وَعِنَبًا وَقَضْبًا، ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾﴾[السَّجْدَةِ:٧].

كَسَا العِظَامَ لَحْمًا، وَاللَّحْمَ جُلُوْدًا، وَأَلْبَسَ البَهَائِمَ صُوْفًا وَوَبَرًا، وَنَفَخَ الرُّوْحَ فِي الجَنِينِ وَهُوَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ، ثُمَّ أَخْرَجَهُ وَرَزَقَهُ وَحَفِظَهُ وَعَلَّمَهُ، وَخَلَقَ الإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ، وجَعَلَ لَهُ عَيْنَيْنِ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ، وَهَدَاهُ النَّجْدَيْنِ، ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾﴾[الانْفِطَارِ:٧-٨]، ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾[القَصَصِ:٦٨].

وَكَذِلِكَ يَشْهَدُ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ الخَلَّاقُ بَاعِثُ هَذِهِ الأَبْدَانِ

رَبُّنَا ﷻ خَلَقَ الخَلْقَ لِيَعْرِفُوْهُ وَيَعْبُدُوْهُ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذَّارِيَاتِ:٥٦].

وَجَمِيعُ هَذِهِ المَخْلُوْقَاتِ لَمْ تُخْلَقْ لَهْوًا أَوْ عَبَثًا أَوْ لَعِبًا -تَنَزَّهَ اللهُ وَتَقَدَّسَ عَنْ ذَلِكَ!-، قَالَ ﷻ: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿١٦﴾ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٧﴾ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾[الأَنْبِيَاءِ:١٦-١٨].

فَالمَوْجُوْدَاتُ بِأَسْرِهَا شَوَاهِدُ صِفَاتِ الرَّبِّ وَنُعُوْتِهِ ﷻ، فَهِيَ كُلُّهَا تُشِيرُ إِلَى الأَسْمَاءِ الحُسْنَى وَحَقَائِقِهَا، وَتُنَادِيهَا، وَتَدُلُّ عَلَيْهَا.

تَأَمَّلْ سُطُوْرَ الكَائِنَاتِ فَإِنَّهَا مِنَ المَلِكِ الأَعْلَى إِلَيْكَ رَسَائِلُ
وَقَدْ خُطَّ فِيهَا لَوْ تَأَمَّلْتَ خَطَّهَا أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللهَ بَاطِلُ
تُشِيرُ بِإِثْبَاتِ الصِّفَاتِ لِرَبِّهَا فَصَامِتُهَا يَهْدِي وَمَنْ هُوَ قَائِلُ

أَقُولُ قَولِي هَذَا، وَأَستَغْفِرُ اللهَ لِي وَلَكُمْ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرُوهُ؛ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ:

الحَمْدُ للهِ حَمْدًا طَيِّبًا كَثِيرًا مُبَارَكًا فِيهِ كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنِ اهْتَدَى بِهُدَاهُمْ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَيُّهَا المُؤْمِنُ..

إِنَّكَ تَعْجَبُ مِنْ بَعْضِ ذَوِيْ الفِطَرِ المَنْكُوْسَةِ، وَالأَنْفُسِ المَرِيضَةِ! يُجَادِلُوْنَ فِي اللهِ مَعَ أَنَّهُ مَغْرُوْسٌ فِي ضَمَائِرِهِمْ: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ﴾[النَّمْلِ:١٤]، ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ

خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [لُقْمَانَ:٢٥]، ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾﴾[المُؤْمِنُونَ:٨٤-٨٩].

وَهُنَا يَعْجَبُ العَاقِلُ أَشَدَّ العَجَبِ مِنْ عُقُوْلِ المُشْرِكِينَ؛ كَيْفَ عَدَلُوْا مَنْ لَا يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ وَلَا لِغَيْرِهِ مِثقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الأَرْضِ؛ بِالَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّوْرَ؟! ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾﴾[الأَنْعَام:١].

قِيلَ لِأَحَدِ الحُكَمَاءِ: بِمَ عَرَفْتَ اللهَ؟ قَالَ: بِخُطُوْطِ أَقْلَامِ القُدْرَةِ عَلَى أَوْرَاقِ الكَائِنَاتِ؛ ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ﴾[السَّجْدَة:٧]، ﴿مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾[الدُّخَانِ:٣٩].

وَأَوْجَزُ رَدٍّ وَأَعْظَمُهُ: رَدُّ مُوْسَى عَلَى فِرْعَوْنَ؛ عِنْدَمَا قَالَ: ﴿رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾﴾[طه:٥٠]، رَدَّ بِهَذَا مُوْسَى ﷺ عَلَى عَدُوِّ اللهِ لَـمَّا سَأَلَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ مَا تَعْرِيفُـهُ؟ مَـا تَرْجَمَتُهُ؟ مَا آثَارُه؟ مَا الدَّلَائِلُ القَائِمَةُ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ؟ مَا البَرَاهِينُ السَّاطِعَةُ عَلَى أُلُوْهِيَّتِهِ؟

وَفِي كُلِّ شَيْءٍ آيَةٌ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ وَاحِدُ

﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾[فُصِّلَتْ:٥٣].

تَأَمَّلْ فِي نَبَاتِ الأَرْضِ وَانْظُرْ إِلَى آثَارِ مَا خَلَقَ المَلِيكُ
عُيُوْنٌ مِنْ لُجَيْنٍ شَاخِصَاتٌ بِأَحْدَاقٍ هِيَ الذَّهَبُ السَّبِيكُ
عَلَى كَتَبِ الزَّبَرْجَدِ شَاهِدَاتٌ بِأَنَّ اللهَ لَيْسَ لَهُ شَرِيكُ

﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ ١٤﴾[المُؤْمِنُونَ:١٤].

هُنَا يَعْلَمُ المُسْلِمُ أَنَّهُ عَزِيزٌ بِالخَالِقِ؛ فَتَطْمَئِنُّ نَفْسُهُ، وَيَعْلَمُ أَنَّ الَّذِي خَلَقَهُ لَنْ يُهْمِلَهُ، وَأَنَّ اللهَ حَافِظُهُ، وَأَنَّهُ عَلَى خَيْرٍ فِي ضَرَّائِهِ وَسَرَّائِهِ، وَفِي غِنَاهُ وَفَقْرِهِ، وَفِي شِدَّتِهِ وَرخَائِهِ، ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٢﴾[يُونُس:٦٢].

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الخَالِقِ: أَنْ تَجْعَلَنَا مِنْ أَوْلِيَائِكَ.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ الجَنَّةَ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ، ونَعُوْذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ الهُدَى وَالسَّدَادَ، وَنَسْأَلُكَ التُّقَى وَالعِفَّةَ وَالغِنَى.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنَ الخَيْرِ كُلِّهِ؛ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ؛ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَأَنْ تَجْعَلَ كُلَّ قَضَاءٍ قَضَيْتَهُ لَنَا خَيْرًا.

اللَّهُمَّ! أَصْلِحْ لَنَا دِيْنَنَا الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا دُنْيَانَا الَّتِي فِيهَا مَعَاشُنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا آخِرَتَنَا الَّتِي فِيهَا مَعَادُنَا، وَاجْعَلِ الحَيَاةَ زِيَادَةً لَنَا فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَالمَوْتَ رَاحَةً لَنَا مِنْ كُلِّ شَرٍّ.

اللَّهُمَّ! أَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا، وَأَلِّفْ بَيْنَ قُلُوْبِنَا، وَاهْدِنَا سُبَلَ السَّلَامِ، وَأَخْرِجْنَا مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوْرِ.

اللَّهُمَّ! بَارِكْ لَنَا فِي أَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوَّاتِنَا وَأَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّتِنَا وَأَمْوَالِنَا، وَاجْعَلْنَا مُبَارَكِيْنَ أَيْنَمَا كُنَّا.

وَآخِرُ دَعْوَانَا: أَنِ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ.

البَارِئُ ﷻ

إِنَّ الحَمْدَ لله؛ نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِالله مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَـهَ إِلَّا اللهُ؛ وَحْـدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[آلِ عِمْرَانَ: ١٠٢]،

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾[النِّسَاءَ: ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾[الأَحْزَابِ: ٧٠- ٧١].

أَمَّا بَعْدُ:

عِبَادَ الله..

لَيْسَ لِلْعَبْدِ وُصُوْلٌ إِلَى حَاجَتِهِ إِلَّا مِنْ بَابِ الله ﷻ؛ فَاللهُ هُوَ: ﴿ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾[الحَشْرِ: ٢٤].

وَلِذَا؛ امْتَدَحَ اللهُ ﷻ نَفْسَهُ بِنَفْسِهِ بِاسْمِهِ: (البَارِئِ ﷻ) بِقَوْلِهِ: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ﴾[الحَشْرِ: ٢٤].

وَنَتَكَلَّمُ فِي هَذِهِ الخُطْبَةِ عَنِ اسمِ الله: (البَّارِئِ ﷻ).

فَرَبُّنَا البَارِئُ: المُوْجِدُ وَالمُبْدِعُ مِنَ العَدَمِ إِلَى الوُجُودِ.

وَهُوَ الَّذِي فَضَّلَ بَعْضَ الخَلْقِ عَلَى بَعْضٍ، وَمَيَّزَ كَلَّ جِنْسٍ عَنِ الآخَرِ، وَصَوَّرَ كَلَّ مَخْلُوْقٍ

بِمَا يُنَاسِبُ الغَايَةَ مِنْ خَلْقِهِ؛ فَهُوَ يَخْلُقُ الشَّيْءَ مِنْ لَا شَيْءٍ، وَيَبْرَؤُهُ بِالخَاصِيَّةِ الَّتِي تُمَيِّزُهُ عَنْ بَقِيَّةِ الخَلْقِ.

وَهُوَ ﷻ خَلَقَ الخَلْقَ بَرِيئًا مِنَ التَّفَاوُتِ وَالتَّنَافُرِ؛ ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۝٣﴾[المُلْك:٣].

وَهُوَ البَارِئُ ؛ أَيْ: أَنَّهُ أَبْدَعَ ﷻ المَاءَ وَالتُّرَابَ، وَالنَّارَ وَالهَوَاءَ مِنْ لَا شَيْءٍ، ثُمَّ خَلَقَ مِنْهَا الأَجْسَامَ المُخْتَلِفَةِ، ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ۝٣٠﴾[الأَنْبِيَاء: ٣٠]، ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ۝٧١﴾[ص:٧١]، ﴿وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ۝١٥﴾ [الرَّحْمَن:١٥].

وَرَبُّنَا البَارِئُ المُنَزَّهُ عَنْ كُلِّ النَّقَائِصِ وَالعُيُوبِ فِي ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ.

وَاللهُ البَارِئُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ مِنْ لَا شَيْءٍ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ سَابِقٍ، لَكِنَّ الإِنْسَانَ خَلَقَ شَيْئًا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ عَلَى مِثَالٍ سَابِقٍ.

وَالبَارِئُ: خَلَقَ المَخْلُوْقَاتِ عَلَى نَحْوٍ يُحَقِّقُ سَلَامَةَ وُجُوْدِهَا، وَالغَايَةَ مِنْ خَلْقِهَا، قَالَ اللهُ: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾[النَّمْل:٨٨].

وَفِي اسْمِهِ البَارِي يُرَى كُلُّ خَلْقِهِ
وَأَلْطَافُهُ تَتَرَى دَوْمًا وَتَنْزِلُ
فَسُبْحَانَ مَنْ كُلُّ الوَرَى سَجَدُوْا لَهُ
إِذَا سَبَّحُوْا أَوْ كَبَّرُوْا أَوْ هَلَّلُوْا

﴿قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[يُونُس:١٠١]، هَلْ هُنَاكَ إِلَّا صُنْعُهُ وَبَدِيعُ خَلْقِهِ، وَعَجِيبُ قُدْرَتِهِ، وَآثَارُ حِكْمَتِهِ؟!

وَرَقَةُ التُّوْتِ تَأْكُلُهَا الدُّوْدَةُ فَتُخْرِجُ حَرِيرًا، وَالنَّحْلَةُ تُخْرِجُ عَسَلًا، وَالغَزَالُ يُخْرِجُ مِسْكًا؛

أَلَا يَدُلُّ ذَلِكَ عَلَى البَارِئِ ﷻ؟!

قَالَ عَالِمُ النَّفْسِ الشَّهِيرِ وِلْيَمْ جِيمْسْ: "إِنَّ نِصْفَ العَالَمِ قَدْ يُوْرِثُ شَكًّا، وَلَكِنَّ العَالَمَ الكَامِلَ لَا يُشَكُّ فِيهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ!".

وَكَانَ مُعَاذُ وَغَيْرُهُ مِنَ الصَّحَابَةِ يَقُوْلُ أَحَدُهُمْ لِأَخِيهِ: "اجْلِسْ بِنَا نُؤْمِنْ سَاعَةً"؛ فَيَتَذَكَّرُوْنَ نِعَمَ الله، وَأَيَّامَهُ، وَآيَاتِهِ، وَالعِبَرَ فِي خَلْقِهِ؛ فَيَزْدَادُوْنَ إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ.

جَاءَ فِي كِتَابِ «إِنَّهُ الحَقُّ»: أَنَّ البُرُوفِيسُورْ "كِيتْ إِلْ مُورْ" -أَحَدِ كِبَارِ العُلَمَاءِ فِي العَالَمِ فِي مَجَالِ "التَّشْرِيحِ وَعِلْمِ الأَجِنَّةِ"، وَصَاحِبِ كِتَابِ «أَطْوَارِ خَلْقِ الإِنْسَانِ»- عِنْدَمَا سَمِعَ آيَاتٍ مِنَ القُرْآنِ الكَرِيمِ تَتَحَدَّثُ عَنْ أَطْوَارِ خَلْقِ الإِنْسَانِ وَقَفَ مُنْدَهِشًا! ثُمَّ قَالَ: "يَتَّضِحُ لِي أَنَّ هَذِهِ الأَدِلَّةُ حَتْمًا جَاءَتْ لِمُحَمَّدٍ ﷺ مِنْ عِنْدِ الله؛ لِأَنَّ كُلَّ هَذِهِ المَعْلُوْمَاتِ لَمْ تُكْتَشَفْ إِلَّا حَدِيثًا وَبَعْدَ قُرُوْنٍ عِدَّةٍ، وَهَذَا يُثْبِتُ: أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُوْلُ الله".

﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾﴾[فُصِّلَتْ:٥٣].

إِنَّهُ اللهُ البَارِئُ الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى.

وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ وَاحِدُ

وَاللهُ ﷻ قَالَ لَهُمْ: ﴿هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾[لُقْمَانَ:١١]، وَحَاجَّهُمْ بِقَوْلِهِ: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾﴾[النَّحْلِ:١٧].

فَمَنْ أَحَقُّ بِالأُلُوْهِيَّةِ؟ أَلَيْسَ الَّذِي يَخْلُقُ أَوْلَى أَنْ يُعْبَدَ، وَأَنْ يُحْمَدَ، وَأَنْ يُوَحَّدَ؟!

اللَّهُمَّ! اجْعَلْنَا مِنَ المُوَحِّدِينَ، وَأَمِتْنَا مُسْلِمِينَ؛ يَا رَبَّ العَالَمِينَ!

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ لِي وَلَكُمْ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرُوهُ؛ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ:

الْحَمْدُ للهِ حَمْدًا طَيِّبًا كَثِيرًا مُبَارَكًا فِيهِ كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنِ اهْتَدَى بِهُدَاهُمْ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَكْثَرُ النَّاسِ تَعْلَمُ أَنَّهَا خَلْقُ اللهِ؛ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يُشْرِكُونَ؛ ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾[يُوسُفَ:١٠٦]، فَاقْتَسَمَ النَّاسُ إِلَى صِنْفَيْنِ:

الْمُؤْمِنُونَ: وَهُمْ خَيْرُ البَرِيَّةِ.

وَالْمُشْرِكُونَ: وَهُمْ شَرُّ البَرِيَّةِ.

وَالعَبْدُ يَنْظُرُ إِلَى فِعْلِهِ؛ فَإِنْ كَانَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللهَ؛ حَيْثُ خَلَقَهُ أَهْلًا لِلْخَيرِ، وَلَوْ تَرَكَ نَفْسَهُ لِهَوَاهَا وَلَمْ يَقْمَعْهَا بِتَقْوَى اللهِ؛ لَكَانَ مِنْ شَرِّ البَرِيَّةِ.

وَمِنْ هُنَا أَمَرَ مُوسَى عليه السلام قَوْمَهُ بِالتَّوْبَةِ إِلَى اللهِ البَارِئِ؛ حِينَ انْحَرَفُوا عَنِ الإِيمَانِ بِاللهِ، فَصَنَعُوا لَهُمْ صَنَمًا مِنْ حُلِيِّهِمْ عَلَى شَكْلِ عِجْلٍ: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾﴾[البَقَرَةِ:٥٤].

وَالْمُؤْمِنُ كُلَّمَا عَلِمَ اسْمًا مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ الحُسْنَى وَتَعَلَّمَهُ؛ ازْدَادَ شَرَفًا وَرِفْعَةً، وَازْدَادَ شَوْقًا وَمَحَبَّةً للهِ ﷻ، وَتَقَرَّبَ إِلَى اللهِ بِمَعْرِفَةِ هَذَا الاسْمِ.

وَكُلَّمَا أَخَذَ يَدْعُو بِهِ؛ مُحْسِنًا الظَّنَّ بِرَبِّهِ، مُمْتَنِعًا عَنْ مَوَانِعِ الإِجَابَةِ؛ اسْتَجَابَ اللهُ لَهُ؛ لِأَنَّهُ حَقٌّ وَقَوْلُهُ حَقٌّ، فَاللهُ ﷻ قَالَ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[غَافِرٍ:٦٠].

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ الهُدَى وَالسَّدَادَ، وَنَسْأَلُكَ التُّقَى وَالعِفَّةَ وَالغِنَى.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ الجَنَّةَ، وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ، وَمَا قَرَّبَ

إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنَ الخَيْرِ كُلِّهِ؛ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ؛ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَأَنْ تَجْعَلَ كُلَّ قَضَاءٍ قَضَيْتَهُ لَنَا خَيْرًا.

اللَّهُمَّ! أَصْلِحْ لَنَا دِيْنَنَا الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا دُنْيَانَا الَّتِي فِيهَا مَعَاشُنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا آخِرَتَنَا الَّتِي فِيهَا مَعَادُنَا، وَاجْعَلِ الحَيَاةَ زِيَادَةً لَنَا فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَالمَوْتَ رَاحَةً لَنَا مِنْ كُلِّ شَرٍّ.

اللَّهُمَّ! أَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا، وَأَلِّفْ بَيْنَ قُلُوْبِنَا، وَاهْدِنَا سُبَلَ السَّلَامِ، وَأَخْرِجْنَا مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوْرِ.

اللَّهُمَّ! بَارِكْ لَنَا فِي أَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوَّاتِنَا وَأَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّتِنَا وَأَمْوَالِنَا، وَاجْعَلْنَا مُبَارَكِيْنَ أَيْنَمَا كُنَّا.

اللَّهُمَّ يَا بَارِئُ! الْطُفْ بِنَا، وَأَنْزِل عَلَيْنَا رَحَمَاتِكَ.

الْمُصَوِّرُ ﷻ

إِنَّ الحَمْدَ لله؛ نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِالله مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَـهَ إِلَّا اللهُ؛ وَحْـدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[آلِ عِمْرَانَ: ١٠٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾﴾[النِّسَاءَ: ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾[الأَحْزَابِ: ٧٠- ٧١].

أَمَّا بَعْدُ:

قَالَ ابْنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ: "وَإِذَا تَأَمَّلْتَ مَا دَعَى اللهُ ﷻ فِي كِتَابِهِ عِبَـادَهُ إِلَى الفِكْـرِ فِيـهِ؛ أَوْقَعَـكَ عَلَى العِلْمِ بِهِ ﷻ وَبِوَحْدَانِيَّتِهِ وَصِفَاتِ كَمَالِهِ وَنُعُوْتِ جَلَالِهِ".

كَـمْ فِي كِتَـابِ الكَـوْنِ مِـنْ عِـبَرٍ ... لِأُوْلِي النُّهَـى وَالبَحْـثِ وَالنَّظَـرِ

فِي الأَرْضِ فِي الآفَـاقِ قَاطِبَـةً ... فِي النَّفْسِ فِي الأَصْوَاتِ فِي الـصُّوَرِ

نَقِفُ مَعَ اسْمِ اللهِ (المُصَوِّرِ ﷻ):

قَالَ ﷻ: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُ﴾[الحَشْرِ: ٢٤].

فَرَبُّنَا ﷻ الَّذِي صَوَّرَ خَلْقَهُ كَيْفَ شَاءَ، وَصَوَّرَ جَمِيعَ المَوْجُوْدَاتِ؛ وَرَتَّبَهَا فَأَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ مِنْهَا صُوْرَةً خَاصَّةً، وَهَيْئَةً مُفْرَدَةً يَتَمَيَّزُ بِهَا عَلَى اخْتِلَافِهَا وَكَثْرَتِهَا، وَقَدْ صَوَّرَ ﷻ كُلَّ صُوْرَةٍ

عَلَى الصِّفَةِ الَّتِي يُرِيدُ، وَالصُّوْرَةَ الَّتِي يَخْتَارُ، وَهُوَ يُنَفِّذُ مَا يُرِيدُ عَلَى الصِّفَةِ الَّتِي يُرِيدُهَا: ﴿فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝٨﴾[الانْفِطَارَ:٨].

وَرَبُّنَا ﷻ هُوَ الَّذِي هَيَّأَ خَلْقَهُ وَعَدَّلَهُمْ إِلَى الأَشْكَالِ وَالهَيْئَاتِ الَّتِي تُوَافِقُ تَقْدِيرَهُ وَعِلْمَهُ وَرَحْمَتَهُ، وَالَّتِي تَتَنَاسَبُ مَعَ مَصَالِحَ الخَلْقِ وَمَنَافِعِهِمْ؛ فَأَتَتْ عَلَى صُوَرٍ مُخْتَلِفَةٍ، وَهَيْئَاتٍ مُتَبَايِنَةٍ؛ مِنَ الطُّوْلِ وَالقِصَرِ، وَالحُسْنِ وَالقُبْحِ، وَالذُّكُوْرَةِ وَالأُنُوْثَةِ، كُلُّ وَاحِدٍ بِصُوْرَتِهِ الخَاصَّةِ.

قَالَ ﷻ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ﴾[الأَعْرَافِ:١١]، وقَالَ: ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ۝٣﴾[التَّغَابُنِ:٣].

يَا عَالِمَ الغَيْبِ مِنَّا وَالشَّهَادَةِ يَا
رَبَّ البَرِيَّةِ تَرْكِيبًا وتَصْوِيرًا
شَهِدتُّ أَنَّكَ فَرْدٌ وَاحِدٌ أَحَدٌ
شَهَادَةً لَمْ تَكُنْ مَيْنًا وَلَا زُوْرًا
وَجَّهْتُ وَجْهِيَ فِي سِرِّي وَفِي عَلَنِي
إِلَيْكَ حَمْدًا وَتَهْلِيْلًا وَتَكْبِيرًا

وَقَالَ ﷻ: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ﴾[الحَشْرِ:٢٤]، فَالْأَسْمَاءُ الثَّلَاثَةُ: (الخَالِقُ، وَالبَارِئُ، وَالمُصَوِّرُ) إِذَا اجْتَمَعَتْ دَلَّ كُلٌّ وَاحِدٍ مِنْهَا عَلَى مَعَنًى؛ فَالْخَلْقُ هُنَا: التَّقْدِيرُ، وَالبَرْءُ هُنَا: الاخْتِرَاعُ، وَالتَّصْوِيرُ هُنَا: إِعْطَاءُ كُلِّ شَيْءٍ صُوْرَتَهُ.

فَرَبُّنَا ﷻ أَرَادَ وَقَدَّرَ ثُمَّ بَرَأَ، أَيْ: خَلَقَ وَأَوْجَدَ، ثُمَّ خَصَّ كُلَّ مَخْلُوْقٍ بِالصُّوْرَةِ وَالهَيْئَةِ المُنَاسِبَةِ: ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝٩١﴾[المُؤْمِنُونَ:٩١].

فَهُوَ الَّذِي أَوْجَدَ مِنَ العَدَمِ، وَأَحْيَا مِنَ المَوَاتِ، وَبَرَأَ الخَلْقَ.

وَهُوَ الَّذِي يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الآخِرَةَ، وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ، وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ، وَإِلَيْهِ تُقْلَبُوْنَ: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾﴾ [يَس:٧٧-٧٩].

كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُوْلُ فِي سُجُوْدِهِ: «اللَّهُمَّ لَكَ سَجَدْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَلَكَ أَسْلَمْتُ، سَجَدَ وَجْهِي لِلَّذِي خَلَقَهُ، وَصَوَّرَهُ، وَشَقَّ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ، تَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الخَالِقِينَ»[أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ].

خَلْقُ الإِنْسَانِ: آيَةٌ لِلمُتَوَسِّمِينَ، وَعِبْرَةٌ لِلْمُعْتَبِرِينَ، وَعِظَةٌ لِلمُتَّعِظِينَ؛ ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾﴾[الذَّارِيَاتِ:٢١].

وَفِي نَفْسِ الإِنْسَانِ وَخَلْقِهِ: أَعْظَمُ الدَّلَائِلِ عَلَى خَالِقِهِ وَفَاطِرِهِ.

وَأَقْرَبُ شَيْءٍ إِلَى الإِنْسَانِ: نَفْسُهُ، وَفِيهِ مِنَ العَجَائِبِ الدَّالَةِ عَلَى عَظَمَةِ الله ﷻ مَا تَنْقَضِي الأَعْمَارُ فِي الوُقُوْفِ عَلَى بَعْضِهِ، وَلَكِنَّ الإِنْسَانَ مُعْرِضٌ عَنْ ذَلِكَ، وَلَوْ تَأَمَّلَ قَلِيْلًا لَانْزَجَرَ عَنْ كُفْرِهِ وُجُحُوْدِهِ، ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾﴾[عَبَسَ:١٧-٢٢].

يَعِيشُ فَوْقَ الأَرْضِ مَا يَزِيدُ عَلَى سَبْعَةِ مِلْيَارَاتِ نَسَمَةٍ، كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ تُغَايِرُ صُوْرَتُهُ صُوْرَةَ غَيْرِهِ فِي المَلَامِحِ وَالسِّمَاتِ وَالأَلْوَانِ وَالهَيْئَاتِ.. وَالأَبُ وَاحِدٌ وَالأُمُّ وَاحِدَةٌ: آدَمُ وَحَوَّاءَ، وَلَكِنَّهُ صُنْعُ الله ﷻ؛ ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [النَّمْلِ:٨٨]، أَلَا يَسْتَوْجِبُ ذَلِكَ: الشُّكْرَ؟! وَالعَبْدُ يَرَى نِعَمَ الله ﷻ عَلَيْهِ مُنْذُ كَانَ نُطْفَةً فِي بَطْنِ أُمِّهِ، ثُمَّ صَوَّرَ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنَ الرُّوْحِ، ثُمَّ غَذَّاهُ وَسَقَاهُ وَكَسَاهُ وَآوَاهُ وَكَفَاهُ،

وَمِنْ كُلِّ مَا سَأَلَ أَعْطَاهُ؛ ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝٩ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ۝١٠﴾ [البَلَدِ:٨-١٠].

وَمِنْ هَذِهِ النِّعَمِ: أَنَّهُ صَوَّرَ الإِنْسَانَ، وَمَنَحَهُ العَقْلَ، وَالرِّزْقَ، وَأَرْسَلَ الرُّسُلَ وَأَنْزَلَ الكُتُبَ لِأَجْلِهِ، وَأَعْطَاهُ كُلَّ مَا سَأَلَ، وَأَعَانَهُ عَلَى نَوَائِبِ الدَّهْرِ.

وَإِنَّ كَبِيرَهُمْ وَصَغِيرَهُمْ، غَنِيَّهُمْ وَفَقِيرَهُمْ، مَلِكَهُمْ وَمَمْلُوكَهُمْ؛ لَا يَسْتَغْنُونَ عَنْ رَبِّهِمْ وَخَالِقِهِمْ طَرْفَةَ عَيْنٍ، قَالَ ﷻ: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ۝١٥﴾[فَاطِرٍ:١٥].

وَالحَبِيبُ ﷺ يُوْصِي أَحَبَّ الخَلْقِ إِلَى قَلْبِهِ: ابْنَتَهُ فَاطِمَةَ ﵂ بِهَذِهِ الوَصِيَّةِ: أَنْ تَقُولَ: «يَا حَيُّ.. يَا قَيُّومُ! بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ؛ أَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ، وَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ» [حَدِيثٌ صَحِيحٌ. رَوَاهُ النَّسَائِيُّ].

وَاللهُ الَّذِي خَلَقَنَا وَصَوَّرَنَا وَأَحسَنَ صُوَرَنَا لَا يُرِيدُ مِنَّا إِلَّا أَنْ نَعْبُدَهُ؛ ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾[الذَّارِيَاتِ:٥٦].

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ؛ يَا رَبَّ العَالَمِينَ!

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَأَستَغْفِرُ اللهَ لِي وَلَكُمْ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرُوهُ؛ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ:

الحَمْدُ للهِ حَمْدًا طَيِّبًا كَثِيرًا مُبَارَكًا فِيهِ كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنِ اهْتَدَى بِهُدَاهُمْ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

قَالَ أَحَدُ الحُكَمَاءِ لِفَقِيرٍ شَكَا البَأْسَاءَ وَجَوْرَ أَهْلِ الزَّمَانِ؛ وَكَأَنَّهُ يَشْتَكِي الخَالِقَ لِلْمَخْلُوقِ! فَقَالَ لَهُ: هَلْ تُرِيدُ فِي بَصَرِكَ أَلْفَ أَلْفَ دِينَارٍ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: هَلْ تُرِيدُ فِي سَمْعِكَ

أَلْفَ أَلْفَ دِينَارٍ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: هَلْ تُرِيدُ فِي يَدِكَ أَلْفَ أَلْفَ دِينَارٍ؟ قَالَ: لَا، فَأَخَذَ يَعُدُّ عَلَيْهِ أَعْضَاءَهُ وَمَوَاهِبَ اللهِ ﷻ عَلَيْهِ؛ فَلَمَّا انْتَهَى قَالَ لَهُ: فَهَلْ شَكَرْتَ رَبَّكَ عَلَى ذَلِكَ؟ فَقَالَ: لَا، فَقَالَ: يَا هَذَا! عِنْدَكَ دُيُونٌ مَحْفُوظَةٌ، وَحُقُوقٌ مُثْبَتَةٌ، وَأَنْتَ مَا أَدَّيْتَهَا، وتَطْلُبُ الزِّيَادَةَ؟

وَمِنْ أَعْظَمِ الشُّكْرِ: اسْتِخْدَامُ نِعَمِ اللهِ ﷻ فِي طَاعَتِهِ، وَإِبْعَادُهَا عَنْ مَعْصِيَتِهِ وَمَا يُغْضِبُهُ.

قُلْ لِلجَنِينِ يَعِيشُ مَعْزُولًا بِلَا ... رَاعٍ وَمَرْعَى مَا الَّذِي يَرْعَاكَا
قُلْ لِلوَلِيدِ بَكَى وَأَجْهَشَ بِالبُكَا ... عِنْدَ الوِلَادَةِ مَا الَّذِي أَبْكَاكَا
وَاللهُ فِي كُلِّ العَجَائِبِ مُبْدِعٌ ... إِنْ لَمْ تَكُنْ لِتَرَاهُ فَهُوَ يَرَاكَا
فَاسْجُدْ لِمَوْلَاكَ القَدِيرِ فَإِنَّمَا ... لَا بُدَّ يَوْمًا تَنْتَهِي دُنْيَاكَا

اللَّهُمَّ يَا مُصَوِّرُ! نَسْأَلُكَ: أَنْ تَجْعَلَنَا مِنْ خِيرَةِ خَلْقِكَ، وَتَرْحَمَنَا يَوْمَ العَرْضِ عَلَيْكَ.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ الجَنَّةَ، وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ، وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنَ الخَيْرِ كُلِّهِ؛ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ؛ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَأَنْ تَجْعَلَ كُلَّ قَضَاءٍ قَضَيْتَهُ لَنَا خَيْرًا.

اللَّهُمَّ! أَصْلِحْ لَنَا دِينَنَا الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا دُنْيَانَا الَّتِي فِيهَا مَعَاشُنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا آخِرَتَنَا الَّتِي فِيهَا مَعَادُنَا، وَاجْعَلِ الحَيَاةَ زِيَادَةً لَنَا فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَالمَوْتَ رَاحَةً لَنَا مِنْ كُلِّ شَرٍّ.

اللَّهُمَّ! أَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا، وَأَلِّفْ بَيْنَ قُلُوبِنَا، وَاهْدِنَا سُبُلَ السَّلَامِ، وَأَخْرِجْنَا مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ.

اللَّهُمَّ! بَارِكْ لَنَا فِي أَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوَّاتِنَا وَأَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّتِنَا وَأَمْوَالِنَا، وَاجْعَلْنَا مُبَارَكِينَ أَيْنَمَا كُنَّا.

وَآخِرُ دَعْوَانَا: أَنِ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ.

الْعَفُوُّ ﷺ

إِنَّ الحَمْدَ لله؛ نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِالله مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَـهَ إِلَّا اللهُ؛ وَحْـدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[آلِ عِمْرَانَ: ١٠٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾[النِّسَاءَ: ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾[الأَحْزَابِ: ٧٠- ٧١].

أَمَّا بَعْدُ:

أَيُّهَا المُؤْمِنُونَ..

لَـمَّا سَمِعَ الْمُذْنِبُوْنَ عَنِ اسْمِ الله: (العَفُوِّ)، وَتَلَوْا قَولَهُ ﷻ: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾﴾[النِّسَاءَ: ٩٩]؛ رَفَعُوْا أَكُفَّ الضَّرَاعَةِ، وَنَثَرُوْا شَكْوَاهُمْ بَيْنَ يَدَيهِ، وَأَنَاخُوْا مَطَايَاهُمْ بِبَابِهِ، وَلَاذُوْا بِجَنَابِهِ، وَكَثُرَ اسْتِغْفَارُهُمْ، وَنَادَوْا: يَا عَفُوُّ.. يَا غَفُوْرُ! لَيْسَ لَنَا سِوَاكَ.

فَنَظَرَ الكَرِيمُ العَفُوُّ إِلَى حَالِهِمْ، وَاطَّلَعَ عَلَى سَرَائِرِهِمْ؛ فَحَطَّ عَـنْهُمْ الخَطَايَـا، وَمَحَـا عَـنْهُمْ السَّيِّئَاتِ، وَرَفَعَ لَهُمْ الدَّرَجَاتِ.

فَسُبْحَانَ العَفُوِّ! وَسُبْحَانَ مَنْ اخْتَارَهُمْ لِعَفْوِهِ، وَاصْطَفَاهُمْ لِمَغْفِرَتِهِ!

فَإِذَا نَزَلَتْ بِكَ النَّوَازِلُ، وَأَلَمَّتْ بِكَ الخُطُوْبُ، أَوْ أَثْقَلَتْكَ الذُّنُوْبُ؛ فَاهْتِفْ بِاسْمِهِ، وَاطْلُبْ عَفْوَهُ. قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾﴾[النِّسَاءَ:١٤٩].

يَا رَبِّ إِنْ عَظُمَتْ ذُنُوْبِي كَثْرَةً ... فَلَقَدْ عَلِمْتُ بِأَنَّ عَفْوَكَ أَعْظَمُ
إِنْ كَانَ لَا يَرْجُوْكَ إِلَّا مُحْسِنٌ ... فَبِمَنْ يَلُوْذُ وَيَسْتَجِيرُ المُجْرِمُ
أَدْعُوْكَ رَبِّ كَمَا أَمَرتَ تَضَرُّعًا ... فَإِذَا رَدَدْتَ يَدِي فَمَنْ ذَا يَرْحَمُ

رَبُّنَا ﷻ كَثِيرُ الصَّفْحِ عَنْ ذُنُوْبِ عِبَادِهِ؛ إِلَى مَا لَا نِهَايَةَ لَهُ، فَهُوَ ﷻ يَتَجَاوَزُ عَنِ الذُّنُوْبِ، وَيَزِيلُ آثَارَهَا عَنْهُمْ بِالْكُلِّيَّةِ؛ فَلَا يُطَالِبُ بِهَا العِبَادَ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَيَمْحُوْهَا مِنْ دِيوَانِ الكِرَامِ الكَاتِبِينَ، بَلْ وَيُنْسِيهَا مِنْ قُلُوْبِهِمْ كَيْ لَا يَخْجَلُوْا عِنْدَ تَذَكُّرِهَا، وَيُثْبِتُ مَكَانَ كُلِّ سَيْئَةٍ حَسَنَةً.

وَرَبُّنَا ﷻ هُوَ الَّذِي كَانَ -وَلَا يَزَالُ- بِالْعَفْوِ مَعْرُوْفًا، وَبِالْغُفْرَانِ وَالصَّفْحِ عَنْ عِبَادِهِ مَوْصُوْفًا، كُلُّ أَحَدٍ مُضْطَرٌّ إِلَى عَفْوِهِ وَرَحْمَتِهِ وَكَرَمِهِ، وَقَدْ وَعَدَ بِالمَغْفِرَةِ وَالعَفْوِ مَنْ أَتَى بِأَسْبَابِهِمَا.

وَهُوَ ﷻ يَقْبَلُ العَفْوَ، وَهُوَ: السَّهْلُ، وَذَلِكَ بِتَيْسِيرِ الوَاجِبَاتِ عَلَى عِبَادِهِ، لِمَا يَقَعُ مِنَ العَبْدِ مِنْ تَقْصِيرٍ وَضَعْفٍ، فَاللهُ أَوْجَبَ الوُضُوْءَ لِمَنْ أَرَادَ الصَّلَاةَ إِذَا انْتَقَضَ وَضُوْؤُهُ، وَلَكِنَّهُ عَفَا عَمَّنْ لَا يَجِدُ المَاءَ بِأَنْ يَتَيَمَّمَ؛ مُرَاعَاةً لِضَعْفِ عِبَادِهِ.

وَعَفْوُهُ نَوْعَانِ:

عَفْوُهُ العَامُّ: وَيَكُوْنُ عَنْ جَمِيعِ المُجْرِمِينَ مِنَ الكُفَّارِ وَغَيْرِهِمْ؛ بِدَفْعِ العُقُوْبَاتِ المُنْعَقِدَةِ بِأَسْبَابِهَا، وَالمُقْتَضِيَةِ لِقَطْعِ النِّعَمِ عَنْهُمْ، فَهُمْ يُؤْذُوْنَهُ بِالسَّبِّ وَالشِّرْكِ، وَهُوَ يُعَافِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ، وَيَبْسُطُ لَهُمُ الدُّنْيَا، وَيُمْهِلُهُمْ وَلَا يُهْمِلُهُمْ بِعَفْوِهِ وَحِلْمِهِ، فَخَيْرُ اللهِ إِلَى العِبَادِ نَازِلٌ، وَشَرُّهُمْ إِلَيْهِ صَاعِدٌ، اللهُ غَنِيٌّ عَنْ عِبَادَةِ العِبَادِ، وَهُوَ يَتَوَدَّدُ إِلَيْهِمْ بِنِعَمِهِ، وَهُمْ يَتَبَغَّضُوْنَ إِلَيْهِ بِالمَعَاصِي وَهُمُ الفُقَرَاءُ إِلَيْهِ.

وَعَفْوُهُ الخَاصُّ، وَهُوَ: مَغْفِرَتُهُ لِلتَّائِبِينَ وَالمُسْتَغْفِرِينَ وَالدَّاعِينَ وَالعَابِدِينَ والمُصَابِينَ بِالمَصَائِبِ، المُحْتَسِبِينَ مِنَ المُؤْمِنِينَ.

وَمِنْ جَلَالِ عَفْوِهِ ﷻ: أَنَّهُ مَنْ عَفَا اللهُ عَنْهُ فِي الدُّنْيَا فَاللهُ أَكْرَمُ مِنْ أَنْ يَعُودَ فِي عَفْوِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَهُوَ كَرِيمٌ لَا يَرْجِعُ فِي عَفْوِهِ، فَهَذِهِ سُنَّةُ الله ﷻ مَعَ أَوْلِيَائِهِ.

وَمِنْ جَلَالِهِ ﷻ: أَنَّهُ كَمَا يَعْفُوْ فِي الدُّنْيَا عَن المُذْنِبِينَ التَّائِبِينَ؛ فَإِنَّهُ ﷻ فِي الآخِرَةِ يَعْفُوْ عَن المُوَحِّدِينَ المُصِرِّيْنَ.

وَمِنْ جَلَالِهِ ﷻ: أَنَّهُ يَعْفُوْ عَنْ ذَنْبِ عَبْدِهِ مَهْمَا كَانَ جُرْمُهُ؛ حَتَّى عَنْ حَقِّهِ ﷻ، وَيُبَدِّلُ سَيِّئَاتِهِ حَسَنَاتٍ، فَمَنِ الَّذِي يُكَافِئُ الذَّنْبَ بِمِثْلِ هَذَا غَيْرُ الرَّبِّ ﷻ؟ وَإِنَّهُ لَوْلَا جَلَالُ عَفْوِهِ لَغَارَتْ الأَرْضُ بِأَهْلِهَا؛ لِكَثْرَةِ مَا يُرْتَكَبُ مِنَ المَعَاصِي عَلَى ظَهْرِهَا.

وَمِنْ جَلَالِ عَفْوِهِ ﷻ: أَنَّهُ دَلَّ عِبَادَهُ عَلَى الأَسْبَابِ الَّتِي يُنَالُ بِهَا عَفْوُهُ الكَرِيمُ؛ مِنَ الأَعْمَالِ وَالأَخْلَاقِ وَالأَقْوَالِ وَالأَفْعَالِ، فَإِنَّ العَبْدَ إِذَا أَكْثَرَ مِنَ الأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ غَلَبَتْ عَلَى كَثِيرٍ مِنْ ذُنُوْبِهِ وَخَطَايَاهُ.

وَلِهَذَا مَدَحَ اللهُ ﷻ عِبَادَهُ الصَّالِحِينَ بِقَوْلِهِ: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾﴾[الفُرْقَانَ:٦٨-٧٠].

فَيَا عَبْدَ الله.. عُدْ إِلَيْهِ! فَالمَغْفِرَةُ مُقَيَّدَةٌ بِالتَّوْبَةِ وَالعَمَلِ الصَّالِحِ، وَمِثْلُهُ فِي قَوْلِهِ ﷻ: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾﴾[البَقَرَةِ:١٦٠].

وَصَحَّ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «يَقُوْلُ اللهُ ﷻ: مَنْ جَاءَ بِالحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَأَزِيدُ، وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ مِثْلُهَا أَوْ أَغْفِرُ، وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شِبْرًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعًا، وَمَنْ تَقَرَّبَ

مِنِّي ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا، وَمَنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً، وَمَنْ لَقِيَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطِيئَةً ثُمَّ لَا يُشْرِكُ بِي شَيْئًا؛ لَقِيتُهُ بِمِثْلِهَا مَغْفِرَةً»[حَدِيثٌ صَحِيحٌ. رَوَاهُ ابْنُ مَاجَه].

العَفُوُّ ﷻ يُنَادِيكَ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ بِقَوْلِهِ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غَافِر:٦٠]، فَمَا الَّذِي يُبْطِئُكَ عَنْ كَرَمِهِ؟! وَمَا الَّذِي يَجْعَلُكَ تَتَأَخَّرُ عَنِ الانْضِمَامِ لِرَكْبِ الأَوَّابِينَ وَالتَّوَّابِينَ؟

إِذَا طَرَقَ النَّاسُ أَبْوَابَ مُلُوكِ الدُّنْيَا، وَوَقَفُوْا أَذِلَّاءَ بِسَاحَتِهِمْ؛ فَقِفْ أَنْتَ مُتَذَلِّلًا بِسَاحَةِ مَلِكِ المُلُوْكِ الإِلَهِ الأَكْرَمِ العَفُوِّ؛ الَّذِي بِيَدِهِ مَفَاتِيحُ الفَرَجِ، وبِيَدِهِ السَّعَادَةُ، بِيَدِهِ العَفْوُ وَالمَغْفِرَةُ.

ذَكَرَ ابْنُ الجَوْزِيِّ فِي «التَّبْصِرَةِ»: "أَنَّ اللهَ أَوْحَى إِلَى دَاوُدَ ﷺ فَقَالَ: يَا دَاوُدُ! لَوْ يَعْلَمُ المُدْبِرُوْنَ عَنِّي انْتِظَارِي لَهُمْ، وَرِفْقِي بِهِمْ، وَشَوْقِي إِلَى تَرْكِ مَعَاصِيهِمْ؛ لَمَاتُوْا شَوْقًا إِلَيَّ، وَلَتَقَطَّعَتْ أَوْصَالُهُمْ لِمَحَبَّتِي.

يَا دَاوُدُ! هَذِهِ إِرَادَتِي بِالمُدْبِرِينَ عَنِّي؛ فَكَيْفَ بِالمُقْبِلِينَ عَلَيَّ ؟".

وَكَانَ مِنْ دُعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ: «اللَّهُمَّ! إِنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ العَفْوَ؛ فَاعْفُ عَنِّي»[حَدِيثٌ صَحِيحٌ. رَوَاهُ ابْنُ مَاجَه].

وَقَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ ﷺ: "مَا أُحِبُّ أَنْ يُجْعَلَ حِسَابِي إِلَى أَبِي وَأُمِّي؛ لِأَنِّي أَعْلَمُ أَنَّ اللهَ ﷻ أَرْحَمُ بِي مِنْهُمَا".

وَلَمَّا قَسَا قَلْبِي وَضَاقَتْ مَذَاهِبِي ... جَعَلْتُ رَجَائِي نَحْوَ عَفْوِكَ سُلَّمَا
تَعَاظَمَنِي ذَنْبِي فَلَمَّا قَرَنْتُهُ ... بِعَفْوِكِ رَبِّي صَارَ عَفْوُكَ أَعْظَمَا
وَمَا زِلْتَ ذَا عَفْوٍ عَنِ الذَّنْبِ لَمْ تَزَلْ ... تَجُوْدُ وَتَعْفُوْ مِنَّةً وَتَكَرُّمَا

أَقُولُ قَولِي هَذَا، وَأَستَغْفِرُ اللهَ لِي وَلَكُمْ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرُوهُ؛ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ:

الْحَمْدُ للهِ حَمْدًا طَيِّبًا كَثِيرًا مُبَارَكًا فِيهِ كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنِ اهْتَدَى بِهُدَاهُمْ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

عِبَادَ اللهِ..

قَالَ العُلَمَاءُ: إِنَّ مِن أَحَبَّ الخَلْقِ إِلَى اللهِ ﷻ: مَنِ اتَّصَفَ بِمُقْتَضَيَاتِ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، فَهُوَ ﷻ رَحِيمٌ يُحِبُّ الرُّحَمَاءَ، عَفُوٌّ يُحِبُّ العَافِينَ عَنِ النَّاسِ.

فَاللهُ ﷻ يَكُوْنُ لِعَبْدِهِ عَلَى حَسْبِ مَا يَكُوْنُ العَبْدُ لِخَلْقِهِ، فاللهُ قَدْ قَالَ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾[آلِ عِمْرَانَ:١٥٩].

وَحَبْلُ العَفْوِ مَعَ المَقْدِرَةِ مِنْ أَقْرَبِ مَنَازِلِ التَّقْوَى؛ ﴿ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾[المَائِدَةِ:٨]، بَلْ مِنْ كَرَمِهِ وَجُوْدِهِ: أَنَّهُ يُقَابِلُ عَفْوَ العِبَادِ بِعَفْوٍ أَكْبَرَ، فاللهُ قَدْ قَالَ: ﴿إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا۟ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾﴾[النِّسَاءَ:١٤٩].

وَفِي حَادِثَةِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ ﷺ عِنْدَمَا حَلَفَ أَلَّا يُنْفِقُ عَلَى مِسْطَحٍ (أَحَدُ أَقَارِبِهِ) بَعْدَ أَنْ قَذَفَ عِرْضَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ عَائِشَةَ ﷺ، فِي حَادِثَةِ الإِفْكِ المَعْرُوْفَةِ، قَالَ ﷻ: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُو۟لُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾[النُّوْرِ:٢٢].

فَمَنْ عَفَا عَنْ أَحَدٍ رَجَاءَ مَا عِنْدَ اللهِ؛ أَعْطَاهُ اللهُ ﷻ فَوْقَ مَا يَأْمَلُهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ.

وَصَحَّ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا»[أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ].

خَطَبَ الخَلِيفَةُ الأُمَوِيُّ عَبْدُ المَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ خُطْبَةً بَلِيغَةً، ثُمَّ قَطَعَهَا، وَبَكَى بُكَاءً شَدِيدًا، ثُمَّ قَالَ: "يَا رَبِّ! إِنَّ ذُنُوْبِي عَظِيمَةٌ، وَإِنَّ قَلِيلَ عَفْوِكَ أَعْظَمُ مِنْهَا، فَامْحُ بِقَلِيلِ عَفْوِكَ عَظِيمَ

ذُنُوْبِي، فَبَلَغَ ذَلِكَ الحَسَنَ البَصْرِيَّ؛ فَبَكَى، وَقَالَ: لَوْ كَانَ كَلَامٌ يُكْتَبُ بِالذَّهَبِ لَكُتِبَ هَذَا الكَلَامُ!".

وَدَعَا أَعْرَابِيٌّ: "اللَّهُمَّ! إِنَّكَ أَمَرْتَنَا أَنْ نَعْفُوْا عَمَّنْ ظَلَمَنَا، وَقَدْ ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا فَاعْفُ عَنَّا".

وَنَحْنُ نَدْعُوْكَ: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأَعْرَافِ:٢٣].

اللَّهُمَّ! إِنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ العَفْوَ؛ فَاعْفُ عَنَّا؛ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ!

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ الجَنَّةَ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ، ونَعُوْذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ الهُدَى وَالسَّدَادَ، وَنَسْأَلُكَ التُّقَى وَالعِفَّةَ وَالغِنَى.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنَ الخَيْرِ كُلِّهِ؛ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ؛ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَأَنْ تَجْعَلَ كُلَّ قَضَاءٍ قَضَيْتَهُ لَنَا خَيْرًا.

اللَّهُمَّ! أَصْلِحْ لَنَا دِيْنَنَا الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا دُنْيَانَا الَّتِي فِيهَا مَعَاشُنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا آخِرَتَنَا الَّتِي فِيهَا مَعَادُنَا، وَاجْعَلِ الحَيَاةَ زِيَادَةً لَنَا فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَالمَوْتَ رَاحَةً لَنَا مِنْ كُلِّ شَرٍّ.

اللَّهُمَّ! أَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا، وَأَلِّفْ بَيْنَ قُلُوْبِنَا، وَاهْدِنَا سُبَلَ السَّلَامِ، وَأَخْرِجْنَا مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوْرِ.

اللَّهُمَّ! بَارِكْ لَنَا فِي أَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوَّاتِنَا وَأَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّتِنَا وَأَمْوَالِنَا، وَاجْعَلْنَا مُبَارَكِيْنَ أَيْنَمَا كُنَّا.

وَآخِرُ دَعْوَانَا: أَنِ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ.

الغَفُورُ الغَفَّارُ

الغَافِرُ ﷺ

إِنَّ الحَمْدَ لله؛ نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِالله مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَـهَ إِلَّا اللهُ؛ وَحْـدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[آلِ عِمْرَانَ:١٠٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾[النِّسَاءَ:١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾[الأَحْزَابِ:٧٠- ٧١].

أَمَّا بَعْدُ:

عِبَادَ الله..

جَاءَ عِنْدَ الطَّبَرَانِيِّ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ مِنْ حَدِيثِ أَبِي طَوِيلٍ: أَنَّهُ أَتَـى رَسُـولَ الله ﷺ؛ فَقَـالَ: أَرَأَيْتَ رَجُلًا عَمِلَ الذُّنُوبَ كُلَّهَا، فَلَمْ يَتْرُكْ مِنْهَا شَيْئًا، وَهُوَ فِي ذَلِكَ لَمْ يَتْرُكْ حَاجَـةً وَلَا دَاجَـةً إِلَّا أَتَاهَا، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ قَالَ: «فَهَلْ أَسْـلَمْتَ؟»، قَـالَ: أَمَّـا أَنَـا؛ فَأَشْـهَدُ أَنْ لَا إِلَـهَ إِلَّا اللهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّكَ رَسُولُ الله.

قَالَ: «نَعَمْ؛ تَفْعَلُ الخَيْرَاتِ، وَتَتْرُكُ السَّيِّئَاتِ، فَيَجْعَلُهُنَّ اللهُ لَكَ خَـيْرَاتٍ كُلَّهُـنَّ»، قَـالَ:

وَغَدَرَاتِي وَفَجَرَاتِي؟

قَالَ: «نَعَمْ»، قَالَ: اللهُ أَكْبَرُ! فَمَا زَالَ يُكَبِّرُ حَتَّى تَوَارَى.

وَإِنِّي لَأَدْعُــوْ اللهَ أَطْلُــبُ عَفْــوَهُ

وَأَعْلَــمُ أَنَّ اللهَ يَعْفُــوْ وَيَغْفِــرُ

لَئِنْ أَعْظَمَ النَّاسُ الـذُّنُوْبَ فَإِنَّهَـا

وَإِنْ عَظُمَتْ فَفِي رَحْمَـةِ اللهِ تَـصْغُرُ

حَدِيثُنَا عَنِ اسْمٍ مَا سَمِعَ بِهِ مُذْنِبٌ وَلَا مُؤْمِنٌ إِلَّا تَعَلَّقَ قَلْبُهُ بِهِ، وَفَرِحَ بِـهِ فَرَحًـا شَـدِيدًا، وَفُتِحَ لَهُ بَابُ أَمَلٍ؛ إِنَّهُ: اسْمُ اللهِ (الغَفُوْرُ وَالغَفَّارُ وَالغَافِرُ ﷻ).

قَـالَ ﷻ: ﴿ ۞ نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾﴾[الحِجْـرِ:٤٩]، وَقَـالَ: ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾﴾[نُوْحٍ:١٠]، وَقَالَ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾[النَّجْمِ:٣٢].

وَأَصْلُ الغَفْرِ فِي اللُّغَةِ: السَّتْرُ وَالتَّغْطِيَةُ.

وَرَبُّنَا ﷻ هُوَ السَّاتِرُ لِذُنُوْبِ عِبَادِهِ، المُغَطِّيهِم بِسَتْرِهِ؛ فَلَا يَطَّلِعَ عَـلَى ذُنُـوْبِهِمْ أَحَـدٌ غَـيْرُهُ، المُتَجَاوِزُ عَنْ خَطَايَاهُمْ وَذُنُوْبِهِمْ.

فَهُو ﷻ يَغْفِرُ ذُنُوْبَ عِبَادِهِ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ، إِلَى مَا لَا يُحْصـى، كُلَّمَا تَكَرَّرَتْ تَوْبَـةُ العَبْـدِ مِـنَ الذَّنْبِ تَكَرَّرَتِ المَغْفِرَةُ مِنَ اللهِ ﷻ.

ذَكَرَ الطَّبَرَانِيُّ وَغَيْرُهُ: أَنَّ رَجُلًا جَـاءَ إِلَى النَّبِـيِّ ﷺ فَقَـالَ: يَـا رَسُـوْلَ اللهِ! أَحَـدُنَا يُـذْنِبُ الذَّنْبَ؟ قَالَ: «يُكْتَبُ عَلَيْهِ»، ثُمَّ قَالَ: يَسْتَغْفِرُ مِنْهُ وَيَتُوْبُ؟ قَالَ: «يُغْفَرُ لَـهُ وَيُتَـابُ عَلَيْـهِ، وَلَا يَمَلُّ اللهُ حَتَّى تَمَلُّوا»[حَدِيثٌ حَسَنٌ. وَهُوَ فِي «المُعْجَمِ الكَبِيرِ وَالأَوْسَطِ»].

وَهُوَ الغَفُورُ فَلَـوْ أَتَـى بِقُرَابِهَـا مِنْ غَيْرِ شِرْكٍ بَلْ مِنَ العِصْيَانِ

لَأَتَـاهُ بِـالغُفْرَانِ مِـلءَ قُرَابِهَـا سُـبْحَانَهُ هُـوَ وَاسِـعُ الغُفْـرَانِ

فَتَحَ اللهُ ﷻ بَابَهُ لِكُلِّ التَّائِبِينَ وَالمُذْنِبِينَ وَالخَطَّائِينَ؛ فَقَالَ ﷻ: ﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزُّمَر:٥٣]، بَلْ نَادَى مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ الَّذِينَ قَالُوْا: إِنَّ اللهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ؛ نَادَاهُمْ بِالتَّوْبَةِ؛ حَتَّى يَغْفِرَ لَهُمْ؛ فَقَالَ: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾﴾ [المَائِدَة:٧٤].

جَمِيعُ الذُّنُوْبِ تُغْفَرْ؛ عَدَا مَنْ أَقْبَلَ عَلَى اللهِ وَهُوَ مُشْرِكٌ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾[النِّسَاء:٤٨].

فِي الحَدِيثِ القُدُسِيِّ: «قَالَ اللهُ ﷻ: يَا ابْنَ آدَمَ! إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي؛ غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ! لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي؛ غَفَرْتُ لَكَ وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ! إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا؛ لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً»[حَدِيثٌ صَحِيحٌ. رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ].

هَذَا لِمَنْ جَاءَ بِالاسْتِغْفَارِ مُجَرَّدًا عَازِمًا عَلَى عَدَمِ العَوْدَةِ، صَادِقًا فِي تَوْبَتِهِ، وَإِذَا عَلِمَ اللهُ صِدْقَهُ بَدَّلَ سَيِّئَاتِهِ حَسَنَاتٍ، وَهَذَا مِنْ جُوْدِهِ وَكَرَمِهِ عَلَى عِبَادِهِ.

وَالأَعْمَالُ الصَّالِحَةِ مُكَفِّرَةٌ لِلذُّنُوْبِ: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾[هُوْدٍ:١١٤]، وَصَحَّ عَنْهُ ﷺ: «وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمْحُهَا»[حَدِيثٌ حَسَنٌ. رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ].

وَالمَصَائِبُ الَّتِي تُصِيبُ العَبْدَ -سَوَاءٌ فِي نَفْسِهِ أَوْ فِي وَلَدِهِ أَوْ مَالِهِ- تُكَفِّرُ سَيِّئَاتِهِ؛ إِذَا احْتَسَبَ ثَوَابَهَا، وَصَبَرَ، وَرَضِيَ بِقَضَاءِ اللهِ ﷻ.

وَاللهُ ﷻ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ رَجُلٍ فَقَدْ رَاحِلَتَهُ فِي فَلَاةٍ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ ثُمَّ وَجَدَهَا.

وَمَهْمَا عَظُمَ الذَّنْبُ أَوْ تَكَرَّرَ مِنَ العَبْدِ؛ فَإِنَّ اللهَ أَوْسَعُ فِي رَحْمَتِهِ؛ مَا دَامَ العَبْدُ يَسْتَغْفِرُ:

﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾[الأَعْرَافِ:١٥٦].

وَصَحَّ عَنْهُ ﷺ فِيمَا يَحْكِيهِ عَنْ رَبِّهِ ﷻ، قَالَ: «أَذْنَبَ عَبْدٌ ذَنْبًا؛ فَقَالَ: اللَّهُمَّ! اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ ﷻ: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ، فَقَالَ: أَيْ رَبِّ! اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ ﷻ: عَبْدِي أَذْنَبَ ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ؛ فَقَالَ: أَيْ رَبِّ! اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ ﷻ: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، اعْمَلْ مَا شِئْتَ! فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ»[أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ]، أي: مَا دُمْتَ تَائِبًا أَوَّاهًا مُنِيبًا.

وَبَابُ اللهِ ﷻ مَفْتُوحٌ لِكُلِّ التَّائِبِينَ وَالمُنِيبِينَ، وَهُوَ لَمْ يَزَلْ وَلَا يَزَالُ عَفُوًّا غَفُورًا، وَقَدْ وَعَدَ بِالمَغْفِرَةِ وَالعَفْوِ لِمَنْ أَتَى بِأَسْبَابِهَا: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾[طه: ٨٢]، وَهَذَا لَا يَعْنِي: أَنْ يُسْرِفَ المُسْلِمُ فِي الخَطَايَا وَالذُّنُوبِ، وَيَتَجَرَّأَ عَلَى مَعْصِيَةِ اللهِ بِحُجَّةِ: أَنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ! فَاللهُ قَالَ: ﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُوا صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾﴾[الإِسْرَاءِ:٢٥].

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا يَا رَبَّنَا! وَاجْعَلْنَا مِنَ الأَوَّابِيْنَ؛ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

أَقُولُ قَولِي هَذَا، وَأَستَغْفِرُ اللهَ لِي وَلَكُمْ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرُوهُ؛ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ:

الحَمْدُ للهِ حَمْدًا طَيِّبًا كَثِيرًا مُبَارَكًا فِيهِ كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنِ اهْتَدَى بِهُدَاهُمْ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

عِبَادَ اللهِ..

قَدْ أُمِرَ جَمِيعُ الخَلْقِ بِالاسْتِغْفَارِ وَعَلَى رَأْسِهِمُ: الأَنْبِيَاءُ؛ ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ

غَفَّارًا ﴿١٠﴾﴾[نُوح:١٠].

وَصَحَّ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «وَاللهِ! إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي اليَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً»[أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ]، هَذَا فِي حَقِّ الأَنْبِيَاءِ؛ فَمَنْ دُوْنَهُمْ أَوْلَى بِالاسْتِغفَارِ.

وَقَالَ عَلِيٌّ ﷺ: "العَجَبَ مِمَّنْ يَهْلِكُ وَمَعَهُ النَّجَاةُ! قِيلَ: وَمَا هِيَ؟ قَالَ: الاسْتِغْفَارُ".

وَقَالَ قَتَادَةُ ﷺ: "القُرْآنُ يَدُلُّكُمْ عَلَى دَائِكُمْ وَدَوَائِكُمْ؛ أَمَّا دَاؤُكُمْ فَالذُّنُوْبُ، وَأَمَّا دَوَاؤُكُمْ فَالاسْتِغْفَارُ".

أَشْكُوْ إِلَيْكَ ذُنُوْبًا لَسْتُ أُنكِرُهَا ... وَقَدْ رَجَوْتُكَ يَا ذَا المَنِّ تَغْفِرُهَا

مِنْ قَبْلِ سُؤْلِكَ لِي فِي الحَشْرِ يَا أَمَلِي ... يَوْمَ الجَزَاءِ عَلَى الأَهْوَالِ تَذْكُرُهَا

أَرْجُوْكَ تَغْفِرُهَا فِي الحَشْرِ يَا أَمَلِي ... إِذْ كُنْتَ سُؤْلِي كَمَا فِي الأَرْضِ تَسْتُرُهَا

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ الجَنَّةَ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ، ونَعُوْذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ الهُدَى وَالسَّدَادَ، وَنَسْأَلُكَ التُّقَى وَالعِفَّةَ وَالغِنَى.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنَ الخَيْرِ كُلِّهِ؛ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ؛ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَأَنْ تَجْعَلَ كُلَّ قَضَاءٍ قَضَيْتَهُ لَنَا خَيْرًا.

اللَّهُمَّ! أَصْلِحْ لَنَا دِيْنَنَا الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا دُنْيَانَا الَّتِي فِيهَا مَعَاشُنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا آخِرَتَنَا الَّتِي فِيهَا مَعَادُنَا، وَاجْعَلِ الحَيَاةَ زِيَادَةً لَنَا فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَالمَوْتَ رَاحَةً لَنَا مِنْ كُلِّ شَرٍّ.

اللَّهُمَّ! أَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا، وَأَلِّفْ بَيْنَ قُلُوْبِنَا، وَاهْدِنَا سُبُلَ السَّلَامِ، وَأَخْرِجْنَا مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوْرِ.

اللَّهُمَّ! بَارِكْ لَنَا فِي أَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوَّاتِنَا وَأَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّتِنَا وَأَمْوَالِنَا، وَاجْعَلْنَا

مُبَارَكِيْنَ أَيْنَمَا كُنَّا.

اللَّهُمَّ! اغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِيْنَا وَلِجَمِيعِ المُسْلِمِينَ؛ يَا رَبَّ العَالَمِينَ!

وَآخِرُ دَعْوَانَا: أَنِ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ.

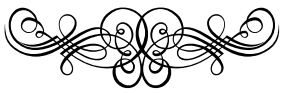

القَهَّارُ القَاهِرُ ﷻ

إِنَّ الحَمْدَ لله؛ نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِالله مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَـهَ إِلَّا اللهُ؛ وَحْـدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[آل عِمْرَان: ١٠٢]،

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾[النِّسَاء: ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾[الأَحْزَاب: ٧٠- ٧١].

عِبَادَ الله..

رَوَى أَبُوْ يَعْلَى فِي «مُسْنَدِهِ» عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ فِرْعَوْنَ أَوْتَدَ لِامْرَأَتِهِ أَرْبَعَةَ أَوْتَادٍ فِي يَدَيْهَا وَرِجْلَيْهَا، فَكَانُوا إِذَا تَفَرَّقُوا عَنْهَا أَظَلَّتْهَا المَلَائِكَةُ، فَقَالَتْ: ﴿رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾﴾ [التَّحْرِيم: ١١]»[حَدِيثٌ صَحِيحٌ].

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ ﷺ: "فَكَشَفَ لَهَا اللهُ عَنْ بَيْتِهَا فِي الجَنَّةِ؛ فَتَبَسَّمَتْ، ثُمَّ مَاتَتْ!".

مِـنْ غُرْفَـةِ فِرْعَـوْنَ الطَّاغِيَـةِ تَخْـرُجُ إِحْـدَى أَعْظَـمِ نِـسَاءِ الأَرْضِ! وَمِـنْ قَـصْرِهِ يَخْـرُجُ مُوْسَى عليه السلام!!

فِرْعَوْنُ القَائِلُ: ﴿سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾﴾

[الأَعْرَافِ:١٢٧]، فَمَا كَانَ مِنَ القَهَّارِ إِلَّا أَنْ قَهَرَ هَذَا الطَّاغِيَةَ، وَجَعَلَهُ عِبرَةً لِمَنْ خَلْفَهُ: ﴿فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [يُوْنُسَ:٩٢].

نَقِفُ مَعَ اسْمِ اللهِ: (القَهَّارِ وَالقَاهِرِ ﷻ).

فَاللهُ ﷻ قَالَ عَنْ نَفْسِهِ: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾﴾[الأَنْعَامِ:١٨].

فَرَبُّنَا ﷻ القَاهِرُ بِعِزِّ سُلْطَانِهِ، المُتَصَرِّفُ فِي أَكْوَانِهِ، لَا يَقْهَرُ إِرَادَتَهِ شَيْءٌ..

قَهَرَ الجَبَابِرَةَ، وَقَصَمَ القَيَاصِرَةَ، وَخَضَعَتْ لَهُ الرِّقَابُ، وَذَلَّتْ لِجَبَرُوْتِهِ الصِّعَابُ، وَعَنَتْ لَهُ الوُجُوْهُ، وَدَانَتْ لَهُ الخَلَائِقُ، وَتَوَاضَعَتْ لِعَظَمَةِ جَلَالِهِ وَكِبرِيَائِهِ.

القَهَّارُ ﷻ لِجَمِيعِ العَالَمِ العُلْوِيِّ وَالسُّفْلِيِّ؛ فَلَا يَحْدُثُ حَادِثٌ وَلَا يَسْكُنُ سَاكِنٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ، مَا شَاءَ كَانَ وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ.

هَذَا مَعْنَى الاسْمَيْنِ لِرَبِّنَا ﷻ: (القَاهِرُ وَالقَهَّارُ).

وَكَذَا القَهَّارُ مِنْ أَوصَافِهِ فَالخَلْقُ مَقْهُوْرُوْنَ بِالسُّلْطَانِ

لَوْ لَمْ يَكُنْ حَيًّا عَزِيزًا قَادِرًا مَا كَانَ فِي قَهْرٍ وَلَا سُلْطَانِ

مَنِ الَّذِي يُجِيبُ المُضْطَرَ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوْءَ؟ وَمَنِ الَّذِي يُحْيِي العِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ، وَيُعِيدُ الخَلْقَ كَمَا بَدَأَهُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ، وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ؟

مِنْ لِلمَظْلُوْمِ إِذَا ظُلِمَ؟ مَنْ لِلضَّعِيفِ إِذَا هُضِمَ؟

رَبُّنَا القَاهِرُ الحَكِيمُ ﷻ؛ الَّذِي لَا يَخْلُقُ شَيْئًا عَبَثًا، وَلَا يَتْرُكُ شَيْئًا سُدًى، وَلَا يَقْبَلُ فِعْلًا أَوْ يَشْرَعُ شَرْعًا إِلَّا لِحِكَمٍ، عَرَفَهَا مَنْ عَرَفَهَا وَجَهِلَهَا مَنْ جَهِلَهَا.

إِلَيْكَ جَمِيعُ الأَمْرِ يُرْجَعُ كُلُّهُ

وَمِنْكَ الأَمَانِي تُرْتَجَى وَالبَشَائِرُ

فَمَنِ الَّذِي يَسْتَحِقُّ التَّوْحِيدَ وَالعِبَادَةَ؟ أَلَيْسَ اللهُ الوَاحِدُ القَهَّارُ الَّذِي لَا كُفْءَ لَهُ.

بِهَا جَادَلَ يُوْسُفُ ﷺ صَاحِبَيهِ فِي السِّجْنِ، فَقَالَ: ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾﴾[يُوْسُفَ:٣٩].

فَهَلْ رَأَيْتُمْ مَقْهُوْرًا يَسْتَطِيعُ لِنَفْسِهِ نَفْعًا أَوْ ضَرًّا؟ فكَيْفَ يُطْلَبُ وَيُتَوَكَّلُ عَلَى المَقْهُوْرِ الضَّعِيفِ، وَاللهُ هُوَ الوَاحِدُ القَهَّارُ؟!

لَـمَّا عَلِمَ المُؤْمِنُ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الوَاحِدُ القَهَّارُ؛ أَعْلَنَ الاسْتِسْلَامَ لِلَّهِ، وَفَوَّضَ أَمْرَهُ إِلَى اللهِ، وَتَوَكَّلَ عَلَيْهِ، وَلَمْ يُعِظِّمْ إِلَّا اللهَ، وَلَمْ يَخَفْ إِلَّا مِنَ اللهِ، وَسَقَطَ الخَوْفُ مِنَ المَخْلُوْقِينَ الضُّعَفَاءِ؛ حَتَّى لَوْ ادْعَوْا القُوَّةَ وَالقَهْرَ.

فَهَؤُلَاءِ سَحَرَةُ فِرْعَوْنَ لَـمَّا دَخَلَ الإِيمَانُ فِي قُلُوْبِهِمْ، وَعَلِمُوْا أَنَّ اللهَ هُوَ الوَاحِدُ القَهَّارُ؛ كَانَ جَوَابُهُمْ لِطَاغِيَةِ الأَرْضِ فِرْعَوْنَ عِنْدَمَا هَدَّدَهُمْ: ﴿قَالُواْ لَا ضَيْرَۖ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [الشُّعَرَاءِ:٥٠].

وَاللهُ القَاهِرُ لِلطُّغَاةِ وَالعُصَاةِ: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾﴾[الأَنْعَامِ: ١٨]، قَهَرَ قَوْمَ نُوْحٍ بِالطُّوْفَانِ، وَقَهَرَ قَوْمَ صَالِحٍ بِالصَّيْحَةِ، وَقَهَرَ قَوْمَ عَادٍ بِالرِّيحِ، وَقَهَرَ قَوْمَ لُوْطٍ بِالحِجَارَةِ، وَقَهَرَ قَارُوْنَ بِالخَسِفِ، وَقَهَرَ قَوْمَ سَبَأٍ بِالجُوْعِ وَالعَطَشِ وَضِيقِ الأَرْزَاقِ، وَقَهَرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِالخَوْفِ وَتَسْلِيطِ الأَعْدَاءِ وَكَثْرَةِ القَتْلِ، وَقَهَرَ قَوْمًا مِنْهُمْ بِالمَسْخِ وَالطَّاعُوْنِ.

فَقَهْرُ اللهِ ﷻ ظَاهِرٌ: ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٨﴾﴾[النَّحْلِ:١١٨]، فَاللهُ الَّذِي أَطَاحَتْ صَوْلَتُهُ صَوْلَةَ المَخْلُوْقِينَ، وَبَادَتْ عِنْدَ سَطْوَتِهِ قُوَى الخَلَائِقِ أَجْمَعِينَ؛ ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾﴾[غَافِرٍ:١٦].

يَقُوْلُ الرَّازِيُّ ﷺ: "فَأَيْنَ الجَبَابِرَةُ وَالأَكَاسِرَةُ عِنْدَ ظُهُوْرِ هَذَا الخِطَابِ؟! وَأَيْنَ الأَنْبِيَاءُ

وَالْمُرْسَلُوْنَ وَالمَلَائِكَةُ المُقَرَّبُوْنَ فِي هَذَا العِتَابِ؟! أَيْنَ أَهْلُ الضَّلَالِ وَالإِلْحَادِ، وَالتَّوْحِيدِ وَالإِرْشَادِ؟! وَأَيْنَ آدَمُ وَذِرِّيَّتُهُ؟ وَأَيْنَ إِبْلِيسُ وَشِيعَتُهُ؟

وَكَأَنَّهُمْ بَادُوْا وَانْقَضَوْا! زَهِقَتْ النُّفُوْسُ، وَتَبَدَّدَتْ الأَرْوَاحُ، وَتَلِفَتِ الأَجْسَامُ وَالأَشْبَاحُ، وَتَفَرَّقَتِ الأَوْصَالُ، وَبَقِيَ المَوْجُوْدُ الَّذِي لَمْ يَزَلْ وَلَا يَزَالُ".

﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾﴾[غَافِر:١٦].

يَا أَيُّهَا الإِنْسَانُ مَهْلًا مَا الَّذِي ... بِاللهِ جَلَّ جَلَالُهُ أَغْرَاكَا

فَاسْجُدْ لِمَوْلَاكَ القَدِيرِ فَإِنَّمَا ... لَا بُدَّ يَوْمًا تَنْتَهِي دُنْيَاكَا

وَتَكُوْنُ فِي يَوْمِ القِيَامَةِ مَاثِلًا ... تُجْزَى بِمَا قَدْ قَدَّمَتْهُ يَدَاكَا

أَقُولُ قَولِي هَذَا، وَأَستَغْفِرُ اللهَ لِي وَلَكُمْ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرُوهُ؛ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ:

الحَمْدُ للهِ حَمْدًا طَيِّبًا كَثِيرًا مُبَارَكًا فِيهِ كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنِ اهْتَدَى بِهُدَاهُمْ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

عِبَادَ اللهِ..

كَانَ مِنْ دُعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ إِذَا فَزِعَ مِنْ نَوْمِهِ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ الوَاحِدُ القَهَّارُ، رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا، العَزِيزُ الغَفَّارُ»[حَدِيثٌ صَحِيحٌ. رَوَاهُ ابْنُ حِبَّانَ]، وَنَهَى اللهُ ﷻ عِبَادَهُ عَنْ مُنَازَعَتِهِ فِي اسْمَيْهِ: (القَاهِرِ وَالقَهَّارِ)؛ لِأَنَّهَا فِي حَقِّ اللهِ ﷻ صِفَةُ كَمَالٍ وَمَدْحٍ، وَغَالِبًا مَا تَكُوْنُ صِفَةَ ذَمٍّ فِي المَخْلُوْقِ؛ لِقِيَامِهِ بِالظُّلْمِ وَالطُّغْيَانِ وَالتَّسَلُّطِ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَالفُقَرَاءِ؛ ﴿قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾﴾[الأَعْرَاف:١٢٧].

وَنَهَى المَوْلَى عَنْ قَهْرِ اليَتِيمِ؛ فَقَالَ ﷻ: ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾﴾[الضُّحى:٩]، أَيْ: لَا

تَظْلِمْهُ، وَادْفَعْ لَهُ حَقَّهُ، وَخُصَّ اليَتِيمُ لِأَنَّهُ لَا نَاصِرَ لَهُ غَيْرُ اللهِ ﷻ، وَمَنْ كَانَ اللهُ نَاصِرَهُ فَقَدْ كَفَاهُ!

وَلَمَّا عَلِمَ أَهْلُ الإِيمَانِ بِأَنَّ رَبَّهُمْ هُوَ القَهَّارُ؛ عَظَّمُوْهُ فِي قُلُوْبِهِمْ، وَخَافُوْا مِنْهُ، وَتَوَكَّلُوْا عَلَيْهِ، ثُمَّ تَوَاضَعُوْا لَهُ ﷻ بِقَبُوْلِ حُكْمِهِ وَمَا أَنْزَلَ مِنَ الحَقِّ، وَتَرَكُوْا التَّجَبُّرَ وَالتَّكَبُّرَ عَلَى الخَلْقِ، بَلْ هُمْ فِي انْكِسَارٍ إِلَى اللهِ عَلَى الدَّوَامِ، وَإِذَا لَقُوْا العَدُوَّ؛ فَهُمْ يَعْلَمُوْنَ أَنَّ الوَاحِدَ القَهَّارَ مَعَهُمْ، فَيَأْخُذُوْنَ بِالأَسْبَابِ، وَيَسْتَعِينُوْنَ بِاللهِ القَاهِرِ الَّذِي قَهَرَ كُلَّ شَيْءٍ، وَدَانَ لَهُ كُلُّ شَيْءٍ، وَمَهْمَا بَلَغَتْ قُوَّةُ المَخْلُوْقِينَ فَاللهُ ﷻ قَاهِرُهُمْ، وَنَوَاصِيهِمْ بِيَدِهِ: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾﴾[الأنعام:١٨].

وَالعَبْدُ المُؤْمِنُ يُثْنِي عَلَى اللهِ ﷻ وَيَتَوَسَّلُ إِلَيْهِ بِهَذِهِ الأَسْمَاءِ حَالَ شُعُوْرِهِ بِالْخَوْفِ وَالخَشْيَةِ وَالظُّلْمِ مِنْ عَدُوٍّ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ؛ فَيَرْفَعُ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ قَائِلًا: يَا ذَا القَهْرِ وَالجَبَرُوْتِ! اِكْفِنِيهِ بِمَا شِئْتَ، أَوْ: يَا قَاهِرًا فَوْقَ عِبَادِهِ! أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الأَلْفَاظِ الَّتِي تَلِيقُ بِجَلَالِهِ..

وَعِنْدَهَا؛ سَيُدْهِشُكَ بِقُوَّتِهِ وَقَهْرِهِ؛ فَالَّذِي أَهْلَكَ مَلِكًا قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُذهِب حُزْنَكَ، وَالَّذِي بَدَّدَ جَيْشًا قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُبَدِّدَ يَأْسَكَ، وَالَّذِي رَدَّ طَاغِيَةً وَفِيلًا قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَرُدَّ أَلَمَكَ، فَقَطْ كُنْ لَهُ كَمَا يُرِيدُ يَكُنْ لَكَ كَمَا تُرِيدُ!

إِذَا بُلِيتَ فَثِقْ بِاللهِ وَارْضَ بِهِ ... إِنَّ الَّذِي يَكْشِفُ البَلْوَى هُوَ اللهُ

وَاللهِ مَالَكَ غَيْرُ اللهِ مِنْ أَحَدٍ ... فَحَسْبُكَ اللهُ فِي كُلٍّ لَكَ اللهُ

اللَّهُمَّ يَا ذَا القَهْرِ وَالجَبَرُوْتِ! اِكْفِنَا شَرَّ الأَشْرَارِ وَكَيْدَ الفُجَّارِ.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ الجَنَّةَ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ، ونَعُوْذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ الهُدَى وَالسَّدَادَ، وَنَسْأَلُكَ التُّقَى وَالعِفَّةَ وَالغِنَى.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنَ الخَيْرِ كُلِّهِ؛ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ؛ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَأَنْ تَجْعَلَ كُلَّ قَضَاءٍ قَضَيْتَهُ لَنَا خَيْرًا.

اللَّهُمَّ! أَصْلِحْ لَنَا دِيْنَنَا الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا دُنْيَانَا الَّتِي فِيهَا مَعَاشُنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا آخِرَتَنَا الَّتِي فِيهَا مَعَادُنَا، وَاجْعَلِ الحَيَاةَ زِيَادَةً لَنَا فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَالمَوْتَ رَاحَةً لَنَا مِنْ كُلِّ شَرٍّ.

اللَّهُمَّ! أَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا، وَأَلِّفْ بَيْنَ قُلُوْبِنَا، وَاهْدِنَا سُبَلَ السَّلَامِ، وَأَخْرِجْنَا مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوْرِ.

اللَّهُمَّ! بَارِكْ لَنَا فِي أَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوَّاتِنَا وَأَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّتِنَا وَأَمْوَالِنَا، وَاجْعَلْنَا مُبَارَكِيْنَ أَيْنَمَا كُنَّا.

وَآخِرُ دَعْوَانَا: أَنِ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ.

الوَهَّابُ ﷻ

إِنَّ الحَمْدَ لله؛ نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِالله مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَـهَ إِلَّا اللهُ؛ وَحْـدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[آلِ عِمْرَانَ: ١٠٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾[النِّسَاءَ: ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾[الأَحْزَابِ: ٧٠- ٧١].

أَمَّا بَعْدُ:

عِبَادَ الله..

خُطْبَتُنَا اليَوْمَ عَنِ اسْمٍ مِنْ أَسْمَاءِ الله الحُسْنَى؛ مَا سَمِعَ خَائِفٌ بِـهِ إِلَّا أَمِـنَ، وَلَا مُفْـزَعٌ إِلَّا سَكَنَ.. إِنَّهُ اسْمُ الله (الوَهَّابِ ﷻ).

فَرَبُّنَا ﷻ وَاسِعُ الهِبَاتِ، شَمِلَ كُلَّ الكَائِنَاتِ فِي الأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ، لَا يَنْقَطِعُ نَوَالُـهُ فِي الحَالِ وَلَا فِي المَآلِ، يُعْطِي مِنْ غَيْرِ سُؤَالٍ وَلَا وَسِيلَةٍ، وَيُنْعِمُ بِلَا سَبَبٍ وَلَا حِيلَـةٍ: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾[آلِ عِمْرَانَ:٨]، ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ ﴿٩﴾﴾[ص:٩].

وَكَـذِلِكَ الوَهَّـابُ مِـنْ أَسْـمَائِهِ
فَـانْظُرْ مَوَاهِبَـهُ مَـدَى الأَزْمَـانَ
أَهْلُ السَّمَاوَاتِ العُلَا وَالأَرْضِ عَـنْ
تِلْـكَ المَوَاهِـبِ لَـيْسَ يَنْفَكَّـانِ

فَسُبْحَانَهَ مِنْ خَلَّاقٍ عَظِيمٍ، جَوَادٍ كَرِيمٍ وَهَّابٍ!

الكَرَمُ: صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِهِ، وَالجُوْدُ: مِنْ أَعْظَمِ سِمَاتِهِ، وَالعَطَاءُ: مِنْ أَجَلِّ هِبَاتِهِ، فَمَنْ أَعْظَمُ مِنْهُ جُوْدًا؟!

الخَلَائِقُ لَهُ عَاصُوْنَ، وَهُوَ لَهُمْ مُرَاقِبٌ، يَكْلَؤُهُمْ فِي مَضَاجِعِهِمْ كَـأَنَّهُمْ لَمْ يَعْـصُوْهُ، وَيَتَـوَلَّى حِفْظَهُمْ كَأَنَّهُمْ لَمْ يُذْنِبُوْا، يَجُوْدُ بِالفَضْلِ عَلَى العَاصِي، وَيَتَفَضَّلُ عَلَى المُسِيْءِ.

مَنِ الَّذِي دَعَاهُ فَلَمْ يَسْتَجِبْ لَهُ؟! أَمْ مَنْ ذَا الَّذِي سَأَلَهُ فَلَمْ يُعْطِهِ؟ أَمْ مَـنْ ذَا الَّـذِي أَنَـاخَ بِبَابِهِ فَنَحَّاهُ؟

سُبْحَانَ مَنْ يُعْطِي المُنَى بِخَوَاطِرٍ ... فِي النَّفْسِ لَمْ يَنْطِقْ بِهِنَّ لِـسَانُ
سُبْحَانَ مَنْ هُـوَ لَايَـزَالُ وَرِزْقُـهُ ... لِلْعَـالَمِينَ بِـهِ عَلَيْـهِ ضَـمَانُ

نِعَمُ اللهِ ﷻ تَتْرَى عَلَى العَبْدِ مُنْذُ كَانَ نُطْفَةً فِي بَطْنِ أُمِّهِ، ثُمَّ صَوَّرَ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ وَنَفَخَ فِيهِ الرُّوْحَ، ثُمَّ غَذَّاهُ وَسَقَاهُ وَكَسَاهُ وَآوَاهُ وَكَفَاهُ، وَمِنْ كُلِّ مَا سَأَلَ أَعْطَاهُ، وَاللهُ ﷻ يَقُوْلُ لِلْعَبْدِ: ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝٩ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ۝١٠﴾[البَلَدِ:٨-١٠]، ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ۝١٥﴾[فَاطِرٍ:١٥].

خَلَقَكَ وَرَزَقَكَ، أَحْيَاكَ وَأَمَاتَكَ، حَبَاكَ وَأَعْطَاكَ، أَمْرَضَكَ وَشَفَاكَ، أَجَاعَكَ وَأَشْبَعَكَ، أَظْمَأَكَ وَسَقَاكَ، أَضْحَكَكَ وَأَبْكَاكَ، عَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ، وَعَرَّفَكَ مَا كُنْتَ تَجْهَلُ، هَيَّأَ رِزْقَكَ.

أَجَابَ دُعَاءَكَ، لَبَّى نِدَاءَكَ، قَهَرَ عَدُوَّكِ، أَرْسَلَ لَكَ رَسُوْلًا، وَعَلَّمَكَ كِتَابًا، وَهَدَاكَ مَنْهَجًا.. وَبَعْدَ هَذَا تَعْصِيهِ؟! ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾﴾[عَبَسَ:١٧].

إِنَّهُ الوَهَّابُ ﷻ؛ الَّذِي يُحَوِّلُ الدَّمْعَةَ بَسْمَةً، وَالخَوْفَ أَمْنًا، وَالفَزَعَ سَكِينَةً، بَشَّرَ اللَّيْلَ بِصُبْحٍ صَادِقٍ، بَشَّرَ المَهْمُوْمَ بِفَرَجٍ مُفَاجِئٍ، بَشَّرَ المَنْكُوْبَ بِلُطْفٍ خَفِيٍّ.

خَزَائِنُ الله ﷻ مَلْأَى لَا تَنْفَدُ، وَهُوَ القَائِلُ: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[غَافِرِ:٦٠]، فَمَنْ دَعَا اللهَ فَلْيُعَظِّمِ المَسْأَلَةَ؛ فَإِنَّهُ لَا يَتَعَاظَمُهُ شَيْءٌ! فَهَذَا سُلَيْمَانُ ﷺ يَطْلُبُ خَيْرَي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾﴾[ص:٣٥].

وَهَذَا زَكَرِيَّا يُصَابُ بِالكِبَرِ وَامْرَأَتُهُ عَاقِرٌ؛ وَمَعَ ذَلِكَ يَقُوْلُ: ﴿رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾﴾[آلِ عِمْرَانَ:٣٨].

وَخَيْرُ مَا وَهَبَ لِلبَشَرِ: النُّبُوَّةُ وَالكِتَابُ وَالحِكْمَةُ وَالآيَاتُ البَيِّنَاتُ؛ وَلِذَا؛ خُصَّ بِهَا وَبْحَمْلِهَا أَشْرَفُ الخَلَائِقِ، فَهَؤُلَاءِ آلُ إِبْرَاهِيمَ ﷺ، قَالَ ﷻ: ﴿فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾﴾[النِّسَاءَ:٥٤].

وَأَكْرَمَ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا ﷺ بِالسَّبْعِ المَثَانِي وَالقُرْآنِ العَظِيمِ: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾﴾[الحِجْرِ:٨٧]، وغَيْرُهُمْ مِنَ الأَنْبِيَاءِ.

وَالمُلْكُ وَالسُّلْطَانُ وَالمَالُ وَالذِّرِّيَّةُ وَالعَافِيَةُ جَمِيعُهَا مِنَ المَلِكِ الوَهَّابِ ﷻ، ﴿وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾﴾[البَقَرَةِ:٢٤٧]، ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾﴾[الشُّوْرَى:٤٩]، ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾﴾[آلِ عِمْرَانَ:٢٦].

وَأَعْظَمُ مَا يَدْعُوْ العَبْدُ بِهِ رَبَّهُ: دُعَاءَ أَهْلِ العِلْمِ الَّذِينَ عَرَفُوْا سِرَّ مُنَاجَاةِ اللهِ بِأَسْمَائِهِ الحُسْنَى؛ فَسَأَلُوْهُ الثَّبَاتَ وَالرَّحْمَةَ: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾[آلِ عِمْرَانَ:٨].

وَلِذَا؛ جَعَلَهَا اللهُ ﷻ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ، نَتَلَفَّظُ بِهَا، وَنَرْجُوْ أَنْ يَهَبَهَا اللهُ لَنَا، وَهِيَ: الهِدَايَةُ: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾﴾[الفَاتِحَةِ:٦].

اللَّهُمَّ اهْدِنَا الصِّرَاطَ المُسْتَقِيمَ، وَاجْعَلْنَا مِنْ أَوْلِيَائِكَ؛ يَا رَبَّ العَالَمِينَ!

أَقُولُ قَولِي هَذَا، وَأَستَغْفِرُ اللهَ لِي وَلَكُمْ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرُوهُ؛ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ:

الحَمْدُ للهِ حَمْدًا طَيِّبًا كَثِيرًا مُبَارَكًا فِيهِ كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنِ اهْتَدَى بِهُدَاهُمْ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

عِبَادَ اللهِ..

إِنَّ اللهَ يُحِبُّ مَنْ يَسْأَلُهُ، بَلْ لَوْلَا دُعَاؤُهُمْ لَمْ يُبَالِ بِهِمْ: ﴿ قُلْ مَا يَعْبَؤُا۟ بِكُمْ رَبِّى لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ﴾[الفُرْقَانَ:٧٧].

وَمِنَ الدُّعَاءِ الَّذِي يُتَقَرَّبُ بِهِ إِلَى اللهِ ﷻ: مَا عَلَّمَنَا إِيَّاهُ رَبُّنَا فِي قَوْلِهِ ﷻ: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾[الفُرْقَانِ:٧٤]، بَلْ وَعَدَ ﷻ بِالجَنَّةِ بَعْدَ هَذَا الدُّعَاءِ: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾﴾[الفُرْقَانَ:٧٥].

وجَاءَ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «يَدُ اللهِ مَلْأَى، لَا يَغِيضُهَا نَفَقَةٌ، سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، أَرَأَيْتُمْ مَا

أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ؟ فَإِنَّهُ لَمْ يَغِضْ مَا فِي يَدِهِ..»[أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ -وَهَذَا لَفْظُهُ-، وَمُسْلِمٌ]».

فَرَبُّنَا ﷻ يَهَبُ العَطَاءَ فِي الدُّنْيَا عَلَى سَبِيلِ الابْتِلَاءِ، وَيَهَبُ العَطَاءِ فِي الآخِرَةِ عَلَى سَبِيلِ الأَجْرِ وَالجَزَاءِ؛ فَعَطَاؤُهُ فِي الدُّنْيَا عَلَّقَهُ بِمَشِيئَتِهِ، وَابْتَلَاءُ النَّاسِ بِحِكْمَتِهِ؛ لِيَتَعَلَّقَ العَبْدُ بِرَبِّهِ عِنْدَ الدُّعَاءِ وَالرَّجَاءِ، وَيَسْعَدَ بِتَوْحِيدِهِ وَإِيمَانِهِ بَيْنَ الدُّعَاءِ وَالقَضَاءِ.

وَهَذِهِ أَعْظَمُ الهِبَاتِ وَالعَطَاءِ؛ إِذَا أَدْرَكَ العَبْدُ حَقِيقَةَ الابْتِلَاءِ.

وَإِذَا عَلِمَ العَبْدُ ذَلِكَ؛ أَوْرَثَ هَذَا الاسْمُ مَحَبَّةَ العَبْدِ لِرَبِّهِ، وَالقِيَامَ بِحَمْدِهِ وَشُكْرِهِ، وَالتَّعَلُّقَ بِهِ عَلَى الدَّوَامِ.

لَكَ الحَمْدُ اللَّهُمَّ يَا خَيْرَ وَاهِبِ

وَيَا خَيْرَ مَرْجُوٍّ لِنَيْلِ المَآرِبِ

وَيَا خَيْرَ مَنْ يُرْجَى لِكَشْفِ مُلِمَّةٍ

وَيَا خَيْرَ مَنْ يُسْدِي العَطَا وَالمَوَاهِبَ

اللَّهُمَّ! هَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً؛ إِنَّكَ أَنْتَ الوَهَّابُ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِيْنَا وَلِجَمِيعِ المُسْلِمِين؛ يَا رَبَّ العَالَمِينَ!

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ الهُدَى وَالسَّدَادَ، وَنَسْأَلُكَ التُّقَى وَالعِفَّةَ وَالغِنَى.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ الجَنَّةَ، وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، وَنَعُوْذُ بِكَ مِنَ النَّارِ، وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنَ الخَيْرِ كُلِّهِ؛ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ؛ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَأَنْ تَجْعَلَ كُلَّ قَضَاءٍ قَضَيْتَهُ لَنَا خَيْرًا.

اللَّهُمَّ! أَصْلِحْ لَنَا دِيْنَنَا الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا دُنْيَانَا الَّتِي فِيهَا مَعَاشُنَا،

وَأَصْلِحْ لَنَا آخِرَتَنَا الَّتِي فِيهَا مَعَادُنَا، وَاجْعَلِ الحَيَاةَ زِيَادَةً لَنَا فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَالمَوْتَ رَاحَةً لَنَا مِنْ كُلِّ شَرٍّ.

اللَّهُمَّ! أَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا، وَأَلِّفْ بَيْنَ قُلُوْبِنَا، وَاهْدِنَا سُبَلَ السَّلَامِ، وَأَخْرِجْنَا مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوْرِ.

اللَّهُمَّ! بَارِكْ لَنَا فِي أَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوَّاتِنَا وَأَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّتِنَا وَأَمْوَالِنَا، وَاجْعَلْنَا مُبَارَكِيْنَ أَيْنَمَا كُنَّا.

وَآخِرُ دَعْوَانَا: أَنِ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ.

الرَّزَّاقُ الرَّازِقُ ﷻ

إِنَّ الحَمْدَ لله؛ نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِالله مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَـهَ إِلَّا اللهُ؛ وَحْـدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[آلِ عِمْرَانَ: ١٠٢]،

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾[النِّسَاءَ: ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾[الأَحْزَابِ: ٧٠- ٧١].

أَمَّا بَعْدُ:

يَا عَبْدَ الله..

تَعَرَّفْ عَلَى الرَّزَّاقِ مِنْ قَرِيبٍ، وَعِشْ مَعَ هَذَا الاسْمِ العَظِيمِ؛ الَّذِي مَـا وَلَـجَ أُذُنَ سَـامِعٍ إِلَّا وَاطْمَـأَنَّ قَلْبُـهُ، وَسَـكَنَتْ رُوْحُـهُ، وَتَغَـيَّرَ حَالُـهُ؛ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [الذَّارِيَاتِ:٥٨].

فَرَبُّنَا الرَّزَّاقُ، المُتَكَفِّلُ بِالرِّزْقِ، وَالقَائِمُ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ، وَسِعَ الخَلْقَ كُلَّهُمْ رِزْقُهُ وَرَحْمَتُهُ؛ فَلَمْ يَخْتَصَّ اللهُ ﷻ بِذَلِكَ مُؤْمِنًا دُوْنَ كَافِرٍ، وَلَا وَلِيًّا دُوْنَ عَدُوٍّ، يَسُوْقُهُ إِلَى الضَّعِيفِ كَمَا يَسُوْقُهُ إِلَى القَوِيِّ، يَسُوْقُهُ إِلَى الجَنِينِ فِي بَطْنِ أُمِّهِ، وَإِلَى الطَّيرِ فِي وَكْرِهِ، يَسُوْقُهُ إِلَى الثُّعْبَانِ فِي جُحْرِهِ، وَإِلَى السَّمَكِ فِي بَحْرِهِ، ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ

﴿ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾﴾[العَنْكَبُوْت:٦٠].

صَحَّ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ اللهَ ﷻ قَدْ وَكَّلَ بِالرَّحِمِ مَلَكًا؛ فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ نُطْفَةٌ، أَيْ رَبِّ عَلَقَةٌ، أَيْ رَبِّ مُضْغَةٌ! فَإِذَا أَرَادَ اللهُ أَنْ يَقْضِيَ خَلْقًا قَالَ المَلَكُ: أَيْ رَبِّ! ذَكَرٌ أَوْ أُنْثَى؟ شَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ؟ فَمَا الرِّزْق؟ فَمَا الأَجَلُ؟ فَيُكْتَبُ كَذَلِكَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ»[أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ -وَهَذَا لَفْظُهُ-].

فَرِزْقُكَ مِنَ الرَّزَّاقِ مَضْمُوْنٌ، وَالرِّزْقُ يَطْرُقُ بَابَكَ، وَيَعَلَمُ أَيْنَ أَنْتَ، وَأَنْتَ لَا تَعْرِفُ بَابَهُ، وَجَاءَ فِي الحَدِيثِ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الرِّزْق لَيَطْلُبُ العَبْدَ كَمَا يَطْلُبُهُ أَجَلُهُ»[حَدِيثٌ صَحِيحٌ. رَوَاهُ ابْنُ حِبَّانَ].

فَلَا تَسْتَعْجِلْ نَصِيبَكَ، وَلَا تَقْلَقَ إِنْ تَأَخَّرَ! فَالأُمُوْرُ مُقَدَّرَةٌ، وَفَرَغَ رَبُّكَ ﷻ مِنْهَا قَبْلَ خَلْقِ الخَلِيقَةِ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾[النَّحْل:١].

وَاللهُ ﷻ قَالَ: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾[الذَّارِيَات:٢٢]، وَصَحَّ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَوْفِيَ رِزْقَهَا»[حَدِيثٌ صَحِيحٌ. رَوَاهُ ابْنُ مَاجَه].

لَوْ كَانَ فِي صَخْرَةٍ فِي البَحْرِ رَاسِيَةٍ
صَمَّاءَ مَلْمُوْمَةٍ مُلْسٌ نَوَاحِيهَا
رِزْقٌ لِعَبْدٍ يَرَاهُ اللهُ لَانْفَلَقَتْ
حَتَّى تُؤَدِّي إِلَيْهِ كُلَّ مَا فِيهَا
أَوْ كَانَ بَيْنَ طِبَاقِ السَّبْعِ مَسْلَكُهَا
لَسَهَّلَ اللهُ فِي المَرْقَى مَرَاقِيهَا
حَتَّى تَنَالَ الَّذِي فِي اللَّوْحِ خُطَّ لَهَا
فَإِنْ أَتَتْهُ وَإِلَّا سَوْفَ يَأْتِيهَا

والرِّزْقُ يكُوْنُ بِسَبَبٍ أَوْ دُوْنَ سَبَبٍ:

فَالرِّزْقُ الَّذِي بِسَبَبٍ؛ كَالحَرْثِ وَالتِّجَارَةِ وَالصِّنَاعَةِ وَنَحْوَهَا، فَهَذِهِ طُرُقٌ يَرْتَزِقُ بِهَا النَّاسُ، فَمِنْ سُنَنِ اللهِ فِي الكَوْنِ: السَّعْيِ عَلَى المَعَاشِ: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾﴾[الأَعْرَافِ:١٠].

وَالَّذِي يَأْتِي بِغَيْرِ سَبَبٍ؛ كَأَنْ يُقَيِّضَ اللهُ لِلْعَبْدِ رِزْقًا قَدَرِيًّا سَمَاوِيًّا مَحْضًا، أَوْ عَلَى يَدِ غَيْرِهِ، فَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ!

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: أَصَابَ رَجُلًا حَاجَةٌ؛ فَخَرَجَ إِلَى البَرِّيَّةِ، فَقَالَتِ امْرَأَتُهُ: اللَّهُمَّ! ارْزُقْنَا مَا نَعْتَجِنُ وَمَا نَخْتَبِزُ.

فَجَاءَ الرَّجُلُ وَالجَفْنَةُ مَلْأَى عَجِينًا، وَفِي التَّنُّوْرِ جَنُوبُ الشِّوَاءِ، وَالرَّحَى تَطْحَنُ؛ فَقَالَ: مِنْ أَيْنَ هَذَا؟ قَالَتْ: مِنْ رِزْقِ اللهِ، فَكَنَسَ مَا حَوْلَ الرَّحَى.

فَقَالَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ: «لَوْ تَرَكَهَا لَدَارَتْ -أَوْ قَالَ: طَحَنَتْ- إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ»[حَدِيثٌ صَحِيحٌ. رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي «المُعْجَمِ الأَوْسَطِ»].

وَاللهُ يُنَزِّلُ الأَرْزَاقَ بِقَدَرٍ، فَهُوَ أَعْلَمُ بِحَالِ العِبَادِ وَمَا يُصْلِحُهُمْ، ﴿۞ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾﴾[الشُّوْرَى:٢٧]، قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ ﷺ: "خَبِير بَصِيرٌ بِمَنْ يَسْتَحِقُّ الغِنَى وَمَنْ يَسْتَحِقُّ الفَقْرَ".

وَرِزْقُ اللهِ لَا يَنْفَدُ، وَكُلُّ ذَلِكَ بِلَا ثِقَلٍ وَلَا كُلْفَةٍ وَلَا مَشَقَّةٍ؛ فَهُوَ رَازِقٌ بِلَا مَؤُوْنَةٍ.

جَاءَ فِي الحَدِيثِ القُدُسِيِّ: «يَا عِبَادِي! لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي؛ فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ؛ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ المِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ البَحْرَ»[أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ].

وَأَعْظَمُ رِزْقٍ يَرْزُقُهُ اللهَ ﷻ لِعَبَادِهِ هُوَ: الجَنَّةَ، حَيْثُ سَمَّاهَا: رِزْقًا؛ ﴿قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ

رِزْقًا ﴿١١﴾﴾[الطَّلَاقِ:١١].

وَإِنَّ مِنْ أَعْظَمِ مَا يُضْفِي السَّعَادَةَ وَالطَّمْأْنِينَةَ عَلَى العَبْدِ: رُكُوْنَهُ إِلَى رَبِّهِ، وَتَوَكُّلَهِ عَلَى رَازِقِهِ، وَاكْتِفَاءَهُ بِوَلَايَتِهِ وَرِعَايَتِهِ، ﴿إِنَّ وَلِيِّيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾﴾ [الأَعْرَافِ:١٩٦].

وَإِذَا تَوَلَّى اللهُ العَبْدَ؛ جَعَلَ التَّقْوَى فِي قَلْبِهِ، وَهِيَ مِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ الرِّزْقِ؛ ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾[الأَعْرَافِ:٩٦]، ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطَّلَاقِ:٢-٣].

وَمِنْ سُنَنِ اللهِ ﷻ فِي الكَوْنِ: أَنَّ الرِّزْقَ مُرْتَبِطٌ بِالطَّاعَةِ: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم﴾[المَائِدَةِ:٦٦].

وَكَذَا بِالْعَكْسِ؛ فَإِنَّ المَعَاصِي تَمْنَعُ الرِّزْقَ وَتَمْحَقُ البَرَكَةَ: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾﴾[الرُّوْمِ:٤١].

فَمَنْ ضَاقَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ، أَوْ أَرَادَ الزِّيَادَةَ؛ فَعَلَيْهِ بِالتَّقْوَى وَالدُّعَاءِ، وَكَانَ مِنْ دُعَاءِ عِيسَى عليه السلام: ﴿وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾﴾[المَائِدَةِ:١١٤]، ومِنْ دُعَاءِ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾[البَقَرَةِ:١٢٦]، وَكَانَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ يُعلِّمُ مَنْ أَسْلَمَ أَنْ يَقُوْلَ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي وَاهْدِنِي وَارْزُقْنِي»[أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ]، وَقَدْ دَعَا لِخَادِمِهِ أَنَسٍ: «اللَّهُمَّ ارْزُقْهُ مَالًا وَوَلَدًا، وَبَارِكْ لَهُ فِيهِ»[أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ].

وَكُلُّ مَا فِيهِ خَيْرٌ وَنَفْعٌ لِلإِنْسَانِ يُسَمَّى: رِزْقًا، جَاءَ فِي الحَدِيثِ: أَنَّ الرَّسُوْلَ ﷺ قَالَ عَنْ خَدِيجَةَ رضي الله عنها: «إِنِّي رُزِقْتُ حُبَّهَا»[حَدِيثٌ صَحِيحٌ. رَوَاهُ ابْنُ حِبَّانَ].

فالأَمْنُ فِي الأَوْطَانِ، وَصِحَّةُ جَسَدٍ، وَقُوتُ يَوْمٍ، وَصَلَاحُ زَوْجَةٍ، وَسَكِينَةُ رُوحٍ، وَنَوْمٌ هَنِيْءٌ، وَبِرٌّ بِوَالِدَيْنِ؛ فَهِيَ أَرْزَاقٌ وَلَكِنَّهَا عِنْدَ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ مَنْسِيَّةٌ؛ ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾﴾[النَّحْلِ:١٨].

اللَّهُمَّ! اجْعَلْنَا مِنَ الشَّاكِرِينَ.

أَقُولُ قَولِي هَذَا، وَأَستَغْفِرُ اللهَ لِي وَلَكُمْ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرُوهُ؛ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ:

الحَمْدُ للهِ حَمْدًا طَيِّبًا كَثِيرًا مُبَارَكًا فِيهِ كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنِ اهْتَدَى بِهُدَاهُمْ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

عِبَادَ الله..

كَثْرَةُ الرِّزْقِ لَا تَدُلُّ عَلَى محَبَّةِ الله ﷻ! وَهَذَا ظَنُّ الكُفَّارِ وَالجُهَّالِ: أَنَّ زِيَادَةَ الرِّزْقِ تَدُلُّ عَلَى مَحَبَّةِ الله وَرِضَاهُ، فَاللهُ قَدْ قَالَ: ﴿وَقَالُوا۟ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾﴾[سَبَإٍ:٣٥-٣٧].

وَاللهُ يُعْطِي الدُّنْيَا مَنْ يُحِبُّ وَمَنْ لَا يُحِبُّ، قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «لَوْ كَانَتْ الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ الله جَنَاحَ بَعُوضَةٍ؛ مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ»[حَدِيثٌ صَحِيحٌ. رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ].

كَمَا أَنَّ قِلَّةَ الرِّزْقِ لَا تَدُلُّ عَلَى الإِهَانَةِ؛ ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا﴾[الفَجْرِ:١٥-١٧].

ولِيَحْذَرِ العَبْدُ مِنْ تَخْوِيفِ الشَّيْطَانِ لَهُ فِي الرِّزْقِ؛ فَاللهُ ﷻ قَالَ: ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ

وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾ [البَقَرَة:٢٦٨].

وَيَقُوْلُ أَحَدُ السَّلَفِ: صَدَّقَ النَّاسُ إِبْلِيسَ، وَكَذَّبُوْا اللهَ فِي الرِّزْقِ!!

النَّفْسُ تَجْزَعُ أَنْ تَكُوْنَ فَقِيرَةً ... وَالفَقْرُ خَيْرٌ مِنْ غِنًى يُطْغِيهَا

وَغِنَى النَّفْسِ هُوَ الكَافِي فَإِنْ ... أَبَتْ فَجَمِيعُ مَا فِي الأَرْضِ لَا يَكْفِيهَا

اللَّهُمَّ ارْزُقْنَا! وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ الجَنَّةَ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ، ونَعُوْذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ الهُدَى وَالسَّدَادَ، وَنَسْأَلُكَ التُّقَى وَالعِفَّةَ وَالغِنَى.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنَ الخَيْرِ كُلِّهِ؛ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ؛ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَأَنْ تَجْعَلَ كُلَّ قَضَاءٍ قَضَيْتَهُ لَنَا خَيْرًا.

اللَّهُمَّ! أَصْلِحْ لَنَا دِيْنَنَا الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا دُنْيَانَا الَّتِي فِيهَا مَعَاشُنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا آخِرَتَنَا الَّتِي فِيهَا مَعَادُنَا، وَاجْعَلِ الحَيَاةَ زِيَادَةً لَنَا فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَالمَوْتَ رَاحَةً لَنَا مِنْ كُلِّ شَرٍّ.

اللَّهُمَّ! أَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا، وَأَلِّفْ بَيْنَ قُلُوْبِنَا، وَاهْدِنَا سُبُلَ السَّلَامِ، وَأَخْرِجْنَا مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوْرِ.

اللَّهُمَّ! بَارِكْ لَنَا فِي أَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوَّاتِنَا وَأَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّتِنَا وَأَمْوَالِنَا، وَاجْعَلْنَا مُبَارَكِيْنَ أَيْنَمَا كُنَّا.

وَآخِرُ دَعْوَانَا: أَنِ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ.

الفَتَّاحُ ﷻ

إِنَّ الحَمْدَ لله؛ نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِالله مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَـهَ إِلَّا اللهُ؛ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ.

أَمَّا بَعْدُ:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[آلِ عِمْرَانَ: ١٠٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾[النِّسَاءَ: ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾[الأَحْزَابِ: ٧٠- ٧١].

عِبَادَ الله..

مِنْ أَسْمَاءِ الله ﷻ: (الفَتَّاح).

وَهَذَا الاسْمُ فِيهِ بُشْرَى وَرِسَالَةٌ إِلَى كُلِّ مَنْ مَلَّ مِنَ الحَيَاةِ، وَسَئِمَ العَيْشَ، وَضَاقَ ذَرْعًا بِالأَيَّامِ، وَذَاقَ الغُصَصَ! إِنَّ هُنَاكَ فَتْحًا مُبِينًا، وَنَصْرًا قَرِيبًا، وَفَرَجًا بَعْدَ شِدَّةٍ، وَيُسْرًا بَعْدَ عُسْرٍ، إِنَّ هُنَاكَ لُطْفًا خَفِيًّا مِنْ بَيْنِ يَدَيْكَ وَمِنْ خَلْفِكَ، وَإِنَّ هُنَاكَ أَمَلًا مُشْرِقًا وَمُسْتَقْبَلًا حَافِلًا، وَوَعْدًا صَادِقًا: ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ﴾[الرُّوْمِ: ٦].

إِنَّ لِضِيقِكَ مَعَ الفَتَّاحِ فُرْجَةً وَكَشْفًا، وَلِهَمِّكَ مَعَ الفَتَّاحِ أُنْسًا.

قَالَ اللهُ ﷻ عَنْ نَفْسِهِ: ﴿وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾﴾[سَبَإٍ: ٢٦].

فَرَبُّنَا ﷻ يَفْتَحُ مَغَالِيقَ القُلُوْبِ بِالهُدَى وَالإِيمَانِ وَالتُّقَى.

وَرَبُّنَا ﷻ يَكْشِفُ الغُمَّةَ عَنْ عِبَادِهِ، وَيُسْرِعُ بِالفَرَجِ، وَيَرْفَعُ الكَرْبَ، وَيُزِيلُ الضَّرَّاءَ، وَيَفِيضُ بِالرَّحْمَةِ، وَيَفْتَحُ أَبْوَابَ الرِّزْقِ، وَيَفْتَحُ لِعِبَادِهِ فِي شُؤُوْنِ دُنْيَاهُمْ مَا يُصْلِحُ بِهِ عَيْشَهُمْ وَتَسْتَقِيمُ حَيَاتُهُمْ، ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾﴾[فَاطِر:٢].

وَرَبُّنَا ﷻ هُوَ الَّذِي فَتَحَ أَبْوَابَ العِلْمِ وَالحِكْمَةِ وَالمَعْرِفَةِ وَالبَصِيرَةِ لِأَنْبِيَائِهِ وَأَوْلِيَائِهِ وَعِبَادِهِ الصَّالِحِينَ: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾﴾[البَقَرَة: ٢٨٢].

وَرَبُّنَا ﷻ الَّذِي فَتَحَ المَمَالِكَ وَالأَمْصَارَ لِعِبَادِهِ الصَّالِحِينَ المُؤْمِنِينَ؛ ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾﴾[الرُّوْم:٤-٥]، ﴿فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ﴾[الأَنْفَال:١٩]، ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِى وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾﴾[الشُّعَرَاء:١١٧-١١٨]، ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾﴾[الفَتْح: ١].

وَرَبُّنَا ﷻ هُوَ الَّذِي يَفْتَحُ وَيَحْكُمُ وَيَقْضِي بَيْنَ عِبَادِهِ بِالحَقِّ فِي الآخِرَةِ؛ حُكْمًا لَا جَوْرَ فِيهِ وَلَا جَنَفَ وَلَا ظُلْمَ، وَلَكِنَّهُ عَدْلٌ وَحَقٌّ، وَاللهُ خَيْرُ الفَاتِحِينَ: ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾﴾[سَبَإٍ:٢٦]، ﴿وَٱسْتَفْتَحُوا۟ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾﴾ [إِبْرَاهِيمَ:١٥]، ﴿قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِيمَٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾﴾[السَّجْدَة: ٢٩].

وَرَبُّنَا ﷻ هُوَ الَّذِي يَفْتَحُ بِأَنْوَاعِ النِّعَمِ لِلْعَاصِينَ؛ اسْتِدْرَاجًا لَهُمْ: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟

بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الأَنْعَام:٤٤].

وَكَـذِلِكَ الفَتَّـاحُ مِـنْ أَسْـمَائِهِ ... وَالفَـتْحُ فِي أَوْصَـافِهِ أَمْـرانِ
فَـتْحٌ بِحُكْـمٍ وَهُـوَ شَرْعُ إِلهِنَـا ... وَالفَـتْحُ بِالأَقْـدَارِ فَـتْحٌ ثَـانِي
وَالـرَّبُّ فَتَّـاحٌ بِـذَيْنِ كِلَـيْهِمَا ... عَدْلًا وَإِحْـسَانًا مِـنَ الـرَّحْمَنِ

نَقِفُ عِنْدَ قَوْلِهِ ﷻ: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾﴾ [فَاطِر:٢]:

حَقِيقَةٌ لَا بُدَّ أَنْ يَتَذَكَّرَهَا المُؤْمِنُ عَلَى الدَّوَامِ، وَهِيَ: أَنَّهُ لَا عُبُوْرَ لِأَيِّ رَغْبَةٍ إِلَّا عَـنْ طَرِيـقِ اللهِ ﷻ، وَلَا وُجُوْدَ لِأَيِّ حَاجَةٍ إِلَّا فِي سَاحَةِ اللهِ ﷻ، وَلَا إِمْكَانِيَّـةَ لِحُـدُوْثِ شَيْءٍ إِلَّا بِـاللهِ ﷻ؛ فَإِنَّهُ وَحْدَهُ الَّذِي لَا حَوْلَ فِي الوُجُوْدِ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِهِ ﷻ.

وَلَا يُمْكِنُ لِخَلِيَّةٍ أَنْ تَتَحَرَّكَ، وَلَا لِذَرَّةٍ أَن تَكُوْنَ، وَلَا لِقَطْرَةٍ أَنْ تَتَبَخَّرَ، وَلَا لِوَرَقَـةِ شَـجَرٍ أَنْ تَسْقُطَ إِلَّا بِحَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ ﷻ.

وَلَا يَسْتَطِيعُ العَالَمُ كُلُّهُ أَنْ يَمَسَّكَ بِسُوْءٍ لَمْ يُرِدْهُ اللهُ ﷻ، وَلَا يَسْتَطِيعُ العَـالَمُ كُلُّـهُ أَنْ يَـدْفَعَ عَنْكَ سُوْءًا قَدَّرَهُ اللهُ ﷻ.

كَتَبَ بَعْضُ السَّلَف لِأَخٍ لَهُ: أَمَّا بعد؛ فَإِنْ كَانَ اللهُ مَعَكَ فَمَـنْ تَخَـافُ؟ وإِنْ كَـانَ عَلَيْـكَ فَمَنْ تَرْجُوْ؟!

اللَّهُمَّ كُنْ مَعَنَا مُؤَيِّدًا وَنَصِيْرًا.

يَحْتَاجُ المَرِيضُ إِلَى الشِّفَاءِ بَعْدَ أَنْ أَوْجَعَتْهُ الآلَامُ، وَأَتْعَبَتْهُ الأَوْجَاعُ، وَضَـاقَتْ بِـهِ الـدُّنْيَا، وَقَدْ يَعْجَزُ عَنْهُ الأَطِبَّاءُ، وَيُغْلَقُ بَابُ الدَّوَاءِ دُوْنَهُ؛ فَإِذَا بِالرَّحْمَنِ الفَتَّـاحِ العَلِـيمِ الـشَّافِي يَـشْفِيهِ بِسَبَبٍ، أَوْ بِأَضْعَفِ سَبَبٍ، أَوْ بِأَقْرَبِ سَبَبٍ أَوْ بِلَا سَبَبٍ.. إِنَّهُ الفَتَّاحُ ﷻ.

تَهْشِمُكَ الظُّرُوْفُ، وَتَتَوَاطَأُ ضِدَّكَ الكُرُوْبُ، وَتَتَكَالَبُ عَلَيْكَ الأَزَمَاتُ، وَتَتَزَاحَمُ فِي قَلْبِكَ الآلَامُ، وَيُغْلَقُ البَابُ دُوْنَكَ؛ حَتَّى تَظُنَّ أَنْ لَيْسَ لِهَذَا الهَمِّ وَالغَمِّ كَاشِفَةٌ؛ فَإِذَا بِالْفَتَّاحِ يُرْسِلُ إِلَيْكَ فَتْحَهُ بِأَيْسَرِ الأُمُوْرِ، وَتَتِمُّ إِرَادَتُهُ عَلَى مَا يَشَاءُ.

يُدْرِكُكَ الفَقْرُ، وَتَغْشَاكَ الدُّيُوْنُ، وَتَتَغَيَّرُ مَلَامِحُكَ، وَيَنْكَسِرُ قَلْبُكَ عِنْدَمَا تَذْكُرُ أَبْنَاءَكَ، وَتَخْشَى مِنْ صَاحِبِ الدَّيْنِ، وَيَحَارُ فِكْرُكَ، وَتَتَشَتَّتُ أَفْكَارُكَ؛ فَتَظُنُّ أَنَّ الدُّنْيَا أَغْلَنَتْ عِصْيَانَهَا عَلَيْكَ، وَأَدَارَتْ ظَهْرَهَا لَكَ، وَأُغْلِقَ البَابُ دُوْنَكَ؛ هُنَا يُرْسِلُ الفَتَّاحُ ﷻ بِفَرَجٍ خَفِيٍّ؛ فَيُقْضَى الدَّيْنُ، وَيَنْقَشِعُ الفَقْرُ، وَتُسَرُّ النَّفْسُ.. إِنَّهُ الفَتَّاحُ؛ الَّذِي فَتَحَ أَبْوَابَ الرِّزْقِ.

وَنَرَى المُزَارِعَ وَقَدْ تَأَخَّرَ وَقْتُ الحَصَادِ، وَتَعَاظَمَتْ حَاجَتُهُ لِلثَّمَرِ، وَصَارَ المَاءُ شَحِيحًا؛ فَإِذَا بِالفَتَّاحِ يَفْتَحُ أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُبَارَكٍ، تَبْهَجُ بِهِ النُّفُوْسُ، وَتَنْتَشِرُ الرَّحْمَةُ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ﴾[الشُّوْرَى:٢٨] .. إِنَّهُ الفَتَّاحُ.

يُحِيطُ المَوْتُ بِرُكَّابِ الطَّائِرَةِ أَوْ السَّفِينَةِ؛ فَتَشْخَصُ الأَبْصَارُ، وَتَبْلُغُ القُلُوْبُ الحَنَاجِرَ، وَيَظُنُّوْنَ أَنَّ المَوْتَ قَادِمٌ لَا مَحَالَةَ، وَبَابُ الحَيَاةِ قَدْ أُغلِقَ؛ فَيَتَّجِهُوْنَ إِلَى اللهِ الفَتَّاحِ العَلِيمِ، فَإِذَا بِالرَّبِّ الكَرِيمِ يُرْسِلُ فَرَجَهُ؛ فَتَهْدَأُ العَاصِفَةُ، وَتَسْتَقِرُّ الطَّائِرَةُ فِي مَسَارِهَا وَالسَّفِينَةُ عَلَى الشَّاطِئِ، وَتَطْمَئِنُّ القُلُوْبُ، ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾[العَنْكَبُوْتِ: ٦٥].

يَحْتَاجُ المُجَاهِدُ إِلَى نَصْرِ اللهِ ﷻ بَعْدَ أَنْ تَكَالَبَ عَلَيْهِ الأَعْدَاءُ؛ فَيَرْفَعُ يَدَهُ إِلَى السَّمَاءِ؛ فَإِذَا بِالْفَتَّاحِ يُرْسِلُ جُنُوْدَهُ، وَيُثَبِّتُ قَلْبَهُ، فَتُصْبِحُ الدَّائِرَةُ عَلَى أَعْدَائِهِ، وَيَأْتِي اللهُ ﷻ بِالفَتْحِ مِنْ عِنْدِهِ؛ ﴿فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ﴾[الأَنْفَالِ:١٩]، وَيَغِيبُ الِابْنُ، وَيُسَافِرُ الوَالِدُ، وَيَذْهَبُ الحَبِيبُ وَالصَّدِيقُ، وَيُؤْسَرُ العَالِمُ؛ فَتَضِيقُ النَّفْسُ، وَتَتَشَتَّتُ الأَفْكَارُ، وَيَرْجُفُ القَلْبُ كُلَّمَا تَذَكَّرَ الغَائِبَ؛ وَهُنَا يَنْطَرِحُ المُؤْمِنُ عِنْدَ بَابِ المَلِكِ الفَتَّاحِ، سَائِلًا أَنْ يَرُدَّ الغَائِبَ وَيَحْفَظَهُ؛ سَوَاءً أَكَانَ

أَسِيرًا أَمْ مُسَافرًا، فَإِذَا بِالْبُشْرَى مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ؛ بِقُدُوْمِ الغَائِبِ، وَفَكِّ الأَسِيرِ، وَرَدِّ الحَبِيبِ؛ ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾[النَّمْل:٦٢].

لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، مَا عَبَدْنَاكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ يَا رَبَّنَا؛ فَارْحَمْنَا وَفَرِّجْ عَنَّا كُلَّ مَا أَهَمَّنَا؛ فَأَنْتَ الفَتَّاحُ العَلِيمُ!

أَقُولُ قَولِي هَذَا، وَأَستَغْفِرُ اللهَ لِي وَلَكُمْ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرُوهُ؛ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ:

الحَمْدُ للهِ حَمْدًا طَيِّبًا كَثِيرًا مُبَارَكًا فِيهِ كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنِ اهْتَدَى بِهُدَاهُمْ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

يَسِحُّ مِنَ الخَيْرَاتِ سَحًّا عَلَى الوَرَى
فَيُغْنِي وَيُقْنِي دَائِمًا وَيُحَوِّلُ
إِذَا أَكْثَرَ المَثْنِيُّ عَلَيْهِ مِنَ الثَّنَا
فَذُوْ العَرشِ أَعْلَى فِي الجَلَالِ وَأَجْمَلُ

إِنَّهُ الفَتَّاحُ العَلِيمُ ﷻ؛ فَمَا أَعْظَمَ شَأْنَهُ، وَأَعْلَى مَكَانَهُ، وَأَقْرَبَهُ مِنْ خَلْقِهِ، وَأَلْطَفَهُ بِعِبَادِهِ.

فَبَابُ الفَتَّاحِ مَفْتُوْحٌ، فَإِذَا رَأَيْتَ الحَبْلَ يَشْتَدُّ؛ فَاعْلَمْ أَنَّهُ سَيَنْقَطِعُ، وَإِذَا اشْتَدَّ الظَّلَامُ؛ فَأَبْشِرْ بِصُبْحٍ قَرِيبٍ، لَا تَضِقْ ذَرْعًا مَعَ الرَّبِّ الكَرِيمِ الفَتَّاحِ، فَمِنَ المُحَالِ دَوَامُ الحَالِ، وَأَفْضَلُ العِبَادَةِ: انْتِظَارُ الفَرَجِ، وَالأَيَّامُ دُوَلٌ، وَالدَّهْرُ قُلَّبٌ، وَاللَّيَالِي حُبَالَى، وَالغَيْبُ مَسْتُوْرٌ، وَالفَتَّاحُ ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٢٩﴾﴾[الرَّحْمَن:٢٩]، وَ﴿لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾﴾[الطَّلَاق:١]، وَ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾﴾[الشَّرح:٥-٦].

قُـلْ لِلطَّبِيـبِ تَخَطَّفَتْـهُ يَـدُ الـرَّدَى:

مَـنْ يَـا طَبِيـبُ بِطِبِّـهِ أَرْدَاكَـا؟

قُلْ لِلمَـرِيضِ نَجَـا وَعُـوفِيَ بَعْـدَمَا

عَجِزَتْ فُنُوْنُ الطِّبِّ: مَنْ عَافَاكَا؟

قُلْ لِلصَّحِيحِ يَمُـوْتُ لَا مِـنْ عِلَّـةٍ:

مَـنْ بِالمَنَايَـا يَـا صَـحِيحُ دَهَاكَـا؟

هَذِي عَجَائِـبُ طَالَـمَا أُخِـذَتْ بِهَا

عَيْنَاكَ وَانْفَتَحَـــتْ بِهَا أُذُنَاكَـــا

يَا أَيُّهَـــا الإِنْسَانُ مَهْلاً مَـــا الَّـــذِي

بِالله جَـــلَّ جَلَالُـــهُ أَغْرَاكَـــا؟

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ الجَنَّةَ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ، ونَعُوْذُ بِكَ مِنَ النَّـارِ وَمَـا قَـرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ الهُدَى وَالسَّدَادَ، وَنَسْأَلُكَ التُّقَى وَالعِفَّةَ وَالغِنَى.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنَ الخَيْرِ كُلِّهِ؛ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ؛ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَأَنْ تَجْعَلَ كُلَّ قَضَاءٍ قَضَيْتَهُ لَنَا خَيْرًا.

اللَّهُمَّ! أَصْلِحْ لَنَا دِيْنَنَا الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِنَـا، وَأَصْـلِحْ لَنَـا دُنْيَانَـا الَّتِـي فِيهَـا مَعَاشُـنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا آخِرَتَنَا الَّتِي فِيهَا مَعَادُنَا، وَاجْعَلِ الحَيَاةَ زِيَادَةً لَنَا فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَالمَوْتَ رَاحَةً لَنَا مِـنْ كُلِّ شَرٍّ.

اللَّهُمَّ! أَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا، وَأَلِّفْ بَيْنَ قُلُوْبِنَا، وَاهْدِنَا سُبَلَ السَّلَامِ، وَأَخْرِجْنَا مِنَ الظُّلُـمَاتِ إِلَى النُّوْرِ.

اللَّهُمَّ! بَارِكْ لَنَا فِي أَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوَّاتِنَا وَأَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّتِنَا وَأَمْوَالِنَا، وَاجْعَلْنَا مُبَارَكِيْنَ أَيْنَمَا كُنَّا.

اللَّهُمَّ! افْتَحْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِ الأَرْضِ وَالسَّمَاءِ، وَافْتَحْ لَنَا أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ؛ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ!

وَآخِرُ دَعْوَانَا: أَنِ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ.

السَّمِيعُ ﷻ

إِنَّ الحَمْدَ لله؛ نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِالله مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَـهَ إِلَّا اللهُ؛ وَحْـدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[آلِ عِمْرَانَ: ١٠٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾﴾[النِّسَاءَ: ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾[الأَحْزَابِ: ٧٠- ٧١].

أَمَّا بَعْدُ:

عِبَادَ الله..

نَقِفُ هُنَا مَعَ اسْمٍ مِنْ أَسْمَاءِ الله الحُسْنَى: (السَّمِيعُ ﷻ)؛ لِنَتَعَرَّفَ عَلَى مَعَانِي هَـذَا الاسْـمِ؛ لِنَسْتَشْعِرَ قُرْبَهُ مِنَّا، وَلِنَتَذَوَّقَ طَعْمَ مُنَاجَاتِهِ فِي لَيَالِي الوَحْشَةِ:

قَالَ ﷻ: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾﴾[البَقَرَةِ: ١٣٧]، وَوَرَدَ اسْمُ الله: (السَّمِيعُ) فِي كِتَابِهِ العَزِيزِ فِي خَمْسَةٍ وَأَرْبَعِينَ مَوْضِعًا.

فَرَبُّنَا ﷻ سَمِيعٌ؛ أَحَاطَ سَمْعُهُ بِجَمِيعِ المَسْمُوْعَاتِ، فَكُلُّ مَا فِي العَالَمِ العُلْوِيِّ وَالسُّفْلِيِّ مِنَ الأَصْوَاتِ يَسْمَعُهَا؛ سِرَّهَا وَعَلَنِهَا، وَكَأَنَّهَا لَدَيْهِ صَوْتٌ وَاحِدٌ، لَا تَخْتَلِطُ عَلَيْهِ الأَصْـوَاتُ، وَلَا تَخْفَى عَلَيْهِ جَمِيعُ اللُّغَاتِ، وَالقَرِيبُ مِنْهَا وَالبَعِيدُ وَالسِّرُّ وَالعَلَانِيَةُ عِنْدَهُ سَوَاءٌ.

يَعْلَمُ مَا فِي قَلْبِ القَائِلِ قَبْلَ أَنْ يَقُوْلَ، وَيَعْجَزُ القَائِلُ عَنِ التَّعْبِيرِ عَنْ مُرَادِهِ؛ فَيَعْلَمُ اللهُ مَا يُرِيدُهُ فَيُعْطِيهِ الَّذِي فِي قَلْبِهِ.

وَالمَخْلُوْقُ يَزُوْلُ عَنْهُ السَّمْعَ بِالمَوْتِ، وَاللهُ ﷻ لَمْ يَزَلْ وَلَا يَزَالُ، يُفْنِي الخَلَقَ وَيَرِثُهُمْ جَمِيعًا، فَاشْتَرَاكُ المَخْلُوْقِ مَعَ الخَالِقِ ﷻ فِي هَذَا الاسْمِ لَا يَعْنِي: المُشَابَهَةَ -تَعَالَى عَنْ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا!-؛ لِأَنَّ صِفَاتِ المَخْلُوْقِ تُنَاسِبُ ضَعْفَهُ وَعَجْزَهُ وَخَلْقَهُ، وَصِفَاتُ الخَالِقِ تَلِيقُ بِكَمَالِهِ وَجَلَالِهِ ﷻ.

فَالسَّمْعُ هُنَا يَأْتِي بِمَعْنَى: السَّمْعِ وَالإِحَاطَةِ، وَيَأْتِي بِمَعْنَى: الاسْتِجَابَةِ وَالقَبُوْلِ.

وَهُوَ السَّمِيعُ يَرَى وَيَسْمَعُ كُلَّ مَا
فِي الكَوْنِ مِنْ سِرٍّ وَمِنْ إِعْلَانِ
وَلِكُلِّ صَوْتٍ مِنْهُ سَمْعٌ حَاضِرٌ
فَالسِّرُّ وَالإِعْلَانُ مُسْتَوِيَانِ
وَالسَّمْعَ مِنْهُ وَاسِعُ الأَصْوَاتِ لَا
يَخْفَى عَلَيْهِ بَعِيدُهَا وَالدَّانِي

جَاءَ فِي «الصَّحِيحَيْنِ»: أَنَّ رَسُوْلَ الله ﷺ دَخَلَ المَسْجِدَ؛ فَإِذَا بِصَحَابَتِهِ الكِرَام ﷺ يَدْعُوْنَ رَبَّهُمْ بِأَصْوَاتٍ مُرْتَفِعَةٍ؛ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَيُّهَا النَّاسُ! ارْبَعُوْا عَلَى أَنْفُسِكُمْ؛ فَإِنَّكُمْ لاَ تَدْعُوْنَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا، وَلَكِنْ تَدْعُوْنَ سَمِيعًا بَصِيرًا».

تَأْتِي امْرَأَةٌ تُجَادِلُ فِي زَوْجِهَا عِنْدَ رَسُوْلِ الله ﷺ -وَهِيَ: خَوْلَةُ ﵂-، وَعَائِشَةُ ﵂ فِي طَرَفِ البَيْتِ تَقُوْلُ أَنَّهَا تَسْمَعُ كَلِمَةً وَتَغِيبُ كَلِمَةٌ، وَبَعْدَ ذَلِكَ الجِدَالَ يَنْزِلُ جِبرِيلُ ﵇ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ بِقَوْلِهِ ﷻ: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ۝١﴾[المُجَادلَة:١]، يَا لَهُ مِنْ قُرْبٍ عَجِيبٍ، وَعِلْمٍ عَظِيمٍ، وَسَمْعٍ مُحِيطٍ!

يَجْتَمِعُ عِنْدَ البَيْتِ قُرَشِيَّانِ وَثَقَفِيٌّ أَوْ ثَقَفِيَّانِ وَقُرَشِيٌّ؛ فيَقُوْلُوْنَ عَنِ الصَّحَابَةِ: كَثِيرَةٌ شُحُوْمُ بُطُوْنِهِمْ، قَلِيْلٌ فِقهُ قُلُوْبِهِمْ، فَقَالَ أَحَدُهُمْ: أَتَرَوْنَ أَنَّ اللهَ يَسْمَعُ مَا نَقُوْلُ؟ قَالَ الآخَرُ: يَسْمَعُ إِنْ جَهَرْنَا وَلَا يَسْمَعُ إِنْ أَخْفَيْنَا.

وَقَالَ الآخَرُ: إِنْ كَانَ يَسْمَعُ إِذَا جَهَرْنَا؛ فَإِنَّهُ يَسْمَعُ إِنْ أَخْفَيْنَا! فَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾[فُصِّلَتْ:٢٢-٢٣].

وسَمْعُ اللهِ لِأَوْلِيَائِهِ: سَمْعُ إِجَابَةٍ وَحِفْظٍ وَتَوْفِيقٍ، سَمْعٌ يُهَدِّئُ مِنْ رَوْعِهِمْ كَمَا هَدَّأَ مِنْ رَوْعِ مُوْسَى ﷺ عِنْدَمَا أَعْلَنَ خَوْفَهُ مِنَ الذَّهَابِ إِلَى فِرْعَوْن، فَقَالَ لَهُ ﷻ: ﴿لَا تَخَافَآ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾﴾[طه:٤٦].

﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٥﴾﴾[يُوْنُس:٦٥].

تَجْتَمِعُ عَلَيْكَ شَيَاطِينُ الإِنْسِ وَالجِنِّ؛ فَيَأْخُذُوْنَ بِالْوَسْوَسَةِ وَالقَهْرِ حَتَّى تُصَابَ بِالْهَمِّ وَالحَزَنِ، فَيَأْمُرُكَ اللهُ بِالاسْتِعَانَةِ بِهِ وَالاسْتِعَاذَةِ بِهِ مِنْهُمْ بِاسْمَيهِ: (السَّمِيعُ العَلِيمُ)؛ ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾﴾[الأَعْرَاف:٢٠٠].

يَسْمَعُ نِدَاءَ المُضْطَرِّينَ، وَيُجِيبُ دُعَاءَ المُحْتَاجِينَ، وَيُعِينُ المَلْهُوْفِينَ، وَيَسْمَعُ حَمْدَ الحَامِدِينَ، وَيَسْمَعُ دُعَاءَ الدَّاعِينَ، وَيَسْمَعُ دَبِيبَ النَّمْلَةِ السَّوْدَاءِ عَلَى الصَّخْرَةِ الصَّمَّاءِ فِي اللَّيْلَةِ الظَّلْمَاءِ، وَيَسْمَعُ خَطَرَاتِ القُلُوْبِ، وَيَسْمَعُ هَوَاجِسَ النُّفُوْسِ، وَيَسْمَعُ مُنَاجَاةَ الضَّمَائِرِ.

إِذَا صَفَعَتْكَ المَخَاوِفُ، وَإِذَا الْتَأَمَتْ حَوْلَكَ الخُطُوْبُ؛ فَتَوَسَّلْ إِلَى رَبِّكَ بِهَذَا الاسْمِ العَظِيمِ؛ كَمَا تَوَسَّلَ الأَنْبِيَاءُ ﷺ بِهِ، فَهُوَ الَّذِي يَسْمَعُ المُنَاجَاةَ، وَيُجِيبُ عِنْدَ الاضْطِرَارِ، وَيَكْشِفُ

السُّوْءَ.. فَلَا تُسْمِعْ هَمَّكَ لِأَحَدٍ، انْطَرِحْ عِنْدَهُ سَاجِدًا، أَنِخْ مَطَايَاكَ بِبَابِهِ، وَتَحَدَّثْ إِلَيْهِ وَابْكِ بَيْنَ يَدَيهِ، ثُمَّ انْتَظِرِ الفَرَجَ.

زَكَرِيَّا ﷺ يُعْطِيهِ اللهُ مَا فِي قَلْبِهِ بَعْدَ أَنْ نَادَاهُ سِرًّا؛ ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴿٣﴾﴾ [مَرْيَمَ:٣]، فَيَهَبُ لَهُ الذُّرِّيَةَ الصَّالِحَةَ؛ بَعْدَ تَضَرُّعِهِ بِاسْمِهِ: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾﴾[آلِ عِمْرَانَ:٣٨].

إِبْرَاهِيمُ ﷺ يَسْأَلُ اللهَ بِهَذَا الاسْمِ أَنْ يَتَقَبَّلَ عَمَلَهُ؛ حِينَ أَنْهَى هُوَ وَابْنُهُ إِسْمَاعِيلُ ﷺ بِنَاءَ الكَعْبَةِ: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾﴾[البَقَرَةِ:١٢٧].

وَبِهَذَا الاسْمِ المُبَارَكِ إِبْرَاهِيمُ ﷺ يَشْكُرُ اللهَ عَلَى اسْتِجَابَةِ دُعَائِهِ: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾﴾[إِبْرَاهِيمَ:٣٩].

وَبِهَذَا الاسْمِ تَتَقَرَّبُ امْرَأَةُ عِمْرَانَ إِلَى رَبِّهَا بِقَبُوْلِ عَمَلِهَا؛ حِينَ نَذَرَتْ مَا فِي بَطْنِهَا: ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾﴾[آلِ عِمْرَانَ:٣٥].

ضَاقَتِ الدُّنْيَا بِيُوْسُفَ ﷺ مِنْ مَكَايِدِ الفَسَادِ حَوْلَهُ؛ فَدَعَا رَبَّهُ: ﴿رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾﴾[يُوْسُفَ:٣٣-٣٤].

يُوْنُسُ ﷺ فِي بَطْنِ الحُوْتِ يُنَادِي: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾[الأَنْبِيَاءِ:٨٧]، فَإِذَا بِالسَّمِيعِ العَلِيمِ ﷻ يُنْجِيهِ مِنَ الغَمِّ: ﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ﴾[الأَنْبِيَاءِ:٨٨].

فَمَنْ لَنَا سِوَى رَبِّنَا ﷻ؟!

اللَّهُمَّ ارْحَمْنَا وَاسْتَجِبْ لَنَا؛ إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ العَلِيمُ!

أَقُولُ قَولِي هَذَا، وَأَستَغْفِرُ اللهَ لِي وَلَكُمْ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرُوهُ؛ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ:

الحَمْدُ للهِ حَمْدًا طَيِّبًا كَثِيرًا مُبَارَكًا فِيهِ كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنِ اهْتَدَى بِهُدَاهُمْ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

عِبَادَ اللهِ..

المُؤْمِنُ يَعْلَمُ أَنَّ اللهَ يَسْمَعُ كُلَّ نَجْوَى، وَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ، وَأَنَّ اللهَ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ؛ فَيُقْبِلُ عَلَى اللهِ بِالدُّعَاءِ رَاجِيًا مَا عِنْدَهُ مِنَ الجَزَاءِ.

وَكَانَ نَبِيُّنَا ﷺ يَسْتَعِيذُ بِهَذَيْنِ الاسْمَيْنِ: (السَّمِيعُ العَلِيمُ) إِذَا قَامَ لِصَلَاةِ اللَّيْلِ؛ فَيَقُولُ: «أَعُوذُ بِاللهِ السَّمِيعِ العَلِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ؛ مِنْ هَمْزِهِ وَنَفْخِهِ وَنَفْثِهِ»[حَدِيثٌ صَحِيحٌ. رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ].

وَتَعَوَّذَ ﷺ بِالاسْمَيْنِ: (السَّمِيعِ العَلِيمِ) مِنْ كُلِّ ضَرَرٍ يُصِيبُهُ: «مَنْ قَالَ: بِسْمِ اللهِ الَّذِي لَا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ، فِي الأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ، وَهُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ؛ لَمْ تُصِبْهُ فَجْأَةُ بَلَاءٍ حَتَّى يُصْبِحَ، وَمَنْ قَالَهَا حِينَ يُصْبِحُ ثَلَاثُ مَرَّاتٍ؛ لَمْ تُصِبْهُ فَجْأَةُ بَلَاءٍ حَتَّى يُمْسِيَ» [حَدِيثٌ صَحِيحٌ. رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ].

اسْمُ اللهِ: (السَّمِيعِ) مِنْ أَقْرَبِ الأَسْمَاءِ إِلَيْكَ، كُلَّمَا نَاجَيْتَهُ سَمِعَكَ وَيَسْتَجِيبُ لَكَ، فَيَنْبَغِي أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ أَعْظَمَ مَعْرِفَةٍ هِيَ: مَعْرِفَتُكَ بِأَسْمَاءِ اللهِ الحُسْنَى؛ وَخَاصَّةً وَأَنْتَ تُنَاجِيهِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً.

وَاسْتِشْعَارُكَ لِهَذَا الاسْمُ (السَّمِيعُ) يَجْعَلُكَ فِي قُرْبٍ دَائِمٍ مِنْهُ ﷻ.

إِلَيكَ إِلهَ العرشِ أَشْكُو تَضَرُّعًا وَأَدْعُوكَ في الضراء ربِّي لِتَسْمَعَا
إِلَهِي فَحَقِّقْ ذا الرَّجَا وَكُنْ بِنَا رَؤُفًا رَحِيمًا مُسْتَجِيبًا لَنَا النِّدَا

اللَّهُمَّ يَا سَمِيعُ.. يَا عَلِيمُ! اجْعَلْنَا مِمَّنْ دَعَاكَ فَأَجَبْتَهُ، وَتَضَرَّعَ إِلَيْكَ فَرَحِمْتَهُ.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ الجَنَّةَ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ، ونَعُوْذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ الهُدَى وَالسَّدَادَ، وَنَسْأَلُكَ التُّقَى وَالعِفَّةَ وَالغِنَى.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنَ الخَيْرِ كُلِّهِ؛ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ؛ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَأَنْ تَجْعَلَ كُلَّ قَضَاءٍ قَضَيْتَهُ لَنَا خَيْرًا.

اللَّهُمَّ! أَصْلِحْ لَنَا دِيْنَنَا الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا دُنْيَانَا الَّتِي فِيهَا مَعَاشُنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا آخِرَتَنَا الَّتِي فِيهَا مَعَادُنَا، وَاجْعَلِ الحَيَاةَ زِيَادَةً لَنَا فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَالمَوْتَ رَاحَةً لَنَا مِنْ كُلِّ شَرٍّ.

اللَّهُمَّ! أَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا، وَأَلِّفْ بَيْنَ قُلُوْبِنَا، وَاهْدِنَا سُبَلَ السَّلَامِ، وَأَخْرِجْنَا مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوْرِ.

اللَّهُمَّ! بَارِكْ لَنَا فِي أَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوَّاتِنَا وَأَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّتِنَا وَأَمْوَالِنَا، وَاجْعَلْنَا مُبَارَكِيْنَ أَيْنَمَا كُنَّا.

وَآخِرُ دَعْوَانَا: أَنِ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ.

البَصِيرُ ﷻ

إِنَّ الحَمْدَ لله؛ نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِالله مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَـهَ إِلَّا اللهُ؛ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[آل عِمْرَان: ١٠٢]،

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾﴾[النِّسَاء: ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾[الأَحْزَاب: ٧٠- ٧١].

أَمَّا بَعْدُ:

عِبَادَ الله..

مَرَّ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ ﷺ لَيْلًا فِي سِكَكِ المَدِينَةِ؛ فَسَمِعَ عَجُوْزًا تَقُوْلُ لِابْنَتِهَا: "امْزُجِي اللَّبَنَ بِالمَاءِ، فَقَالَتِ البِنْتُ: أَمَا عَلِمْتِ أَنَّ عُمَرَ نَهَى عَنْ مَزْجِ اللَّبَنِ بِالمَاءِ؟ فَقَالَتِ العَجُوْزُ: وَأَيْنَ عُمَرُ حَتَّى يَرَانَا؟! فَقَالَتِ البِنْتُ -المُوْقِنَةُ بِنَظَرِ الله ﷻ إِلَيْهَا-: إِنْ كَانَ عُمَرُ لَا يَرَانَا؛ فَرَبُّ عُمَرَ يَرَانَا!".

هُنَاكَ أُنَاسٌ عَاشُوْا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا فِي مَنْزِلَةٍ عَالِيَةٍ، فِي أَمْنٍ دَائِمٍ، فِي سَعَادَةٍ أَبَدِيَّةٍ، فِي ثَبَاتٍ عَلَى الحَقِّ، مُتَلَذِّذِينَ بِالعُبُوْدِيَّةِ؛ وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِأَنَّهُمْ عَلِمُوْا: أَنَّ الله بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُوْنَ.

وَاللهُ قَالَ عَنْ نَفْسِهِ أَنَّهُ: البَصِيرُ، وَاسْمُ الله: (البَصِيرِ) وَرَدَ فِي القُرْآنِ الكَرِيمِ فِي اثْنَيْنِ

وَأَرْبَعِينَ مَوْضِعًا، ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٣﴾﴾[البَقَرَة:٢٣٣].

فَرَبُّنَا الَّذِي يُبْصِرُ كُلَّ شَيْءٍ؛ وَإِنْ دَقَّ وَصَغُرَ، فَيُبْصِرُ دَبِيبَ النَّمْلَةِ السَّوْدَاءِ فِي اللَّيْلَةِ الظَّلْمَاءِ عَلَى الصَّخْرَةِ الصَّمَّاءِ، يُبْصِرُ مَا تَحْتَ الأَرَضِينَ السَّبْعِ، كَمَا يُبْصِرُ مَا فَوْقَ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ.

وَهُوَ البَصِيرُ العَالِمُ بِالأَحْوَالِ كُلِّهَا، وَبِخَفِيَّاتِ الأُمُوْرِ؛ الخَبِيرُ بِهَا، المطَّلِعُ عَلَى بَوَاطِنِ الأُمُوْرِ.

فَهُوَ يَخْلُقُ وَيَرْزُقُ وَيُمِيتُ، وَيَهْدِي وَيُضِلُّ، يَنْصُرُ وَيَخْذِلُ بِحَسْبِ حِكْمَتِهِ، ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿١٥﴾﴾[آلِ عِمْرَانَ:١٥].

وَهُوَ البَصِيرُ يَرَى دَبِيبَ النَّمْلَةِ ... السَّوْدَاءِ تَحْتَ الصَّخْرِ وَالصُّوَّانِ
وَيَرَى مَجَارِي القُوْتِ فِي أَعْضَائِهَا ... وَيَرَى عُرُوْقَ بَيَاضِهَا بِعَيَانِ
وَيَرَى خِيَانَاتِ العُيُوْنِ بِلَحْظِهَا ... وَيَرَى كَذَاكَ تَقَلُّبَ الأَجْفَانِ

رَبُّنَا ﷻ أَثْبَتَ صِفَةَ (البَصَرِ) لَهُ ﷻ، فَاللهُ لَهُ عَيْنَانِ حَقِيقِيَتَانِ، تَلِيقَانِ بِذَاتِهِ ﷻ، نُؤْمِنُ بِهَا مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلَا تَعْطِيلٍ وَلَا تَمْثِيلٍ وَلَا تَأْوِيلٍ، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾[الشُّوْرَى:١١].

وَاشْتِرَاكُ المَخْلُوْقِ مَعَ الخَالِقِ فِي هَذَا الاسْمِ لَا يَعْنِي: المُشَابَهَةَ؛ فَإِنَّ صِفَاتَ المَخْلُوْقِ تُنَاسِبُ ضَعْفَهُ وَعَجْزَهُ وَخَلْقَهُ، وَصِفَاتُ الخَالِقِ تَلِيقُ بِكَمَالِهِ وَجَلَالِهِ ﷻ؛ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾[الشُّوْرَى:١١].

وَمَنْ عَلِمَ أَنَّ رَبَّهُ مُطَّلِعٌ عَلَيْهِ؛ اسْتَحَى أَنْ يَرَاهُ عَلَى مَعْصِيتِهِ أَوْ فِيمَا لَا يُحِبُّ، وَمَنْ عَلِمَ أَنَّ اللهَ يَرَاهُ؛ أَحْسَنَ عَمَلَهُ وَعِبَادَتَهُ، وَأَخْلَصَ فِيهِمَا حَتَّى يَصِلَ لِمَقَامِ الإِحْسَانِ؛ وَهُوَ أَعْلَى مَقَامَاتِ

الطَّاعَةِ؛ الَّتِي قَالَ عَنْهَا الحَبِيبُ ﷺ: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ» [أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ].

فَإِذَا بَلَغْتَ ذَلِكَ كُنْتَ فِي مَعِيَّةِ اللهِ الخَاصَّةِ لِعِبَادِهِ؛ كَمَا قَالَ اللهُ ﷻ فِي الحَدِيثِ القُدُسِيِّ: «وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ؛ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ»[أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ].

رَاوَدَ بَعْضُهُمْ أَعْرَابِيَّةً عَنْ نَفْسِهَا؛ فَقَالَ لَهَا: لَا يَرَانَا إِلَّا الكَوَاكِبُ، فَقَالَتْ لَهُ: أَيْنَ مُكَوْكِبُهَا؟

إِذَا مَا خَلَوْتَ الدَّهْرَ يَوْمًا فَلَا تَقُلْ
خَلَوْتُ وَلَكِنْ قُلْ عَلَيَّ رَقِيبُ
وَلَا تَحْسَبَنَّ اللهَ يَغْفَلُ سَاعَةً
وَلَا أَنَّ مَا يَخْفَى عَلَيْهِ يَغِيبُ

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ لِي وَلَكُمْ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرُوهُ؛ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ:

الحَمْدُ للهِ حَمْدًا طَيِّبًا كَثِيرًا مُبَارَكًا فِيهِ كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنِ اهْتَدَى بِهُدَاهُمْ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

مِنْ رَحْمَةِ اللهِ ﷻ بِعِبَادِهِ: أَنَّهُ يُخَاطِبُهُمْ خِطَابَ رَحْمَةٍ، وَحَثَّهُمْ عَلَى طَاعَتِهِ وَالإِخْلَاصِ لَهُ؛ مَعَ أَنَّهُ غَنِيٌّ عَنْ عِبَادَتِهِمْ؛ فَفِي كِتَابِ اللهِ -العَزِيزِ- خَاطَبَ بِقَوْلِهِ ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فَوْقَ الأَرْبَعِينَ مَرَّةً؛ لِيُذَكِّرَ المُؤْمِنَ، وَيُنَبِّهَ الغَافِلَ بِأَنَّ اللهَ مُطَّلِعٌ عَلَى أَعْمَالِهِمْ.

وَهُوَ ﷻ أَعْلَمُ بِمَنْ يَسْتَحِقُّ الهِدَايَةَ مِنْ عِبَادِهِ، وَهُوَ خَبِيرٌ بِمَنْ يَصْلُحُ حَالُهُ بِالغِنَى وَالمَالِ، وَبِمَنْ يَفْسُدُ حَالُهُ بِذَلِكَ؛ فَاللهُ قَالَ: ﴿۞ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾﴾[الشُّوْرَى:٢٧].

خَرَجَ ابنُ عُمَرَ بنَ الخَطَّابِ ﷺ إِلَى مَكَّةَ فِي بَعْضِ أَصْحَابِهِ، فَاسْتَرَاحُوْا فِي الطَّرِيقِ، فَانْحَدَرَ عَلَيْهِمْ رَاعٍ مِنْ جَبَلٍ، فَقَالَ لَهُ عُمَرَ: "يَا رَاعِيَ الغَنَمِ! بِعْنَا شَاةً!

فَقَالَ الرَّاعِي: إِنِّي مَمْلُوْكٌ -أَيْ: أَنَا عَبْدٌ مَمْلُوْكٌ-.

فَقَالَ لَهُ ابن عُمَر: قُلْ لِسَيِّدِكَ: أَكَلَهَا الذِّئْبُ، فَقَالَ الرَّاعِي: أَيْنَ اللهُ؟".

فَبَكَى ابنُ عُمَر، وَاشْتَرَى الغُلَامَ (الرَّاعِيَ) مِنْ سَيِّدِهِ وَأَعْتَقَهُ.

عِبَادَ الله..

مَنْ فَهِمَ سِرَّ اسْمِ الله (البَصِير)؛ فَوَّضَ أَمْرَهُ إِلَى الله ﷻ، وَتَفْوِيضُ الأَمْرِ لِلَّهِ لَا يَصْدُرُ إِلَّا مِمَّنْ يَصْبِرُ مُتَطَلِّعًا إِلَى مَعِيَّةِ الله، ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾[الطُّوْر:٤٨].

وَإِذَا نَظَرْتَ إِلَى السَّبْعَةِ الَّذِينَ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ؛ وَجَدْتَ أَنَّ الشَّيْءَ المُشْتَرَكَ بَيْنَهُمْ أَنَّهُمْ: آمَنُوْا حَقَّ الإِيمَانِ بِأَنَّ اللهَ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ؛ فَعَبَدُوْهُ كَأَنَّهُمْ يَرَوْنَهُ؛ فَنَالُوْا المَنْزِلَةَ.

وَبَشَّرَ اللهُ أَوْلِيَاءَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾﴾[يُوْنُس:٦٢-٦٤].

وَالمُؤْمِنُ يَحْذَرُ مِنْ ذُنُوْبِ الخَلَوَاتِ، جَاءَ فِي «الصَّحِيحِ» مِنْ حَدِيثِ ثَوْبَانَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُوْلُ الله ﷺ: «لَأَعْلَمَنَّ أَقْوَامًا مِنْ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ بِحَسَنَاتٍ أَمْثَالَ جِبَالِ تِهَامَةَ بِيضًا، فَيَجْعَلُهَا اللهُ ﷻ هَبَاءً مَنْثُورًا»، قَالَ ثَوْبَانُ: يَا رَسُولَ الله! صِفْهُمْ لَنَا، جَلِّهِمْ لَنَا؛ أَنْ لَا نَكُونَ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَا نَعْلَمُ!

قَالَ: «أَمَا إِنَّهُمْ إِخْوَانُكُمْ، وَمِنْ جِلْدَتِكُمْ، وَيَأْخُذُونَ مِنَ اللَّيْلِ كَمَا تَأْخُذُونَ، وَلَكِنَّهُمْ أَقْوَامٌ إِذَا خَلَوْا بِمَحَارِمِ اللهِ انْتَهَكُوهَا»[حَدِيثٌ صَحِيحٌ. رَوَاهُ ابْنُ مَاجَه].

فَيَا مُرْتَكِبًا المَعَاصِي مُخْتَفِيًا عَنْ أَعْيُنِ الخَلْقِ.. أَيْنَ اللهُ؟! مَا أَنْتَ إِلَّا أَحَدُ رَجُلَيْنِ: إِنْ كُنْتَ ظَنَنْتَ أَنَّ اللهَ لَا يَرَاكَ؛ فَقَدْ كَفَرْتَ، وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ يَرَاكَ؛ فَلِمَ تَجْتَرِئُ عَلَيْهِ وَتَجْعَلُهُ أَهْوَنَ النَّاظِرِينَ إِلَيْكَ؟! ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾﴾[النِّسَاءَ:١٠٨].

وبِهَذَا الاسْمِ دَعَا الرَّجُلُ الصَّالِحُ مِنْ قَوْمِ مُوْسَى، مُلْتَجِئًا لله وَمُعْتَصِمًا بِهِ مِنْ مَكْرِ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ: ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾﴾[غَافِر:٤٤].

فَمَاذَا كَانَت النَّتِيجَةُ؟ اسْتَجَابَ اللهُ لِدُعَائِهِ: ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾﴾[غَافِر:٤٥].

يَا مَنْ يَرَى صَفَّ البَعُوْضِ جَنَاحَهَا
فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ البَهِيمِ الأَلْيَلِ
وَيَرى نِيَاطَ عُرُوْقِهَا فِي نَحْرِهَا
وَالمُخَّ مِنْ تِلْكَ العِظَامِ النُّحَلِ
اُمْنُنْ عَلَيَّ بِتَوْبَةٍ تَمْحُوْ بِهَا
مَا كَانَ مِنِّي فِي الزَّمَانِ الأَوَّلِ

اللَّهُمَّ يَا بَصِيرُ! تَجَاوَزْ عَنْ تَقْصِيرِنَا وَزَلَّاتِنَا.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ الجَنَّةَ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ، ونَعُوْذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ الهُدَى وَالسَّدَادَ، وَنَسْأَلُكَ التُّقَى وَالعِفَّةَ وَالغِنَى.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنَ الخَيْرِ كُلِّهِ؛ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ؛ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَأَنْ تَجْعَلَ كُلَّ قَضَاءٍ قَضَيْتَهُ لَنَا خَيْرًا.

اللَّهُمَّ! أَصْلِحْ لَنَا دِيْنَنَا الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا دُنْيَانَا الَّتِي فِيهَا مَعَاشُنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا آخِرَتَنَا الَّتِي فِيهَا مَعَادُنَا، وَاجْعَلِ الحَيَاةَ زِيَادَةً لَنَا فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَالمَوْتَ رَاحَةً لَنَا مِنْ كُلِّ شَرٍّ.

اللَّهُمَّ! أَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا، وَأَلِّفْ بَيْنَ قُلُوْبِنَا، وَاهْدِنَا سُبَلَ السَّلَامِ، وَأَخْرِجْنَا مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوْرِ.

اللَّهُمَّ! بَارِكْ لَنَا فِي أَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوَّاتِنَا وَأَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّتِنَا وَأَمْوَالِنَا، وَاجْعَلْنَا مُبَارَكِيْنَ أَيْنَمَا كُنَّا.

وَآخِرُ دَعْوَانَا: أَنِ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ.

التَّوَّابُ ﷻ

إِنَّ الحَمْدَ لله؛ نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِالله مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَـهَ إِلَّا اللهُ؛ وَحْـدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[آلِ عِمْرَانَ: ١٠٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾﴾[النِّسَاءَ: ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾[الأَحْزَابِ: ٧٠- ٧١].

أَمَّا بَعْدُ:

عِبَادَ الله..

خُطْبَتُنَا اليَوْمَ عَنِ اسْمِ الله: (التَّـوَّابِ ﷻ):

فَمَا أَحْلَى اسْمَ اللهِ التَّوَّابِ! يُعْطِي المُذْنِبَ أَمَلًا لِيَبْدَأَ مِنْ جَدِيدٍ فِي مَرْحَلَةِ السَّعَادَةِ، وَيَخْـرُجُ بِهِ مِنْ دَائِـرَةِ الإِحْبَـاطِ وَالظَّـلَامِ، ﴿أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَأۡخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾﴾[التَّوْبَةِ: ١٠٤].

رَبُّنَا ﷻ هُوَ التَّوَّابُ، وَصَفَ نَفْسَهُ بِالتَّوَّابِ بِصِيغَةِ المُبَالَغَةِ؛ لِكَثْرَةِ مَنْ يَتُوْبُ عَلَيْـهِ، وَلَـمَّا كَانَتْ المَعَاصِي مُتَكَرِّرَةً مِنْ عِبَادِهِ؛ جَاءَ بِصِيغَةِ المُبَالَغَةِ، لِيُقَابِلَ الخَطَايَا الكَبِيرَةَ بِالتَّوْبَةِ الوَاسِعَةِ.

فَهُوَ ﷻ مَا زَالَ يَتُوْبُ عَلَى التَّائِبِينَ، وَيَغْفِرُ ذُنُوْبَ المُنِيبِينَ؛ حَتَّى لَوْ تَكَـرَّرَتِ التَّوْبَـةُ تَكَـرَّرَ

القَبُوْلُ إِلَى مَا لَا نِهَايَةٍ، قَالَ ﷻ: ﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾﴾[المَائِدَة:٣٩].

جَاءَ فِي «المُسْتَدْرَكِ»: أَنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُوْلَ الله! أَحَدُنَا يُذْنِبُ، قَالَ: «يُكْتَبُ عَلَيْهِ»، ثُمَّ قَالَ: يَسْتَغْفِرُ مِنْهُ وَيَتُوْبُ، قَالَ: «يُغْفَرُ لَهُ وَيُتَابُ عَلَيْهِ، وَلَا يَمَلُّ اللهُ حَتَّى تَمَلُّوا»[حَدِيثٌ حَسَنٌ].

فَكُلُّ مَنْ تابَ إِلَى الله تَوْبَةً نَصُوْحًا؛ تَابَ اللهُ عَلَيْهِ وَقَبِلَهُ.

وَانْظُرْ إِلَى كَرَمِ الله حِينَ أَكْرَمَ عَبْدَهُ أَنْ جَعَلَ تَوْبَتَهُ مَحْفُوْفَةً بِتَوْبَةٍ مِنَ الله عَلَيْهِ قَبْلَهَا، وَتَوْبَةٍ مِنْهُ بَعْدَهَا، فَتَوْبَةُ العَبْدِ بَيْنَ تَوْبَتَيْنِ مِنْ رَبِّهِ ﷻ: سَابِقَةٍ، وَلَاحِقَةٍ.

فَإِنَّهُ تَابَ عَلَيْهِ أَوَّلًا: إِذْنًا وَتَوْفِيقًا وَإِلْهَامًا؛ حَيْثُ حَرَّكَ دَوَاعِيَ قَلْبِهِ لِلتَّوْبَةِ، ثُمَّ قَامَ بِالتَّوْبَةِ، وَهَذَا تَوْفِيقٌ مِنَ الله الكَرِيمِ الرَّحِيمِ التَّوَّابِ.

ثُمَّ لَـمَّا تَابَ بِالْفِعْلِ تَابَ اللهُ عَلَيْهِ؛ فَقَبِلَ تَوْبَتَهُ، وَعَفَا عَنْ خَطَايَاهُ وَذُنُوْبِهُ، أَلَمْ تَسْمَعْ قَوْلَ الله ﷻ: ﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾﴾ [المَائِدَة:٣٩].

لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، لَهُ الفَضْلُ بِالتَّوْبَةِ أَوَّلًا وَأَخِيْرًا.

وَكَذِلِكَ التَّوَّابُ مِنْ أَوْصَافِهِ ... وَالتَّوْبُ فِي أَوْصَافِهِ نَوْعَانِ

إِذْنٌ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ وَقَبُوْلُهَا ... بَعْدَ المَتَابِ بِمِنَّةِ المَنَّانِ

وَالتَّوْبَةُ: وَاجِبَةٌ عَلَى البَشَرِ جَمِيعًا، فِي جَمِيعِ مَرَاحِلِ العُمُرِ، مِنْ مُؤْمِنِهِمْ وَعَاصِيهِمْ؛ لِأَنَّ اللهَ قَالَ: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾[النُّوْرِ:٣١].

وَالتَّوْبَةُ: مِنَ الكَمَالِ الَّذِي يُحِبُّهُ اللهُ وَلَيْسَتْ نَقْصًا، وَاللهُ ﷻ قَدْ قَالَ: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾[التَّوْبَةِ:١١٧].

وَقَالَ عَنْ آدَمَ عليه السلام: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾[البَقَرَة:٣٧]، وَقَالَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ عليهما السلام: ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾﴾[البَقَرَة:١٢٨]، وَقَالَ عَنْ مُوْسَى عليه السلام: ﴿فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾﴾[الأَعْرَافِ: ١٤٣].

وَمِنَ المَعْلُوْمِ: أَنَّ الأَنْبِيَاءَ مَعْصُوْمُوْنَ مِنَ الإِقْرَارِ عَلَى الذُّنُوْبِ -كِبَارِهَا وَصِغَارِهَا-، وَهُمْ بِمَا أَخْبَرَ بِهِ عَنْهُمْ مِنَ التَّوْبَةِ تُرْفَعُ دَرَجَاتُهُمْ، وَتَعْظُمُ حَسَنَاتُهُمْ؛ فَإِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ المُتَطَهِّرِينَ.

وَفِي «صَحِيحِ البُخَارِيِّ» عَنْهُ عليه السلام: أَنَّهُ قَالَ: «وَاللهِ! إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي اليَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّة».

وَاللهُ يَعْلَمُ أَنَّ عِبَادَهُ لَا يَخْلُوْنَ مِنْ قُصُوْرٍ وَنَقْصٍ، وَقَدْ خَلَقَهُمْ كَذَلِكَ؛ لِتَظْهَرَ فِيهِمْ رَحْمَتُهُ وَغُفْرَانُهُ وَتَوْبَتُهُ، صَحَّ عَنْهُ عليه السلام أَنَّهُ قَالَ: «لَوْلَا أَنَّكُمْ تُذْنِبُونَ؛ لَخَلَقَ اللهُ خَلْقًا يُذْنِبُونَ يَغْفِرُ لَهُمْ» [أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ]، وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى: «لَوْ أَنَّكُمْ لَمْ تَكُنْ لَكُمْ ذُنُوبٌ يَغْفِرُهَا اللهُ لَكُمْ؛ لَجَاءَ اللهُ بِقَوْمٍ لَهُمْ ذُنُوبٌ يَغْفِرُهَا لَهُمْ»[أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ].

وَجَاءَ عِنْدَ التِّرْمِذِيِّ وَابْنِ مَاجَه: أَنَّهُ ﷺ قَالَ: «كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ، وَخَيْرُ الخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ»[حَدِيثٌ حَسَنٌ].

وَقَدْ امْتَدَحَ اللهُ نَفْسَهُ ﷻ بِقَبُوْلِ تَوْبَةِ عِبَادِهِ؛ فَقَالَ: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٣﴾﴾[غَافِر:٣].

وَاللهُ يُرِيدُ مِنْ عِبَادِهِ: أَنْ يَعْلَمُوْا أَنَّهُ: يَقْبَلُ تَوْبَةَ عَبْدِهِ؛ حَتَّى وَلَوْ عَظُمَتْ ذُنُوْبُهُ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾[الزُّمَر:٥٣]، وَقَالَ ﷻ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾﴾[الشُّوْرَى:٢٥].

والله الغَنِيُّ عَنَّا، وَعَنْ عِبَادَتِنَا، وَمَعَ ذَلِكَ يَفْرَحُ فَرَحًا شَدِيدًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ إِذَا تَابَ، فَمَا أَكْرَمَ اللهَ! وَمَا أَجْمَلَ اللهَ! وَمَا أَرْحَمَ اللهَ!

جَاءَ فِي «الصَّحِيحَيْنِ» عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ مِنْ رَجُلٍ فِي أَرْضٍ دَوِّيَّةٍ مُهْلِكَةٍ، مَعَهُ رَاحِلَتُهُ عَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَنَامَ فَاسْتَيْقَظَ وَقَدْ ذَهَبَتْ، فَطَلَبَهَا حَتَّى أَدْرَكَهُ العَطَشُ.

ثُمَّ قَالَ: أَرْجِعُ إِلَى مَكَانِيَ الَّذِي كُنْتُ فِيهِ؛ فَأَنَامُ حَتَّى أَمُوتَ، فَوَضَعَ رَأْسَهُ عَلَى سَاعِدِهِ لِيَمُوتَ، فَاسْتَيْقَظَ وَعِنْدَهُ رَاحِلَتُهُ، وَعَلَيْهَا زَادُهُ وَطَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَاللهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ العَبْدِ الْمُؤْمِنِ مِنْ هَذَا بِرَاحِلَتِهِ وَزَادِهِ».

فَحَرِيٌّ بِمَنْ هَذَا وَصْفُهُ فِي رَحْمَتِهِ بِعِبَادِهِ: أَنْ يُحِبَّ الحبَّ كُلَّهُ، وَأَنْ يُعبَدَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنْ تَظْهَرَ آثَارُ هَذِهِ المَحَبَّةِ بِإِخْلَاصِ العِبَادَةِ لَهُ، وَالتَّقَرُّبِ إِلَيْهِ بِطَاعَتِهِ وَمَحَبَّةِ مَنْ يُحِبُّهُ وَمَا يُحِبُّهُ، وَبِبُغْضِ مَنْ يُبْغِضُهُ وَمَا يُبْغِضُهُ.

التَّوْبَةُ: هُرُوْبٌ مِنَ المَعْصِيَّةِ إِلَى الطَّاعَةِ، وَمِنَ السَّيِّئَةِ إِلَى الحَسَنَةِ، وَمِنْ وَحْشَةِ العِصْيَانِ إِلَى الأُنْسِ بِالرَّحْمَنِ.

إِنَّهَا فِرَارٌ مِنَ الخَالِقِ إِلَى أَعْتَابِهِ، وهُرُوْبٌ مِنَ الجَبَّارِ إِلَى رِحَابِهِ، وَعِيَاذٌ بِرِضَاهُ مِنْ سَخَطِهِ، وَبِمُعَافَاتِهِ مِنْ عُقُوْبَتِهِ، وَبِهِ مِنْهُ لَا نُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْهِ، وَلَا مَلْجَأَ مِنْهُ إِلَّا إِلَيْهِ، وَلَا مَفَرَّ عَنْهُ إِلَّا إِلَيهِ؛ ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥٠﴾[الذَّارِيَاتِ: ٥٠].

جَاءَ فِي الحَدِيثِ القُدُسِيِّ: «يَا ابْنَ آدَمَ! إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ منكَ وَلَا أُبَالِي.

يَا ابْنَ آدَمَ! لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ وَلَا أُبَالِي.

يَا ابْنَ آدَمَ! إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَة»[حَدِيثٌ صَحِيحٌ. رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ].

يَا رَبِّ إِنْ عَظُمَتْ ذُنُـوْبِي كَثْـرَةً فَلَقَدْ عَلِمْتُ بِأَنَّ عَفْوَكَ أَعْظَـمُ
إِنْ كَـانَ لَا يَرْجُـوْكَ إِلَّا مُحْـسِنٌ فَبِمَن يَلُـوْذُ وَيَـسْتَجِيرُ الْمُجْـرِمُ

جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ؛ فَقَالَ: يَا رَسُوْلَ الله! إِنِّي لَقِيتُ امْرَأَةً فِي الْبُسْتَانِ؛ فَضَمَمْتُهَا إِلَيَّ وَقَبَّلْتُهَا، وَفَعَلْتُ بِهَا كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا أَنِّي لَمْ أُجَامِعْهَا.

فَسَكَتَ النَّبِيُّ ﷺ سَاعَةً؛ فَنَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ١١٤﴾[هُوْدٍ:١١٤]، فَدَعَاهُ النَّبِيُّ ﷺ، وَقَرَأَ عَلَيْهِ الآيَةَ، فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ ﷺ: يَا رَسُوْلَ الله! أَلَهُ خَاصَّةً أَمْ لِلنَّاسِ عَامَّةً؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «بَلْ لِلنَّاسِ عَامَّةً»[حَدِيثٌ حَسَنٌ. رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ، وَنَحْوُهُ فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»].

بَلْ مِنْ فَضْلِ الله وَكَرَمِهِ: أَنْ يُبَدِّلَ السَّيِّئَاتِ إِلَى حَسَنَاتٍ: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ﴾[الفُرْقَانَ:٧٠].

قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ﷺ: "عَجَبًا لِـمَنْ يَهْلَكُ وَمَعَهُ النَّجَاةُ! قِيلَ: وَمَا هِيَ؟ قَالَ: التَّوْبَـةُ وَالاسْتِغْفَارُ".

وَالتَّوْبَةُ الصَّادِقَةُ لَا تَكُوْنُ إِلَّا بِـ: تَـرْكِ الـذَّنْبِ، وَالنَّـدَمِ عَـلَى فِعْلِـهِ، وَالعَـزْمِ عَـلَى عَـدَمِ مُعَاوَدَتِهِ، وَاسْتِبْدَالِهِ بِعَمَلٍ صَالِحٍ، ثُمَّ إِذَا كَانَ مُتَعَلِّقًا بِحَقِّ العِبَادِ فَلْيَتَحَلَّلْ مِنْ صَاحِبِهِ.

وَالتَّوْبَةُ الصَّادِقَةُ مَقْبُوْلَةٌ إِلَّا فِي مَوْضِعَيْنِ: إِذَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَعِنْدَ الغَرْغَرَةِ؛ لِأَنَّ اللهَ قَالَ: ﴿وَلَيۡسَتِ ٱلتَّوۡبَةُ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ إِنِّي تُبۡتُ ٱلۡـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمۡ كُفَّارٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا ١٨﴾ [النِّسَاءَ:١٨].

وَصَحَّ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ اللهَ ﷻ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ؛ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْس مِنْ مَغْرِبِهَا»[أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ].

سُئِلَ الإِمَامُ الشَّافِعِيُّ ﷺ: "أَيُّهُمَا أَفْضَلُ: الكَافِرُ إِذَا أَسْلَمَ، أَمِ العَاصِي إِذَا تَابَ؟ فَقَالَ: العَاصِي إِذَا تَابَ؛ لِأَنَّ الكَافِرَ إِذَا أَسْلَمَ يَنْتَقِلُ مِنْ دَرَجَةِ الجَهْلِ إِلَى دَرَجَةِ العِلْمِ بِاللهِ، أَمَّا العَاصِي إِذَا تَابَ فَيَنْتَقِلُ مِنْ دَرَجَةِ العِلْمِ بِاللهِ إِلَى دَرَجَةِ مَحَبَّةِ اللهِ".

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ ﷺ: "اِجْلِسُوْا إِلَى التَّوَّابِينَ! فَإِنَّهُمْ أَرَقُّ أَفْئِدَةً".

أَسَأْتُ وَلَمْ أُحْسِنْ، وَجِئْتُكَ تَائِبًا ... وَأَنَّى لِعَبْدٍ مِنْ مَوَالِيهِ مَهْرَبُ

يُؤَمِّلُ غُفْرَانًا فَإِنْ خَابَ ظَنُّهُ ... فَمَا أَحَدٌ مِنْهُ عَلَى الأَرْضِ أَخْيَبُ

أَقُولُ قَولِي هَذَا، وَأَستَغْفِرُ اللهَ لِي وَلَكُمْ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرُوهُ؛ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ:

الحَمْدُ للهِ حَمْدًا طَيِّبًا كَثِيرًا مُبَارَكًا فِيهِ كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنِ اهْتَدَى بِهُدَاهُمْ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

عِبَادَ اللهِ..

قَدْ يَبْتَلِيَ اللهُ ﷻ عَبْدَهُ المُؤْمِنَ بِمَا يَتُوبُ مِنْهُ لِتَكْمُلَ عُبُودِيَّتُهُ، وَيَتَضَرَّعَ وَيَخْشَعَ وَيُنِيبَ إِلَى رَبِّهِ.

فَكَمْ مِنْ إِنْسَانٍ ابْتَعَدَ عَنِ اللهِ؛ فَضَيَّقَ اللهُ ﷻ عَلَيْهِ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْهِ، فَلَمَّا رَجَعَ، وَذَاقَ طَعْمَ القُرْبِ مِنْهُ، وَشَعَرَ بِنِعْمَةِ الاسْتِقَامَةِ وَالتَّوْبَةِ؛ شَكَرَ اللهَ عَلَى هَذِهِ المُصِيبَةِ وَالشِّدَّةِ الَّتِي كَانَتْ سَبَبًا فِي نَجَاتِهِ وَفَلَاحِهِ.

فَمَنِ ابْتُلِيَ بِشِدَّةٍ فَلْيَعْلَمْ أَنَّ اللهَ يُحِبُّهُ، وَهُوَ فِي عِنَايَةِ اللهِ، وَأَنَّ هَذِهِ الشَّدَائِدَ تُكْشَفُ؛ لِأَنَّهَا بِيدِ اللهِ ﷻ، وَاللهُ لَا يُحِبُّ أَنْ يُعَذِّبَ عَبْدَهُ؛ فَاللهُ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، وَهُوَ أَرْحَمُ مِنَ الأُمِّ بِوَلَدِهَا بِتِسْعٍ وَتِسْعِينَ مَرَّةً، وَمَا سِيقَتْ هَذِهِ الشِّدَّةُ إِلَّا لِتَرْجِعَ إِلَيْهِ، ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ

وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾﴾[النِّسَاءَ:٢٧]، ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾﴾[السَّجْدَةِ:٢١].

فَلَوْ تُرِكْتَ عَلَى مَعَاصِيكَ وَانْحِرَافَاتِكَ وَلَمْ تَتُبْ، وَرَأَيْتَ النِّعَمَ بَيْنَ يَدَيْكَ؛ فَاعْلَمْ أَنَّكَ مَبْغُوضٌ إِلَيْهِ، وَأَنَّ هَذَا اسْتِدْرَاجٌ مِنْهُ لَكَ؛ لِأَنَّ اللهَ ﷻ قَالَ: ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾﴾[الأَنْعَامِ: ٤٤].

ثُمَّ إِذَا أَعْلَنْتَ التَّوْبَةَ؛ فَاطْلُبْ مِنَ اللهِ الثَّبَاتَ، فَقَدْ كَانَ مِنْ دُعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ: «اللَّهُمَّ يَا مُقَلِّبَ القُلُوْبِ! ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ»[حَدِيثٌ صَحِيحٌ. رَوَاهُ البُخَارِيُّ فِي «الأَدَبِ المُفْرَدِ»].

إِلَهِي لَا تُعَذِّبْنِي فَإِنِّي ... مُقِرٌّ بِالَّذِي قَدْ كَانَ مِنِّيْ
وَمَا لِي حِيلَةٌ إِلَّا رَجَائِيْ ... بِعَفْوِكَ إِنْ عَفَوْتَ وَحُسْنُ ظَنِّيْ
فَكَمْ مِنْ زَلَّةٍ لِي فِي البَرَايَا ... وَأَنْتَ عَلَيَّ ذُوْ فَضْلٍ ومَنِّ
يَظُنُّ النَّاسُ بِي خَيْرًا وَإِنِّيْ ... لَشَرُّ الخَلْقِ إِنْ لَمْ تَعْفُ عَنِّيْ

اللَّهُمَّ! تُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ الغَفُوْرُ الرَّحِيمُ.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ الجَنَّةَ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ، ونَعُوْذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ الهُدَى وَالسَّدَادَ، وَنَسْأَلُكَ التُّقَى وَالعِفَّةَ وَالغِنَى.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنَ الخَيْرِ كُلِّهِ؛ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ؛ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَأَنْ تَجْعَلَ كُلَّ قَضَاءٍ قَضَيْتَهُ لَنَا خَيْرًا.

اللَّهُمَّ! أَصْلِحْ لَنَا دِيْنَنَا الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا دُنْيَانَا الَّتِي فِيهَا مَعَاشُنَا،

وَأَصْلِحْ لَنَا آخِرَتَنَا الَّتِي فِيهَا مَعَادُنَا، وَاجْعَلِ الحَيَاةَ زِيَادَةً لَنَا فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَالمَوْتَ رَاحَةً لَنَا مِنْ كُلِّ شَرٍّ.

اللَّهُمَّ! أَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا، وَأَلِّفْ بَيْنَ قُلُوْبِنَا، وَاهْدِنَا سُبَلَ السَّلَامِ، وَأَخْرِجْنَا مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوْرِ.

اللَّهُمَّ! بَارِكْ لَنَا فِي أَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوَّاتِنَا وَأَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّتِنَا وَأَمْوَالِنَا، وَاجْعَلْنَا مُبَارَكِيْنَ أَيْنَمَا كُنَّا.

وَآخِرُ دَعْوَانَا: أَنِ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ.

العَلِيمُ العَالِمُ

إِنَّ الحَمْدَ لله؛ نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِالله مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَـهَ إِلَّا اللهُ؛ وَحْـدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾[آلِ عِمْرَانَ: ١٠٢]،

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾[النِّسَاءَ: ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾[الأَحْزَابِ: ٧٠- ٧١].

أَمَّا بَعْدُ:

عِبَادَ الله..

تَتَسَتَّرُ الصُّدُوْرُ بِخَوَاطِرَ وَوَارِدَاتٍ وَمَقَاصِدَ وَنِيَّاتٍ، لَا يَنْفُذُ إِلَيْهَا سَمْعٌ، وَلَا يَصِلُ إِلَيْهَا بَصَرٌ؛ فَيُطَّلِعُ عَلَيْهَا الحَكِيمُ العَلِيمُ.

وَتَتَكَتَّمُ الضَّمَائِرُ عَنْ مُسْتَوْدَعَاتِ الأَفْكَارِ؛ فَلَا يَعْلَمُهَا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ، وَلَا وَلِيٌّ مُحَبَّبٌ، وَلَا عَالِمٌ جَهْبَذٌ، وَلَا شَيْطَانٌ مَارِدٌ؛ وَيَعْلَمُهَا عَلَّامُ الغُيُوْبِ.

وَيُلَفُّ الجَنِينُ بِغِشَاءٍ إِثْرَ غِشَاءٍ فِي رَحْمِ أُمِّهِ؛ فَلَا يُـدْرَى أَحَـيٌّ أَمْ مَيِّـتٌ؟ أَذَكَـرٌ أَمْ أُنْثَـى؟ أَشَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ؟ لَا يُدْرَى أَجَلُهُ وَلَا رِزْقُهُ وَلَا عُمُرُهُ!

وَيَعْلَمُ ذَلِكَ مَنْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا، قَالَ اللهُ ﷻ عَنْ نَفْسِهِ: ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ

﴿٢٨٢﴾[البَقَرَة:٢٨٢]، وَكَذَا مِنْ أَسْمَائِهِ ﷻ: (العَلِيمُ العَالِمُ).

العِلْمُ: نَقِيضُ الجَهْلِ.

وَرَبُّنَا ﷻ أَحَاطَ عِلْمُهُ بِالظَّاهِرِ وَالبَاطِنِ، والإِسْرَارِ وَالإِعْلَانِ، وَأَحَاطَ بِالعَالَمِ العُلْوِيِّ وَالسُّفْلِيِّ، وَأَحَاطَ عِلْمُهُ بِالمَاضِي وَالحَاضِرِ وَالمُسْتَقْبَلِ.

وَهُوَ عَالِمٌ ﷻ بِكُلِّ مَا أَخْفَتْهُ صُدُوْرُ خَلْقِهِ؛ مِنْ إِيمَانٍ وَكُفْرٍ، وَحَقٍّ وَبَاطِلٍ، وَخَيْرٍ وَشَرٍّ؛ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾﴾[آلِ عِمْرَانَ:١١٩]، ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾﴾[البَقَرَة:٢٨٢].

وَرَبُّنَا ﷻ أَحَاطَ عِلْمُهُ المُطْلَقُ بِكُلِّ مَوْجُوْدٍ، وَاطِّلَاعُهُ التَّامُّ عَلَى كُلِّ مَخْلُوْقٍ؛ فَلَا يَنِدُّ عَنْ عِلْمِهِ شَيْءٌ، وَلَا يَعْزُبُ عَنِ اطِّلَاعِهِ شَيْءٌ، وَلَا يَفُوْتُ إِحَاطَتَهِ شَيْءٌ.

النَّجْوَى عِنْدَهُ جَهْرٌ، وَالسِّرُّ لَدَيْهِ عَلَانِيَةٌ، وَالخَافِي لَدَيْهِ مَكْشُوْفٌ.

وَهُوَ العَلِيمُ أَحَاطَ عِلْمًا بِالَّذِي ... فِي الكَوْنِ مِنْ سِرٍّ وَمِنْ إِعْلَانِ
وَبِكُلِّ شَيْءٍ عِلمُهُ سُبْحَانَهُ ... قَاصِي الأُمُوْرِ لَدَيْهِ قَبْلَ الدَّانِي
لَا جَهْلَ يَسْبِقُ عِلْمَهُ كَلَّا وَلَا ... يَنْسَى كَمَا الإِنْسَانُ ذُوْ نِسْيَانِ

الوَرَقَةُ تَسْقُطُ بِعِلْمِهِ، وَالهَمْسَةُ تَصْدُرُ بِعِلْمِهِ، وَالكَلِمَةُ تُقَالُ بِعِلْمِهِ، وَالنِّيَّةُ تُعْقَدُ بِعِلْمِهِ، وَالقَطْرَةُ تَنْزِلُ بِعِلْمِهِ..

عَلِمَ الحَيَّ وَالمَيِّتَ، وَالرَّطْبَ وَاليَابِسَ، وَالحَاضِرَ وَالغَائِبَ، وَالسِّرَّ وَالجَهْرَ، وَالكَثِيرَ وَالقَلِيلَ: ﴿۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾[الأَنْعَام:٥٩].

وَحَدَّثَ بَعْضُ الصَّحَابَةِ أَنْفُسَهَمْ بِحَدِيثٍ لَمْ يُظْهِرُوْهُ، بَلْ كَتَمُوْهُ وَأَسَرُّوْهُ؛ فَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ:

﴿عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ﴾[البَقَرَة:١٨٧].

وَأَسَرَّ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا، فَعَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ، فَقَالَتْ: مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا؟ ﴿قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ۝٣﴾[التَّحْرِيم:٣].

بَاتَ نَفَرٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ يَحِيكُوْنَ الدَّسَائِسَ، وَيَحِيكُوْنَ الخُطَطَ؛ فَكَشَفَهُمْ عَلاَّمُ الغُيُوْبِ، وَقَالَ ﷻ فِيهِمْ: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ۝١٠٨﴾[النِّسَاء:١٠٨].

جَلَسَ عُمَيْرُ بْنُ وَهْبٍ وَصَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ -بَعْدَ بَدْرٍ- عِنْدَ الكَعْبَةِ لَيْلًا يُدَبِّرَانِ اغْتِيَالَ رَسُوْلِ الله ﷺ؛ فَأَخْبَرَ اللهُ ﷻ رَسُوْلَهُ بِكَيْدِهِمْ، وَأَطْلَعَهُ عَلَى فِعلِهِمْ: ﴿قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٤﴾[الأَنْبِيَاء:٤].

وَخَافَ بَعْضُ الْمُنَافِقِينَ أَنْ يَتَكَلَّمَ فَيَفْضَحَهُ الوَحْيُ، فَلَوَّى رَأْسَهُ عَلَامَةً لِرَفْضِهِ إِتيَانَ الرَّسُوْلِ ﷺ لِيَسْتَغْفِرَ لَهُ؛ فَنَزَلَ الوَحْيُ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْا۟ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ۝٥﴾[المُنَافِقُونَ:٥].

وَتَنَاجَى الْمُنَافِقُونَ فِي تَبُوْكٍ فِيمَا بَيْنَهُمْ، وَهَمَزُوْا وَلَمَزُوْا رَسُوْلَ الله ﷺ وَالصَّحَابَةَ رضي الله عنهم وَالدِّينَ؛ فَأَطْلَعَ عَلَّامُ الغُيُوْبِ رَسُوْلَهُ عَلَى كَيْدِهِمْ وَمَكْرِهِمْ وَسُخْرِيَّتِهِمْ؛ ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ۝٧٨﴾[التَّوْبَة:٧٨].

﴿إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۝٩٨﴾[طه:٩٨].

وَلَا يُشَابِهُهُ أَحَدٌ مِنْ مَخْلُوْقَاتِهِ فِي كَمَالِ عِلْمِهِ ﷻ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١﴾[الشُّوْرَى:١١].

عِلْمُهُ ﷻ مُطْلَقٌ ، وعِلْمُ البَشَرِ مَحْدُوْدٌ ، عِلْمُهُ كَامِلٌ، وَعِلْمُ البَشَرِ نَاقِصٌ، وَعِلْمُهُ لَا نِهَايَةَ لَهُ، وعِلْمُهُمْ يَنْتَهِي ، وَعِلْمُهُ فِي الظَّاهِرِ وَالبَاطِنِ، وَعِلْمُهُمْ فِيمَا يَظْهَرُ لَهُمْ، عِلْمُهُ بِكُلِّ شَيْءٍ، وَعِلْمُهُمْ فِي أَشْيَاءَ، يَعْتَرِي البَشَرَ النِّسْيَانُ وَاللهُ ﷻ لَا يَنْسَى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾﴾ [مَرْيَمَ:٦٤]، ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾[البَقَرَةِ:٢٥٥]، ﴿فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾﴾[الفَتْحِ:٢٧]، وَإِذَا عَلِمَ البَشَرُ شَيْئًا فَهُوَ مِنْ تَعْلِيمِ اللهِ ﷻ لَهُمْ، فَكُلُّ عِلْمٍ شَرْعِيٍّ وَقَدَرِيٍّ فَمَرْجِعُهُ إِلَى اللهِ العَزِيزِ الحَكِيمِ ﷻ؛ ﴿قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾﴾[البَقَرَةِ:٣٢].

وَقَالَ ﷻ مُخَاطِبًا رَسُوْلَ اللهِ ﷺ: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾[النِّسَاءَ:١١٣].

وَقَالَ عَنْ يُوْسُفَ عليه السلام: ﴿وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾[يُوْسُفَ:١٠١].

وَقَالَ عَنْ دَاوُدَ عليه السلام: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ﴾[الأَنْبِيَاءِ:٨٠].

وَقَالَ عَنِ الخَضِرِ عليه السلام: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾﴾[الكَهْفِ:٦٥].

وَلَوْ جَمَعَ النَّاسُ عُلُوْمَهُمْ وَمَا عِنْدَهُمْ مِن مَعْلُومَاتٍ؛ لَكَانَتْ ضَئِيلَةً جِدًّا بِالنِّسْبَةِ لِعِلْمِ اللهِ الوَاسِعِ: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾ [الإِسْرَاءِ:٨٥].

قَالَ الخَضِرُ لِمُوْسَى عليه السلام لَمَّا رَكِبَا السَّفِينَةَ، وَرَأَى عُصْفُوْرًا قَدْ وَقَعَ عَلَى حَرْفِ السَّفِينَةِ؛ فَنَقَرَ فِي البَحْرِ نَقْرَةً أَوْ نَقْرَتَيْنِ، قَالَ لَهُ الخَضِرُ: "يَا مُوْسَى! مَا نَقَصَ عِلْمِي وَعِلْمُكَ مِنْ عِلْمِ اللهِ إِلَّا مِثْلَ مَا نَقَصَ هَذَا العُصْفُوْرُ بِمِنقَارِهِ مِنَ البَحْرِ...".

اللَّهُمَّ عَلِّمْنَا مَا يَنْفَعُنَا، وَانْفَعْنَا بِمَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ العَلِيمُ الحَكِيمُ.

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَأَستَغْفِرُ اللهَ لِي وَلَكُمْ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرُوهُ؛ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ:

الْحَمْدُ لله حَمْدًا طَيِّبًا كَثِيرًا مُبَارَكًا فِيهِ كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنِ اهْتَدَى بِهُدَاهُمْ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

عِبَادَ اللهِ..

وَاخْتَصَّ رَبُّنَا ﷻ بِعُلُوْمِ الغَيْبِ: ﴿۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾[الأَنْعَام: ٥٩]، وَذَكَرَ مِنْهَا خَمْسَةٌ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾﴾[لُقْمَان: ٣٤].

فَهَذِهِ الخَمْسَةُ مَفَاتِيحِ الغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللهُ:

١- عِلْمُ السَّاعَةِ: مَبْدَأُ مِفْتَاحٍ لِحَيَاةِ الآخِرَةِ.

٢- تَنْزِيْلُ الغَيْثِ: مِفْتَاحٌ لِحَيَاةِ الأَرْضِ بِالنَّبَاتِ.

٣- عِلْمُ الأَرْحَامِ: مِفْتَاحٌ لِلْحَيَاةِ الدُّنْيَا.

٤- عِلْمُ مَا فِي الغَدِ: مِفْتَاحُ الكَسْبِ فِي المُسْتَقْبَلِ.

٥- عِلْمُ مَكَانِ المَوْتِ: مِفْتَاحٌ لِحَيَاةِ البَرْزَخِ، وَقِيَامَةِ كُلِّ إِنْسَانٍ بِحَسْبِهِ.

وَعِلْمُ الغَيْبِ لَا شَكَّ أَنَّهُ أَعْظَمُ وَأَوْسَعُ مِنْ أَنْ يُحْصَرَ فِي هَذِهِ الخَمْسَةِ فَقَطْ، وَالإِخْبَارُ هُنَا يُحْمَلُ عَلَى: بَيَانِ البَعْضِ المُهِمِّ، لَا عَلَى دَعْوَى الحَصْرِ، فَاللهُ قَالَ: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[النَّمْل: ٦٥].

وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ أَحَدًا يَعْلَمُ الغَيْبَ غَيْرَ اللهِ ﷻ؛ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ.

وَالأَنْبِيَاء لَا يَعْلَمُوْنَ شَيْئًا مِنَ الغَيْبِ؛ إِلَّا مَا أَخْبَرَهُمُ اللهُ بِهِ، تَقُوْلُ عَائِشَةُ ﵂: "مَنْ زَعَمَ

أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ يُخْبِرُ بِمَا يَكُونُ فِي غَدٍ؛ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللهِ الفِرْيَةَ!"، ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُ﴾[الأعراف:١٨٨].

وَمَنْ آتَاهُ اللهُ عِلْمًا وَلَوْ كَانَ قَلِيلًا؛ فَقَدْ رَفَعَهُ اللهُ ﷻ: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾[المُجادلة:١١]، فَكَيْفَ لَوْ كَانَ عَالِمًا تَقِيًّا عَارِفًا بِاللهِ، مُؤَدِّيًا حَقَّهُ؟

فَهَؤُلَاءِ تَيَقَّنُوا بِعِلْمِ اللهِ؛ فَازْدَادُوا لَهُ خَشْيَةً وَتَعْظِيمًا، وَلِذَا زَكَّاهُمُ اللهُ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ؛ فَقَالَ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾[فاطر:٢٨].

فَالْعِلْمُ: أَصْلُ الخِصَالِ الشَّرِيفَةِ، يَرْقَى بِالإِنْسَانِ إِلَى المَنَازِلِ الرَّفِيعَةِ، وَلَا يَصِلُ لِهَذِهِ المَنْزِلَةِ إِلَّا بِالْعِلْمِ وَالْمُدَاوَمَةِ عَلَى سُؤَالِ اللهِ إِيَّاهُ، وَامْتِثَالًا بِدُعَاءِ رَسُولِنَا ﷺ الَّذِي عَلَّمَهُ اللهُ إِيَّاهُ: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾[طه:١١٤].

اللَّهُمَّ! عَلِّمْنَا مَا يَنْفَعُنَا، وَانْفَعْنَا بِمَا عَلَّمْتَنَا وَزِدْنَا عِلْمًا.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ الجَنَّةَ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ، ونَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ الهُدَى وَالسَّدَادَ، وَنَسْأَلُكَ التُّقَى وَالعِفَّةَ وَالغِنَى.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنَ الخَيْرِ كُلِّهِ؛ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ؛ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَأَنْ تَجْعَلَ كُلَّ قَضَاءٍ قَضَيْتَهُ لَنَا خَيْرًا.

اللَّهُمَّ! أَصْلِحْ لَنَا دِينَنَا الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا دُنْيَانَا الَّتِي فِيهَا مَعَاشُنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا آخِرَتَنَا الَّتِي فِيهَا مَعَادُنَا، وَاجْعَلِ الحَيَاةَ زِيَادَةً لَنَا فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَالمَوْتَ رَاحَةً لَنَا مِنْ كُلِّ شَرٍّ.

اللَّهُمَّ! أَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا، وَأَلِّفْ بَيْنَ قُلُوبِنَا، وَاهْدِنَا سُبُلَ السَّلَامِ، وَأَخْرِجْنَا مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ.

اللَّهُمَّ! بَارِكْ لَنَا فِي أَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوَّاتِنَا وَأَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّتِنَا وَأَمْوَالِنَا، وَاجْعَلْنَا مُبَارَكِيْنَ أَيْنَمَا كُنَّا.

وَآخِرُ دَعْوَانَا: أَنِ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ.

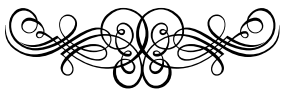

العَلِيُّ الأَعْلَى

المُتَعَالِ ﷺ

إِنَّ الحَمْدَ لله؛ نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِالله مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؛ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[آلِ عِمْرَانَ: ١٠٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾[النِّسَاءَ: ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾[الأَحْزَابِ: ٧٠- ٧١].

أَمَّا بَعْدُ:

عِبَادَ الله..

جاء فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» عَنِ الصَّحَابِيِّ الجَلِيلِ مُعَاوِيَةَ بْنِ الحَكَمِ السُّلَمِيِّ قَالَ: ..كَانَتْ لِي جَارِيَةٌ تَرْعَى غَنَمًا لِي قِبَلَ أُحُدٍ وَالجَوَّانِيَّةِ، فَاطَّلَعْتُ ذَاتَ يَوْمٍ فَإِذَا الذِّيبُ قَدْ ذَهَبَ بِشَاةٍ مِنْ غَنَمِهَا، وَأَنَا رَجُلٌ مِنْ بَنِي آدَمَ، آسَفُ كَمَا يَأْسَفُونَ، لَكِنِّي صَكَكْتُهَا صَكَّةً.

فَأَتَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ فَعَظَّمَ ذَلِكَ عَلَيَّ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله أَفَلَا أُعْتِقُهَا؟ قَالَ: «ائْتِنِي بِهَا!» فَأَتَيْتُهُ بِهَا، فَقَالَ لَهَا: «أَيْنَ اللهُ؟»، قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ، قَالَ: «مَنْ أَنَا؟»، قَالَتْ: أَنْتَ رَسُولُ الله، قَالَ: «أَعْتِقْهَا، فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ».

عَلَى السَّمَاوَاتِ فَوْقَ العَرْشِ مُرْتَفِعًا

مُبَايِنًا لِجَمِيعِ الخَلْقِ مُتَّصِفًا

بِكُلِّ أَوْصَافِهِ العُلْيَا الَّتِي كَمُلَتْ

وَلَيْسَ هَذَا بَحَمْدِ اللهِ فِيهِ خَفَا

وَاللهُ ﷻ قَالَ عَنْ نَفْسِهِ: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾[البَقَرَة: ٢٥٥]، وَقَالَ ﷻ: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾﴾[الأَعْلَى:١]، وَقَالَ ﷻ: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴿٩﴾﴾ [الرَّعْدِ:٩].

فَمِنْ أَسْمَاءِ اللهِ الحُسْنَى: (العَلِيُّ الأَعْلَى المُتَعَالِ ﷻ).

فَرَبُّنَا ﷻ العَلِيُّ؛ الَّذِي لَا أَعْلَى مِنْهُ، لَهُ العُلُوُّ المُطْلَقُ مِنْ جَمِيعِ الوُجُوهِ: عُلُوُّ الذَّاتِ، وَعُلُوُّ القَدْرِ وَالصِّفَاتِ، وَعُلُوُّ القَهْرِ وَالغَلَبَةِ، وَعُلُوُّ الحُجَّةِ.

وَرَبُّنَا ﷻ أَعْلَى مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَفَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ، فَكُلُّ شَيْءٍ تَحْتَ قَهْرِهِ وَسُلْطَانِهِ وَعَظَمَتِهِ؛ لِأَنَّهُ العَظِيمُ الَّذِي لَا أَعْظَمَ مِنْهُ ﷻ.

وَرَبُّنَا مُسْتَوٍ عَلَى عَرْشِهِ، بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ، وَقَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا، وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا.

عِبَادَ اللهِ..

تَنَوَّعَتِ الدَّلَائِلُ، وَتَكَاثَرَتِ البَرَاهِينُ، وَتَعَدَّدَتِ الشَّوَاهِدُ عَلَى عُلُوِّ اللهِ ﷻ عَلَى خَلْقِهِ، قَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ: "وَهُوَ -سُبْحَانَهُ- وَصَفَ نَفْسَهُ بِالْعُلُوِّ. وَهُوَ مِنْ صِفَاتِ المَدْحِ لَهُ بِذَلِكَ وَالتَّعْظِيمِ؛ لِأَنَّهُ مِنْ صِفَاتِ الْكَمَالِ... لَا يُوصَفُ بِضِدِّ الْعُلُوِّ وَهُوَ: السُّفُولُ، وَلَا بِضِدِّ الْعَظِيمِ وَهُوَ: الحَقِيرُ، بَلْ هُوَ -سُبْحَانَهُ- مُنَزَّهٌ عَنْ هَذِهِ النَّقَائِصِ المُنَافِيَةِ لِصِفَاتِ الْكَمَالِ الثَّابِتَةِ لَهُ"، لِأَنَّ السُّفُولَ مِنْ صِفَاتِ النَّقْصِ المُنَافِيَةِ لِصِفَاتِ الكَمَالِ، وَاللهُ مُنَزَّهٌ عَنِ النَّقَائِصِ.

وَقَالَ أَبُوْ بَكْرِ بْنُ خُزَيْمَةَ ﷺ عِنْدَ قَوْلِهِ ﷻ: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١﴾[الأَعْلَى:١]:

"يَا ذَوِيْ الحِجَى!

رَبُّنَا يُخْبِرُنَا أَنَّهُ: العَلِيُّ العَظِيمُ، أَفَلَيْسِ العَلِيُّ مَا يَكُوْنُ عَالِيًا؟ لَا كَمَا تَزْعُمُ المُعَطِّلَةُ الجَهْمِيَّةُ أَنَّهُ: أَعْلَى وَأَسْفَلُ وَأَوْسَطُ وَمَعَ كُلِّ شَيْءٍ، وَفِي كُلِّ مَوْضِعٍ مِنْ أَرْضٍ وَسَمَاءٍ، وَفِي أَجْوَافِ جَمِيعِ الحَيَوَانِ!..."، حَتَّى قَالَ: "وَلَوْ تَدَبَّرُوْا الآيَاتِ لَعَلِمُوْا أَنَّهُمْ: جُهَّالٌ؛ لَا يَفْهَمُوْنَ مَا يَقُوْلُوْنَ!".

هَذَا ومِنْ تَوْحِيدِهِمْ: إِثْبَاتُ ... أَوْصَافِ الكَمَالِ لِرَبِّنَا الرَّحْمَنِ

كَعُلُوِّهِ سُبْحَانَه فَوْقَ السَّمَاوَاتِ ... العُلَى بَلْ فَوْقَ كُلِّ مَكَانِ

فَهُوَ العَلِيُّ بِذَاتِهِ سُبْحَانَهُ ... إِذْ يَسْتَحِيلُ خِلَافُ ذَا بِبَيَانِ

وَهُوَ الَّذِي حَقًّا عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى ... قَدْ قَامَ بِالتَّدْبِيرِ لِلأَكْوَانِ

عِبَادَ الله..

قَوْلُهُ ﷻ: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾[المُلْكِ:١٦ و١٧]، وَقَوْلُهُ ﷺ: «أَلَا تَأْمَنُونِي وَأَنَا أَمِينُ مَنْ فِي السَّمَاءِ؟!»، وَقَوْلُ الجَارِيَةِ: "فِي السَّمَاءِ"، (فِي) هُنَا بِمَعْنَى: (عَلَى)؛ كَمَا فِي قَوْلِهِ ﷻ: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾[طَه:٧١]، أَيْ: عَلَى جُذُوْعِ النَّخْلِ، وَكَمَا قَالَ ﷻ: ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ﴾[الأَنْعَام:١١ وَغَيْرِهَا]، أَيْ: عَلَى الأَرْضِ، وَيُقْصَدُ بِالسَّمَاءِ هُنَا: العُلُوُّ؛ فَاللهُ فِي العُلُوِّ، بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ، فَوْقَ عَرْشِهِ، فَوْقَ السَّمَاوَاتِ وَفَوْقَ جَمِيعِ خَلْقِهِ، وَلَا يُتَصَوَّرُ أَنَّ السَّمَاءَ تُحِيطُ اللهَ؛ لِأَنَّ اللهَ ﷻ أَعْظَمُ مِنْ أَنْ يُحِيطَ بِهِ شَيْءٌ مِنْ مَخْلُوْقَاتِهِ، ﴿أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ ۝٥٤﴾[فُصِّلَت:٥٤]، ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطًا ۝١٢٦﴾[النِّسَاءِ:١٢٦].

فَرَبُّنَا ﷻ تَعَالَى عَنِ الشَّبِيهِ وَالنَّظِيرِ وَالمَثِيلِ وَالعَدِيلِ.

وَرَبُّنَا ﷻ تَعَالَى عَنِ الصَّاحِبَةِ وَالوَلَدِ: ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ۝٣﴾ [الجِنِّ:٣].

وَرَبُّنَا ﷻ تَعَالَى عَنِ الشَّرِيكِ فِي أُلُوهِيَّتِهِ: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝١٩٠﴾[الأَعْرَافِ:١٩٠].

وَمَعَ عُلُوِّهِ ﷻ؛ فَهُوَ: قَرِيبٌ يُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِي إِذَا دَعَاهُ، وَهُوَ أَقْرَبُ إِلَى الإِنْسَانِ مِنْ حَبْلِ وَرِيدِهِ، وَيَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى، قَالَ ﷻ: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ۝١٦﴾[ق:١٦]، وَقَالَ ﷻ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ﴾[البَقَرَةِ:١٨٦]، وَقَالَ ﷻ: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ۝٩﴾[الرَّعْدِ:٩].

وعَلَى قَدْرِ الإِيمَانِ وَالعَمَلِ يَكُوْنُ العُلُوُّ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ۝١٨﴾[المُطَفِّفِينَ:١٨]، ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ۝٨٣﴾[القَصَصِ:٨٣].

وَمَنْ كَانَ مَعَ اللهِ كَانَ اللهُ ﷻ مَعَهُ، وَعَلَا شَأْنُهُ؛ ﴿فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ ۝٣٥﴾[مُحَمَّدٍ:٣٥].

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنْ أَوْلِيَائِكَ وَاحْفَظْنَا بِحِفْظِكَ، وَأَعْلِ شَأْنَنَا كُلَّهُ؛ يَا رَبَّ العَالَمِينَ!

أَقُولُ قَولِي هَذَا، وَأَستَغْفِرُ اللهَ لِي وَلَكُمْ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرُوهُ؛ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ:

الحَمْدُ للهِ حَمْدًا طَيِّبًا كَثِيرًا مُبَارَكًا فِيهِ كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنِ اهْتَدَى بِهُدَاهُمْ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

عِبَادَ الله..

الكُلُّ يُرِيدُ العُلُوَّ وَالرِّفْعَةَ وَالمَكَانَةَ العَالِيَةَ وَالثَّنَاءَ الحَسَنَ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا، وَكَذِلِكَ الآخِرَةِ، وَقَدْ دَلَّنَا النَّبِيُّ ﷺ عَلَى مَا يَرْفَعُ دَرَجَاتِنَا عِنْدَ الله ﷻ:

أَوَّلًا: الإِيمَانُ: ﴿وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾﴾[طه: ٧٥].

ثَانِيًا: العِلْمُ: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾[المُجادلَة: ١١].

ثَالِثًا: التَّوَاضُعُ، صَحَّ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لله إِلَّا رَفَعَهُ الله»[أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ].

وَلَمَّا طَلَبَ أَحَدُ الصَّحَابَةِ ﷺ مُرَافَقَةَ النَّبِيِّ ﷺ فِي الجَنَّةِ؛ قَالَ لَهُ: «فَأَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ»[أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ]، وَالذِّكْرُ فِي السُّجُوْدِ: (سُبْحَانَ رَبِّيَ الأَعْلَى)، وَالله ﷻ قَالَ: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾﴾[الأَعْلَى: ١].

وَعُلِّلَ هَذَا القَوْلُ فِي السُّجُوْدِ: غَايَةٌ فِي الخُضُوْعِ وَالتَّذَلُّلِ مِنَ العَبْدِ بِأَشْرَفِ شَيْءٍ فِيهِ لله ﷻ، وَهُوَ: وَجْهُهُ؛ بِأَنْ يَضَعَهُ عَلَى التُّرَابِ، فَنَاسَبَ وَهُوَ فِي غَايَةِ سُفُوْلِهِ أَنْ يَصِفَ رَبَّهُ بِأَنَّهُ: الأَعْلَى ﷻ.

وَلِذَلِكَ لَمَّا كَانَ هَذَا حَالُ العَبْدِ فِي تِلْكَ الهَيْئَةِ كَانَ أَقْرَبَ إِلَى الله ﷻ، قَالَ ﷺ: «أَقْرَبُ مَا يَكُوْنُ العَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ؛ فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ»[أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ].

وَبَعْدَ أَنْ عَلِمْتَ أَنَّ الأَرْضَ تُدَارُ مِنَ العَلِيِّ الأَعْلَى ﷻ؛ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوْتُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ؛ فَيَا أَيُّهَا المَرِيضُ! الشَّافِي فِي السَّمَاءِ، وَيَا أَيُّهَا الفَقِيرُ! الغَنِيُّ فِي السَّمَاءِ، وَيَا أَيُّهَا الحَزِينُ! الجَابِرُ فِي السَّمَاءِ، أَيُّهَا العَقِيمُ! المَجِيبُ فِي السَّمَاءِ، أَيُّهَا المَدِينُ! الرَّزَّاقُ فِي السَّمَاءِ، أَيُّهَا المَغْمُوْمُ! الفَتَّاحُ فِي السَّمَاءِ..

فَتَوَجَّهْ بِقَلْبِكَ وَوَجْهِكَ إِلَى السَّمَاءِ، وَادْعُ اللهَ العَلِيَّ الأَعْلَى، وَأَبْشِرْ بِمَا يَسُرُّكَ؛ فَقَدْ بُشِّرْتَ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ بِقَوْلِهِ ﷻ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾[البَقَرَة:١٨٦].

لَكَ الحَمْدُ يَا ذَا الجُوْدِ وَالمَجْدِ وَالعُلَا

تَبَارَكْتَ تُعْطِي مَنْ تَشَاءُ وَتَمْنَعُ

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الأَعْلَى: أَنْ تُعْلِيَ شَأْنَنَا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ الجَنَّةَ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ، ونَعُوْذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ الهُدَى وَالسَّدَادَ، وَنَسْأَلُكَ التُّقَى وَالعِفَّةَ وَالغِنَى.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنَ الخَيْرِ كُلِّهِ؛ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ؛ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَأَنْ تَجْعَلَ كُلَّ قَضَاءٍ قَضَيْتَهُ لَنَا خَيْرًا.

اللَّهُمَّ! أَصْلِحْ لَنَا دِيْنَنَا الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا دُنْيَانَا الَّتِي فِيهَا مَعَاشُنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا آخِرَتَنَا الَّتِي فِيهَا مَعَادُنَا، وَاجْعَلِ الحَيَاةَ زِيَادَةً لَنَا فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَالمَوْتَ رَاحَةً لَنَا مِنْ كُلِّ شَرٍّ.

اللَّهُمَّ! أَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا، وَأَلِّفْ بَيْنَ قُلُوْبِنَا، وَاهْدِنَا سُبُلَ السَّلَامِ، وَأَخْرِجْنَا مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوْرِ.

اللَّهُمَّ! بَارِكْ لَنَا فِي أَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوَّاتِنَا وَأَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّتِنَا وَأَمْوَالِنَا، وَاجْعَلْنَا مُبَارَكِيْنَ أَيْنَمَا كُنَّا.

وَآخِرُ دَعْوَانَا: أَنِ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ.

العَظِيمُ ﷻ

إِنَّ الحَمْدَ لله؛ نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِالله مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَـهَ إِلَّا اللهُ؛ وَحْـدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ.

أَمَّا بَعْدُ:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[آلِ عِمْرَانَ: ١٠٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾[النِّسَاءَ: ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾[الأَحْزَابِ: ٧٠- ٧١].

عَظُمَتْ صِفَاتُكَ يَا عَظِيمُ فَجَلَّ أَنَّ ... يُحْصِي الثَّنَاءَ عَلَيْكَ فِيهَا قَائِلُ

العَظِيمُ ﷻ: اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ الله الحُسْنَى، اسْمٌ جَلِيلٌ لِرَبِّنَا العَظِيمِ، يَحْمِلُ فِي مَبْنَاهُ وَمَعْنَـاهُ: الجَلَالَ وَالعَظَمَةَ، وَالشَّرَفَ وَالسُّؤْدُدَ.

بِالِغُ الهَيْبَةِ، قَوِيُّ الحُرُوْفِ، شَامِخُ المَعْنَى، قـال ﷻ: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾[البَقَـرَةِ: ٢٥٥].

وَالعَظِيمُ ﷻ: ذُوْ العَظَمَةِ، عَظِيمٌ شَأْنُهُ، جَلِيلٌ قَدْرُهُ، وَهُوَ الَّذِي جَاوَزَ حُدُوْدَ العَقْلِ حَتَّى لَا تَتَصَوَّرَ الإِحَاطَةَ بِكُنْهِهِ وَحَقِيقَتِهِ.

فَرَبُّنَا العَظِيمُ فِي ذَاتِهِ، لَيْسَ كَمِثْلِهِ فِي عَظَمَتِهِ..

فَمِنْ عَظَمَتِهِ: أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي كَفِّهِ أَصْغَرُ مِنَ الخَرْدَلَةِ، ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾[الزُّمَر:٦٧].

وَصَحَّ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «ما السَّمَاوَاتُ السَّبعُ فِي الكُرْسِيِّ إِلَّا كَحَلْقَةٍ مُلْقَاةٍ بِأَرْضٍ فَلَاةٍ، وَفَضْلُ العَرْشِ عَلَى الكُرْسِيِّ كَفَضْلِ تِلْكَ الفَلَاةِ عَلَى تِلْكَ الحَلْقَةِ»[حَدِيثٌ صَحِيحٌ. رَوَاهُ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي «العَرْشِ وَمَا رُوِيَ فِيهِ»].

هَذِهِ العَظَمَةُ فِي الكُرْسِيِّ وَالعَرْشِ -وَهِيَ مِنْ مَخْلُوْقَاتِهِ-؛ فكَيْفَ بِعَظَمَةِ اللهِ ﷻ الَّذِي لَهُ المَثَلُ الأَعْلَى، وَالَّذِي اسْتَوَى عَلَى العَرْشِ، وَهُوَ فَوْقَ جَمِيعِ خَلْقِهِ ﷻ.

وَرَبُّنَا ﷻ عَظِيمٌ فِي صِفَاتِهِ، فَهُوَ المَوْصُوْفُ بِكُلِّ صِفَاتِ الكَمَالِ، عَظِيمٌ فِي رَحْمَتِهِ، عَظِيمٌ فِي قُدْرَتِهِ، عَظِيمٌ فِي هِبَاتِهِ وَعَطَائِهِ، عَظِيمٌ فِي جَمَالِهِ.

جَاءَ فِي الحَدِيثِ القُدُسِيِّ: «الكِبْرِيَاءُ رِدَائِي، وَالعَظَمَةُ إِزَارِي، فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا؛ قَذَفْتُهُ فِي النَّارِ»[حَدِيثٌ صَحِيحٌ. رَوَاهُ أَبُوْ دَاوُدَ].

وَرَبُّنَا العَظِيمُ فِي أَفْعَالِهِ؛ لِأَنَّهَا تُنْبِئُ عَنْ سَعَةِ الحِكْمَةِ وَالعَدْلِ وَالفَضْلِ وَالمَشِيئَةِ.

وَهُوَ العَظِيمُ بِكُلِّ مَعْنىً يُوْجِبُ

التَّعْظِيمَ لَا يُحْصِيهِ مِنْ إِنْسَانِ

فَهَذَا رَبُّنَا العَظِيمُ ﷻ، فَهَلْ يَسْتَحِقُّ أَحَدٌ مِنَ الخَلْقِ أَنْ يُعَظَّمَ كَمَا يُعَظَّمَ اللهُ ﷻ؟!

فَاللهُ ﷻ قَدْ كَمُلَ فِي عَظَمَتِهِ، وَعَظَّمَ ﷺ نَفْسَهُ بِنَفْسِهِ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾[الزُّمَر:٦٧].

وَفِي الحَدِيثِ القُدُسِيِّ فِي «مُسْنَدِ الإِمَامِ أَحْمَدَ»: «أَنَا الجَبَّارُ، أَنَا المُتَكَبِّرُ، أَنَا المَلِكُ، أَنَا

المُتَعَالِي؛ يُمَجِّدُ نَفْسَهُ»[حَدِيثٌ صَحِيحٌ]، لَمْ يَتَّخِذْ صَاحِبةً وَلَا وَلَـدًا: ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ۝٣﴾[الجِنِّ:٣].

لَا تَتَعَاظَمُ عَلَيْهِ المَسَائِلُ؛ مَهْمَا عَظُمَتْ وَكَثُرَتْ، صَحَّ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِذَا دَعَا أَحَدُكُمْ فَلَا يَقُلْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ! وَلَكِنْ لِيَعْزِمِ المَسْأَلَةَ وَلْيُعَظِّمِ الرَّغْبَةَ؛ فَإِنَّ اللهَ لَا يَتَعَاظَمُهُ شَيْءٌ أَعْطَاهُ»[أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ -وَهَذَا لَفْظُهُ-].

وَرَبُّنَا عَظِيمٌ فِي رَحْمَتِهِ وَفِي مَغْفِرَتِهِ، وَعَظِيمٌ فِي حِلْمِهِ، وَعَظِيمٌ فِي لُطْفِهِ وَجَزِيلِ كَرَمِهِ، لَا يَتَعَاظَمُهُ شَيْءٌ أَنْ يَغْفِرَهُ.

جَاءَ فِي حَدِيثِ الشَّفَاعَةِ فِي «الصَّحِيحَيْنِ»: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «..يَا مُحَمَّدُ! ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ، وَسَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ!

فَأَقُولُ: يَا رَبِّ! ائْذَنْ لِي فِيمَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَيَقُولُ: وَعِزَّتِي وَجَلَالِي وَكِبْرِيَائِي وَعَظَمَتِي! لَأُخْرِجَنَّ مِنْهَا مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ».

ثُمَّ انْظُرْ إِلَى قَوْمٍ سَبُّوْهُ وَشَتَمُوْهُ، وَأَلْحَدُوْا فِي أَسْمَائِهِ، وَحَارُوْا فِي صِفَاتِهِ، وَعَطَّلُوْا شَرِيعَتَهُ، وَتَعَدَّوْا حُدُوْدَهُ، وَعَصَوْا أَمْرَهُ، وَارْتَكَبُوْا نَهْيَهُ، وَنَسَبُوْا لَهُ الصَّاحِبَةَ وَالوَلَدَ؛ وَمَعَ هَذَا -كُلِّهِ- عَامَلَهُمْ بِعِظَمِ رَحْمَتِهِ وَعَظِيمِ حِلْمِهِ، وَخَاطَبَهُمْ بِأَرَقِّ خِطَابٍ: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٧٤﴾[المَائِدَةِ:٧٤].

وَلَـمَّا قَسَا قَلْبِي وَضَاقَتْ مَذَاهِبِي ... جَعَلْتُ رَجَائِي نَحْوَ عَفْوِكَ سُلَّمَا

تَعَاظَمَنِي ذَنْبِي فَلَمَّا قَرَنْتُهُ ... بِعَفْوِكِ رَبِّي صَارَ عَفْوُكَ أَعْظَمَا

صَحَّ عَنْ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ: أَنَّهُ كَانَ إِذَا دَخَلَ المَسْجِدَ قَالَ: «أَعُوذُ بِاللهِ العَظِيمِ، وَبِوَجْهِهِ الكَرِيمِ، وَسُلْطَانِهِ القَدِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ»، قَالَ: «فَإِذَا قَالَ ذَلِكَ؛ قَالَ الشَّيْطَانُ: حُفِظَ مِنِّي سَائِرَ اليَوْمِ»[حَدِيثٌ صَحِيحٌ. رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ].

وَمَنْ عَظَّمَ الله ﷻ فِي لِسَانِهِ؛ فَلَحَ، وَثَقُلَ مِيزَانُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ، صَحَّ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي المِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللهِ العَظِيمِ»[أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ].

بَلْ أَمَرَ عِبَادَهُ بِالتَّسْبِيحِ بِهَذَا الاسْمِ؛ فَقَالَ: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾[الوَاقِعَة: ٧٤]، وَأَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ أُمَّتَهُ أَنْ يُسَبِّحُوا اللهَ بِهَذَا الاسْمِ فِي صَلَاتِهِمْ: «فَأَمَّا الرُّكُوعُ فَعَظِّمُوا فِيهِ الرَّبَّ ﷻ»[أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ].

بَلْ إِذَا حَلَّتْ بِكَ كَارِثَةٌ، وَضَاقَ صَدْرُكَ، وَغَمَرَكَ الهَمُّ؛ فَقُلْ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ العَظِيمُ الحَلِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ رَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَرَبُّ الأَرْضِ، وَرَبُّ العَرْشِ الكَرِيمِ»[أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ].

وَإِذَا خِفْتَ مِنْ سُلْطَانٍ؛ فَسُلْطَانُ الله أَعْظَمُ، قَالَ عَبْدُ الله بْنُ مَسْعُودٍ: "اللَّهُمَّ! رَبَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبَّ العَرْشِ العَظِيمِ؛ كُنْ لِي جَارًا مِنْ فُلَانِ بْنِ فُلَانٍ وَأَحْزَابِهِ مِنْ خَلَائِقِكَ؛ أَنْ يَفْرُطَ عليَّ أَحَدٌ مِنْهُمْ أَوْ يَطْغَى، عَزَّ جَارُكَ، وَجَلَّ ثَنَاؤُكَ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ".

وَكَانَ ﷺ يَسْتَعِيذُ بِعَظَمَةِ الله مِنَ الخَسْفِ فِي الصَّبَاحِ وَالمَسَاءِ؛ فَيَقُولُ: «اللَّهُمَّ! أَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ مِنْ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتِي»[حَدِيثٌ صَحِيحٌ. رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ].

لِذَا؛ مَنْ لَاذَ بِالْعَظِيمِ، وَتَقَرَّبَ إِلَى العَظِيمِ، وَأَصْبَحَ مِنَ المُتَّقِينَ؛ نَالَ الأَمْنَ الدُّنْيَوِيَّ وَالأَجْرَ الأُخْرَوِيَّ، فَاللهُ ﷻ قَدْ قَالَ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا ﴿٥﴾﴾ [الطَّلَاقِ:٥].

وَأَمَّا أَعْظَمُ دَرَجَةٍ عِنْدَ الله فَهِيَ: لِهَؤُلَاءِ الَّذِينَ قَالَ اللهُ ﷻ فِيهِمْ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾﴾[التَّوْبَة: ٢٠].

وَمَنْ أَشْرَكَ بِالله، وَقَصُرَ إِيمَانُهُ عَنْ عَظَمَةِ الله ﷻ؛ فَإِنَّ الجَزَاءَ مِنْ جِنْسِ العَمَلِ، وَهُوَ:

جَهَنَّمُ -أَعَاذَنَا اللهُ مِنْهَا!- ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾﴾[الحَاقَّة: ٣٠-٣٣].

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الْمُعَظِّمِينَ لَكَ وَلِشَرْعِكَ؛ يَا رَبَّ العَالَمِينَ!

أَقُولُ قَولِي هَذَا، وَأَستَغْفِرُ اللهَ لِي وَلَكُمْ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرُوهُ؛ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ:

الْحَمْدُ للهِ حَمْدًا طَيِّبًا كَثِيرًا مُبَارَكًا فِيهِ كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنِ اهْتَدَى بِهُدَاهُمْ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

عِبَادَ اللهِ..

تَعْظِيمُ اللهِ ﷻ يَكُوْنُ: بِتَعْظِيمِ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، وَيَكُوْنُ تَعْظِيمُهُ فِي القَلْبِ بِمَحَبَّتِهِ وَالاعْتِرَافِ بِعَظَمَتِهِ وَالتَّوَاضُعِ لَهُ، جَاءَ فِي «مُسْنَدِ الإِمَامِ أَحْمَدَ»: «مَنْ تَعَظَّمَ فِي نَفْسِهِ، أَوْ اخْتَالَ فِي مِشْيَتِهِ؛ لَقِيَ اللهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ»[حَدِيثٌ صَحِيحٌ].

وَيَكُوْنُ تَعْظِيمُ اللهِ ﷻ: بِاللِّسَانِ، وَكَثْرَةِ ذِكْرِهِ، ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾ [الوَاقِعَة: ٧٤].

وَيَكُوْنُ تَعْظِيمُ اللهِ ﷻ: فِي الجَوَارِحِ بِاسْتِخْدَامِهَا فِي طَاعَتِهِ؛ فَتَعْظِيمُهُ: أَنْ يُطَاعَ فَلَا يُعْصَى، وَيُذْكَرَ فَلَا يُنْسَى، وَيُشْكَرَ فَلَا يُكْفَرَ.

وَمِنْ تَعْظِيمِ اللهِ ﷻ: تَعْظِيمُ رُسُلِهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَمَنَاسِكِهِ؛ كَالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصِّيَامِ وَالحَجِّ وَالعُمْرَةِ، وَغَيْرِهَا مِنْ شَعَائِرِ دِينِهِ وَأَحْكَامِهِ؛ ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾[الحَجِّ: ٣٢].

وَمِنْ تَعْظِيمِهِ ﷻ: تَعْظِيمُ كِتَابِهِ العَزِيزِ، فَاللهُ ﷻ قَدْ قَالَ وَاصِفًا كِتَابَهُ العَزِيزَ بِالْعَظِيمِ:

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾﴾[الحِجْر:٨٧].

وَمِنْ تَعْظِيمِهِ ﷻ: تَعْظِيمُ حُرُمَاتِهِ، وَحُرُمَاتِ المُؤْمِنِينَ، ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾[الحَجِّ:٣٠].

وَمِنْ تَعْظِيمِهِ ﷻ: أَلَّا يُقَدِّمَ العَبْدُ عَلَى كَلَامِ رَبِّهِ كَلَامَ أَحَدٍ؛ مَهْمَا كَانَتْ مَكَانَتُهُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾﴾[الحُجُرَاتِ:١].

يَـــا فَـــاطِرَ الخَلْـــقِ البَـــدِيعِ وَكَـــافِلًا
رِزْقَ الجَمِيعِ سَحَابُ جُودِكَ هَاطِلُ
عَظُمَـتْ صِـفَاتُكَ يَـا عَظِـيمُ فَجَـلَّ أَنَّ
يُحْـصِي الثَّنَـاءَ عَلَيْـكَ فِيهَـا قَائِـلُ
هَـا قَـدْ أَتَيْـتُ وَحُـسْنُ ظَنِّـي شَـافِعِيْ
وَوَسَائِلِـــي نَـــدَمٌ وَدَمْـــعٌ سَـــائِلُ
فَـاغْفِرْ لِعَبْـدِكَ مَـا مَـضَى وَارْزُقْـهُ تَـوْ
فِيقًـا لِـمَا تَـرْضَى ففَـضْلُكَ كَامِـلُ
وَافْعَـلْ بِـهِ مَـا أَنْـتَ أَهْـلُ جَمِيلِـهِ
وَالظَّـنُّ كُـلُّ الظَّـنِّ أَنَّـكَ فَاعِـلُ

أَسْأَلُ اللهَ العَظِيمَ: أَنْ يَجْعَلَنَا مِنَ المُتَّقِينَ الفَائِزِينَ بِجَنَّاتِ النَّعِيمِ!

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ الجَنَّةَ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ، ونَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ الهُدَى وَالسَّدَادَ، وَنَسْأَلُكَ التُّقَى وَالعِفَّةَ وَالغِنَى.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنَ الخَيْرِ كُلِّهِ؛ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ؛ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَأَنْ تَجْعَلَ كُلَّ قَضَاءٍ قَضَيْتَهُ لَنَا خَيْرًا.

اللَّهُمَّ! أَصْلِحْ لَنَا دِيْنَنَا الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا دُنْيَانَا الَّتِي فِيهَا مَعَاشُنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا آخِرَتَنَا الَّتِي فِيهَا مَعَادُنَا، وَاجْعَلِ الحَيَاةَ زِيَادَةً لَنَا فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَالمَوْتَ رَاحَةً لَنَا مِنْ كُلِّ شَرٍّ.

اللَّهُمَّ! أَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا، وَأَلِّفْ بَيْنَ قُلُوْبِنَا، وَاهْدِنَا سُبَلَ السَّلَامِ، وَأَخْرِجْنَا مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوْرِ.

اللَّهُمَّ! بَارِكْ لَنَا فِي أَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوَّاتِنَا وَأَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّتِنَا وَأَمْوَالِنَا، وَاجْعَلْنَا مُبَارَكِيْنَ أَيْنَمَا كُنَّا.

وَآخِرُ دَعْوَانَا: أَنِ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ.

القَوِيُّ ﷻ

إِنَّ الحَمْدَ لله؛ نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِالله مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَـهَ إِلَّا اللهُ؛ وَحْـدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ.

أَمَّا بَعْدُ:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[آلِ عِمْرَانَ:١٠٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾﴾[النِّسَاءَ:١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾[الأَحْزَابِ:٧٠- ٧١].

عِبَادَ الله..

حَدِيثُنَا عَنْ رَبِّنَا القَوِيِّ ﷻ القَائِلِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾[الذَّارِيَاتِ:٥٨]، وَالقَائِلِ: ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيۡظِهِمۡ لَمۡ يَنَالُواْ خَيۡرٗاۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلۡقِتَالَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزٗا ﴿٢٥﴾﴾[الأَحْزَابِ:٢٥]، وَالقَائِلِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ ﴿٢٥﴾﴾[الحَدِيدِ:٢٥].

فَرَبُّنَا القَوِيُّ ﷻ هُوَ الَّذِي لَا يَعْتَرِيهِ ضَعْفٌ أَوْ قُصُوْرٌ، وَلَا يَتَأَثَّرُ بِوَهْنٍ أَوْ فُتُوْرٍ.

وَرَبُّنَا ﷻ هُوَ الَّذِي لَا يَغْلِبُهُ غَالِبٌ، وَلَا يَمْنَعُهُ مَانِعٌ، وَلَا يَدْفَعُهُ دَافِعٌ، وَلَا يَرُدُّ قَضَاءَهُ رَادٌّ، لَهُ القُوَّةُ المُطْلَقَةُ، وَالإِرَادَةُ الكَامِلَةُ.

وَهُوَ ﷻ المُتَنَاهِي فِي القُوَّةِ.

وَرَبُّنَا ﷻ كَمُلَ فِي قُوَّتِهِ، قَادِرٌ عَلَى الأَشْيَاءِ كُلِّهَا؛ لَا يَسْتَوْلِي عَلَيْهِ عَجْزٌ وَلَا نَصَبٌ فِي حَالٍ مِنَ الأَحْوَالِ، نَافِذٌ أَمْرُهُ فِي أَيْ وَقْتٍ شَاءَ ﷻ؛ فِي أَرْضِهِ أَوْ سَمَاوَاتِهِ.

قَوِيٌّ ﷻ فِي بَطْشِهِ وَعِقَابِهِ.

تَفَرَّدَ بِالقُوَّةِ، ﴿أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾[البَقَرَة:١٦٥].

وَهُوَ القَوِيُّ بِقُوَّةٍ فِي وصْفِهِ وَعَلَيْكَ يَقدِرُ يَا أَخَا السُّلْطَانِ

لَمَّا نَسِيَ كَثِيرٌ مِنَ العِبَادِ هَذِهِ الحَقِيقَةَ -أَنَّ الأَصْلَ فِي الإِنْسَانِ أَنَّهُ: ضَعِيفٌ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ-؛ جَرَّهَمُ الشَّيْطَانُ إِلَى الاغْتِرَارِ بِقُوَّتِهِمْ؛ حَتَّى نَسَوْا قُوَّةَ اللهِ ﷻ، فَأَخَذُوْا يَتَمَادَوْنَ فِي غَيِّهِمْ!..

فَهَذِهِ أُمَّةُ عَادٍ؛ قَالَ اللهُ ﷻ فِيهَا: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾﴾[فُصِّلَتْ: ١٥].

وَلَمَّا قَالَ لَهُمْ هُوْدٌ ﷺ: اتَّقُوْا اللهَ وَاعْبُدُوْهُ وَحْدَهُ! قَالُوْا: ﴿مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾[فُصِّلَتْ: ١٥]، قَهَرْنَا العِبَادَ، وَنَحْنُ نَقْدِرُ أَنْ نَدْفَعَ أَيَّ عَذَابٍ بِفَضْلِ قُوَّتِنَا!!.. غَرَّهُمْ طُوْلُ أَجْسَامِهِمْ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ ﷺ: "كَانَ أَطْوَلُهُمْ: مِائَةَ ذِرَاعٍ، وَأَقْصَرُهُمْ: سِتِّينَ ذَرَاعًا".

وَلَمَّا بَلَغَ التَّحَدِّي ذُرْوَتَهُ وَالعِصْيَانُ قِمَّتَهُ وَانْحِلَالَهُ؛ أَرْسَلَ اللهُ ﷻ عَلَيْهِمْ جُنْدًا مِنْ جُنْدِهِ: رِيحًا صَرْ صَرًا فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ، قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾﴾[فُصِّلَتْ:١٦].

وَهَذِهِ سُنَّةٌ مِنْ سُنَنِ اللهِ فِي الأَرْضِ، وَعَلَى مَرِّ التَّارِيخِ: أَنْ المُغْتَرَّ بِقُوَّتِهِ وَالمُتَكَبِّرَ نِهَايَتُهُ كَحَالِ قَوْمِ عَادٍ؛ تَأْخُذُهُ قُوَّةُ المَلِكِ الجَبَّارِ.

لِذَا؛ قَالَ ﷻ: ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾﴾ [الأَنْعَام:١١]، لَعَلَّهُمْ يَعْتَبِرُوْنَ بِمَصَارِعِ الغَابِرِينَ! فَعَشَرَاتُ الأُمَمِ كَفَرَتْ بِاللهِ وَرُسُلِهِ، وَاغْتَرَّتْ بِقُوَّتِهَا وَشُؤُوْنِهَا وَعِمَارَتِهَا فِي الأَرْضِ؛ فَأَخَذَهُمُ اللهُ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَـٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾﴾[العَنْكَبُوْت:٤٠].

إِذَا حَلَّ الأَمْرُ الصَّعْبُ، وَادْلَهَمَّ الخَطْبُ، وَعَمَّ الجَدْبُ.. وَإِذَا قَلَّ النَّصِيرُ، وَتَفَاقَمَ الأَمْرُ الخَطِيرُ، وَحَمَلَ الفَاجِعَةَ النَّذِيرُ.. وَإِذَا أَظْلَمَ الأُفُقُ، وَضَاقَتِ الطُّرُقُ، وَانْشَقَّ بِالمَصَائِبِ الأُفُقُ..

هُنَا؛ تَرْتَفِعُ أَكُفُّ الدَّاعِينَ، وَتَتَعَلَّقُ قُلُوْبُ الطَّائِعِينَ، وَتَأْمُلُهُ أَفْئِدَةُ المُتَّقِينَ، وَتُنَاشِدُهُ أَلْسِنَةُ المَظْلُوْمِينَ، وَيَسْتَغِيثُ بِهِ المُسْتَضْعَفُوْنَ؛ بِقَوْلِهِمْ: يَا قَوِيُّ! أَهْلِكِ الظَّالِمِينَ، وَنَجِّنَا مِنَ القَوْمِ الكَافِرِينَ، وَانْصُرْنَا عَلَى القَوْمِ المُجْرِمِينَ.. يَا قَوِيُّ! ارْحَمْ ضَعْفَنَا، وَفَرِّجْ هَمَّنَا، وَاكْشِفْ غَمَّنَا.

وَهُنَا؛ تَأْتِي الآيَاتُ؛ فَيُسْمَعُ قَوْلُهُ ﷻ: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾﴾[المُجَادلَة:٢١]، وَهُنَا؛ تَتَفَتَّحُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ؛ بِجَبْرِ الكَسِيرِ، وَنُصْرَةِ المَظْلُوْمِ، وَتَفْرِيجِ الهُمُوْمِ، وَمُسَاعَدَةِ الضَّعِيفِ.. وَتَتَحَطَّمُ قُوَى الظُّلْمِ وَالطُّغْيَانِ عِنْدَ القَوِيِّ العَزِيزِ ﷻ.

فَمَا أَعْظَمَ شَأْنَهُ! وَأَعْلَى مَكَانَهُ! وَأَقْرَبَهُ مِنْ خَلْقِهِ؟!

أَحَاطَ المُشْرِكُوْنَ بِالنَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ ﷺ؛ قَاصِدِينَ: اجْتِثَاثَهُمْ مِنَ الأَرْضِ فِي غَزْوَةِ الأَحْزَابِ؛ فَأَرْسَلَ اللهُ ﷻ جُنْدًا مِنْ جُنُوْدِهِ: رِيحًا، جَعَلَتْهُمْ يَفِرُّوْنَ مِنْ حَوْلَ المَدِينَةِ: ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾﴾ [الأَحْزَاب:٢٥].

يَا رَبِّ عُـدْتُ إِلَى رِحَابِـكَ تَائِبًـا

مُسْتَـسْلِمًا مُسْتَمْـسِكًا بِعُرَاكَـا

مَـا لِي وَمَـا لِلأَقْوِيَـاءِ وَأَنْـتَ يَـا

رَبِّي عَظِـيمُ الـشَّانِ مَـا أَقْوَاكَـا

إِنِّي أَوْيَتُ لِكُلِّ مَـأْوَىً فِي الحَيَـاةِ

فَـمَا رَأَيْـتُ أَعَـزَّ مِـنْ مَأْوَاكَـا

فَمَا لَنَا لَا تَنْقَطِعُ قُلُوْبُنَا إِلَيْهِ؟! وَمَا لَنَا لَا نَعْتَمِدُ فِي مَهَامِّنَا وَحَاجَتِنَا عَلَيْـهِ؟! فَـمَا أَفْقَرَنَـا إِلَى قُوَّتِهِ وَغِنَاهُ!! لَا قُوَّةَ لَـنَا إِلَّا بِقُوَّتِهِ وَتَوْفِيقِهِ ﷻ، وَلَا حَـوْلَ لَنَـا عَـلَى اجْتِنَـابِ المَعَـاصِي وَدَفْـعِ شُرُوْرِ النَّفْسِ إِلَّا بِهِ.

هَذِهِ القُوَّةُ يَمْنَحُهَا اللهُ ﷻ لِمَنْ يَشَاءُ؛ شَأْنُهَا شَأْنُ الرِّزْقِ العَامِّ.

وَالإِنْسَانُ ضَعِيفٌ.. خُلِقَ ضَعِيفًا، وَوُلِدَ ضَعِيفًا، وَيَمُوْتُ ضَعِيفًا؛ أَلَمْ تَسْمَعْ قَوْلَ اللهِ ﷻ: ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾﴾[النِّسَاءَ:٢٨]، أَلَمْ تَتْلُ كِتَابَ اللهِ ﷻ وَتَقْرَأَ قَوْلَهُ: ﴿۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾﴾[الرُّوْم:٥٤].

اللَّهُمَّ يَا قَوِيُّ: أَجِرْنَا مِنْ خِزْيِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ؛ يَا رَبَّ العَالَمِينَ!

أَقُولُ قَولِي هَذَا، وَأَستَغْفِرُ اللهَ لِي وَلَكُمْ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرُوهُ؛ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ:

الحَمْدُ للهِ حَمْدًا طَيِّبًا كَثِيرًا مُبَارَكًا فِيهِ كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَـهُ، وَأَشْـهَدُ أَنَّ مُحَمَّـدًا عَبْـدُهُ وَرَسُـولُهُ، صَـلَّى اللهُ وَسَـلَّمَ وَبَـارَكَ عَلَيْـهِ وَعَـلَى آلِـهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنِ اهْتَدَى بِهُدَاهُمْ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

عِبَادَ الله..

كُلَّمَا ازْدَادَ عِلْمُ العَبْدِ بِمَعْنَى اسْمِ الله: (القَوِيِّ)؛ زَادَ تَوَكُّلُهُ عَلَى الله ﷻ، وَاسْتَمَدَّ قُوَّتَهُ مِنْهُ، وَذَلِكَ بِالتَّبَرُّؤِ مِنْ حَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ، صَحَّ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ لِأَحَدِ أَصْحَابِهِ: «أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى كَلِمَةٍ هِيَ كَنْزٌ مِنْ كُنُوزِ الجَنَّةِ؟ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِالله»[أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ -وَاللَّفْظُ لَهُ-، وَمُسْلِمٌ]، أَيْ: لَا تَحَوُّلَ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ، وَلَا قُدْرَةَ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا بِمَعُونَةِ الله ﷻ وَتَسْدِيدِهِ وَتَأْيِيدِهِ.

يَقُولُ ابْنُ القَيِّمِ ﷺ: "وَهَذِهِ الكَلِمَةُ لَهَا تَأْثِيرٌ عَجِيبٌ فِي مُعَالَجَةِ الأَشْغَالِ الصَّعْبَةِ، وَتَحَمُّلِ المَشَاقِّ، وَالدُّخُولِ عَلَى المُلُوكِ وَمَنْ يُخَافُ مِنْهُ، وَرُكُوبِ الأَهْوَالِ، وَلَهَا -أَيْضًا- تَأْثِيرٌ فِي دَفْعِ الفَقْرِ!".

يَا مَنْ لَهُ الحَوْلُ وَالطَّوْلُ العَظِيمُ وَمَنْ
هُوَ القَوِيُّ وَمَنْ رَجْوَاهُ تُرْتَقَبُ
إِذَا رَضِيتَ فكُلُّ العَالَمِينَ رِضًا
عَوْذًا بِوَجْهِكَ أَنْ يَغْتَالَنَا الغَضَبُ

وَاللهُ ﷻ يُحِبُّ أَنْ يَرَاكَ مُتَوَاضِعًا ذَاكِرًا لِقُوَّتِهِ؛ ﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾﴾[الكَهْفِ:٣٩].

وَمَعَ مَحَبَّةِ الله لِلمُتَوَاضِعِينَ؛ فَهُوَ يُحِبُّ الأَقْوِيَاءَ مِنَ المُؤْمِنِينَ، صَحَّ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «المُؤْمِنُ القَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى الله مِنَ المُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ»[أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ].

وَالصِّفَتَانُ اجْتَمَعَتَا فِي قَوْلِهِ ﷻ: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[المَائِدَةِ:٥٤]، وَلَا قُوَّةَ لِأُمَّةٍ إِلَّا بِالْعِلْمِ وَالعَمَلِ؛ لِأَنَّ الله ﷻ قَالَ: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾

[الأَنْفَالِ: ٦٠].

يَا عَبْدَ الله..

كُنْ كَمَا يُرِيدُ، يَكُنْ لَكَ فَوْقَ مَا تُرِيدُ!

اللَّهُمَّ يَا قَوِيُّ.. يَا عَزِيزُ! انْصُرْنَا عَلَى القَوْمِ الظَّالِمِينَ.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ الجَنَّةَ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ، ونَعَوْذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ الهُدَى وَالسَّدَادَ، وَنَسْأَلُكَ التُّقَى وَالعِفَّةَ وَالغِنَى.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنَ الخَيْرِ كُلِّهِ؛ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ؛ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَأَنْ تَجْعَلَ كُلَّ قَضَاءٍ قَضَيْتَهُ لَنَا خَيْرًا.

اللَّهُمَّ! أَصْلِحْ لَنَا دِيْنَنَا الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا دُنْيَانَا الَّتِي فِيهَا مَعَاشُنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا آخِرَتَنَا الَّتِي فِيهَا مَعَادُنَا، وَاجْعَلِ الحَيَاةَ زِيَادَةً لَنَا فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَالمَوْتَ رَاحَةً لَنَا مِنْ كُلِّ شَرٍّ.

اللَّهُمَّ! أَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا، وَأَلِّفْ بَيْنَ قُلُوْبِنَا، وَاهْدِنَا سُبَلَ السَّلَامِ، وَأَخْرِجْنَا مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوْرِ.

اللَّهُمَّ! بَارِكْ لَنَا فِي أَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوَّاتِنَا وَأَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّتِنَا وَأَمْوَالِنَا، وَاجْعَلْنَا مُبَارَكِيْنَ أَيْنَمَا كُنَّا.

وَآخِرُ دَعْوَانَا: أَنِ الحَمْدُ لله رَبِّ العَالَمِيْنَ.

المَتِينُ ﷻ

إِنَّ الحَمْدَ لله؛ نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِالله مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَـهَ إِلَّا اللهُ؛ وَحْـدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ.

أَمَّا بَعْدُ:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾[آلِ عِمْرَانَ:١٠٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾[النِّسَاءَ:١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾[الأَحْزَابِ:٧٠- ٧١].

عِبَادَ الله..

نَعِيشُ مَعَ اسمٍ مِنْ أَسْمَاءِ الله الحُسْنَى: (المَتِينُ ﷻ):

قَالَ ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ٥٨﴾[الذَّارِيَاتِ:٥٨].

فَرَبُّنَا ﷻ المَتِينُ، أَيْ: الشَّدِيدُ القَوِيُّ.

قَدْ تَنَاهَى ﷻ فِي القُوَّةِ وَالقُدْرَةِ؛ فَهُوَ شَدِيدُ القُوَّةِ، لَا تَنْقَطِعُ قُوَّتُـهُ، وَلَا تَلْحَقُـهُ فِي أَفْعَالِـهِ مَشَقَّةٌ، وَلَا يَمَسُّهُ لُغُوبٌ، فَلَهُ العِزَّةُ جَمِيعًا، وَهُوَ الغَالِبُ عَلَى أَمْرِهِ، وَهُوَ القَادِرُ الَّذِي لَا يَلْحَقُـهُ عَجْزٌ.

وَقَدْ حَكَى اللهُ لَنَا وَهُوَ المَتِينُ: عَنْ أُمَمٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِهِ وَرُسُلِهِ، بَلْ وَادَّعَتِ القُوَّةَ وَالقَهْـرَ؛

فَحَاسَبَهَا حِسَابًا شَدِيدًا: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾﴾[فُصِّلَتْ:١٥]، فَكَانَتِ العَاقِبَةُ كَمَا قَالَ ﷻ: ﴿فَأَصْبَحُوا۟ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَـٰكِنُهُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾﴾[الأَحْقَافِ: ٢٥].

أَيْنَ المُلُوْكُ وَمَنْ بِالأَرْضِ قَدْ عَمَرُوْا
قَدَ فَارَقُوْا مَا بَنَوْا فِيهَا وَمَا عَمَرُوْا
وَأَصْبَحُوْا رَهْنَ قَبْرٍ بِالَّذِي عَمِلُوْا
عَادُوْا رَمِيمًا بِهِ مِنْ بَعَدِ مَا دَثَرُوْا
أَيْنَ العَسَاكِرُ مَا رَدَّتْ وَمَا نَفَعَتْ
أَيْنَ مَا جَمَعُوْا فِيهَا وَمَا ادَّخَرُوْا
آتَاهُمْ أَمْرُ رَبِّ العَرْشِ فِي عَجَلٍ
لَمْ يُنْجِهِمْ مِنْهُ أَمْوَالٌ وَلَا نُصِرُوْا

إِذَا عَرَفْتَ أَنَّ اللهَ ﷻ قَوِيٌّ مَتِينٌ، وَأَنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ بِيَدِهِ؛ قَطَعْتَ الرَّجَاءَ عَمَّنْ سِوَاهُ.

فَانْظُرْ إِلَى الَّذِي يُهْلِكُ النَّاسَ: يَحْتَاجُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ؛ فَيَقِفُوْن عَلَى أَبْوَابِ اللِّئَامِ، وَقَدْ سُئِلَ سَيِّدُنَا عَلِيٌّ ﷺ: "مَا الذُّلُّ؟ قَالَ: أَنْ يَقِفَ الكَرِيمُ بِبَابِ اللَّئِيمِ، ثُمَّ يَرُدُّهُ".

وَإِذَا تَيَقَّنَ العَبْدُ أَنَّ اللهَ هُوَ: القَوِيُّ المَتِينُ؛ فَالْعَقَبَاتُ جَمِيعُهَا تَتَبَدَّدُ، فَالْقُوَّةُ لِلَّهِ جَمِيعًا؛ وَهِيَ: قُوَّةٌ فِي العَطَاءِ، وقُوَّةٌ فِي العِلْمِ، وقُوَّةٌ فِي الحِكَمَةِ، فَأَعْلَى الصِّفَاتِ المُتَعَلِّقَةِ بِأَسْمَاءِ اللهِ الحُسْنَى قَدْ تُوْصَفُ بِالْقُوَّةِ.

وَهُنَا؛ يَنْقَطِعُ الرَّجَاءُ مِنْ غَيْرِ اللهِ إِذَا عَلِمْتَ أَنَّ اللهَ: القَوِيُّ المَتِينُ ﷻ.

فَكَثِيرٌ مِنَ الخَلْقِ يَتَعَلَّقُوْنَ بِالمَخْلُوْقِ وَيَتْرُكُوْنَ الخَالِقَ، وَيَرْجَوْنَ الفَقِيرَ وَيَتْرُكُوْنَ الغَنِيَّ، وَيَتَوَجَّهُوْنَ إِلَى الضَّعِيفِ وَيُهْمِلُوْنَ القَوِيَّ المَتِينَ، فَإِذَا سُدَّتِ الأَبْوَابُ فِي وُجُوْهِهِمْ مِنَ الخَلْقِ؛ الْتَجَؤُوْا إِلَى اللهِ الكَرِيمِ القَوِيِّ المَتِينِ، وَكُلَّمَا تَعَلَّقَ المَرْءُ بِضَعِيفٍ مِثْلُهُ خَابَ ظَنُّهُ، فَإِنَّ أَنْزَلَ حَاجَتَهُ عِنْدَ المَلِكِ الكَرِيمِ قُضِيتْ حَاجَتُهُ، وَكَانَ عَزِيزًا، فَاللهُ ﷻ يَغَارُ أَنْ يَتَعَلَّقَ قَلْبُ المُؤْمِنِ بِغَيْرِهِ، وَأَنْ يَعْتَمِدَ عَلَى غَيْرِهِ، أَوْ يَنْقَادَ إِلَى غَيْرِهِ، أَوْ يُرِيقَ مَاءَ وَجْهِهِ عِنْدَ غَيْرِهِ.

فَالمُؤْمِنُ عَزِيزٌ؛ إِلَّا فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللهِ ﷻ؛ فَهُوَ: مُتَذَلِّلٌ لِلَّهِ ثُمَّ لِلْمُؤْمِنِينَ، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾ [المَائِدَة: ٥٤].

فَالمُؤْمِنُ مَعَ اللهِ ﷻ يَتَذَلَّلُ وَيُمَرِّغُ وَجْهَهُ فِي التُّرَابِ، وَيَعْلَمُ أَنَّهُ كُلَّمَا زَادَ تَوَاضُعًا لِلَّهِ زَادَهُ اللهُ عِزَّةً وَرِفْعَةً فِي الدَّارَيْنِ، فَتَرَاهُ دَائِمًا مُسْتَرْضِيًا اللهَ؛ يَسْتَغْفِرُهُ وَيَتُوْبُ إِلَيْهِ، وَيَسْأَلُهُ حَتَّى مِلْحَ طَعَامِهِ وَشِسْعَ نَعْلِهِ، يُلِحُّ عَلَى اللهِ القَوِيِّ المَتِينِ، لَا يَخْضَعُ لِكَافِرٍ، وَلَا يَتَوَسَّلُ لِمَخْلُوْقٍ، وَلَا يَتَضَعْضَعُ لَهُ.

وَقَدْ قِيلَ: مَنْ جَلَسَ إِلَى غَنِيٍّ فَتَضَعْضَعَ لَهُ؛ ذَهَبَ ثُلُثَا دِينِهِ.

فَالْعَبْدُ المُؤْمِنُ الحَقُّ يَعْلَمُ: أَنَّ اللهَ قَوِيٌّ مَتِينٌ ﷻ، وَأَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، يُحَقِّقُ الأَمَانِي، وَيَجْعَلُ البَعِيدَ قَرِيبًا وَالحُلُمَ حَقِيقَةً.

وَهَذَا إِبْرَاهِيمُ ﷺ يَأْتِي بِأَهْلِهِ إِلَى وَادٍ غَيْرِ ذِيْ زَرْعٍ؛ فَيُسْكِنُ المَرْأَةَ الضَّعِيفَةَ وَالطِّفْلَ الصَّغِيرَ فِي هَذَا الوَادِي؛ فَيَقُوْلُ مُتَوَكِّلًا وَاثِقًا بِقُوَّةِ اللهِ: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ﴾، رَبِّ! قَرَّبْتُهُمْ مِنْ بَابِكَ، وَقَطَعْتُ رَجَاءَهُمْ مِنْ دُوْنِكَ: ﴿رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾، رَبِّ! لِيَقُوْمُوْا بِخِدْمَتِكَ؛ فَأَنْتَ أَوْلَى بِهِمْ مِنِّي وَمِنْهُمْ: ﴿فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ

ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ﴾[إِبْرَاهِيمَ:٣٧]، فَذَلِّلِ العِبَادَ لَهُمْ إِذَا احْتَاجُوْا إِلَى شَيْءٍ؛ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

اللَّهُمَّ يَا مَتِينُ: هَبْ لِكِلِّ وَاحِدٍ مِنَّا فَوْقَ مَا يَسْأَلُ؛ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ!

أَقُولُ قَولِي هَذَا، وَأَستَغْفِرُ اللهَ لِي وَلَكُمْ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرُوهُ؛ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ:

الحَمْدُ للهِ حَمْدًا طَيِّبًا كَثِيرًا مُبَارَكًا فِيهِ كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنِ اهْتَدَى بِهُدَاهُمْ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

عِبَادَ الله..

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: أَصَابَ رَجُلًا حَاجَةٌ؛ فَخَرَجَ إِلَى البَرِّيَّةِ، فَقَالَتِ امْرَأَتُهُ: اللَّهُمَّ! ارْزُقْنَا مَا نَعْتَجِنُ وَمَا نَخْتَبِزُ، فَجَاءَ الرَّجُلُ وَالجَفْنَةُ مَلْأَى عَجِينًا، وَفِي التَّنُّورِ جَنُوبُ الشِّوَاءِ، وَالرَّحَى تَطْحَنُ؛ فَقَالَ: مِنْ أَيْنَ هَذَا؟ قَالَتْ: مِنْ رِزْقِ الله، فَكَنَسَ مَا حَوْلَ الرَّحَى.

فَقَالَ رَسُوْلُ الله ﷺ: «لَوْ تَرَكَهَا لَدَارَتْ -أَوْ قَالَ: طَحَنَتْ- إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ»[حَدِيثٌ صَحِيحٌ. رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي «المُعْجَمِ الأَوْسَطِ»].

هَذِهِ رِسَالَةٌ إِلَى مَنْ حَلَّ بِهِ الهَمُّ، وَضَعُفَ حَالُهُ، وسَئِمَ عَيْشَهُ، وَضَاقَ ذَرْعًا بِالأَيَّامِ، وَذَاقَ حَرارَةَ الغُصَصِ؛ أُبَشِّرُكَ بِأَنَّ هُنَاكَ فَتْحًا قَرِيبًا، ونَصْرًا مُبِينًا، وَفَرَجًا بَعْدَ شِدَّةٍ، وَتَيْسِيرًا بَعْدَ عُسْرٍ، وَقُوَّةً بَعْدَ ضَعْفٍ، ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ﴾[الرُّوْم:٦].

فَإِذَا كُنْتَ ضَعِيفًا وَرَبُّكَ قَوِيٌّ مَتِينٌ؛ فَلَا تَخَفْ! فَأَنْتَ عَبْدٌ قَوِيٌّ، وَعَبْدٌ مَتِينٌ، فَمَنْ تَوَكَّلَ عَلَى اللهِ كَفَاهُ، وَمَنْ اسْتَغْنَى بِاللهِ أَغْنَاهُ، وَلَا تَشْكُ القَوِيَّ إِلَى الضَّعِيفِ.

وَإِذَا شَكَوْتَ إِلَى ابْنِ آدَمَ إِنَّمَا ... تَشْكُو الرَّحِيمَ إِلَى الَّذِي لَا يَرْحَمُ

فَالْقُوَّةُ: أَنْ تَتَمَسَّكَ بِالله ﷻ دُوْنَ غَيْرِهِ؛ أَفْرَادًا وَأُمَمًا، أَمَّا تَرَى إِلَى حَالَةِ الأُمَّةِ الإِسْلَامِيَّةِ عِنْدَمَا تَخَلَّتْ عَنِ اعْتِمَادِهَا عَلَى الله، وَعلَّقَتْ آمَالَهَا بِعَدُوِّهَا؟! سَقَطُوْا عِنْدَ الله، وَسَقَطُوْا فِي أَعْيُنِ أَعْدَائِهِمْ! فَهُمْ فِي ذُلٍّ وَخَسَارَةٍ، وَلَنْ تَعُوْدَ إِلَيْهِمُ العِزَّةُ وَالمَنَعَةُ حَتَّى يَتَعَلَّقُوْا بِالله القَوِيِّ المَتِينِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ.

وَهُنَا؛ يَأْتِي النَّصْرُ المَرْجُوُّ؛ لِأَنَّ الله ﷻ قَالَ: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾﴾[المُجادلَةِ:٢١]، وَقَالَ: ﴿أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾[المُجادلَةِ:٢٢].

وَلَكِنَّ القُوَّةَ وَالنَّصْرَ وَالتَّمْكِينَ لَا تَأْتِي بِالتَّمَنِّي وَالقُعُوْدِ! وَإِنَّمَا تَأْتِي بِالسَّعِي إِلَيْهَا؛ لِأَنَّ الله قَالَ: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾[الأَنْفَالِ:٦٠]، وَقَالَ ﷺ: «المُؤْمِنُ القَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى الله مِنَ المُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ»[أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ].

فَالمُؤْمِنُ الحَقُّ مُتَوَاضِعٌ لِإِخْوَانِهِ، قَوِيٌّ أَمَامَ المُشْرِكِينَ، قَوِيٌّ فِي الحَقِّ؛ جَاءَ أَبُوْ ذَرٍّ ﷺ إِلَى عُمَرَ؛ فَقَالَ لَهُ: "إِنَّ النَّاسَ هَابُوْا شِدَّتَكَ! قَالَ لَهُ: وَالله يَا أَبَا ذَرٍّ! لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي قَلْبِي مِنَ الرَّحْمَةِ لَأَخَذُوْا عَبَاءَتِي هَذِهِ؛ وَلَكِنَّ هَذَا الأَمْرَ لَا يُنَاسِبُهُ إِلَّا كَمَا تَرَى!".

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ المَتِينِ: أَنْ تَغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدِيْنَا وَلِجَمِيعِ المُسْلِمِينَ.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ الجَنَّةَ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ، ونَعُوْذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ الهُدَى وَالسَّدَادَ، وَنَسْأَلُكَ التُّقَى وَالعِفَّةَ وَالغِنَى.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنَ الخَيْرِ كُلِّهِ؛ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ؛ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَأَنْ تَجْعَلَ كُلَّ قَضَاءٍ قَضَيْتَهُ لَنَا خَيْرًا.

اللَّهُمَّ! أَصْلِحْ لَنَا دِيْنَنَا الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا دُنْيَانَا الَّتِي فِيهَا مَعَاشُنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا آخِرَتَنَا الَّتِي فِيهَا مَعَادُنَا، وَاجْعَلِ الحَيَاةَ زِيَادَةً لَنَا فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَالمَوْتَ رَاحَةً لَنَا مِنْ

كُلِّ شَرٍّ.

اللَّهُمَّ! أَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا، وَأَلِّفْ بَيْنَ قُلُوْبِنَا، وَاهْدِنَا سُبَلَ السَّلَامِ، وَأَخْرِجْنَا مِنَ الظُّلُـمَاتِ إِلَى النُّوْرِ.

اللَّهُمَّ! بَارِكْ لَنَـا فِي أَسْـمَاعِنَا وَأَبْـصَارِنَا وَقُوَّاتِنَـا وَأَزْوَاجِنَـا وَذُرِّيَتِنَـا وَأَمْوَالِنَـا، وَاجْعَلْنَـا مُبَارَكِيْنَ أَيْنَمَا كُنَّا.

وَآخِرُ دَعْوَانَا: أَنِ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ.

القَادِرُ القَدِيرُ
المُقْتَدِرُ ﷻ

إِنَّ الحَمْدَ لله؛ نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِالله مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؛ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ.

أَمَّا بَعْدُ:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[آلِ عِمْرَانَ:١٠٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾[النِّسَاءَ:١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾[الأَحْزَابِ:٧٠- ٧١].

عِبَادَ الله..

مَنْ أَقَامَ أَمْرَ الله أَقَامَ اللهُ ﷻ أَمْرَهُ، وَمَنْ سَخَّرَ مَا بَيْنَ يَدَيْهِ لله سَخَّرَ اللهُ ﷻ لَهُ مَا بَيْنَ يَدَيْهِ، وَكُلُّ هَذَا الكَوْنِ بِيدِ الله؛ فَهُوَ القَدِيرُ وَالقَادِرُ ﷻ.

﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾﴾ [فَاطِرٍ:٤٤].

حَدِيْثُنَا فِي هَذَا اليَوْمِ عَنِ اسْمِ الله: (القَادِرِ، القَدِيرِ، المُقْتَدِرِ ﷻ).

فَرَبُّنَا ﷻ القَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، لَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ، وَلَا يَفُوْتُهُ مَطْلُوْبٌ، بِخِلَافِ خَلْقِهِ، فَهُوَ ﷻ لَا يَتَطَرَّقُ إِلَيْهِ العَجْزُ، وَلَا يَعْتَرِيهِ الفُتُوْرُ.

وَرَبُّنَا ﷻ هُوَ الَّذِي يَقْوَى عَلَى الشَّيْءِ وَيَقْدِرُ عَلَيْهِ، فَهُوَ ﷻ كَامِلُ القُدْرَةِ؛ فَبِقُدْرَتِهِ أَوْجَدَ المُوْجُوْدَاتِ، وَبِقُدْرَتِهِ دَبَّرَهَا، وَبِقُدْرَتِهِ سَوَّاهَا وَأَحْكَمَهَا، وَبِقُدْرَتِهِ يُحْيِي وَيُمِيتُ، وَيَبْعَثُ العِبَادَ لِلجَزَاءِ؛ فَيُجَازِي المُحْسِنَ بِإِحْسَانِهِ، وَالمُسِيْءَ بِإِسَاءَتِهِ.

وَرَبُّنَا ﷻ هُوَ الَّذِي ﴿إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾[يَس:٨٢]، وَبِقُدْرَتِهِ يُقَلِّبُ القُلُوْبَ وَيُصَرِّفُهَا عَلَى مَا يَشَاءُ وَيُرِيدُ.

وَمِنْ قُدْرَةِ رَبِّنَا ﷻ: أَنَّهُ: ﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ ۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٠﴾﴾[المَائِدَة:٤٠]، وَهُوَ ﷻ: ﴿ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾[الأَنْعَام:٦٥].

وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى قُدْرَتِهِ: أَنَّهُ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَأْتِيَ بِنَا وَيَجْمَعَنَا أَيْنَمَا كُنَّا وَحَيْثُمَا حَلَلْنَا؛ ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُواْ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾﴾[البَقَرَة:١٤٨].

وَمِمَّا عَرَّفَنَا بِهِ رَبُّنَا ﷻ عَنْ عَظِيمِ قُدْرَتِهِ: أَنَّهُ ﷻ يَقْبِضُ أَرْضَهُ بِيَدِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَيَطْوِي السَّمَاوَاتِ بِيَمِينِهِ، قَالَ ﷻ: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾[الزُّمَر:٦٧].

وَرَبُّنَا ﷻ مُقَدِّرُ المَقَادِيرِ وَمُقَسِّمُهَا، عَلِمَ مَقَادِيرَ الأَشْيَاءِ وَأَزْمَانَهَا قَبْلَ إِيجَادِهَا، ثُمَّ أَوْجَدَ مَا سَبَقَ فِي عِلْمِهِ أَنَّهُ يُوْجِدُ؛ ﴿ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾﴾[يَس:٣٨].

وَاللهُ ﷻ كَتَبَ مَقَادِيرَ الخَلْقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَهُمْ بِآلَافِ السِّنِينَ، صَحَّ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، وَعَرْشُهُ عَلَى المَاءِ»

[أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ].

وَلِذَا؛ كَانَ هَذَا هُوَ الإِيمَانُ؛ لَـمَّا سَـأَلَ جِبرِيـلُ عليه السلام الرَّسُـوْلَ ﷺ عَـنِ الإِيـمَانِ، قَـالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَتُـؤْمِنَ بِالقَـدَرِ خَـيْرِهِ وَشَرِّهِ»[أَخْرَجَـهُ البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ -وَاللَّفْظُ لَهُ-].

وَعند قَوْلِ الله ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ قَدِيرٌ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٧﴾[المُمْتَحِنَة:٧]، فِيهِ: إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ مَغْفِرَتَهُ ﷻ وَرَحْمَتَهُ لِعِبَادِهِ عَنْ كَمَالِ القُدْرَةِ، فَلَا يَتَعَاظَمُ عَلَيْهِ ذَنْبٌ أَنْ يَغْفِرَهُ، وَلَا يَكْبُرُ عَلَيْهِ عَيْبٌ أَنْ يَسْتُرَهُ، وَلَا رَحْمَةٌ أَنْ يُوْصِلَهَا، فَلَيْسَ كُلُّ مَنْ لَهُ قُدْرَةٌ وَقُوَّةٌ يَغْفِرُ وَيَرْحَمُ مَنْ قَدِرَ عَلَيْهِ، وَلَيْسَ كُلُّ مَنْ يَغْفِرُ وَيَرْحَمُ لَهُ قُدْرَةٌ، فَهُوَ ﷻ مَعَ كَمَالِ قُدْرَتِهِ إِلَّا أَنَّهُ غَفُوْرٌ رَحِيمٌ.

وَاللهُ القَادِرُ فَصَّلَ لَنَا فِي كِتَابِهِ القَوْلَ لِيُعَرِّفَنَا بِقُدْرَتِهِ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ۝٤٤﴾[فَاطِر:٤٤].

إِذَا أَرَادَ اللهُ ﷻ أَنْ يَنْصُرَكَ؛ أَمَرَ مَا لَا يَكُوْنُ سَبَبًا فِي العَادَةِ فَكَانَ أَعْظَمَ الأَسْبَابِ.

وَإِذَا أَرَادَ القَدِيرُ ﷻ أَنْ يُكْرِمَكُ؛ جَعَلَ مَنْ لَا تَرْجُوْ الخَيْرَ مِنْهُ هُـوَ سَـبَبُ أَعْظَـمِ العَطَايَـا الَّتِي تَنَالُكَ.

وَإِذَا أَرَادَ القَادِرُ ﷻ أَنْ يَصْرِفَ عَنْكَ السُّوْءَ؛ جَعَلَكَ لَا تَرَى الـسُّوْءَ، أَوْ جَعَـلَ الـسُّوْءَ لَا يَعْرُفُ لَكَ طَرِيقًا، وَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَعْصِمَكَ مِنْ مَعْصِيَةٍ؛ جَعَلَكَ تُبْغِضُهَا، أَوْ جَعَلَهَا صَعْبَةَ المَنَـالِ مِنْكَ، أَوْ أَوْحَشَكَ مِنْهَا، أَوْ جَعَلَكَ تُقْدِمُ عَلَيْهَا فَيَأْتِي عَارِضٌ فَيَصْرِفُكَ عَنْهَا.

فَمَا أَحْرَانَا أَنْ نَطْرُقَ بَابَ القَدِيرِ ﷻ!

إِبْرَاهِيمُ الخَلِيلُ عليه السلام يُسْلِمُ أَهْلَهُ لِرَبِّهِ ﷻ؛ فَيَدْعُوْ: ﴿وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ۝٣٧﴾[إِبْرَاهِيمَ:٣٧]، فَكَانَتْ مَكَّةُ حَنِينَ القُلُوْبِ عَلَى مَدَارِ العُصُوْرِ.

وَهَذَا سُلَيْمَانُ عليه السلام يَدْعُوْ: ﴿رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ۝٨٣﴾[الشُّعَرَاءِ:

٨٣]، فَمَلَّكَهُ اللهُ ﷻ رِقَابَ الجِنِّ.

وَيُونُسُ ﷺ فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ وَالبَحْرِ وَفِي بَطْنِ الحُوْتِ يَدْعُوْ: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾[الأَنْبِيَاءِ:٨٧]؛ فَيُصْبِحُ بَطْنُ الحُوْتِ لَهُ وِعَاءً.

وأَخْرَجَ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ»: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «بَيْنَمَا رَجُلٌ بِفَلاةٍ مِنَ الأَرْضِ، فَسَمِعَ صَوْتًا فِي سَحَابَةٍ: اسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ؛ فَتَنَحَّى ذَلِكَ السَّحَابُ، فَأَفْرَغَ مَاءَهُ فِي حَرَّةٍ، فَانْتَهَى إِلَى الحَرَّةِ، فَإِذَا هُوَ فِي أَذْنَابِ شِرَاجٍ، وَإِذَا شَرَاجَةٌ مِنْ تِلْكَ الشِّرَاجِ قَدِ اسْتَوْعَبَتْ ذَلِكَ المَاءَ كُلَّهُ، فَتَبِعَ المَاءَ؛ فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ فِي حَدِيقَتِهِ، يُحَوِّلُ المَاءَ بِمِسْحَاتِهِ، فَقَالَ لَهُ: يَا عَبْدَ اللهِ! مَا اسْمُكَ؟ قَالَ: فُلانٌ -بِالاسْمِ الَّذِي سَمِعَ فِي السَّحَابَةِ-.

فَقَالَ لَهُ: يَا عَبْدَ اللهِ! لِمَ سَأَلْتَنِي عَنِ اسْمِي؟ قَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ صَوْتًا فِي السَّحَابِ الَّذِي هَذَا مَاؤُهُ، يَقُولُ: اسْقِ حَدِيقَةَ فُلانٍ بِاسْمِكَ، فَمَا تَصْنَعُ فِيهَا؟

قَالَ: أَمَّا إِذَا قُلْتَ هَذَا؛ فَإِنِّي أَنْظُرُ إِلَى مَا خَرَجَ مِنْهَا؛ فَأَتَصَدَّقُ بِثُلُثِهِ، وَآكُلُ أَنَا وَعِيَالِي ثُلُثَهُ، وَأَرُدُّ ثُلُثَهُ».

اللَّهُمَّ يَا قَادِرُ: ثَبِّتْنَا عَلَى دِيْنِكَ؛ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ!

أَقُولُ قَولِي هَذَا، وَأَستَغْفِرُ اللهَ لِي وَلَكُمْ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرُوهُ؛ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ:

الحَمْدُ للهِ حَمْدًا طَيِّبًا كَثِيرًا مُبَارَكًا فِيهِ كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنِ اهْتَدَى بِهُدَاهُمْ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

عِبَادَ اللهِ..

قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ

قَدْرًا ﴿٣﴾﴾[الطَّلَاقِ:٣]، فَمَنِ اتَّقَى رَبَّهُ وَتَوَكَّلَ عَلَيْهِ؛ فَلَا يَتَبَاطَأْ عَوْنَ اللهِ لَهُ، وَلَا يَيْأَسْ مِنْ رَوْحِهِ، وَلَا يَقْنَطْ مِنْ رَحْمَتِهِ؛ فَالْفَرَجُ آتِيهِ لَا مَحَالَةَ؛ لِأَنَّ اللهَ ﷻ عَلَى شَيْءٍ قَدِيرٌ.

وَلَكِنَّ اللهَ ﷻ جَعَلَ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا؛ لَهُ زَمَنٌ لَا يَتَجَاوَزُهُ، وَوَقْتٌ لَا يَتَخَطَّاهُ، فَإِذَا جَاءَ مَوْعِدُ المَقْدُوْرِ؛ فَلَا يَسْتَأْخِرُ عَنْ دَفْعِهِ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُ.

لِلكُرْبَةِ وَقْتٌ ثُمَّ تَزُوْلُ، وَلَهَا زَمَنٌ ثُمَّ تَتَحَوَّلُ؛ لِأَنَّ اللهَ ﷻ قَدْ جَعَلَ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا.

لَا تُثْمِرُ الشَّجَرَةُ حَتَّى يَحِينَ وَقْتُهَا، وَلَا تَبْزُغُ الشَّمْسُ حَتَّى يَحِلَّ مِيقَاتُهَا، وَلَا تَضَعُ الحَامِلُ حَمْلَهَا إِلَّا بِأَجَلٍ؛ ﴿قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾﴾[الطَّلَاقِ:٣].

قُلْ لِلطَّبِيبِ تَخَطَّفَتْهُ يَدُ الرَّدَى:
مَنْ يَا طَبِيبُ بِطِبِّهِ أَرْدَاكَا؟
قُلْ لِلمَرِيضِ نَجَا وَعُوفِيَ بَعْدَمَا
عَجِزَتْ فُنُوْنُ الطِّبِّ: مَنْ عَافَاكَا؟
وَإِذَا تَرَى الثُّعْبَانَ يَنْفُثُ سُمَّهُ
فَاسْأَلْهُ: مَنْ ذَا بِالسُّمُوْمِ حَشَاكَا؟
وَاسْأَلْهُ: كَيْفَ تَعِيشُ يَا ثُعْبَانُ أَوْ
تَحْيَا وَهَذَا السُّمُّ يَمْلَأُ فَاكَا؟

وَآثَارُ قُدْرَةِ اللهِ ﷻ فِي هَذَا الكَوْنِ لَا تُعَدُّ وَلَا تُحْصَى! فَهِيَ أَكْبَرُ مِنْ أَنْ تُحِيطَ بِهَا عِبَارَةٌ، أَوْ يُشَارُ إِلَيْهَا بِإِشَارَةٍ، فَأَيْنَمَا وَقَعَ النَّظَرُ عَلَى شَيْءٍ فِي الآفَاقِ وَفِي الأَنْفُسِ؛ رَأَيْتَ كَمَالَ قُدْرَةِ القَادِرِ.

فَإِذَا المُؤْمِنُوْنَ رَأَوْا ذَلِكَ؛ زَادَهُمْ إِيمَانًا وَأَوْرَثَهُمْ تَقْوَى وَقُرْبًا مِنَ اللهِ وَخَشْيَةً، وَأَكْثَرُوْا مِنَ الدُّعَاءِ بِهَذَا الاسْمِ؛ حَتَّى فِي أَقَلِّ شَأْنِهِمْ وَفِي أَكْبَرِهِ.

وَكَانَ مِنْ دُعَاءِ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ: «اللَّهُمَّ! إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ، وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ،

وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ؛ فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلَا أَقْدِرُ»[أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ].

وَقُدْرَةُ الله ﷻ يُسْتَعَاذُ بِهَا مِنْ كُلِّ شَرٍّ وَأَذًى؛ فَفِي الدُّعَاءِ الَّذِي عَلَّمَهُ المُصْطَفَى ﷺ لِلْمَرِيضِ: «أَعُوذُ بِعِزَّةِ الله وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ، سَبْعَ مَرَّاتٍ»[حَدِيثٌ صَحِيحٌ. رَوَاهُ ابْنُ مَاجَه].

وَخُتِمَتْ بَعضُ الأَدْعِيةِ فِي القُرْآنِ وَالسُّنَّةِ بِهَذَا الاسْمِ وَالإِقْرَارِ لَهُ ﷻ بِأَنَّهُ: ﴿عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾﴾[البَقَرَة:٢٠، وَغَيْرِهَا]:

فَوَرَدَ فِي القُرْآنِ الكَرِيمِ فِي دِعَاءٍ عَلَّمَهُ اللهُ ﷻ لِلرَّسُوْلِ ﷺ: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾﴾[آلِ عِمْرَانَ:٢٦].

وَفِي دُعَاءِ المُؤْمِنِينَ يَوْمَ القِيَامَةِ؛ حِينَ خَشَوْا أَنْ تَنْطَفِئَ أَنْوَارُهُمْ حَوْلَ الصِّرَاطِ كَمَا انْطَفَأَتْ أَنْوَارُ المُنَافِقِينَ: ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾﴾[التَّحْرِيم:٨].

اللَّهُمَّ! اغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا؛ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ الجَنَّةَ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ، ونَعُوْذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ الهُدَى وَالسَّدَادَ، وَنَسْأَلُكَ التُّقَى وَالعِفَّةَ وَالغِنَى.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنَ الخَيْرِ كُلِّهِ؛ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ؛ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَأَنْ تَجْعَلَ كُلَّ قَضَاءٍ قَضَيْتَهُ لَنَا خَيْرًا.

اللَّهُمَّ! أَصْلِحْ لَنَا دِيْنَنَا الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا دُنْيَانَا الَّتِي فِيهَا مَعَاشُنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا آخِرَتَنَا الَّتِي فِيهَا مَعَادُنَا، وَاجْعَلِ الحَيَاةَ زِيَادَةً لَنَا فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَالمَوْتَ رَاحَةً لَنَا مِنْ

كُلِّ شَرٍّ.

اللَّهُمَّ! أَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا، وَأَلِّفْ بَيْنَ قُلُوْبِنَا، وَاهْدِنَا سُبَلَ السَّلَامِ، وَأَخْرِجْنَا مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوْرِ.

اللَّهُمَّ! بَارِكْ لَنَا فِي أَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوَّاتِنَا وَأَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّتِنَا وَأَمْوَالِنَا، وَاجْعَلْنَا مُبَارَكِيْنَ أَيْنَمَا كُنَّا.

وَآخِرُ دَعْوَانَا: أَنِ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ.

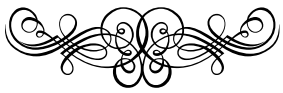

الْحَافِظُ الْحَفِيظُ ﷻ

إِنَّ الحَمْدَ لله؛ نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِالله مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَـهَ إِلَّا اللهُ؛ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ.

أَمَّا بَعْدُ:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[آل عِمْرَان: ١٠٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾[النِّسَاء: ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾[الأَحْزَاب: ٧٠- ٧١].

عِبَادَ الله..

جَاءَ فِي «الصَّحِيحِ»: أَنَّ عَامِرَ بْنَ الطُّفَيْلِ وَأَرْبَدَ بْنَ قَيْسٍ كَادَا لِرَسُوْلِ الله ﷺ، وَسَعَيَا فِي قَتْلِهِ؛ فَدَعَا عَلَيْهِمَا.

فَأَمَّا عَامِرُ بْنُ الطُّفَيْلِ؛ فَأُصِيبَ بِغُدَّةٍ فِي نَحْرِهِ، وَهُوَ فِي بَيْتِ امْرَأَةٍ مِنْ بَنِي سَلُوْلٍ، فَوَثَبَ عَلَى فَرَسِهِ، وَأَخَذَ رُمْحَهُ، وَأَقْبَلَ عَلَى فَرَسِهِ وَهُوَ يَقُوْلُ: غُدَّةٌ كَغُدَّةِ البَعِيرِ، وَمَوْتٌ فِي بَيْتِ سَلُوْلِيَّةٍ! فَلَمْ تَزَلْ تِلْكَ حَالُهُ حَتَّى سَقَطَ عَنْ فَرَسِهِ مَيِّتًا.

وَأَمَّا أَرْبَدُ بْنُ قَيْسٍ؛ فَخَرَجَ مَعَهُ جَمَلٌ يَبِيعُهُ، فَأَرْسَلَ اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى جَمَلِهِ صَاعِقَةً فَأَحْرَقَتْهُمَا.

﴿فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ٦٤﴾[يُوْسُفَ:٦٤].

نَقِفُ مَعَ اسْمِ اللهِ: (الحَافِظِ الحَفِيظِ ﷻ).

رَبُّنَا ﷻ يَحْفَظُ السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَمَا فِيهِمَا، وَيَدُوْمُ بَقَاؤُهُمَا بِقُدْرَتِهِ؛ فَلَا يَزُوْلَانِ وَلَا يَحِيدَانِ، وَلَا يُعْجِزُهُ حَمْلُهُمَا؛ لِكَمَالِ قُدْرَتِهِ وَقُوَّتِهِ، أَلَمْ تَسْمَعْ قَوْلَهُ ﷻ: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓ﴾[فَاطِرٍ:٤١].

وَرَبُّنَا ﷻ يَحْفَظُ عَلَى خَلْقِهِ مَا يَعْمَلُوْنَ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ، فِي سِرٍّ وَعَلَنٍ، وَصَغِيرٍ وَكَبِيرٍ، قَدْ أَحْصَى أَقْوَالَهُمْ، وَعَلِمَ نِيَّاتِهِمْ؛ فَلَا تَغِيبُ عَنْهُ غَائِبَةٌ، ﴿وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٞ ٤﴾[ق:٤]، ﴿وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ ١٠ كِرَامٗا كَٰتِبِينَ ١١﴾[الانْفِطَارَ:١٠-١١]، ﴿إِن كُلُّ نَفۡسٖ لَّمَّا عَلَيۡهَا حَافِظٞ ٤﴾ [الطَّارِقِ: ٤]، فَيُجَازِيهِمْ يَوْمَ القِيَامَةِ.

وَهُوَ ﷻ الَّذِي لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ العُلَا، ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَفِيظٞ ٥٧﴾[هُوْدٍ:٥٧].

وَهُوَ ﷻ الَّذِي يحفظ عَبْدَهُ مِنَ المَهَالِكِ وَالمَعَاطِبِ، وَمَصَارِعِ السُّوْءِ، جَعَلَ لَهُ حَفَظَةً مِنَ المَلَائِكَةِ هُمْ: المُعَقِّبَاتِ بِأَمْرِهِ، قَالَ ﷻ: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٞ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ﴾[الرَّعْدِ:١١].

وَحِفْظُ اللهِ لِخَلْقِهِ نَوْعَانِ:

عَامٌّ، وَهُوَ: حِفْظُهُ لِجَمِيعِ المَخْلُوْقَاتِ؛ بِأَنْ يُيَسِّرَ لَهَا مَصَالِحَهَا، قَالَ ﷻ: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَفِيظٞ ٥٧﴾[هُوْدٍ:٥٧].

وَحِفْظٌ خَاصٌّ -وَهُوَ أَشْرَفُ النَّوْعَيْنِ-، وَهُوَ: حِفْظُهُ لِأَوْلِيَائِهِ فِي مَصَالِحِ دِنْيَاهُمْ، وَفِي أَبْدَانِهِمْ وَأَوْلَادِهِمْ وَمَالِهِمْ، فَجَعَلَ لَهُمْ مُعَقِّبَاتٍ تَحْفَظُهُمْ، وَحَفِظَ لَهُمْ دِينَهُمْ مِنَ الشُّبُهَاتِ

وَالشَّهَوَاتِ، وَمِنْ أَعْدَائِهِمْ مِنْ شَيَاطِينِ الإِنْسِ وَالجِنِّ، ثُمَّ يَتَوَفَّاهُمْ عَلَى الإِيمَانِ، قَالَ ﷻ: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾[الرَّعْد:١١].

وَرَبُّنَا الَّذِي تَكَفَّلَ بِحِفْظِ كِتَابِهِ العَزِيزِ؛ مِنَ التَّحْرِيفِ والتَّغْيِيرِ عَلَى مَرِّ العُصُورِ وَالدُّهُوْرِ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾[الحِجْر:٩].

وَحَفِظَ الكَعْبَةَ مِنَ الزَّوَالِ؛ مَعَ أَنَّهُ بَيْتٌ مِنْ حِجَارَةٍ فِي وَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ؛ لِتَبْقَى شَاهِدَةً عَلَى جَلِيلِ حِفْظِهِ وَعَظِيمِ قُدْرَتِهِ وَقُوَّتِهِ.

يَجْتَمِعُ كُفَّارُ قُرَيشٍ حَوْلَ غَارٍ فِيهِ رَجُلَانِ: مُحَمَّدٌ ﷺ، وَأَبُوْ بَكْرٍ الصِّدِّيقُ ﷺ، يُرِيدُوْنَ قَتْلَهُمَا، فَيَتَسَلَّلُ الخَوْفُ إِلَى فُؤَادِ أَبِي بَكْرٍ، فَيَنْظُرُ إِلَيْهِ صَاحِبُهُ العَظِيمُ وَيَقُوْلُ لَهُ: «مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللهُ ثَالِثُهُمَا؟»[أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ]

وَإِذَا العِنَايَةُ لَاحَظَتْكَ عُيُوْنُهَا نَمْ فَالمَخَاوِفُ كُلُّهُنَّ أَمَانُ

إِنَّهُ الحَفِيظُ!...

إِنَّهُ اللهُ الحَافِظُ ﷻ لِأَوْلِيَائِهِ؛ الَّذِي قَالَ لِلنَّارِ عِنْدَمَا أُلْقِيَ إِبْرَاهِيمُ فِيهَا: ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ۝٦٩﴾[الأَنْبِيَاء:٦٩]، يُطْفِئُ النَّارَ، يُنْجِي مِنَ اليَمِّ، يُلِينُ الحَدِيدَ، يَحْفَظُ فِي السَّمَاءِ وَفِي البِحَارِ وَفِي الأَرْضِ.. إِنَّهُ اللهُ الحَافِظُ؛ ﴿فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ۝٦٤﴾ [يُوْسُفَ:٦٤].

كَمْ نَطْلُبُ اللهَ فِي ضُرٍّ يَحِلُّ بِنَا

فَإِنْ تَوَلَّتْ بَلَايَانَا نَسِينَاهُ

نَدْعُوْهُ فِي البَحْرِ أَنْ يُنْجِي سَفِينَتَنَا

فَإِن رَجَعْنَا إِلَى الشَّاطِي عَصَيْنَاهُ

وَنَرْكَبُ الجَوَّ فِي أَمْنٍ وَفِي دَعَةٍ

فَمَا سَقَطْنَا لِأَنَّ الحَافِظَ اللهُ

يَكِيدُ الطَّغَاةُ لِلْأَوْلِيَاءِ؛ فَيَحْفَظُ اللهُ أَوْلِيَاءَهُ، فَهَذَا مُوْسَى عليه السلام يَقُوْلُ: ﴿رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾﴾[طه:٤٥-٤٦]؛ فَبَشَّرَهُ اللهُ، وَحَفِظَهُ، وَنَصَرَهُ عَلَى عَدُوِّهِ.

يَحْفَظُ الحَافِظُ ذِرِّيَةَ أَوْلِيَائِهِ؛ سَوَاءٌ فِي حَيَاتِهِمْ أَوْ بَعْدَ مَمَاتِهِمْ؛ فَهَذَا يَعْقُوْبُ عليه السلام يَرُدُّ اللهُ إِلَيْهِ حَبِيبَهُ يُوْسُفَ بَعْدَ سِنِينَ طِوَالٍ، وَهُوَ عليه السلام القَائِلُ: ﴿فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [يُوْسُفَ:٦٤].

وَفِي خَبَرِ مُوْسَى وَالخَضِرِ عليهما السلام عِنْدَمَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ فَاسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا؛ فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوْهُمَا، فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ الخَضِرُ عليه السلام: ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾﴾[الكَهْفِ:٨٢].

يَمُوْتُ الخَلِيفَةُ العَادِلُ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ العَزِيزِ عَنْ سَبْعَةٍ مِنَ الذُّكُوْرِ وَسَبْعٍ مِنَ الإِنَاثِ، وَلَمْ يُخْلِّفْ لَهُمْ شَيْئًا إِلَّا اللهَ عز وجل، فَيَحْفَظُ اللهُ الأَوْلَادَ، قَالَ العُلَمَاءُ: وَكَانَ أَبْنَاؤُهُ مِنْ أَغْنَى الأَغْنِيَاءِ فِي النَّاسِ.

يُوْصِي النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم ابْنَ عَبَّاس رضي الله عنهما: «يَا غُلَامُ! إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ: احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ! احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ!»[حَدِيثٌ صَحِيحٌ. رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ].

وَلَمَّا قِيلَ لِمُحِبِّ الدِّينِ الطَّبَرِيِّ -وَهُوَ إِمَامٌ شَافِعِيٌّ كَبِيرٌ-: "قَفَزْتَ مِنَ السَّفِينَةِ وَأَنْتَ شَيْخٌ كَبِيرٌ؟ فَقَالَ -كَلِمَةً خُلِّدَتْ فِي التَّارِيخِ!-: هَذِهِ أَعْضَاءٌ حَفَظْنَاهَا فِي الصِّغَرِ؛ فَحَفِظَهَا اللهُ لَنَا فِي الكِبَرِ"؛ ﴿فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾﴾[يُوْسُفَ:٦٤].

قَالَ العُلَمَاءُ: احْفَظْ أَوَامِرَ اللهِ بِالامْتِثَالِ، وَنَوَاهِيهِ بِالاجْتِنَابِ، وَحُدُوْدَهِ بِعَدَمِ تَعَدِّيهَا؛ يَحْفَظْكَ فِي نَفْسِكَ وَدِينِكَ وَمَالِكَ وَوَلَدِكَ، وَفِي جَمِيعِ مَا آتَاكَ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ فِي الدُّنْيَا، قَالَ ﷺ: «احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ! احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ!»[حَدِيثٌ صَحِيحٌ. رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ].

وَأَمَّا فِي الآخِرَةِ؛ فَقَدْ بَشَّرَهُمُ اللهُ بِالفَوْزِ العَظِيمِ، فَاسْمَعْ -يَا رَعَاكَ اللهُ!-: ﴿وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾[التَّوْبَة:١١٢]، ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾﴾[ق: ٣١]، ﴿ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾﴾[ق:٣٤].

وَعَلَى قَدْرِ حِفْظِكَ لِحُدُوْدِ اللهِ يَكُوْنُ قَدْرُ الوِلَايَةِ، وَإِنَّ مِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ حِفْظِ اللهِ لِلْعَبْدِ: حِفْظُ العَبْدِ لِحُدُوْدِ اللهِ، ﴿وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾[التَّوْبَة:١١٢]، وَيَدْخُلُ فِي هَذَا:

حِفْظُ التَّوْحِيدِ، وَحِفْظُ شَعَائِرِ الدِّينِ؛ وَلَا سِيَّمَا الصَّلَاةَ: ﴿حَٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُوا۟ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾﴾[البَقَرَة:٢٣٨].

وَحِفْظُ السَّمْعِ وَالبَصَرِ والفُؤَادِ: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾[الإِسْرَاءِ:٣٦]، ﴿فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ﴾ [النِّسَاءَ:٣٤].

وَحِفْظُ الفَرْجِ: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾﴾[المُؤْمِنُونَ:٥].

وَحِفْظُ الأَيْمَانِ: ﴿وَٱحْفَظُوٓا۟ أَيْمَٰنَكُمْ ۚ﴾[المَائِدَة:٨٩].

اللَّهُمَّ يَا حَافِظُ: احْفَظْنَا بِحِفْظِكَ، وَارْعَنَا بِرِعَايَتِكَ!

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَأَستَغْفِرُ اللهَ لِي وَلَكُمْ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرُوهُ؛ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ:

الحَمْدُ للهِ حَمْدًا طَيِّبًا كَثِيرًا مُبَارَكًا فِيهِ كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنِ اهْتَدَى بِهُدَاهُمْ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

عِبَادَ اللهِ..

صحَّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّه كَانَ يَدْعُوْ: «اللَّهُمَّ! احْفَظْنِي مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ وَمِنْ خَلْفِي، وَعَنْ يَمِينِي وَعَنْ شِمَالِي، وَمِنْ فَوْقِي، وَأَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ مِنْ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتِي»[حَدِيثٌ صَحِيحٌ. رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ]، وَإِذَا أَرَادَ النَّوْمَ طَلَبَ ﷺ مِنَ اللهِ الحِفْظَ.

إِنَّ العَبْدَ الصَّالِحَ إِذَا اسْتَوْدَعَ اللهَ شَيْئًا حَفِظَهُ؛ كَمَا جَاءَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِأَبِي هُرَيْرَةَ: «أَسْتَوْدِعُكَ اللهَ الَّذِي لَا تَضِيعُ وَدَائِعُهُ»[حَدِيثٌ صَحِيحٌ. رَوَاهُ ابْنُ مَاجَه]، وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللهَ إِذَا اسْتُودِعَ شَيْئًا حَفِظَهُ»[حَدِيثٌ صَحِيحٌ. رَوَاهُ البَيْهَقِيُّ فِي «السُّنَنِ الكُبْرَى»].

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْتَوْدِعُكَ أَنْفُسَنَا وَوَالِدَيْنَا وَأَبْنَاءَنَا وَكُلَّ نِعْمَةٍ أَنْعَمْتَ بِهَا عَلَيْنَا.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ الجَنَّةَ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ، ونَعُوْذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ الهُدَى وَالسَّدَادَ، وَنَسْأَلُكَ التُّقَى وَالعِفَّةَ وَالغِنَى.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنَ الخَيْرِ كُلِّهِ؛ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ؛ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَأَنْ تَجْعَلَ كُلَّ قَضَاءٍ قَضَيْتَهُ لَنَا خَيْرًا.

اللَّهُمَّ! أَصْلِحْ لَنَا دِينَنَا الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا دُنْيَانَا الَّتِي فِيهَا مَعَاشُنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا آخِرَتَنَا الَّتِي فِيهَا مَعَادُنَا، وَاجْعَلِ الحَيَاةَ زِيَادَةً لَنَا فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَالمَوْتَ رَاحَةً لَنَا مِنْ

كُلِّ شَرٍّ.

اللَّهُمَّ! أَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا، وَأَلِّفْ بَيْنَ قُلُوْبِنَا، وَاهْدِنَا سُبَلَ السَّلَامِ، وَأَخْرِجْنَا مِنَ الظُّلُـمَاتِ إِلَى النُّوْرِ.

اللَّهُمَّ! بَارِكْ لَنَـا فِي أَسْـمَاعِنَا وَأَبْـصَارِنَا وَقُوَّاتِنَـا وَأَزْوَاجِنَـا وَذُرِّيَتِنَـا وَأَمْوَالِنَـا، وَاجْعَلْنَـا مُبَارَكِيْنَ أَيْنَمَا كُنَّا.

وَآخِرُ دَعْوَانَا: أَنِ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ.

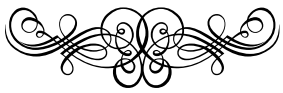

الغَنِيُّ ﷻ

إِنَّ الحَمْدَ لله؛ نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِالله مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَـهَ إِلَّا اللهُ؛ وَحْـدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ.

أَمَّا بَعْدُ:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[آلِ عِمْرَانَ: ١٠٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾﴾[النِّسَاءَ: ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾[الأَحْزَابِ: ٧٠- ٧١].

عِبَادَ الله..

أَخْرَجَ الإِمَامُ البُخَارِيُّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «بَيْنَا أَيُّوبُ يَغْتَسِلُ عُرْيَانًا، فَخَرَّ عَلَيْهِ جَرَادٌ مِنْ ذَهَبٍ؛ فَجَعَلَ أَيُّوبُ يَحْتَثِي فِي ثَوْبِهِ.

فَنَادَاهُ رَبُّهُ: يَا أَيُّوبُ! أَلَمْ أَكُنْ أَغْنَيْتُكَ عَمَّا تَرَى؟ قَالَ: بَلَى وَعِزَّتِكَ! وَلَكِنْ لاَ غِنَـى بِي عَـنْ بَرَكَتِكَ».

قَدْ يُعْطَى الإِنْسَانُ أَمْوَالًا، أَوْ يُمْنَحُ عَقَـارًا، أَوْ يُـرْزَقُ عِيَـالًا، أَوْ يُوْهَـبُ جَاهًـا، أَوْ يَنَـالُ مَنْصِبًا عَظِيمًا، أَوْ مَرْكِزًا كَرِيمًا، أَوْ زَعَامَةً عَرِيضَةً، أَوْ رِيَاسَةً مَكِينَةً.. قَدْ يَحِفُ بِهِ الخَدَمُ، وَيُحِـيطُ بِهِ الجُنْدُ، وَتَحْرُسُهُ الجُيُوْشُ، وَتَرْضَخُ لَهُ النَّاسُ، وَتَذِلُّ لَهُ الرُّؤُوْسُ، وَتَدِينُ لَهُ الشُّعُوْبُ...

وَمَعَ ذَلِكَ -كُلِّهِ- فَالْكُلُّ مُحْتَاجٌ إِلَى اللهِ ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾[فَاطِرٍ:١٥].

وَرَبُّنَا هُوَ الغَنِيُّ ﷻ؛ الَّذِي لَا أَغْنَى مِنْهُ عَلَى الإِطْلَاقِ، وَالكُلُّ فَقِيرٌ مُحْتَاجٌ إِلَيْهِ.

فَرَبُّنَا غَنِيٌّ بِذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ، وَسُلْطَانِهِ، كَمُلَ فِي غِنَاهُ فَلَا يَحْتَاجُ إِلَى أَحَدٍ.

وَهُوَ الغَنِيُّ بِذَاتِهِ فَغِنَاهُ ذَاتِيٌّ لَهُ كَالْجُوْدِ وَالإِحْسَانِ

وَرَبُّنَا مِنْ كَمَالِ غِنَاهُ: أَنَّهُ لَا تَنْفَعُهُ طَاعَةُ الطَّائِعِينَ، وَلَا تَضُرُّهُ مَعْصِيةُ العَاصِينَ؛ وَلَوْ كَفَرَ بِهِ كُلُّ العَالَمِينَ! قَالَ ﷻ: ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾﴾[آلِ عِمْرَانَ:٩٧]، وَقَالَ ﷻ حِكَايَةً عَنْ مُوْسَى عليه السلام: ﴿إِن تَكْفُرُوٓاْ أَنتُمْ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾﴾ [إِبْرَاهِيمَ: ٨].

وجَاءَ فِي الحَدِيثِ القُدُسِيِّ: «يَا عِبَادِي! إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضُرِّي فَتَضُرُّونِي، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي»[أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ].

وَمِنْ كَمَالِ غِنَاهُ: أَنَّهُ يُحْسِنُ إِلَى العِبَادِ، وَيُرِيدُ بِهِمُ الخَيْرَ، وَيكْشِفُ عَنْهُمُ الضُّرَّ؛ لَا لِشَيْءٍ إِنَّمَا رَحْمَةً بِهِمْ وَإِحْسَانًا، ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَنِيُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ﴾[الأَنْعَامِ:١٣٣].

وَمِنْ كَمَالِ غِنَاهُ: تَنَزُّهِهِ عَنِ النَّقَائِصِ وَالعُيُوْبِ، وَكُلِّ مَا يُنَافِي غِنَاهُ، فَلَمْ يَتَّخِذْ صَاحِبَةً وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا، وَلَا شَرِيكًا فِي المُلْكِ، وَلَا وَلِيًّا مِنَ الذُّلِّ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ، قَالَ رَبُّنَا ﷻ: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾﴾[الإِسْرَاءِ:١١١].

وَمِنْ كَمَالِ غِنَاهُ وَكَرَمِهِ: أَنَّهُ يَأْمُرُ عِبَادَهُ بِدُعَائِهِ، وَيَعِدُهُمْ بِإِجَابَةِ دَعَوَاتِهِمْ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[غَافِرٍ:٦٠]، وَصَحَّ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «لَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَمَ عَلَى

الله ﷻ مِنَ الدُّعَاء»[حَدِيثٌ حَسَنٌ. رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ].

فَهَذَا أَكْمَلُ الخَلْقِ عُبُوْدِيَّةً يَدْعُوْ رَبَّهُ مُظْهِرًا فَقْرَهُ وَحَاجَتَهُ إِلَيْهِ، وَعَدَمَ اسْتِغْنَائِهِ عَنْهُ طَرْفَةَ عَيْنٍ، فَقَدْ كَانَ مِنْ دُعَائِهِ ﷺ: «أَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ، وَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ»[حَدِيثٌ صَحِيحٌ. رَوَاهُ النَّسَائِيُّ].

العَالَمُ أَجْمَعُ؛ جِنُّهُمْ وَإِنْسُهُمْ، وَغَنِيُّهُمْ وَفَقِيرُهُمْ، وَكَبِيرُهُمْ وَصَغِيرُهُمْ، وَأَمِيرُهُمْ وَحَقِيرُهُمْ، وَقَوِيُّهُمْ وَضَعِيفُهُمْ: فُقَرَاءُ إِلَى الله، مُحْتَاجُوْنَ إِلَيْهِ فِي كُلِّ سَاعَةٍ.

وَمِنْ كَرَمِ الله: أَنَّهُ قَرَنَ اسْمَهُ (الغَنِيَّ) بِاسْمِهِ (الرَّحْمَنِ) فِي قَوْلِهِ ﷻ: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَنِيُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ﴾[الأَنْعَام:١٣٣]؛ وَذَلِكَ لِإِخْبَارِ العِبَادِ أَنَّهُ: غَنِيٌّ عَنْ عِبَادتِهِمْ، وَمَعَ هَذَا فَهُوَ قَدْ رَحِمَهُمْ فِي كُلِّ شَيْءٍ؛ حَتَّى فِي العِبَادَاتِ وَالتَّكَالِيفِ، بَلْ مِنْ رَحْمَتِهِ: أَنَّهُ يَقْبَلُ القَلِيلَ فَيُكَثِّرُهُ.

وَمِنْ كَرَمِهِ: أَنَّهُ قَرَنَ اسْمَهُ (الغَنِيَّ) بِاسْمِهِ (الحَمِيدِ)، قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓاْ أَنتُمْ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ۝٨﴾[إِبْرَاهِيمَ:٨]، وَقَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ۝١٥﴾[فَاطِرٍ:١٥]، أَيْ: بَلِيغُ الاسْتِحْقَاقِ لِلحَمْدِ؛ بِمَا لَهُ مِنْ عَظِيمِ النِّعَمِ.

تَبَرَّأْتُ مِنْ حَوْلِي وَطَوْلِي وَقُوَّتِي
وَإِنِّي إِلَى مَوْلَايَ فِي غَايَةِ الفَقْرِ
غِنَى المَرْءِ بِالرَّحْمَنِ أَغْنَى مِنَ الغِنَى
بِهِ يُكتَسَى ثَوْبُ المَهَابَةِ وَالقَدْرِ
لَهُ الفَضْلُ كُلُّ الفَضْلِ أَسْلَمْتُ مُهْجَتِي
إِلَيْهِ فَمَا لِي حِينَ أَنْسَاهُ مِنْ عُذْرِ

أَنْتَ مُحْتَاجٌ إِلَى الغَنِيِّ فِي كُلِّ سَاعَةٍ، فَبِقَدْرِ إِظْهَارِ فَقْرِكَ إِلَيْهِ يَكُوْنُ الجَزَاءُ.

وَتَذَكَّرْ: أَنَّ اللهَ هُوَ الغَنِيُّ، وَأَنَّ غِنَاهُ غِنًى ذَاتِيٌّ، بَلْ لَوْ سَأَلَهُ أَهْلُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْطَى كُلَّ وَاحِدٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ مِنْ مُلْكِهِ شَيْءٌ، جَاءَ فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»: «لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَسَأَلُونِي؛ فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ المِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ البَحْرَ».

فَخَزَائِنُهُ مَلْأَى وَيَدُهُ الكَرِيمَةُ سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، وَخَيْرُهُ مِدْرَارٌ، جَاءَ فِي «الصَّحِيحَيْنِ»: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «يَدُ اللهِ مَلْأَى لاَ يَغِيضُهَا نَفَقَةٌ، سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ؟ فَإِنَّهُ لَمْ يَغِضْ مَا فِي يَدِهِ»[أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ -وَهَذَا لَفْظُهُ-، وَمُسْلِمٌ].

اللَّهُمَّ أَعْطِنَا وَلَا تَحْرِمْنَا، وَأَكْرِمْنَا وَلَا تُهِنَّا؛ يَا رَبَّ العَالَمِينَ!

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَأَستَغْفِرُ اللهَ لِي وَلَكُمْ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرُوهُ؛ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ:

الحَمْدُ للهِ حَمْدًا طَيِّبًا كَثِيرًا مُبَارَكًا فِيهِ كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنِ اهْتَدَى بِهُدَاهُمْ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

عِبَادَ اللهِ..

مَا مِفْتَاحُ الغِنَى؟

الجَوَابُ: كَمَا جَاءَ فِي الحَدِيثِ القُدُسِيِّ: «ابْنَ آدَمَ! تَفَرَّغْ لِعِبَادَتِي أَمْلَأْ قَلْبَكَ غِنًى، وَأَمْلَأْ يَدَيْكَ رِزْقًا.

ابْنَ آدَمَ! لَا تَبَاعَدْ عَنِّي فَأَمْلَأْ قَلْبَكَ فَقْرًا، وَأَمْلَأْ يَدَيْكَ شُغْلًا»[حَدِيثٌ صَحِيحٌ. رَوَاهُ الحَاكِمُ فِي «المُسْتَدْرَكِ»].

فَمَتَى غَنِيَ القَلْبُ بِالله ﷻ، وَقَنِعَ بِهِ، وَفَرِحَ بِمَا أَعْطَاهُ اللهُ؛ أَصْبَحَ أَغْنَى خَلْقِهِ بِخَالِقِهِ، وَأَعَزَّ مَخْلُوْقٍ بِرَازِقِهِ، وَأَقْوَى ضَعِيفٍ بِمَوْلَاهُ، فَهَذَا الغِنَى بِلَا مَالٍ، وَالقُوَّةُ بِلَا سُلْطَانٍ، وَالعِزَّةُ بِلَا عَشِيرَةٍ، فَيا لَهُ مِنْ غِنًى؛ مَا أَجَلَّ قَدْرَهُ! صَحَّ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ، وَرُزِقَ كَفَافًا، وَقَنَّعَهُ اللهُ بِمَا آتَاهُ»[أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ].

لَنْ يَشْبَعَ الإِنْسَانُ لَوْ مَلَكَ الدُّنْيَا؛ مَا لَمْ يَكُنِ الغِنَى فِي قَلْبِهِ، وكَمَا جَاءَ فِي «صَحِيحِ ابْنِ حِبَّانَ»: قَالَ ﷺ: «يَا أَبَا ذَرٍّ! أَتَرَى كَثْرَةَ المَالِ هِيَ الغِنَى؟ إِنَّمَا الغِنَى غِنَى القَلْبِ، وَالفَقْرُ فَقْرُ القَلْبِ»[حَدِيثٌ صَحِيحٌ].

مَنْ كَانَ الغِنَى فِي قَلْبِهِ؛ فَلَا يَضُرُّهُ مَا لَقِيَ مِنَ الدُّنْيَا، وَمَنْ كَانَ الفَقْرُ فِي قَلْبِهِ؛ فَلَا يُغْنِيهِ أَكْثَرُ مَا فِي الدُّنْيَا، صَحَّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «وَارْضَ بِمَا قَسَمَ اللهُ لَكَ تَكُنْ أَغْنَى النَّاسِ»[حَدِيثٌ حَسَنٌ. رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ]، وَفِي الحَدِيثِ الآخَرِ: «وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفُّهُ اللهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللهُ» [أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ].

فَالغَنِيُّ فِي الإِسلَامِ هُوَ: مَنِ اسْتَغْنَى فِي قَلْبِهِ عَنِ النَّاسِ، وَافْتَقَرَ لله ﷻ.

يَسِحُّ مِنَ الخَيْرَاتِ سَحًّا عَلَى الوَرَى
فَيُغْنِي وَيُقْنِي دَائِمًا وَيُحَوِّلُ
إِذَا أَكْثَرَ المَثْنِيُّ عَلَيْهِ مِنَ الثَّنَا
فَذُوْ العَرشِ أَعْلَى فِي الجَلَالِ وَأَجْمَلُ

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ الجَنَّةَ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ، ونَعُوْذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ الهُدَى وَالسَّدَادَ، وَنَسْأَلُكَ التُّقَى وَالعِفَّةَ وَالغِنَى.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنَ الخَيْرِ كُلِّهِ؛ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ

الشَّرِّ كُلِّهِ؛ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَأَنْ تَجْعَلَ كُلَّ قَضَاءٍ قَضَيْتَهُ لَنَا خَيْرًا.

اللَّهُمَّ! أَصْلِحْ لَنَا دِيْنَنَا الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا دُنْيَانَا الَّتِي فِيهَا مَعَاشُنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا آخِرَتَنَا الَّتِي فِيهَا مَعَادُنَا، وَاجْعَلِ الحَيَاةَ زِيَادَةً لَنَا فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَالمَوْتَ رَاحَةً لَنَا مِنْ كُلِّ شَرٍّ.

اللَّهُمَّ! أَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا، وَأَلِّفْ بَيْنَ قُلُوْبِنَا، وَاهْدِنَا سُبَلَ السَّلَامِ، وَأَخْرِجْنَا مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوْرِ.

اللَّهُمَّ! بَارِكْ لَنَا فِي أَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوَّاتِنَا وَأَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّتِنَا وَأَمْوَالِنَا، وَاجْعَلْنَا مُبَارَكِيْنَ أَيْنَمَا كُنَّا.

اللَّهُمَّ! أَعْطَيْتَنَا مِنْ قَبْلِ أَنْ نَسْأَلَكَ؛ فَكَيْفَ إِذَا سَأَلْنَاكَ؟!

اللَّهُمَّ! أَغْنِنَا بِالافْتِقَارِ إِلَيْكَ، وَلَا تُفْقِرْنَا بِالاسْتِغْنَاءِ عَنْكَ؛ فَإِنَّكَ أَنْتَ الغَنِيُّ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ.

اللَّهُمَّ! أَغْنِنَا بِحَلَالِكَ عَنْ حَرَامِكَ، وَبِفَضْلِكَ عَمَّنْ سِوَاكَ.

وَآخِرُ دَعْوَانَا: أَنِ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ.

الْحَكَمُ الْحَكِيمُ ﷻ

إِنَّ الحَمْدَ لله؛ نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِالله مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَـهَ إِلَّا اللهُ؛ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ.

أَمَّا بَعْدُ:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[آلِ عِمْرَانَ: ١٠٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾﴾[النِّسَاءَ: ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾[الأَحْزَابِ: ٧٠- ٧١].

عِبَادَ الله..

جَاءَ فِي «سُنَنِ النَّسَائِيِّ» عَنْ هَانِئٍ: أَنَّهُ لَـمَّا وَفَدَ إِلَى رَسُـوْلِ الله ﷺ سَـمِعَهُ (أَيْ: الوَفْـدُ)، وَهُمْ يُكَنُّوْنَ هَانِئًا: أَبَا الحَكَمْ؛ فَدَعَاهُ الرَّسُوْلُ ﷺ فَقَالَ: «إِنَّ اللهَ هُوَ الحَكَمُ، وَإِلَيْهِ الحُكْمُ، فَلِـمَ تُكْنَّى أَبَا الحَكَمِ؟»، فَقَالَ: إِنَّ قَوْمِي إِذَا اخْتَلَفُوْا فِي شَيْءٍ أَتَوْنِي، فَحَكَمْـتُ بَيْـنَهُمْ؛ فَـرَضِيَ كِـلَا الفَرِيقَيْنِ.

فَقَالَ رَسُوْلُ الله ﷺ: «مَا أَحْسَنَ مِنْ هَذَا! فَمَا لَكَ مِنَ الوَلَدِ؟» قَالَ: لِي شُرَيْـحٌ، وَمُـسْلِمٌ، وَعَبْدُ الله، قَالَ: «فَمَنْ أَكْبَرُهُمْ؟»، قُلْتُ: شُرَيْحٌ، قَالَ: «فَأَنْتَ أَبُو شُرَيْحٍ»[حَدِيثٌ صَحِيحٌ].

مِنْ أَسْمَاءِ رَبِّنَا ﷻ: (الحَكَمُ وَالحَـكِيمُ).

قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٦﴾ [آلِ عِمْرَانَ:٦]، وَقَالَ ﷻ: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ۝٦٢﴾[الأَنْعَامِ:٦٢].

"وَالحَكِيمُ لَهُ مَعْنَيَانِ:

الأَوَّلُ: الَّذِي أَحْكَمَ الأَشْيَاءَ وَأَتْقَنَهَا، وَاللهُ ﷻ حَكِيمٌ؛ لِأَنَّهُ أَحْكَمَ أَقْوَالَهُ وَأَفْعَالَهُ؛ فَأَقْوَالُهُ وَأَفْعَالُهُ صَوَابٌ كُلُّهَا، بَلَغتْ غَايَةَ الإِتْقَانِ.

وَمِنَ الإِتْقَانِ فِيهَا الَّذِي هُوَ غَايَةُ الحِكْمَةِ: وَضْعُهُ كُلَّ شَيْءٍ فِي مَوْضِعِهِ؛ فَقَدْ دَبَّرَ خَلْقَهُ أَحْسَنَ التَّدْبِيرِ، وَصَنَعَ مَخْلُوْقَاتِهِ أَحْسَنَ الصُّنْعَ، فَلَا يَدْخُلُ فِي تَدْبِيرِهِ وَتَقْدِيرِهِ خَلَلٌ، وَلَا يَعْتَرِي صُنْعَهُ نَقْصٌ أَوْ قُصُوْرٌ، وَلَا يَقَعُ فِي أَفْعَالِهِ زَلَلٌ وَلَا خَطَأٌ.

وَصَدَقَ اللهُ ﷻ: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ۝٧﴾[السَّجْدَةِ:٧].

وَاللهُ أَمَرَنَا بِالنَّظَرِ فِي كَوْنِهِ لِنُدْرِكَ تَمَامَ خَلْقِهِ وَكَمَالَهِ، وَخُلُوَّهِ مِنَ القُصُوْرِ، ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ۝٢ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۝٣﴾[المُلْكِ:٢-٣].

وَكَمَا أَحْكَمَ خَلْقَهُ أَحْكَمَ آيَاتَ كِتَابِهِ -وَهُوَ: القُرْآنُ الكَرِيمُ-؛ فَقَالَ ﷻ: ﴿فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝٥٢﴾[الحَجِّ:٥٢]، وَوَصَفَ كِتَابَهُ بِأَنَّهُ حَكِيمٌ: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢﴾[لُقْمَانَ:٢].

وَالمَعْنَى الثَّانِي لِلحَكِيمِ: أَنَّهُ ﷻ الحَكَمُ وَالحَاكِمُ بَيْنَ عِبَادِهِ، فَاللهُ ﷻ هُوَ الحَكَمُ وَالحَاكِمُ بَيْنَ عِبَادِهِ، أَيْ: يَقْضِي بَيْنَهُمْ، وَيَفْصِلُ بَيْنَهُمْ بِشَرْعِهِ.

وَقَدْ اخْتَصَّ نَفْسَهُ بِالحُكْمِ؛ فَلَا يَجُوْزُ لِأَحَدٍ أَنْ يَتَعَدَّى عَلَى مَا اخْتَصَ بِهِ نَفْسَهُ، فَاللهُ ﷻ

قَالَ: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ ﴿٥٧﴾﴾[الأَنْعَام:٥٧]، وَقَالَ: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾﴾[الأَنْعَام:٦٢]".

وَالمُؤْمِنُ لَا يَكُوْنُ مُؤْمِنًا حَتَّى يَكُوْنَ مُسَلِّمًا لِشَرْعِ اللهِ، مُحْتَكِمًا إِلَيْهِ، مُسْتَسْلِمًا لِمَا جَاءَ فِيهِ؛ فَاللهُ ﷻ قَدْ قَالَ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾[النِّسَاءَ:٦٥].

وَقَدْ حَذَّرَ اللهُ ﷻ مِنَ التَّحَاكُمِ إِلَى الطَّاغُوْتِ، وَمَنْ تَحَاكَمَ إِلَى الطَّاغُوْتِ فَقَدْ اتَّبَعَ الشَّيْطَانَ، وَضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا، ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾﴾[النِّسَاءَ:٦٠-٦١].

وَلَا فَلَاحَ لِأُمَّةٍ تَدَّعِي الإِسْلَامَ إِلَّا بِتَحْكِيمِ شَرْعِ اللهِ ﷻ.

وَإِذَا اتَّخَذَ العِبَادُ مِنْ دُوْنِ اللهِ حُكَّامًا فَقَدْ اتَّخَذُوْهُمْ آلِهَةً مِنْ دُوْنِ اللهِ، وَاللهُ لَا يَرْضَى أَنْ يُشْرَكَ مَعَهُ ﷻ فِي حُكْمِهِ أَحَدٌ: ﴿مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾﴾ [الكَهْفِ:٢٦].

وَاتِّخَاذُ اللهِ حَكَمًا وَحَاكِمًا يَكُوْنُ بِتَحْكِيمِ كِتَابِهِ وَسُنَّةِ رَسُوْلِهِ ﷺ فِي حَالَ الاخْتِلَاف؛ فَاللهُ قَالَ: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾[الشُّوْرَى:١٠]، وَقَالَ ﷻ: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾[النِّسَاءِ:٥٩].

وَاللهُ ﷻ هُوَ المُسْتَحِقُّ لِأَنْ يَكُوْنَ حَكَمًا بَيْنَ عِبَادِهِ؛ لِأَنَّهُ رَبُّهُمْ وَخَالِقُهُمْ وَمَعْبُوْدُهُمْ، ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا﴾[الأَنْعَام:١١٤]، وَقَالَ ﷻ:

﴿وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [القَصَصِ:٧٠].

وَرَبُّنَا أَحْكَمُ الحَاكِمِينَ، فَهُوَ ﷻ العَالِمُ بِكُلِّ شَيْءٍ، وَالَّذِي يُعْطِي كَلَّ مَسْأَلَةٍ الحُكْمَ الَّذِي يُنَاسِبُهَا، وَقَالَ ﷻ: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨﴾﴾[التين:٨].

وَاللهُ ﷻ حَكِيمٌ يُؤْتِي الحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ، جَاءَ فِي «الصَّحِيحَيْنِ»: أَنَّ رَسُوْلَ الله ﷺ قَالَ: «كَانَتِ امْرَأَتَانِ مَعَهُمَا ابْنَاهُمَا، جَاءَ الذِّئْبُ فَذَهَبَ بِابْنِ إِحْدَاهُمَا، فَقَالَتْ لِصَاحِبَتِهَا: إِنَّمَا ذَهَبَ بِابْنِكِ، وَقَالَتِ الأُخْرَى: إِنَّمَا ذَهَبَ بِابْنِكِ.

فَتَحَاكَمَتَا إِلَى دَاوُدَ ﷺ؛ فَقَضَى بِهِ لِلْكُبْرَى، فَخَرَجَتَا عَلَى سُلَيْمَانَ ابْنِ دَاوُدَ ﷺ فَأَخْبَرَتَاهُ؛ فَقَالَ: ائْتُونِي بِالسِّكِّينِ أَشُقُّهُ بَيْنَهُمَا، فَقَالَتِ الصُّغْرَى: لَا تَفْعَلْ -يَرْحَمُكَ اللهُ!- هُوَ ابْنُهَا؛ فَقَضَى بِهِ لِلصُّغْرَى».

وَتَذَكَّرْ: أَنَّ لِلَّهِ ﷻ الحِكْمَةُ البَالِغَةُ؛ فَلَا يُعْطِي إِلَّا لِحِكْمَةٍ، وَلَا يَمْنَعُ إِلَّا لِحِكْمَةٍ، وَاخْتِيَارُ الله لَكَ خَيْرٌ مِنِ اخْتِيَارِكَ لِنَفْسِكَ، ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾[الأَحْزَابِ:٤٣].

قَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ: "مَنْعُهُ عَطَاءٌ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمْ يَمْنَعْ عَنْ بُخْلٍ وَلَا عَدَمٍ؛ وَإِنَّمَا نَظَرَ فِي خَيْرِ العَبْدِ فَمَنَعَهُ اخْتِيَارًا وَحُسْنَ نَظَرٍ"، فَرُبَّمَا تَطْلُبُ مَا لَا تُحْمَدُ عَاقِبَتُهُ، وَرُبَّمَا كَانَ فِيه حَتْفُكَ!

تَبَارَكَ فَهُوَ اللهُ جَلَّ جَلَالُهُ ... جَوَادٌ كَرِيمٌ كَامِلٌ لَا يُمَثَّلُ

حَكِيم فَيَقْضِي مَا يَشَاءُ بِحُكْمِهِ ... حَلِيمٌ فَلَا يَخْشَى فَوْاتًا فَيَعْجَلُ

ثُمَّ إِيَّاكَ أَنْ تُسِيْءَ الظَّنَّ بِالله إِذَا خَفِيتْ عَلَيْكَ الحِكْمَةُ، وَانْسِبِ الجَهْلَ إِلَى نَفْسِكَ! فَإِنَّ العُقُوْلَ قَاصِرَةٌ عَنْ مُطَالَعَةِ حِكْمَتِهِ، فَالمَلَائِكَة -مَعَ قُرْبِهِمْ مِنَ الله وَعِلْمِهِمْ بِجَلَالِهِ وَقُدْرَتِهِ- لَمْ يَعْلَمُوْا حِكْمَتَهُ فِي إِنْزَالِ آدَمَ إِلَى الأَرْضِ؛ فَقَالُوْا: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾[البَقَرَةِ:٣٠].

فَكُنْ مَعَ الله صَامِتًا عِنْدَ مَجِيءِ قَدَرِهِ وَفِعْلِهِ؛ حَتَّى يُرِيكَ أَلْطَافًا كَثِيرَةً.

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا بِكَ مُؤْمِنِينَ رَاضِيْنَ، وَأَحْسِنْ عَاقِبَتَنَا فِي الأُمُورِ كُلِّهَا؛ يَا رَبَّ العَالَمِينَ!

أَقُولُ قَولِي هَذَا، وَأَستَغْفِرُ اللهَ لِي وَلَكُمْ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرُوهُ؛ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ:

الحَمْدُ لله حَمْدًا طَيِّبًا كَثِيرًا مُبَارَكًا فِيهِ كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنِ اهْتَدَى بِهُدَاهُمْ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

قَالَ عُمَرُ ﷺ: "لَوْ كُشِفَتْ لَنَا حُجُبُ الغَيْبِ مَا اخْتَارَ أَحُدُنَا لِنَفْسِهِ إِلَّا مَا اخْتَارَهُ اللهُ لَهُ".

فِي صُلْحِ الحُدَيْبِيَةِ يَأْتِي عُمَرُ ﷺ إِلَى رَسُوْلِ الله ﷺ؛ فَقَالَ: يَا رَسُوْلَ الله! أَلَسْنَا عَلَى حَقٍّ وَهُمْ عَلَى بَاطِلٍ؟! قَالَ: «بَلَى»، قَالَ: أَلَيْسَ قَتْلَانَا فِي الجَنَّةِ وَقَتْلَاهُمْ فِي النَّارِ؟! قَالَ: «بَلَى»، قَالَ: فَفِيمَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا وَنَرْجِعُ وَلَمَّا يَحْكُمِ اللهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ؟! فَقَالَ: «يَا ابْنَ الخَطَّابِ! إِنِّي رَسُولُ الله، وَلَنْ يُضَيِّعَنِي اللهُ أَبَدًا»؛ فَأَنْزَلَ اللهُ سُوْرَةَ (الفَتْحِ)، فَعَلِمَ النَّاسُ أَنْ الصُّلْحَ: فَتْحٌ. [أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ].

جَفَّ القَلَمُ، وَرُفِعَتِ الصُّحُفُ، وقُضِيَ الأَمْرُ، وَكُتِبَتِ المَقَادِيرُ؛ ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾[التَّوْبَة:٥١].

وَاللهُ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ؛ فَأَبْشِرْ بِفَرَجٍ عَاجِلٍ؛ فَبَعْدَ الدَّمْعَةِ بَسْمَةٌ، وَبَعْدَ الخَوْفِ أَمْنٌ، وَبَعْدَ الفَزَعِ سَكِينَةٌ.

اللَّهُمَّ يَا أَحْكَمَ الحَاكِمِينَ! افْتَحْ لَنَا أَبْوَابَ حِكْمَتِكَ، وَرَضِّنَا بِمَا قَسَمْتَ لَنَا؛ فَأَنْتَ العَلِيمُ الحَكِيمُ.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ الجَنَّةَ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ، ونَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَمَا قَرَّبَ

إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ الهُدَى وَالسَّدَادَ، وَنَسْأَلُكَ التُّقَى وَالعِفَّةَ وَالغِنَى.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنَ الخَيْرِ كُلِّهِ؛ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ؛ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَأَنْ تَجْعَلَ كُلَّ قَضَاءٍ قَضَيْتَهُ لَنَا خَيْرًا.

اللَّهُمَّ! أَصْلِحْ لَنَا دِيْنَنَا الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا دُنْيَانَا الَّتِي فِيهَا مَعَاشُنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا آخِرَتَنَا الَّتِي فِيهَا مَعَادُنَا، وَاجْعَلِ الحَيَاةَ زِيَادَةً لَنَا فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَالمَوْتَ رَاحَةً لَنَا مِنْ كُلِّ شَرٍّ.

اللَّهُمَّ! أَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا، وَأَلِّفْ بَيْنَ قُلُوْبِنَا، وَاهْدِنَا سُبَلَ السَّلَامِ، وَأَخْرِجْنَا مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوْرِ.

اللَّهُمَّ! بَارِكْ لَنَا فِي أَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوَّاتِنَا وَأَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّتِنَا وَأَمْوَالِنَا، وَاجْعَلْنَا مُبَارَكِيْنَ أَيْنَمَا كُنَّا.

وَآخِرُ دَعْوَانَا: أَنِ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ.

اللَّطِيفُ ﷻ

إِنَّ الحَمْدَ لله؛ نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِالله مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَـهَ إِلَّا اللهُ؛ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ.

أَمَّا بَعْدُ:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[آلِ عِمْرَانَ: ١٠٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾﴾[النِّسَاءَ: ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾[الأَحْزَابِ: ٧٠- ٧١].

عِبَادَ الله..

نَدْلِفُ إِلَى اسْمِ الله: (اللَّطِيفِ)؛ نَسْتَقِي مِنْ أَنْوَارِهِ وَنَتَفَيَّأُ ظِلَالَهُ:

قَالَ ﷻ: ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾[يُوْسُفَ: ١٠٠]، وَقَالَ: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾[الأَنْعَامِ: ١٠٣].

وَاللُّطْفُ فِي اللُّغَةِ هُوَ: البِرُّ، وَالحَفَاوَةُ، وَالإِكْرَامُ، وَالتَّرَفُّقُ، وَالعِلْمُ بِدَقَائِقِ الأُمُوْرِ.

فَإِذَا اجْتَمَعَ الرِّفْقُ فِي الفِعْلِ وَاللُّطْفُ فِي الإِدْرَاكِ تَمَّ مَعْنَى اللَّطِيفُ.

فَرَبُّنَا ﷻ اللَّطِيفُ؛ الَّذِي لَا أَلْطَفَ مِنْهُ، رَفِيقٌ بِعِبَادِهِ؛ لَا يُعَاجِلُهُمْ عَلَى الذَّنْبِ، لَا تَخْفَى عَلَيْهِ الأَشْيَاءُ؛ وَإِنْ دَقَّتْ وَلَطُفَتْ وَتَضَاءَلَتْ.

وَرَبُّنَا ﷻ هُوَ الَّذِي بَرَّ بِعِبَادِهِ وَتَفَضَّلَ عَلَيْهِمْ وَرَفِقَ بِهِمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُوْنَ، ﴿ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ﴾[الشُّوْرَى:١٩]، وَهُوَ الَّذِي رَزَقَهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُوْنَ.

وَرَبُّنَا ﷻ هُوَ الَّذِي لَا تُدْرِكُهُ الحَوَاسُّ، وَلَا تَرَاهُ الأَبْصَارُ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾[الأَنْعَام:١٠٣].

أَعْطَاهُمْ فَوْقَ الكِفَايَةِ، وَكَلَّفَهُمْ دُوْنَ الطَّاقَةِ، وَسهَّلَ عَلَيْهِمُ الوُصُوْلَ إِلَى السَّعَادَةِ فِي مُدَّةٍ قَصِيرَةٍ: ﴿إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ﴾[يُوْسُفَ:١٠٠].

وَهُوَ اللَّطِيفُ بِعَبْدِهِ وِلِعَبْدِهِ ... وَاللُّطْفُ فِي أَوصَافِهِ نَوْعَانِ
إِدْرَاكُ أَسْرارِ الأُمُوْرِ بِخِبْرَةٍ ... وَاللُّطْفُ عِنْدَ مَوَاقِعِ الإِحْسَانِ
فَيُرِيكَ عِزَّتَهُ وَيُبْدِي لُطْفَهُ ... وَالعَبْدُ فِي الغَفَلَاتِ عَنْ ذَا الشَّانِ

رَبُّكَ الكَرِيمُ اللَّطِيفُ ﷻ؛ يُوْصِلُ إِلَيْكَ إِحْسَانَهُ بِلُطْفٍ وَبِرِفْقٍ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِحَالِكِ مِنْكَ، وَأَلْطَفُ بِكَ مِنْ نَفْسِكَ.

فَإِذَا أَرَادَ اللَّطِيفُ ﷻ: أَنْ يَرْحَمَكَ أَرْسلَ إِلَى نَفْسِكَ نُوْرَ الإِيمَانِ؛ فَيَبْقَى صَدْرُكَ مُشْرِقًا بِنُوْرِهِ، كَارِهًا لِلفَوَاحِشِ وَالفِتَنِ، مُجْتَنِبًا لِلمَعَاصِي، ﴿وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾[الأَنْعَام:١٠٣].

وَإِذَا أَرَادَ اللَّطِيفُ ﷻ: أَنْ يَنْصُرَكَ أَمَرَ مَا لَا يَكُوْنُ سَبَبًا فِي العَادَةِ؛ فَكَانَ أَعْظَمَ الأَسْبَابِ لِنُصْرَتِكَ؛ إِنَّهُ: ﴿ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾[الأَنْعَام:١٠٣].

وَإِذَا أَرَادَ اللَّطِيفُ ﷻ: أَنْ يَشْفِيَكَ؛ أَرْسَلَ لَكَ أَغْرَبَ سَبَبٍ، وَرُبَّمَا أَضْعَفَ سَبَبٍ؛ إِنَّهُ: ﴿ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾[الأَنْعَام:١٠٣].

إِذَا أَرَادَ اللَّطِيفُ ﷻ: أَنْ يَرْزُقَكَ؛ يَسَّرَ أُمُوْرًا رُبَّمَا خَفِيتَ عَلَيْكَ، لَكِنَّ اللهَ عَلِمَهَا، فَقَدْ يُرْسِلُ فَقِيرًا إِلَيْكَ فَتَبْذُلُ لَهُ، فَيَدْعُوْ؛ فَتُفْتَحُ لِدَعْوَتِهِ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، فَيُسَاقُ الرِّزْقُ إِلَيْكَ، وَتَتِمُّ

إِرَادَتُهُ عَلَى مَا شَاءَ، وَأَنْتَ غَيْرُ مُدْرِكٍ؛ أَنَّهُ هُوَ: ﴿ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾[الأَنْعَام:١٠٣].

لَوْ عَلِمَ العَبْدَ مَا يُدَبِّرُ اللَّطِيفِ لَهُ؛ لَذَابَ قَلْبُهُ شَوْقًا إِلَى لِقَائِهِ.

فَكَمْ مِنْ مَرَضٍ أَصَابَكَ فَأَزَالَهُ...!

وَكَمْ مِنْ مُصِيبَةٍ حَلَّتْ فَحَوَّلَهَا...!

وَكَمْ مِنْ دَينٍ قَضَاهُ...!

وَكَمْ مِنْ هَمٍّ فَرَّجَهُ...!

لَيْسَ بِحَوْلٍ مِنْكَ وَلَا قُوَّةٍ، وَإِنَّمَا بِلُطْفٍ مِنْهُ وَكَرَمٍ!

فَإِذَا طَرَقَ النَّاسُ أَبْوَابَ المُلُوْكِ؛ فَاطْرُقْ أَنْتَ بَابَ المَلِكِ الأَعْظَمِ.

وَإِذَا وَقَفُوْا بِسَاحَةِ الأَمِيْرِ؛ فَقِفْ أَنْتَ بِسَاحَةِ الإِلَهِ الأَكْرَمِ.

وَإِذَا أَلَمَّ بِكَ المَرَضُ، وَأَثْقَلَكَ الدَّيْنُ، وَحَزِنْتَ عَلَى الغَائِبِ، وَخِفْتَ عَلَى الوَلَدِ، وَأَتْعَبَكَ الفَقْرُ؛ فَتَذَكَّرْ أَنَّهُ هُوَ: ﴿ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾[الأَنْعَام:١٠٣].

فَهُوَ الَّذِي بِيَدِهِ مَفَاتِيحُ الفَرَجِ، وَالخَزَائِنُ مَلْأَى، وَيَدُ اللهِ سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ؛ ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ﴾[الحِجْر:٢١].

فَالسَّعَادَةُ عِنْدَهُ، وَالأَمْنُ عِنْدَهُ، وَالرَّاحَةُ عِنْدَهُ، وَالرِّضَا عِنْدَهُ، وَالشِّفَاءُ عِنْدَهُ، وبِيَدِهِ مَلَكُوْتِ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

فَلَا تَحْمِلْ هَمًّا وَأَنْتَ فِي مَعِيَّةِ اللهِ ﷻ؛ حَتَّى لَوْ ازْدَادَتْ عَلَيْكَ أَكْدَارُ الدُّنْيَا، وَاعْلَمْ أَنَّهَا تَقُوْدُكَ إِلَى الاجْتِبَاءِ؛ كَمَا قَادَتْ يُوْسُفَ عليه السلام.

وَإِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَكُوْنَ فِي مَعِيَّةِ اللهِ اللَّطِيفِ ﷻ؛ فَاسْعَدْ بِشَرِيعَتِهِ، وَاشْكُرْ نِعْمَتَهُ، وَتَفَكَّرْ فِي مَلَكُوْتِهِ، وَاطْرَبْ لِذِكْرِهِ، وَتَلَذَّذْ بِسَمَاعِ كَلَامِهِ، وَارْضَ بِهِ رَبًّا، وَبِكِتَابِهِ نَهْجًا، وَبِنَبِيِّهِ رَسُوْلًا.

فَمَعِيَّةُ اللهُ ﷻ لَا تَأْتِي إِلَّا بِسَبَبٍ، وَلَا تَحْصُلُ إِلَّا بِتَعَبٍ، وَمِنْ هُنَا سَيَعْمُرُ الأُنْسُ قَلْبَكَ،

وَيَزُوْلُ هَمُّكَ، وَتَنْسَى أَتْعَابَ الحَيَاةِ وَأَوْصَابَ الدُّنْيَا.

عِنْدَمَا تَذَكَّرَ يُوْسُفُ عليه السلام الأَحْدَاثَ العِظَامَ الَّتِي مَرَّ بِهَا؛ مِنَ الرُّؤْيَا العَجِيبَةِ، وَحَسَدِ إِخْوَتِهِ لَهُ، وَسَعْيِهِمْ فِي إِبْعَادِهِ وَإِلْقَائِهِمْ لَهُ فِي البِئْرِ، وَبَيْعِهِ وَخِدْمَتِهِ فِي بَيْتِ العَزِيزِ، وَمِحْنَتِهِ مَعَ امْرَأَةِ العَزِيزِ وَالنِّسْوَةِ ثُمَّ السِّجْنِ، وَبَعْدَ ذَلِكَ: تِلْكَ الرُّؤْيَا العَجِيبَةِ الَّتِي رَآهَا المَلِكُ، وَانْفِرَادِهِ بِتَعْبِيرِهَا فِي زَمَانِهِ، ثُمَّ تَبَوُّئِهِ مِنَ الأَرْضِ حَيْثُ يَشَاءُ، وَقُدُوْمِ إِخْوَتِهِ؛ وَهُمْ فِي فَقْرٍ وَحَاجَةٍ، وَحُصُوْلِ مَا حَصَلَ لِأَبِيهِ مِنَ الابْتِلَاءِ، وَحَصَلَ بَعْدَ ذَلِكَ الاجْتِمَاعُ السَّارُّ، وَزَالَ الكَدَرُ وَصَلُحَ الحَالُ...

هُنَا؛ وَفِي تِلْكَ اللَّحَظَاتِ يَتَذَكَّرُ لُطْفَ اللهِ ﷻ بِهِ، فِي تِلْكَ المَرَاحِلِ قَالَ مُعْتَرِفًا وَشَاكِرًا وَمُثْنِيًا عَلَى اللهِ، وَدَاعِيًا بِاسْمٍ مِنْ أَسْمَائِهِ الحُسْنَى؛ الَّذِي يُنَاسِبُ ذَلِكَ المَقَامِ؛ فَقَالَ: ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾[يُوْسُفَ: ١٠٠]، بَعْدَ أَحْدَاثٍ عِظَامٍ جَعَلَهَا اللهُ تَسُوْقُ يُوْسُفَ عليه السلام بِلطْفٍ إِلَى الاجْتِبَاءِ وَالتَّمْكِينِ فِي الأَرْضِ.

اللَّهُمَّ الْطُفْ بِنَا وَبِالْمُسْلِمِينَ؛ يَا لَطِيفُ!

أَقُولُ قَولِي هَذَا، وَأَستَغْفِرُ اللهَ لِي وَلَكُمْ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرُوهُ؛ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ:

الحَمْدُ للهِ حَمْدًا طَيِّبًا كَثِيرًا مُبَارَكًا فِيهِ كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنِ اهْتَدَى بِهُدَاهُمْ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

عِبَادَ اللهِ..

مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ الحُسْنَى: (اللَّطِيفِ)؛ فَاللهُ يُحِبُّ اللُّطْفَ، وَيُحِبُّكَ أَنْ تُعَامِلَ الخَلْقَ بِلطْفٍ وَشَفَقَةٍ، صَحَّ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَنْ يَحْرُمُ عَلَى النَّارِ -أَوْ بِمَنْ تَحْرُمُ عَلَيْهِ النَّارُ-:

عَلَى كُلِّ قَرِيبٍ هَيِّنٍ سَهْلٍ»[حَدِيثٌ صَحِيحٌ. رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ].

فَإِذَا احْتَجْتَ إِلَى لُطْفِ اللهِ بِكَ لِيُعَافِيَكَ مِمَّا أَضَرَّ بِكَ؛ فَأَظْهِرْ لِلَّهِ ضَعفَكَ وَانْكِسَارَكَ، وَالطُفْ بِالْمُسْلِمِينَ؛ وَخَاصَّةً ضَعِيفَهُمْ.

إِلَهِي أَنْتَ لِلْإِحْسَانِ أَهْلٌ ... وَمِنْكَ الجُوْدُ وَالفَضْلُ الجَزِيلُ
إِلَهِي بَاتَ قَلْبِي فِي هُمُوْمٍ ... وَحَالِي لَا يُسَرُّ بِهِ خَلِيلُ
إِلَهِي جُدْ بِعَفْوِكَ لِي فَإِنِّي ... عَلَى الأَبْوَابِ مُنْكَسِرٌ ذَلِيلُ

اللَّهُمَّ! الْطُفْ بِنَا، وَارْزُقْنَا الأُنْسَ بِقُرْبِكَ، وَأَعِنَّا عَلَى طَاعَتِكَ، وَأَحْسِنْ لَنَا الخَاتِمَةَ.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ الجَنَّةَ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ، ونَعُوْذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ الهُدَى وَالسَّدَادَ، وَنَسْأَلُكَ التُّقَى وَالعِفَّةَ وَالغِنَى.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنَ الخَيْرِ كُلِّهِ؛ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ؛ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَأَنْ تَجْعَلَ كُلَّ قَضَاءٍ قَضَيْتَهُ لَنَا خَيْرًا.

اللَّهُمَّ! أَصْلِحْ لَنَا دِيْنَنَا الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا دُنْيَانَا الَّتِي فِيهَا مَعَاشُنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا آخِرَتَنَا الَّتِي فِيهَا مَعَادُنَا، وَاجْعَلِ الحَيَاةَ زِيَادَةً لَنَا فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَالمَوْتَ رَاحَةً لَنَا مِنْ كُلِّ شَرٍّ.

اللَّهُمَّ! أَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا، وَأَلِّفْ بَيْنَ قُلُوْبِنَا، وَاهْدِنَا سُبُلَ السَّلَامِ، وَأَخْرِجْنَا مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوْرِ.

اللَّهُمَّ! بَارِكْ لَنَا فِي أَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوَّاتِنَا وَأَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّتِنَا وَأَمْوَالِنَا، وَاجْعَلْنَا مُبَارَكِيْنَ أَيْنَمَا كُنَّا.

وَآخِرُ دَعْوَانَا: أَنِ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ.

الخَبِيرُ ﷻ

إِنَّ الحَمْدَ لله؛ نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِالله مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؛ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

أَمَّا بَعْدُ:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[آل عِمْرَان: ١٠٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾[النِّسَاء: ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾[الأحزاب: ٧٠- ٧١].

عِبَادَ الله..

أَخْرَجَ النَّسَائِيُّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ: أَنَّ أَعْرَابِيًّا جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ؛ فَآمَنَ بِهِ وَاتَّبَعَهُ، ثُمَّ قَالَ: أُهَاجِرُ مَعَكَ، فَأَوْصَى بِهِ النَّبِيُّ ﷺ بَعْضَ أَصْحَابِهِ.

فَلَمَّا كَانَتْ غَزْوَةُ خَيْبَرَ؛ غَنِمَ النَّبِيُّ ﷺ سَبْيًا، فَقَسَمَ وَقَسَمَ لَهُ، فَأَعْطَى أَصْحَابَهُ مَا قَسَمَ لَهُ، وَكَانَ يَرْعَى ظَهْرَهُمْ، فَلَمَّا جَاءَ؛ دَفَعُوهُ إِلَيْهِ، فَقَالَ: مَا هَذَا؟ قَالُوْا: قِسْمٌ قَسَمَهُ لَكَ النَّبِيُّ ﷺ.

فَأَخَذَهُ، فَجَاءَ بِهِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ؛ فَقَالَ: مَا هَذَا؟ قَالَ: «قَسَمْتُهُ لَكَ»، قَالَ: مَا عَلَى هَذَا اتَّبَعْتُكَ، وَلَكِنِّي اتَّبَعْتُكَ عَلَى أَنْ أُرْمَى إِلَى هَا هُنَا -وَأَشَارَ إِلَى حَلْقِهِ بِسَهْمٍ-؛ فَأَمُوتَ، فَأَدْخُلَ الجَنَّةَ.

فَقَالَ ﷺ: «إِنْ تَصْدُقِ اللهَ يَصْدُقْكَ»، فَلَبِثُوا قَلِيْلًا، ثُمَّ نَهَضُوا فِي قِتَالِ العَدُوِّ، فَأُتِيَ بِهِ النَّبِيَّ ﷺ يُحْمَلُ قَدْ أَصَابَهُ سَهْمٌ حَيْثُ أَشَارَ.

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَهُوَ هُوَ؟»، قَالُوْا: نَعَمْ، قَالَ: «صَدَقَ اللهَ فَصَدَقَهُ»، ثُمَّ كَفَّنَهُ النَّبِيُّ ﷺ فِي جُبَّةِ النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ قَدَّمَهُ فَصَلَّى عَلَيْهِ، فَكَانَ فِيمَا ظَهَرَ مِنْ صَلَاتِهِ: «اللَّهُمَّ هَذَا عَبْدُكَ خَرَجَ مُهَاجِرًا فِي سَبِيلِكَ فَقُتِلَ شَهِيدًا؛ أَنَا شَهِيدٌ عَلَى ذَلِكَ».

أَعْمَالُ الجَوَارِحِ تَتْبَعُ أَعْمَالَ القُلُوْبِ؛ فَإِذَا صَلُحَ القَلْبُ صَلُحَ الجَسَدُ، وَإِذَا فَسَدَ القَلْبُ فَسَدَ الجَسَدُ، وَيَوْمَ القِيَامَةِ المُحَاسَبَةُ عَلَى مَا جَاءَ فِي القَلْبِ: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾[الشُّعَرَاءِ:٨٨-٨٩].

وَلَا يَعْلَمُ مَا فِي القُلُوْبِ إِلَّا اللهُ العَلِيمُ الخَبِيرُ! قَالَ اللهُ ﷻ عَنْ نَفْسِهِ: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٣٤﴾﴾[البَقَرَةِ:٢٣٤]، ﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾﴾[الأَنْعَامِ:١٨].

فَرَبُّنَا عَالِمٌ بِسَرَائِرِ عِبَادِهِ، وَضَمَائِرِ قُلُوْبِهِمْ، لَا تَعْزُبُ عَنْهُ الأَخْبَارُ البَاطِنَةُ، وَلَا يَجْرِي فِي المُلْكِ وَالمَلَكُوْتِ شَيْءٌ، وَلَا تَتَحَرَّكُ ذَرَّةٌ وَلَا تَسْكُنُ، وَلَا تَضْطَرِبُ نَفْسٌ وَلَا تَطْمَئِنُ إِلَّا وَيَكُوْنُ عِنْدَهُ خَبَرُهَا.

أَحَاطَ عِلْمُهُ بِالظَّوَاهِرِ وَالبَوَاطِنِ وَالإِسْرَارِ وَالإِعْلَانِ، وَبِالْوَاجِبَاتِ وَالمُسْتَحِيلَاتِ وَالمُمْكِنَاتِ، وَبِالعَالَمِ العُلْوِيِّ وَالسُّفْلِيِّ، وَالمَاضِي وَالحَاضِرِ وَالمُسْتَقْبَلِ؛ فَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنَ الأَشْيَاءِ.

يُخْبِرُ بِعَوَاقِبِ الأُمُوْرِ وَمَآلَاتِهَا وَمَا تَصِيرُ إِلَيْهِ، "يَعْلَمُ مَا كَانَ وَمَا يَكُوْنُ، وَمَا لَمْ يَكُنْ لَوْ كَانَ كَيْفَ يَكُوْنُ"، ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾﴾[الفُرْقَانِ:٥٩].

فَاللهُ عَلِيمٌ بِظَوَاهِرِ الأُمُوْرِ، خَبِيرٌ بِبَوَاطِنِهَا.

خَبِيرٌ بِالحَقَائِقِ وَالمَعَانِي عَلِيمٌ لَا يُمَارَى أَوْ يُجَارَى
مُحِيطٌ لَا يَفُوْتُ عَلَيْهِ شَيْءٌ وَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ مَا تَوَارَى

فَاللهُ ﷻ أَخْبَرَ عَنْ نَفْسِهِ بِأَنَّهُ الخَبِيرُ، بَلْ رَبَطَ اسْمَهُ ﷻ (الخَبِيرَ) بِمَا يَفْعَلُهُ وَيَعْلَمُهُ وَيَصْنَعُهُ الإِنْسَانُ فَوْقَ عِشْرِينَ مَرَّةً؛ لِيَحُثَّهُ عَلَى التَّقْوَى؛ ﴿ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾[المَائِدَة:٨].

وَحَثَّهُ أَنْ يَنْظُرَ لِأَعْمَالِهِ بَاطِنِهَا وَظَاهِرِهَا، فَمَنْ زَادَ إِيمَانُهُ بِهَذَا الاسْمِ: (الخَبِيرِ)؛ أَصْبَحَ خَبِيرًا بِمَا يَجْرِي فِي عَالَمِهِ، وَعَالَمُهُ هُوَ: قَلْبُهُ وَبَدَنُهُ، وَالخَفَايَا الَّتِي يَتَّصِفُ بِهَا القَلْبُ؛ مِنْ غِشٍّ وَخِيَانَةٍ وَإِضْمَارِ الشَّرِّ.

وَاللهُ ﷻ لَا يَنْظُرُ إِلَى الصُّوَرِ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى القُلُوْبِ وَالأَعْمَالِ، فَلَا نَجَاةَ مَعَ الخَبِيرِ إِلَّا لِمَنْ أَقْبَلَ عَلَيْهِ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ؛ ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشُّعَرَاء:٨٨-٨٩]، ﴿۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٩﴾ وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ ﴿١٠﴾ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌۢ ﴿١١﴾﴾[العَادِيَات:٩-١١].

وَإِنَّكَ لَتَرَى عَمَلًا صَالِحًا يَعْمَلُهُ الرَّجُلَانِ؛ فَيُتَقَبَّلُ مِنْ أَحَدِهِمَا، وَلَا يُتَقَبَّلُ مِنَ الآخَرِ! فَهَذَا يُصَلِّي فَتُقْبَلُ صَلَاتُهُ، وَبِجَانِبِهِ آخَرُ يُصَلِّي فَلَا يَكُوْنُ لَهُ مِنْ صَلَاتِهِ إِلَّا مَا عَقَلَ مِنهَا، قَالَ ﷺ: «إِنَّ الرَّجُلَ لِيُصَلِّي الصَّلَاةَ، وَلَعَلَّهُ لَا يَكُونُ لَهُ مِنهَا إِلَّا عُشْرُهَا، أَوْ تُسْعُهَا، أَوْ ثُمُنُهَا، أَوْ سُبُعُهَا، أَوْ سُدْسُهَا»؛ حَتَّى أَتَى عَلَى العَدَدِ. [حَدِيثٌ صَحِيحٌ. رَوَاهُ ابْنُ حِبَّانَ].

وَهَذَا يَتَصَدَّقُ؛ فَيَتَقَبَّلُهَا اللهُ وَيُنَمِّيهَا لَهُ -كَمَا يُنَمِّي أَحَدُنَا فُلُوَّهُ-، وَالآخَرُ يَتَصَدَّقُ؛ فَيَرُدُّهَا اللهُ، بَلْ وَيُعَذِّبُ بِهَا! ﴿إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾﴾[البَقَرَة:٢٧١].

وَالرَّجُلُ الغَنِيُّ الكَرِيمُ الَّذِي يَسْأَلُهُ اللهُ ﷻ: مَاذَا عَمِلْتَ؟ فَيَقُوْلُ: أَنْفَقْتُ فِي سَبِيلِكَ وَتَصَدَّقْتُ، فَيُقَالُ لَهُ: لَا، وَلَكِنَّكَ تَصَدَّقْتَ لِيُقَالَ: هُوَ مُحْسِنٌ، وَقَدْ قِيلَ، فَيُؤْخَذُ فَيُلْقَى فِي النَّارِ؛ كَمَا صَحَّ هَذَا فِي الحَدِيثِ الطَّوِيلِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ.[رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ].

نَعَمْ؛ إِنَّهُ الخَبِيرُ بِبَوَاطِنِ الأُمُوْرِ وَبَوَاعِثِ الفِعْلِ.

ذَاكَ الَّذِي يَغُضُّ بَصَرَهُ أَمَامَ النَّاسِ وَيَتَصَنَّعُ! ثُمَّ إِذَا خَلَا بِنَفْسِهِ مَدَّ بَصَرَهُ إِلَى الحَرَامِ وَانْتَهَكَ المُحَرَّمَاتِ؛ هَلْ يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَى قَلْبِهِ عَدَا الخَبِيرَ البَصِيرَ؟ ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾﴾[غَافِر:١٩].

رَوَى ابْنُ مَاجه عَنْ ثَوْبَانَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّهُ قَالَ: «لَأَعْلَمَنَّ أَقْوَامًا مِنْ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ بِحَسَنَاتٍ أَمْثَالِ جِبَالِ تِهَامَةَ بِيضًا، فَيَجْعَلُهَا اللهُ ﷻ هَبَاءً مَنْثُورًا».

قَالَ ثَوْبَانُ: يَا رَسُولَ الله! صِفْهُمْ لَنَا، جَلِّهِمْ لَنَا؛ أَنْ لَا نَكُونَ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَا نَعْلَمُ!

قَالَ: «أَمَا إِنَّهُمْ إِخْوَانُكُمْ، وَمِنْ جِلْدَتِكُمْ، وَيَأْخُذُونَ مِنَ اللَّيْلِ كَمَا تَأْخُذُونَ؛ وَلَكِنَّهُمْ أَقْوَامٌ إِذَا خَلَوْا بِمَحَارِمِ الله انْتَهَكُوْهَا»[حَدِيثٌ صَحِيحٌ].

وَقَالَ ﷻ مُنَبِّهًا أَهْلَ الرِّيَاءِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾﴾[النُّوْر:٣٠].

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنَ المُؤْمِنِينَ الصَّادِقِينَ؛ يَا رَبَّ العَالَمِينَ!

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ لِي وَلَكُمْ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرُوهُ؛ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ:

الحَمْدُ للهِ حَمْدًا طَيِّبًا كَثِيرًا مُبَارَكًا فِيهِ كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنِ اهْتَدَى بِهُدَاهُمْ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

عِبَادَ الله..

مَنْ عَلِمَ أَنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِبَوَاطِنِ أَمْرِهِ، مُطَّلِعٌ عَلَيْهِ؛ اسْتَحَى أَنْ يَرَاهُ اللهُ فِيمَا لَا يُحِبُّ، ثُمَّ أَحْسَنَ عَمَلَهُ، وَأَخْلَصَ عِبَادَتَهُ؛ حَتَّى يَصِلَ بِهِ الحَالُ إِلَى مَقَامِ الإِحْسَانِ؛ الَّذِي وَرَدَ فِي الحَدِيثِ الصَّحِيحِ: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»[أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ].

فَإِذَا بَلَغَ تِلْكَ المَرْتَبَةَ؛ فَقَدْ حَصَلَ لَهُ أَطْيَبُ مَا فِي الدُّنْيَا.

قَالَ بَعْضُ العَارِفِينَ: مَسَاكِينُ أَهْلُ الدُّنْيَا! خَرَجُوْا مِنَ الدُّنْيَا وَمَا ذَاقُوْا أَطْيَبَ مَا فِيهَا، قِيلَ: وَمَا أَطْيَبُ مَا فِيهَا؟ قَالَ: مَحَبَّةُ اللهِ، وَالأُنْسُ بِهِ، وَالشَّوْقُ إِلَى لِقَائِهِ، وَالتَّنَعُّمُ بِذِكْرِهِ وَطَاعَتِهِ.

وَقَالَ آخَرُ: مَنْ قَرَّتْ عَيْنُهُ بِاللهِ ﷻ قَرَّتْ بِهِ كُلُّ عَيْنٍ، وَمَنْ لَمْ تَقَرَّ عَيْنُهُ بِاللهِ تَقَطَّعَ قَلْبُهُ عَلَى الدُّنْيَا حَسَرَاتٍ.

فَهَؤُلَاءِ لَمَّا عَلِمُوْا أَنَّ اللهَ الخَبِيرَ المُطَّلِعَ عَلَى خَلَجَاتِ الأَنْفُسِ، وَخَوَاطِرِ القُلُوْبِ، وَخَائِنَةِ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُوْرُ؛ اسْتَقَامتْ حَيَاتُهُمْ، وَخَشَعَتْ جَوَارِحُهُمْ، وَطَابَتْ أَقْوَالُهُمْ، وَحَسُنَتْ سَرِيرَتُهُمْ.

وَالعَبْدُ المُؤْمِنُ إِذَا أَخَذَ حَظَّهُ مِنِ اسْمِ اللهِ: (الخَبِيرِ ﷻ)؛ أَصْبَحَ فِي مَعِيَّةِ اللهِ، وَإِذَا أَصْبَحَ فِي مَعِيَّتِهِ يَرْفَعُهُ وَيُطَهِّرُهُ، وَيَجْعَلُهُ مَشْغُوْلًا بِهَذِهِ المَعِيَّةِ عَنْ غَيْرِهَا، وَيَجْعَلُهُ فِي حِذْرٍ دَائِمٍ وَخَشْيَةٍ دَائِمَةٍ، وَيَكْفِيهِ اللهُ دُنْيَاهُ، وَيَجْعَلُهَا تَأْتِيهِ رَاغِمَةً، وَيَجْمَعُ شَمْلَهُ، وَيُبَارِكُ لَهُ فِي كُلِّ مَا رَزَقَهُ، وَلَا يَعْرِفُ الضِّيقُ وَالهَمُّ وَالشَّيْطَانُ إِلَيْهِ سَبِيلًا؛ لِأَنَّ اللهَ ﷻ قَالَ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢﴾ [الطَّلَاقِ:٢].

وَمَفَاتِحُ الغَيْبِ خَمْسَةٌ، لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللهُ العَلِيمُ الخَبِيرُ ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ۝٣٤﴾[لُقْمَانَ:٣٤].

وَمَا أَخْبَرَ اللهُ ﷻ عَنْ مَفَاتِحِ الغَيْبِ، وَهِيَ غَيْبِيَّةٌ مُسْتَقْبَلِيَّةٌ، وَمَا سَيَقَعُ مِنْ أَهْوَالِ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَحَالِ النَّاسِ بَيْنَ الشَّقَاءِ وَالسَّعَادَةِ: إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللهِ العَلِيمِ الخَبِيرِ؛ ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾[فَاطِر:١٤].

يَا مَن يَرَى مَا فِي الضَّمِيرِ وَيَسْمَعُ ... أَنْتَ المُعِدُّ لِكُلِّ مَا يُتَوَقَّعُ
يَا مَنْ يُرْجَى لِلشَّدَائِدِ كُلِّهَا ... يَا مِنْ إِلَيْهِ المُشْتَكَى وَالمَفْزَعُ
مَا لِي سِوَى فَقْرِي إِلَيْكَ وَسِيلَةٌ ... فَبِالِافْتِقَارِ إِلَيْكَ فَقْرِيَ أَدْفَعُ
مَا لِي سِوَى قَرْعِي لِبَابِكَ حِيلَةٌ ... فَلَئِنْ رُدِدْتُ فَأَيَّ بَابٍ أَقْرَعُ
حَاشَا لِمَجْدِكَ أَنْ تُقَنِّطَ عَاصِيًا ... فَالْفَضْلُ أَجْزَلُ وَالمَوَاهِبُ أَوْسَعُ

اللَّهُمَّ الْطُفْ بِنَا؛ يَا خَبِيرُ.. يَا عَالِمًا بِالسَّرَائِرِ وَالضَّمَائِرِ!

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ الجَنَّةَ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ، ونَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ الهُدَى وَالسَّدَادَ، وَنَسْأَلُكَ التُّقَى وَالعِفَّةَ وَالغِنَى.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنَ الخَيْرِ كُلِّهِ؛ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ؛ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَأَنْ تَجْعَلَ كُلَّ قَضَاءٍ قَضَيْتَهُ لَنَا خَيْرًا.

اللَّهُمَّ! أَصْلِحْ لَنَا دِينَنَا الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا دُنْيَانَا الَّتِي فِيهَا مَعَاشُنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا آخِرَتَنَا الَّتِي فِيهَا مَعَادُنَا، وَاجْعَلِ الحَيَاةَ زِيَادَةً لَنَا فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَالمَوْتَ رَاحَةً لَنَا مِنْ كُلِّ شَرٍّ.

اللَّهُمَّ! أَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا، وَأَلِّفْ بَيْنَ قُلُوبِنَا، وَاهْدِنَا سُبُلَ السَّلَامِ، وَأَخْرِجْنَا مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ.

اللَّهُمَّ! بَارِكْ لَنَا فِي أَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوَّاتِنَا وَأَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّتِنَا وَأَمْوَالِنَا، وَاجْعَلْنَا

مُبَارَكِيْنَ أَيْنَمَا كُنَّا.

وَآخِرُ دَعْوَانَا: أَنِ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ.

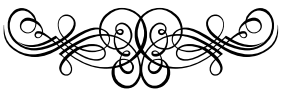

الحَلِيمُ ﷻ

إِنَّ الحَمْدَ لله؛ نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِالله مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَـهَ إِلَّا اللهُ؛ وَحْـدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ.

أَمَّا بَعْدُ:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[آلِ عِمْرَانَ: ١٠٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾﴾[النِّسَاءَ: ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾[الأَحْزَابِ: ٧٠- ٧١].

عِبَادَ الله..

جَاءَ فِي «الصَّحِيحَيْنِ» عَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ: كُنْتُ مَعَ رَسُـوْلِ الله ﷺ وَعَلَيْـهِ بُـرْدٌ نَجْـرَانِيٌّ غَلِيظُ الحَاشِيَةِ، فَأَدْرَكَهُ أَعْرَابِيٌّ؛ فَجَذَبَهُ جَذْبَةً شَدِيدَةً، فَنَظَرْتُ إِلَى صَفْحَةِ عُنُـقِ رَسُـوْلِ الله ﷺ وَقَدْ أَثَّرَتْ بِهَا حَاشِيَةُ الرِّدَاءِ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ! مُرْ لِي مِنْ مَالِ الله الَّـذِي عِنْـدَك، فَالْتَفَـتَ إِلَيْـهِ فَضَحِكَ، ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِالعَطَاءِ.

هَذَا حِلْمُ رَسُوْلِ الله ﷺ وَهُوَ بَشَرٌ؛ فَكَيْفَ بِحِلْمِ الله رَبِّ البَشَرِ ﷻ؟! وَهُـوَ القَائِـلُ عَـنْ نَفْـسِهِ: ﴿وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٦﴾﴾[التَّغَـابُنِ: ٦]، وَ﴿إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴿٤٤﴾﴾[الإِسْرَاءِ: ٤٤]، مَـا أَحْلَمَ اللهَ وَمَا أَكْرَمَهُ!

رَبُّنَا ﷻ ذُوْ الصَّفْحِ وَالأَنَاةِ؛ الَّذِي لَا يَسْتَفِزُّهُ غَضَبٌ، وَلَا يَسْتَخِفُّهُ جَهْلُ جَاهِلٍ، وَلَا عِصْيَانُ عَاصٍ، لَا يَعْجَلُ عَلَى عِبَادِهِ بِعُقُوْبَتِهِمْ عَلَى شِرْكِهِمْ وَكُفْرِهِمْ بِهِ، وَعَلَى كَثْرَةِ ذُنُوْبِهِمْ.

فَمَنْ أَعْظَمُ مِنْهُ حِلْمًا؟! الخَلَائِقُ لَهُ عَاصُوْنَ؛ وَهُوَ لَهُمْ مُرَاقِبٌ، يَكْلَؤُهُمْ فِي مَضَاجِعِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَمْ يَعْصُوْهُ، وَيَتَوَلَّى حِفْظَهُمْ كَأَنَّهُمْ لَمْ يُذْنِبُوْا، يَجُوْدُ بِالفَضْلِ عَلَى العَاصِي، وَيَتَفَضَّلُ عَلَى المُسِيْءِ.

يَقُوْمُ المُضْطَرُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُوَ عَاصٍ وَمُذْنِبٌ؛ فَيَسْتَجِيبُ لَهُ، وَيَسْأَلُهُ فَيُعْطِيهِ، ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾﴾[العَنْكَبُوْت: ٦٥].

لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مَا أَحْلَمَهُ! فَهُوَ ذُوْ الفَضْلِ وَمِنْهُ الفَضْلُ، وَهُوَ الجَوَادُ وَمِنْهُ الجُوْدُ، وَهُوَ الحَلِيمُ وَمِنْهُ الحِلْمُ.

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ» عَنْ أَبِي مُوْسَى الأَشْعَرِيِّ ﷺ، عَنْ رَسُوْلِ الله ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَا أَحَدٌ أَصْبَرَ عَلَى أَذًى يَسْمَعُهُ مِنَ الله -تَعَالَى-؛ إِنَّهُمْ يَجْعَلُونَ لَهُ نِدًّا وَيَجْعَلُونَ لَهُ وَلَدًا، وَهُوَ -مَعَ ذَلِكَ- يَرْزُقُهُمْ، وَيُعَافِيهِمْ، وَيُعْطِيهِمْ!»[هَذَا لَفْظُ مُسْلِمٍ].

أَلَمْ يَتَجَرَّإِ اليَهُوْدُ -كَعَادَتِهِمْ- فِي قِلَّةِ الحَيَاءِ، وَسُوْءِ الأَدَبِ، وَشَنَاعَةِ الأَعْمَالِ، وَوَقَاحَةِ الأَقْوَالِ؛ فَقَالُوْا: إِنَّ عُزَيْرًا ابْنُ الله؟! أَلَمْ يَقُوْلُوْا: إِنَّ اللهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ؟! أَلَمْ يَقُوْلُوْا: إِنَّ اللهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ؟! أَلَمْ يَقُوْلُوْا: يَدُ الله مَغْلُوْلَةٌ؟! أَلَمْ يَقْتُلُوْا الأَنْبِيَاءَ؟

وَهَذَا غَيْضٌ مِنْ فَيْضٍ! وَمَعَ هَذَا -كُلِّهِ- نَادَاهُمُ اللهُ ﷻ: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾﴾[المَائِدَة: ٧٤].

فَسُبْحَانَ الله الحَلِيمِ! يَخْلُقُ وَيُعْبَدُ غَيْرُهُ، وَيَرْزُقُ وَيُشْكَرُ سِوَاهُ، خَيْرُهُ لِلْعِبَادِ نَازِلٌ وَشَرُّهُمْ إِلَيْهِ صَاعِدٌ، يَتَحَبَّبُ إِلَيْهِمْ بِالنِّعَمِ وَهُوَ غَنِيٌّ عَنْهُمْ، وَيَتَبَغَّضُوْنَ إِلَيْهِ بِالمَعَاصِي وَهُمْ أَفْقَرُ شَيْءٍ

إِلَيْهِ، ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾ ﴾[النَّحْلِ:٦١]، ﴿ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا۟ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ ۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا۟ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ﴿٥٨﴾ ﴾ [الكَهْفِ:٥٨].

فَتَحَ اللهُ بَابَ الرَّجَاءِ وَعَدَمَ اليَأْسِ مِنْ رَحْمَتِهِ، وَأَمَرَ بِالتَّوْبَةِ؛ لِذَا اقْتَرَنَ اسْمُهُ: (الحَلِيمُ ﷻ) بِاسْمِهِ: (الغَفُوْرِ ﷻ) فِي أَكْثَرِ مِنْ آيَةٍ: ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾ ﴾[البَقَرَةِ:٢٢٥]، وَقَالَ ﷻ: ﴿غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾ ﴾[البَقَرَةِ:٢٣٥]، وَقَالَ ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾ ﴾[آلِ عِمْرَانَ:١٥٥]، وَقَالَ ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ﴾[المَائِدَةِ:١٠١].

وَهُوَ الحَلِيمُ فَلَا يُعَاجِلُ عَبْدَهُ
بِعُقُوْبَةٍ لِيَتُوْبَ مِنْ عِصْيَانِ

مَا أَحْلَمَ اللَّهَ!

فَكَمْ مِنْ زَلَّةٍ سَتَرَهَا اللهُ عَلَيْكَ؟! وَكَمْ مِنْ ذَنْبٍ لَمْ يُؤَاخِذْكَ بِهِ؟! وَكَمْ مِنْ مَعْصِيَةٍ ارْتَكَبْتَهَا؛ وَهُوَ يُنَادِيكَ -وَهُوَ الغَنِيُّ عَنْكَ-: ﴿ ۞ نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ ﴾ [الحِجْرِ:٤٩].

وَلَكِنْ اِحْذَرْ مِنْ غَضَبِهِ ﷻ؛ لِأَنَّ الحَلِيمَ إِذَا غَضِبَ لَمْ يَقِفْ لِغَضَبِهِ شَيْءٌ، وَحِلْمُهُ ﷻ صَادِرٌ عَنْ قُوَّةٍ وَقُدْرَةٍ، وَاللهُ الحَلِيمُ لَا يَغْضَبُ إِلَّا عَلَى مَنْ لَا يَسْتَحِقُّ الرَّحْمَةَ، وَلَا يَصْلُحُ فِي حَقِّهِ الحِلْمُ؛ وَذَلِكَ بَعْدَ أَنْ يُعْطِي المُهْلَةَ وَالوَقْتَ الكَافِي لِيَتُوْبَ وَيُهْدَى؛ فَلَمْ يَسْتَجِبْ.

أَلَمْ تَسْمَعْ قَوْلَهُ ﷻ: ﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [الزُّخْرُفِ:٥٥]، وَقَوْلَهُ ﷻ: ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١١﴾ ﴾[آلِ عِمْرَانَ:١١].

وَقَدْ يَحْلُمُ اللهُ عَلَى الكُفَّارِ وَيَرْزُقُهُمْ، وَلَا يَأْخُذُهُمْ بِعُقُوبَةٍ فِي الدُّنْيَا؛ لَكِنَّهُ ﷻ لَا يَتَأَنَّى بِهِمْ فِي الآخِرَةِ، وَلَا يَصْفَحُ عَنْهُمْ؛ بَلْ تَسُوقُهُمُ المَلَائِكَةُ إِلَى النَّارِ؛ فَلَا يُقْبَلُ لَهُمْ رَجَاءٌ، وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ العَذَابُ، ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾﴾[مَرْيَمَ:٦٨-٦٩]، ﴿يَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٤﴾﴾[العَنْكَبُوتِ:٥٤].

اللَّهُمَّ قِنَا عَذَابَكَ يَوْمَ تَبْعَثُ عِبَادَكَ؛ يَا رَبَّ العَالَمِينَ!

أَقُولُ قَولِي هَذَا، وَأَستَغْفِرُ اللهَ لِي وَلَكُمْ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرُوهُ؛ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ:

الحَمْدُ للهِ حَمْدًا طَيِّبًا كَثِيرًا مُبَارَكًا فِيهِ كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنِ اهْتَدَى بِهُدَاهُمْ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

عِبَادَ اللهِ..

العَبْدُ يُجَاهِدُ نَفْسَهُ بِالتَّخَلُّقِ بِهَذَا الخُلُقِ الكَرِيمِ؛ أَلَا وَهُوَ: صِفَةُ (الحِلْمِ)، فَهُوَ ﷻ (حَلِيمٌ) يُحِبُّ مِنْ عِبَادِهِ الحُلَمَاءَ، كَرِيمٌ يُحِبُّ الكُرَمَاءَ.

أَلَا إِنَّ حِلْمَ المَرْءِ أَكْبَرُ نِسْبَةٍ ... يُسَامِي بِهَا عِنْدَ الفَخَارِ كَرِيمُ

فَيَا رَبِّ هَبْ لِي مِنْكَ حِلْمًا فَإِنَّنِي ... أَرَى الحِلْمَ لَمْ يَنْدَمْ عَلَيْهِ حَلِيمُ

وَقَدْ أَثْنَى اللهُ ﷻ عَلَى نَبِيِّهِ إِبْرَاهِيمَ الخَلِيلِ عليه السلام بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾﴾[هُوْدٍ:٧٥]، وَهِيَ مِنْ صِفَاتِ إِسْمَاعِيلَ عليه السلام: ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾[الصَّافَّاتِ:١٠١].

وَلِنَبِيِّنَا ﷺ النَّصِيبُ الأَوْفَرُ مِنْ هَذَا الخُلُقِ؛ فَقَدْ جَاءَ فِي «الصَّحِيحَيْنِ» مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: بَالَ أَعْرَابِيٌّ فِي المَسْجِدِ؛ فَقَامَ النَّاسُ إِلَيْهِ لِيَقَعُوا فِيهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «دَعُوهُ!

وَهَرِيقُوا عَلَى بَوْلِهِ سَجْلًا مِنْ مَاءٍ، -أَوْ ذَنُوبًا مِنْ مَاءٍ-، فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ، وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ»[هَذَا لَفْظُ البُخَارِيِّ].

وَمَدَحَ النَّبِيُّ ﷺ الأَشَجَّ بْنَ عَبْدِ القَيْسِ بِقَوْلِهِ: «إِنَّ فِيكَ لَخَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ: الحِلْمُ، وَالأَنَاةُ»[أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ].

قَالَ أَكْثَمُ بْنُ صَيفِيٍّ رحمه الله: "دِعَامَةُ العَقْلِ: الحِلْمُ، وَجِمَاعُ الأَمْرِ: الصَّبْرُ، وَخَيْرُ الأُمُورِ: مَغَبَّةُ العَقْلِ، وَيُقَالُ: المَوَدَّةُ وَالتَّعَاهُدُ".

وَرُوِيَ عَنْ مَيْمُونِ بْنِ مِهْرَانَ: "أَنَّ جَارِيَتَهُ جَاءَتْ ذَاتَ يَوْمٍ بِصَحْفَةٍ فِيهَا مَرَقَةٌ حَارَّةٌ، وَعِنْدَهُ أَضْيَافٌ، فَعَثَرَتْ؛ فَصَبَّتِ المَرَقَةَ عَلَيْهِ، فَأَرَادَ مَيْمُونٌ أَنْ يَضْرِبَهَا، فَقَالَتِ الجَارِيَةُ: يَا مَوْلَايَ! اسْتَعْمِلْ قَوْلَ اللهِ ﷻ: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ﴾، قَالَ لَهَا: قَدْ فَعَلْتُ، فَقَالَتْ: اعْمَلْ بِمَا بَعْدَهُ: ﴿وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾، فَقَالَ: قَدْ عَفَوْتُ عَنْكِ، فَقَالَتِ الجَارِيَةُ: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾[آلِ عِمْرَانَ: ١٣٤]، قَالَ: قَدْ أَحْسَنْتُ إِلَيْكِ، فَأَنْتِ حُرَّةٌ لِوَجْهِ اللهِ ﷻ".

إِذَا حَلَّتْ بِكَ مِحْنَةٌ أَوْ بَلَاءٌ؛ فَادْعُ اللهَ وَضَمِّنْ اسْمَ (الحَلِيمِ) فِي دُعَائِكَ؛ فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَدْعُوْهُ عِنْدَ الكَرْبِ بِهَذَا الدُّعَاءِ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ العَظِيمُ الحَلِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ رَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَرَبُّ الأَرْضِ، وَرَبُّ العَرْشِ الكَرِيمِ»[أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ].

اللَّهُمَّ! كَمَا حَلِمْتَ عَلَى عِبَادِكَ فَاجْعَلْ حِلْمَكَ عَلَيْنَا سَعَادَةً فِي الدَّارَيْنِ.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ الجَنَّةَ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ، ونَعُوْذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ الهُدَى وَالسَّدَادَ، وَنَسْأَلُكَ التُّقَى وَالعِفَّةَ وَالغِنَى.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنَ الخَيْرِ كُلِّهِ؛ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ

الشَّرِّ كُلِّهِ؛ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَأَنْ تَجْعَلَ كُلَّ قَضَاءٍ قَضَيْتَهُ لَنَا خَيْرًا.

اللَّهُمَّ! أَصْلِحْ لَنَا دِيْنَنَا الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا دُنْيَانَا الَّتِي فِيهَا مَعَاشُنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا آخِرَتَنَا الَّتِي فِيهَا مَعَادُنَا، وَاجْعَلِ الحَيَاةَ زِيَادَةً لَنَا فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَالمَوْتَ رَاحَةً لَنَا مِنْ كُلِّ شَرٍّ.

اللَّهُمَّ! أَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا، وَأَلِّفْ بَيْنَ قُلُوْبِنَا، وَاهْدِنَا سُبَلَ السَّلَامِ، وَأَخْرِجْنَا مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوْرِ.

اللَّهُمَّ! بَارِكْ لَنَا فِي أَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوَّاتِنَا وَأَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّتِنَا وَأَمْوَالِنَا، وَاجْعَلْنَا مُبَارَكِيْنَ أَيْنَمَا كُنَّا.

وَآخِرُ دَعْوَانَا: أَنِ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ.

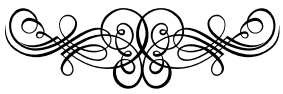

الرُّؤُوفُ ﷻ

إِنَّ الحَمْدَ لله؛ نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِالله مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَـهَ إِلَّا اللهُ؛ وَحْـدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ.

أَمَّا بَعْدُ:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[آلِ عِمْرَانَ: ١٠٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾﴾[النِّسَاءَ: ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾[الأَحْزَابِ: ٧٠- ٧١].

عِبَادَ الله..

جَاءَ فِي «الصَّحِيحَيْنِ» عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «أَسْرَفَ رَجُلٌ عَلَى نَفْسِهِ، فَلَمَّا حَضَرَهُ المَوْتُ أَوْصَى بَنِيهِ؛ فَقَالَ: إِذَا أَنَا مِتُّ فَأَحْرِقُونِي، ثُمَّ اسْحَقُونِي، ثُمَّ اذْرُونِي فِي الرِّيحِ فِي البَحْـرِ، فَـوَاللهِ! لَئِنْ قَدَرَ عَلَيَّ رَبِّي لَيُعَذِّبَنِّي عَذَابًا مَا عَذَّبَهُ أَحَدًا.

فَفَعَلُوا ذَلِكَ بِهِ، فَقَالَ لِلْأَرْضِ: أَدِّي مَا أَخَذْتِ، فَإِذَا هُوَ قَائِمٌ، فَقَالَ لَهُ: مَا حَمَلَكَ عَلَى مَـا صَنَعْتَ؟ فَقَالَ: خَشْيَتُكَ، يَا رَبِّ -أَوْ قَالَ: مَخَافَتُكَ- فَغَفَرَ لَهُ بِذَلِكَ»[هَذَا لَفْظُ مُسْلِمٍ].

وَاللهُ ﷻ بَشَّرَ عِبَادَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿٧﴾﴾[النَّحْلِ: ٧].

فَرَبُّنَا ﷻ وَصَفَ نَفْسَهُ بِالرَّؤُوْفِ، وَالرَّأْفَةُ: أَشَدُّ الرَّحْمَةِ وَأَبْلَغُهَا.

وَرَبُّنَا ﷻ الَّذِي خَلَقَ الإِنْسَانَ وَحَفِظَهُ وَرَحِمَهُ، وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ، وَسَخَّرَ لَهُ الكَوْنَ كُلَّهُ، وَدَفَعَ السُّوْءَ عَنْهُ، وَجَلَبَ لَهُ الخَيْرَاتِ؛ فَهَذَا مِنْ إِحْسَانِهِ وَكَرَمِهِ.

بَلْ مِنْ رَأْفَتِهِ ﷻ: أَنَّهُ يَقْبَلُ طَاعَةَ الطَّائِعِينَ مَهْمَا صَغُرتْ، وَأَنَّهُ يَحْفَظُ إِيمَانَ مَنْ آمَنَ بِهِ فَلَا يُضِيِّعُهُ، وَهَذَا مِنْ رَأْفَتِهِ ﷻ بِأَوْلِيَائِهِ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾﴾[البَقَرَة:١٤٣].

وَمِنْ جَلَالِ رَأْفَتِهِ ﷻ: أَنْ حَذَّرَ عِبَادَهُ وَرَغَّبَهُمْ وَرَهَّبَهُمْ، وَوَعَدَهُمْ وَأَوْعَدَهُمْ؛ رَأْفَةً بِهِمْ، وَمُرَاعَاةً لِصَلَاحِهِمْ وَمَصَالِحِهِمْ، ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾﴾[آلِ عِمْرَانَ:٣٠].

وَمِنْ دَلَائِلِ رَأْفَتِهِ ﷻ: أَنَّهُ أَنْزَلَ الكِتَابَ عَلَى رَسُوْلِهِ لِيُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوْرِ بِإِذْنِهِ، قَالَ ﷻ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٩﴾﴾[الحَدِيد:٩].

وَمِنْ دَلَائِلِ رَأْفَتِهِ ﷻ: أَنْ سَخَّرَ لَنَا وَسَائِلَ النَّقْلِ؛ كَالخَيْلِ وَالبِغَالِ وَالحَمِيرِ قَدِيمًا، وَالسَّيَّارَاتِ وَالطَّائِرَاتِ وَالقِطَارَاتِ وَغَيْرِهَا حَدِيثًا، فَاللهُ ﷻ قَدْ قَالَ: ﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾﴾[النَّحْلِ:٧].

وَمِنْ جَلَالِ رَأْفَتِهِ ﷻ: أَنَّ مَا اشْتَرَاهُ مِنَ العِبَادِ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ إِنَّمَا هُوَ خَالِصُ مُلْكِهِ، ثُمَّ إِنَّهُ ﷻ يَشْتَرِي مِنْهُمْ مُلْكَهُ الخَالِصَ بِمَا لَا يُعَدُّ وَلَا يُحْصَى، قَالَ ﷻ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾﴾[البَقَرَة:٢٠٧].

وَمِنْ جَلَالِ رَأْفَتِهِ ﷻ: أَنَّهُ يُجِيبُ دُعَاءَ أَوْلِيَائِهِ، قَالَ ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟

رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾[الحَشْرِ:١٠].

وَمِنْ جَلَالِ رَأْفَتِهِ ﷻ: أَنَّهُ نَصَبَ الحُدُوْدَ الزَّاجِرَةَ عَنِ الحُدُوْدِ الحَامِلَةِ عَلَى التَّقْوَى، فَإِنَّ الرَّأْفَةَ تُقِيمُ المَرْؤُوْفَ بِهِ؛ لِأَنَّها أَلْطَفُ الرَّحْمَةِ وَأَبْلَغُهَا، قَالَ ﷻ: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾﴾[النُّوْرِ:٢٠].

وَمِنْ دَلَائِلِ رَأْفَتِهِ ﷻ: إِمْهَالُهُ لِلْكَافِرِينَ وَالعَاصِينَ مِنْ أَنْ يَأْخُذَهُمْ بِالعَذَابِ عَلَى غِرَّةٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُوْنَ، بَلْ يُمْهِلُهُمْ، وَيُعَافِيهِمْ، وَيَرْزُقُهُمْ، قَالَ ﷻ: ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾﴾[النَّحْلِ:٤٧].

وَمِنْ دَلَائِلِ رَأْفَتِهِ ﷻ: أَنَّهُ يُمْسِكُ ﴿ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾﴾[الحَجِّ:٦٥].

وَهَذِهِ رِسَالَةٌ إِلَى..

إِلَى كُلِّ مَنْ أَدْرَكَهُ الفَقْرُ، وَتَغَشَّاهُ الكَرْبُ، وَتَغَيَّرَتْ مَلَامِحُهُ، وَانْكَسَرَ قَلْبُهُ.

إِلَى مَنْ أَثْقَلَهُ الدَّيْنُ، وَحَارَ فِكْرُهُ، وَتَشَتَّتَ ذِهْنُهُ.

إِلَى مَنْ أَهْلَكَتْهُ الأَوْجَاعُ، وَأَتْعَبَتْهُ الآلَامُ، وَضَاقَتْ بِهِ الدُّنْيَا، وَعَجَزَ الأَطِبَّاءُ عَنْهُ، وَأُغْلِقَ البَابُ دُوْنَهُ.

إِلَى مَنْ حَمَلَ الهَمَّ، وَغَشِيَهُ الغَمُّ، حَتَّى ضَاقَتْ عَلَيْهِ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ.

إِلَى مَنْ غَابَ ابْنُهُ، وَسَافَرَ حَبِيبُهُ، وَغَادَرَ صَدِيقُهُ؛ فَضَاقَتْ نَفْسُهُ، وَرَجَفَ قَلْبُهُ؛ فَأَصْبَحَ الوَرْدُ شَوْكًا، وَالعَالَمُ الجَمِيلُ كَئِيبًا..

تَذَكَّرْ هُنَا قَوْلَهُ ﷻ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾﴾[النَّحْلِ:٧]، وَرَدِّدْ: ﴿وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾﴾[البَقَرَةِ:٢٠٧]، وَنَادِ: يَا رَؤُوْفُ! اِرْأَفْ بِحَالِي، وَارْحَمْ ضَعْفِي، وَفَرِّجْ هَمِّي، وَاكْشِفْ السُّوْءَ عَنِّي.

هُنَا؛ انْتَظِرِ الفَرَجَ؛ فَاللهُ ﷻ قَالَ: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾[النَّمْل:٦٢].

إِنَّهُ الرَّؤُوْفُ الرَّحِيمُ ﷻ، فَمَا أَعْظَمَ شَأْنَهُ! وَأَعْلَى مَكَانَهُ! وَأَقْرَبَهُ مِنْ خَلْقِهِ! وَأَلْطَفَهُ بِعِبَادِهِ!

فَإِذَا رَأَيْتَ الحَبْلَ يَشْتَدُّ؛ فَاعْلَمْ أَنَّهُ سَيَنْقَطِعُ، وَإِذَا اشْتَدَّ الظَّلَامُ؛ فَأَبْشِرْ بِصُبْحٍ قَرِيبٍ.

لَا تَضِقْ ذَرْعًا مَعَ الرَّبِّ الكَرِيمِ الفَتَّاحِ ﷻ، فَمِنَ المُحَالِ دَوَامُ الحَالِ، وَأَفْضَلُ العِبَادَةِ: انْتِظَارُ الفَرَجِ، وَالأَيَّامُ دُوَلٌ، وَالدَّهْرُ قُلَّبٌ، وَاللَّيَالِي حُبَالَى، وَالغَيْبُ مَسْتُوْرٌ، وَالرَّؤُوْفُ قَالَ: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٢٩﴾﴾[الرَّحْمَن:٢٩]، وَقَالَ ﷻ: ﴿لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾﴾ [الطَّلَاق:١]، وَالبَرُّ ﷻ قَالَ: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾﴾[الشَّرح:٥-٦].

اللَّهُمَّ اجْعَلْ لَنَا مِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرَجًا، وَمِنْ كُلِّ ضِيْقٍ مَخْرَجًا.

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَأَستَغْفِرُ اللهَ لِي وَلَكُمْ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرُوهُ؛ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ:

الحَمْدُ للهِ حَمْدًا طَيِّبًا كَثِيرًا مُبَارَكًا فِيهِ كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنِ اهْتَدَى بِهُدَاهُمْ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

عِبَادَ الله..

قَدْ سَمَّى اللهُ ﷻ رَسُوْلَهُ ﷺ بِهَذَا الاسْمِ؛ فَقَالَ ﷻ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التَّوْبَة:١٢٨]، أَيْ: شَدِيدُ الرَّأْفَةِ وَالرَّحْمَةِ بِالمُؤْمِنِينَ، أَرْحَمُ بِهِمْ مَنْ وَالِدِيهِمْ.

وَلِذَا؛ كَانَ حَقُّهُ مُقَدَّمًا عَلَى سَائِرِ حُقُوْقِ الخَلْقِ، وَوَاجِبًا عَلَى الأُمَّةِ الإِيمَانُ بِهِ وَتَعْظِيمُهُ وَتَوْقِيرُهُ وَتَعْزِيرُهُ.

وَكَانَ مِنْ رَأْفَتِهِ ﷺ بِأُمَّتِهِ أَنَّهُ: مَا خُيِّرَ بَيْنَ أَمْرَينِ إِلَّا اخْتَار أَيْسَرَهُمَا؛ مَا لَمْ يكُنْ إِثمًا، وَمَا انْتَقَمَ لِنَفْسِهِ؛ إِلَّا أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ الله ﷻ، وَكَانَ يَدْخُلُ فِي الصَّلَاةِ وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يُطَوِّلُ فِيهَا، فَيَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ؛ فَيَتَجَوَّزُ فِي صَلَاتِهِ؛ كَرَاهِيَةَ أَنْ يَشُقَّ عَلَى أُمِّهِ.

يَقُوْمُ النَّبِيُّ ﷺ اللَّيْلَ كُلَّهُ فِي آيَةٍ: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾[المَائِدَة:١١٨]، فَيُخْبِرُهُ رَبُّهُ ﷻ الرَّؤُوْفُ أَنَّنَا سَنُرْضِيكَ فِي أُمَّتِكَ.

وَالمُؤْمِنُ يَرْأَفُ بِنَفْسِهِ فَيَسْلُكُ بِهَا إِلَى مَسَالِكِ النَّجَاةِ، ويَقِيهَا مَوَارِدَ المَهَالِكِ، وَكَذَلِكَ هُوَ مَعَ غَيْرِهِ.

إِلَهِي! تَرَى حَالِي وَفَقْرِي وَفَاقَتِي
وَأَنْتَ مُنَاجَاتِي الخَفِيَّةَ تَسْمَعُ

إِلَهِي! أَذِقْنِي طَعْمَ عَفْوِكَ يَوْمَ لا
بَنُوْنَ وَلَا مَالٌ هَنَالِكَ يَنْفَعُ

إِلَهِي! لَئِنْ أَخْطَأْتُ جَهْلًا فَطَالَمَا
رَجَوْتُكَ حَتَّى قِيلَ مَا هُوَ يَجْزَعُ

إِلَهِي! ذُنُوْبِي جَازَتِ الطَّودَ وَاعْتَلَتْ
وَصَفْحُكَ عَنْ ذَنْبِي أَجَلُّ وَأَوسَعُ

إِلَهِي! لَئِنْ أَقْصَيْتَنِي أَوْ طَرَدْتَنِي
فَمَا حِيلَتِي يَارَبِّ أَمْ كَيْفَ أَصْنَعُ؟

إِلَهِي! يُمَنِّينِي رَجَائِي سَلَامَةً
وَقُبْحُ خَطِيئَاتِي عَلَيَّ يُشَنِّعُ

إِلَهِـي! فَأَنْـشِرْنِي عَـلَى دِيـنِ أَحْمَـدٍ

مُنِيبًـا تَقِيًّـا قَانِتًـا لَـكَ أَخْـضَعُ

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ يَا رَؤُوْفُ! أَنْ تُدْخِلَنَا جَنَّتَكَ، وَتُعِيذَنَا مِنْ نَارِكَ.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ الجَنَّةَ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ، ونَعَوْذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ الهُدَى وَالسَّدَادَ، وَنَسْأَلُكَ التُّقَى وَالعِفَّةَ وَالغِنَى.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنَ الخَيْرِ كُلِّهِ؛ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ؛ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَأَنْ تَجْعَلَ كُلَّ قَضَاءٍ قَضَيْتَهُ لَنَا خَيْرًا.

اللَّهُمَّ! أَصْلِحْ لَنَا دِيْنَنَا الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا دُنْيَانَا الَّتِي فِيهَا مَعَاشُنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا آخِرَتَنَا الَّتِي فِيهَا مَعَادُنَا، وَاجْعَلِ الحَيَاةَ زِيَادَةً لَنَا فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَالمَوْتَ رَاحَةً لَنَا مِنْ كُلِّ شَرٍّ.

اللَّهُمَّ! أَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا، وَأَلِّفْ بَيْنَ قُلُوْبِنَا، وَاهْدِنَا سُبَلَ السَّلَامِ، وَأَخْرِجْنَا مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوْرِ.

اللَّهُمَّ! بَارِكْ لَنَا فِي أَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوَّاتِنَا وَأَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّتِنَا وَأَمْوَالِنَا، وَاجْعَلْنَا مُبَارَكِيْنَ أَيْنَمَا كُنَّا.

وَآخِرُ دَعْوَانَا: أَنِ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ.

البَرُّ ﷻ

إِنَّ الحَمْدَ لله؛ نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِالله مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَـهَ إِلَّا اللهُ؛ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ.

أَمَّا بَعْدُ:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[آلِ عِمْرَانَ: ١٠٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾﴾[النِّسَاءَ: ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾[الأَحْزَابِ: ٧٠- ٧١].

عِبَادَ الله..

حَدِيثُنَا هَذَا اليَوْمَ عَنِ اسْمِ: (البَرِّ ﷻ).

قَالَ اللهُ ﷻ عَنْ نَفْسِهِ: ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبۡلُ نَدۡعُوهُۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾﴾[الطُّوْرِ: ٢٨].

فَرَبُّنَا ﷻ العَطُوْفُ عَلَى عِبَادِهِ، الرَّحِيمُ الرَّفِيقُ بِهِمْ، المُصْلِحُ لِأَحْوَالِهِمْ، وَشُؤُوْنِهِمْ الدُّنْيَوِيَّةِ وَالشَّرْعِيَّةِ.

وَمِنْ كَمَالِ بِرِّهِ ﷻ: أَنَّهُ يَبَرُّ بِالمُحْسِنِ فِي مُضَاعَفَةِ الثَّوَابِ، وَيَبَرُّ بِالمُسِيءِ فِي الصَّفْحِ وَالتَّجَاوِزِ عَنْهُ.

وَرَبُّنَا البَـرُّ اللَّطِيفُ بِعِبَادِهِ؛ يُرِيدُ بِهِمُ اليُسْرَ وَلَا يُرِيـدُ بِهِـمُ العُـسْرَ، يَعْفُـوْ عَـنْ كَثِـيرٍ مِـنْ سَيِّئَاتِهِمْ، وَلَا يُؤَاخِذُهُمْ بِجَمِيعِ جِنَايَاتِهِمْ، يَجْزِيهِمُ الحَسَنَةَ بِعَـشْرَةِ أَمْثَالِهَـا وَزِيَـادَةٍ، وَلَا يَجْـزِي بِالسَّيِّئَةِ إِلَّا مِثْلَهَا.

وَهُوَ البَـرُّ بِأَوْلِيَائِهِ؛ إِذْ خَصَّهَمْ بِوِلَايَتِهِ، وَاصْطَفَاهُمْ لِعِبَادَتِهِ، وَيَـدْفَعُ عَـنْهُمْ جَمِيـعَ أَنْـوَاعِ الشُّرُوْرِ وَالسَّيِّئَاتِ وَالمُلِمَّاتِ.

وَتَتَجَلَّى سِعَةُ بِرِّهِ فِيمَا أَعَدَّهُ لِأَوْلِيَائِـهِ فِي دَارِ خُلْـدِهِ؛ يَتَنَعَّمُـوْنَ بِجِـوَارِهِ فِي بَحْبُوْحَـةِ دَارِهِ، يَقُوْلُوْنَ وَهُـمْ فِيهَـا فَـاكِهُونَ: ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾﴾[الطُّـوْرِ: ٢٨].

وَالـــبِرُّ فِي أَوْصَـــافِهِ سُـــبْحَانَهُ
هُـوَ كَثْـرَةُ الخَـيْرَاتِ وَالإِحْـسَانِ
صَدَرَتْ عَنِ البِرِّ الَّذِي هُـوَ وَصْـفُهُ
فَـــالبِرُّ حِينَئِـــذٍ لَـــهُ نَوْعَـــانِ
وَصْـفٌ وَفِعْـلٌ، فَهُـوَ بَـرٌّ مُحْسِنٌ
مُـوْلِي الجَمِيـلِ وَدَائِـمُ الإِحْـسَانِ

فَاللهُ ﷻ هُوَ: البَرَّ بِعِبَادِهِ، العَطُوْفُ عَلَيْهِمْ، المُحْسِنُ إِلَيْهِمْ، يُوْسِعُهُمْ خَيْرًا وَكَرَمًا وَفَـضْلًا وَشُكْرًا وَإِجَابَةً؛ ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾[لُقْمَانَ: ٢٠].

يَقُوْلُ عَوْنُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُتْبَةَ: "الخَيْرُ مِـنَ اللهِ كَثِـيرٌ؛ وَلَكِـنْ لَا يُبْـصِرُهُ مِـنَ النَّـاسِ إِلَّا اليَسِيرُ، وَهُوَ لِلنَّاسِ مِنَ اللهِ مَعْرُوْضٌ؛ وَلَكِنْ لَا يُبْصِرُهُ مِنَ النَّاسِ مَنْ لَا يَنْظُرُ إِلَيْـهِ، وَلَا يَجِـدُهُ مَنْ لَا يَبْتَغِيهِ، وَلَا يَسْتَوْجِبُهُ مَنْ لَا يَعْلَمُ بِهِ... أَلَمْ تَرَوْا إِلَى كَثْرَةِ نُجُوْمِ السَّمَاءِ؟ فَإِنَّهُ لَا يَهْتَدِي بِهَـا إِلَّا العُلَمَاءُ".

سَخَّرَ اللهُ ﷻ الكَوْنَ لِهَذَا المَخْلُوْقِ الضَّعِيفِ، أَمَّا قَرَأْتَ قَوْلَهُ ﷻ: ﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾[الإِسْرَاءِ: ٧٠]، ﴿ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِيَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾﴾[الجَاثِيَةِ: ١٢]؟

والكُلُّ قَدْ أُقِيمَ فِي خِدْمَتِكَ؛ فالمَلَائِكَةُ الَّذِينَ هُمْ حَمَلَةُ عَرْشِ الرَّحْمَنِ وَمَنْ حَوْلَهُ؛ يَسْتَغْفِرُوْنَ لَكَ!

وَالمَلَائِكَةُ المُوَكَّلُوْنَ بِكَ يَحْفَظُوْنَكَ، وَالمُوَكَّلُوْنَ بِالقَطْرِ وَالنَّبَاتِ يَسْعَوْنَ فِي رِزْقِكَ وَيَعْمَلُوْنَ فِيهِ.

الأَفْلَاكُ سُخِّرَتْ مُنْقَادَةً دَائِرَةً بِمَا فِيهِ مَصَالِحُكَ، وَالشَّمْسُ وَالقَمَرُ وَالنُّجُوْمُ مُسَخَّرَاتٍ جَارِيَاتٍ بِحِسَابِ أَزْمِنَتِكَ وَأَوْقَاتِكَ، وَإِصْلَاحِ رَوَاتِبِ أَقْوَاتِكَ.

وَالعَالَمُ السُّفْلِيُّ كُلُّهُ مُسَخَّرٌ لَكَ؛ الأَرْضُ وَالجِبَالُ وَالبِحَارُ وَالشَّجَرُ وَالثَّمَرُ وَالنَّبَاتُ وَالدَّوَابُّ.. كُلُّ مَا فِيهِ لَكَ؛ ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾﴾[الجَاثِيَةِ: ١٣].

وَمِنْ إِحْسَانِهِ ﷻ: يَسَّرَ لَكَ الطَّرِيقَ إِلَيْهِ؛ فَيَسَّرَ شَرِيعَتَهِ عَلَيْكَ، وَجَعَلَهَا سَمْحَةً، وَنَفَى عَنْهَا الحَرَجَ، وَلَمْ يُكَلِّفْكَ مَا لَا تُطِيقُ: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[الحَجِّ: ٧٨]، ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾[البَقَرَةِ: ٢٨٦]، ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾﴾ [القَمَرِ: ١٧].

وَمِنْ بِرِّهِ بِكَ: أَنَّهُ ﷻ يَتَقَبَّلُ القَلِيلَ مِنْكَ، وَيُثِيبُ عَلَيْهِ الكَثِيرَ، وَيَعْفُوْ عَنْ كَثِيرٍ مِنَ السَّيِّئَاتِ.

وَيَكْفِيكَ هَذَا الحَدِيثُ العَظِيمُ؛ الَّذِي قَالَ النَّبِيُّ ﷺ فِيهِ: «إِنَّ اللهَ كَتَبَ الحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ، ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ:

فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا؛ كَتَبَهَا اللهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا؛ كَتَبَهَا اللهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ، إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ.

وَإِنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا؛ كَتَبَهَا اللهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا؛ كَتَبَهَا اللهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً»[أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ].

وَمِنْ بِرِّهِ ﷻ بِكَ: أَنَّكَ إِذَا أَذْنَبْتَ لَمْ يَفْضَحْكَ؛ بَلْ وَفَتَحَ لَكَ أَبْوَابَ التَّوْبَةِ: ﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾[الزُّمَر:٥٣]، وَصَحَّ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «قَالَ اللهُ ﷻ: يَا ابْنَ آدَمَ! إِنَّكَ مَا دَعَوتَنِي وَرَجَوتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْكَ وَلَا أُبَالِي.

يَا ابْنَ آدَمَ! لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ استَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ وَلَا أُبَالِي.

يَا ابْنَ آدَمَ! إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغفِرَةً»[حَدِيثٌ صَحِيحٌ. رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ].

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْتَغْفِرُكَ؛ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ!

أَقُولُ قَولِي هَذَا، وَأَستَغْفِرُ اللهَ لِي وَلَكُمْ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرُوهُ؛ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ:

الحَمْدُ للهِ حَمْدًا طَيِّبًا كَثِيرًا مُبَارَكًا فِيهِ كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنِ اهْتَدَى بِهُدَاهُمْ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

عِبَادَ اللهِ..

وَمَعَ عَظِيمِ بِرِّهِ بِعِبَادِهِ: أَنَّهُ ﷻ -مَعَ كَمَالِ غِنَاهُ-: يَفْرَحُ بِتَوْبَةِ التَّائِبِينَ وَإِنَابَةِ المُنِيبِينَ، جَاءَ فِي «الصَّحِيحَيْنِ» عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِأَرْضٍ فَلَاةٍ، فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَأَيِسَ مِنْهَا.

فَأَتَى شَجَرَةً، فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا، قَدْ أَيِسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ، فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ؛ إِذَا هُوَ بِهَا، قَائِمَةً عِنْدَهُ، فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا، ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الفَرَحِ: اللَّهُمَّ! أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ، أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الفَرَحِ»[هَذَا لَفْظُ مُسْلِمٍ].

لَكَ الحَمْدُ حَمْدًا نَسْتَلِذُ بِهِ ذِكْرًا ... وَإِنْ كُنْتُ لَا أُحْصِي ثَنَاءً وَلَا شُكْرَا
لَكَ الحَمْدُ حَمْدًا طَيِّبًا يَمْلَأُ السَّمَا ... وَأَقْطَارَهَا وَالأَرْضَ وَالبَرَّ وَالبَحَرَا
إِلَهِي تَغَمَّدْنِي بِرَحْمَتِكَ الَّتِي ... وَسِعْتَ وَأَوْسَعْتَ البَرَايَا بِهَا بِرَّا

وَرَبُّنَا بَرٌّ، يُحِبُّ البِرَّ، وَأَمَرَ بِهِ، وَيُحِبُّ التَّخَلُّقَ بِهِ مِنْ عِبَادِهِ.

﴿۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ [البَقَرَةِ:١٧٧].

وَلَنْ يَنَالَ العَبْدُ بِرَّ اللهِ ﷻ بِهِ فِي الآخِرَةِ إِلَّا بِاتِّبَاعِ مَا يُفْضِي إِلَى بِرِّهِ وَمَرْضَاتِهِ، قَالَ ﷻ: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾﴾[آلِ عِمْرَانَ: ٩٢].

أَيُّهَا العَبْدُ الفَقِيرُ! لَازِمْ بَابَ مَوْلَاكَ الكَرِيمِ، وَتَعَزَّزْ بِالمَوْلَى العَزِيزِ العَلِيمِ، تَوَسَّلْ إِلَيْهِ بِطَاعَتِهِ؛ فَإِنَّهُ البَرُّ الرَّحِيمُ.

هُنَا؛ يَتَفَضَّلُ عَلَيْكَ بِنِعَمِهِ؛ إِنْ أَطَعْتَهُ أَكْرَمَكَ وَفَضَّلَكَ، وَإِنْ ضَيَّعْتَ مَا مَضَى سَيَرْحَمُكَ وَيُمْهِلُكَ، وَإِنْ تُبْتَ وَأَنَبْتَ شَكَرَ، وَإِنْ عَصَيْتَ وَأَسَأْتَ سَتَرَ.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ الهُدَى وَالسَّدَادَ، وَنَسْأَلُكَ التُّقَى وَالعِفَّةَ وَالغِنَى.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ الجَنَّةَ، وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، وَنَعُوْذُ بِكَ مِنَ النَّارِ، وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنَ الخَيْرِ كُلِّهِ؛ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ؛ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَأَنْ تَجْعَلَ كُلَّ قَضَاءٍ قَضَيْتَهُ لَنَا خَيْرًا.

اللَّهُمَّ! أَصْلِحْ لَنَا دِيْنَنَا الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا دُنْيَانَا الَّتِي فِيهَا مَعَاشُنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا آخِرَتَنَا الَّتِي فِيهَا مَعَادُنَا، وَاجْعَلِ الحَيَاةَ زِيَادَةً لَنَا فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَالمَوْتَ رَاحَةً لَنَا مِنْ كُلِّ شَرٍّ.

اللَّهُمَّ! أَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا، وَأَلِّفْ بَيْنَ قُلُوْبِنَا، وَاهْدِنَا سُبَلَ السَّلَامِ، وَأَخْرِجْنَا مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوْرِ، وَبَارِكْ لَنَا فِي أَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوَّاتِنَا وَأَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّتِنَا وَأَمْوَالِنَا، وَاجْعَلْنَا مُبَارَكِيْنَ أَيْنَمَا كُنَّا.

اللَّهُمَّ مُنْ عَلَيْنَا، وقِنَا عَذَابَ السَّمُوْمِ؛ إِنَّكَ أَنْتَ البَرُّ الرَّحِيمُ!

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ الجَنَّةَ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ، ونَعُوْذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ الهُدَى وَالسَّدَادَ، وَنَسْأَلُكَ التُّقَى وَالعِفَّةَ وَالغِنَى.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ الجَنَّةَ، وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، وَنَعُوْذُ بِكَ مِنَ النَّارِ، وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنَ الخَيْرِ كُلِّهِ؛ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ؛ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَأَنْ تَجْعَلَ كُلَّ قَضَاءٍ قَضَيْتَهُ لَنَا خَيْرًا.

اللَّهُمَّ! أَصْلِحْ لَنَا دِيْنَنَا الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا دُنْيَانَا الَّتِي فِيهَا مَعَاشُنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا آخِرَتَنَا الَّتِي فِيهَا مَعَادُنَا، وَاجْعَلِ الحَيَاةَ زِيَادَةً لَنَا فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَالمَوْتَ رَاحَةً لَنَا مِنْ كُلِّ شَرٍّ.

اللَّهُمَّ! أَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا، وَأَلِّفْ بَيْنَ قُلُوْبِنَا، وَاهْدِنَا سُبَلَ السَّلَامِ، وَأَخْرِجْنَا مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوْرِ.

اللَّهُمَّ! بَارِكْ لَنَا فِي أَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوَّاتِنَا وَأَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّتِنَا وَأَمْوَالِنَا، وَاجْعَلْنَا مُبَارَكِيْنَ أَيْنَمَا كُنَّا.

وَآخِرُ دَعْوَانَا: أَنِ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ.

القَرِيبُ ﷻ

إِنَّ الحَمْدَ لله؛ نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِالله مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَـهَ إِلَّا اللهُ؛ وَحْـدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ.

أَمَّا بَعْدُ:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[آلِ عِمْرَانَ: ١٠٢]،

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾[النِّسَاءَ: ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾[الأَحْزَابِ: ٧٠- ٧١].

عِبَادَ الله..

قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى وَلْيُؤْمِنُواْ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾[البَقَرَةِ: ١٨٦].

سُؤَالٌ تَوَلَّى اللهُ ﷻ الرَّدَّ عَنْهُ بِنَفْسِهِ، فِي آيَةٍ تَسْكُبُ فِي كُلِّ قَلْبِ مُؤْمِنٍ النَّدَاوَةَ الحُلْوَةَ، وَالوُدَّ المُؤْنِسَ، وَالرِّضَا المُطْمَئِنَ، وَالثِّقَةَ الكَافِيَةَ، وَاليَقِينَ الشَّافِي.

وَفِي ظِلِ هَذَا الأُنْسِ وَالقُرْبِ المَوْدُوْدِ؛ نَتَعَرَّفُ عَلَى اسْمِ اللهِ: (القَرِيبِ ﷻ):

قَالَ ﷻ: ﴿إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿٥٠﴾﴾[سَبَإٍ: ٥٠].

فَرَبُّنَا ﷻ قَرِيبٌ مِنْ عِبَادِهِ، مِسْتَوٍ عَلَى عَرْشِهِ؛ الَّذِي هُوَ فَوْقَ خَلْقِهِ، عَلِيمٌ بِالسَّرَائِرِ وَمَا تُكِنُّهُ الضَّمَائِرُ، وَمَعِيَّتُهُ لِكُلِّ أَحَدٍ.

وَقُرْبُهُ مِنْ خَلْقِهِ نَوْعَانِ:

أَوَّلًا: قُرْبٌ عَامٌّ، وَهُوَ: قُرْبُهُ ﷻ مِنْ كُلِّ أَحَدٍ بِعِلْمِهِ وَمُرَاقَبَتِهِ وَمُشَاهَدَتِهِ وَإِحَاطَتِهِ بِجَمِيعِ الأَشْيَاءِ، وَهُوَ فَوْقَ كُلِّ المَخْلُوقَاتِ، وَهُوَ أَقْرَبُ إِلَى الإِنْسَانِ مِنْ حَبْلِ الوَرِيدِ.

وَهَذِهِ المَعِيَّةُ العَامَّةُ: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿١٦﴾﴾[ق:١٦].

ثَانِيًا: قُرْبٌ خَاصٌّ، وَهُوَ: قُرْبُهُ ﷻ مِنْ عَابِدِيهِ وَسَائِلِيهِ وَمُحِبِّيهِ، وَهُوَ قُرْبٌ يَقْتَضِي: المَحَبَّةَ وَالنُّصْرَةَ، وَالتَّأْيِيدَ فِي الحَرَكَاتِ وَالسَّكَنَاتِ، وَالإِجَابَةَ لِلدَّاعِينَ، وَالقَبُولَ وَالإِثَابَةَ لِلعَابِدِينَ.

وَهُوَ قُرْبٌ لَا تُدْرَكُ لَهُ حَقِيقَةٌ، وَإِنَّمَا تُعْلَمُ آثَارُهُ؛ مِنْ لُطْفِهِ بِعَبْدِهِ، وَعِنَايَتِهِ بِهِ، وَتَوْفِيقِهِ وَتَسْدِيدِهِ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾[البَقَرَة: ١٨٦].

وَهُوَ القَرِيبُ وَقُرْبُهُ المُخْتَصُّ بِـ ـالدَّاعِي وَعِبادِهِ عَلَى الإِيمَانِ

صَحَّ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «وَالَّذِي تَدْعُونَهُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ رَاحِلَةِ أَحَدِكُمْ» [أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ].

يَسْمَعُ دَبِيبَ النَّمْلَةِ السَّوْدَاءِ عَلَى الصَّخْرَةِ الصَّمَّاءِ فِي اللَّيْلَةِ الظَّلْمَاءِ.

وَاللهُ ﷻ قَرِيبٌ مِنْ أَوْلِيَائِهِ، حَافِظٌ عِبَادِهِ، يَكْلَؤُهُمْ بِرِعَايَتِهِ، يَحُوطُهُمْ بِعِنَايَتِهِ، يُنْزِلُ عَلَيْهِمْ غَيْثَ الرَّحْمَةِ، لَا يَدَعُهُمْ طَرْفَةَ عَيْنٍ، لَا يَكِلُهُمْ إِلَى أَنْفُسِهِمْ، وَلَا يُسَلِّطُ عَلَيْهِمْ أَعْدَاءَهُمْ، وَلَا يَجْعَلُ لِلشَّيْطَانِ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا؛ لِأَنَّهُمْ عِبَادُهُ المُخْلِصُونَ وَجُنْدُهُ الصَّادِقُونَ، قَدْ قَامُوا بِمَا افْتَرَضَهُ عَلَيْهِمْ، وَمَا زَالُوا يَتَرَقَّوْنَ فِي مَدَارِجِ الكَمَالِ، وَيَصْعَدُونَ فِي سُلَّمِ التَّقْوَى، وَيَتَقَرَّبُونَ إِلَيْهِ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أَحَبَّهُمْ؛ فَلَمَّا أَحَبَّهُمْ كَانَتْ مَعِيَّتُهُ تُدِيرُ أَعْضَاءَهُمْ، إِذَا دَعَوْهُ أَجَابَهُمْ، وَإِذَا

اسْتَنْصَرُوْهُ نَصَرَهُمْ، وَإِذَا اسْتَغَاثُوْا بِهِ أَغَاثَهُمْ.

أَتَوْا بِثَمَنِ المَعِيَّةِ الخَاصَّةِ؛ فَكَانَ: القُرْبُ، وَالنَّصْرُ، وَالتَّأْيِيدُ، وَالحِفْظُ، ﴿وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾[المَائِدَة:١٢].

اطْمَأَنُّوْا إِلَى رَبِّهِمْ، وَحَسُنَ ظَنُّهُمْ بِهِ ﷻ؛ فَكَانَ لَهُمْ فِي كُلِّ حِينٍ..

فَهَذَا نُوْحٌ عليه السلام بَعْدَ الأَلْفِ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا مِنَ الدَّعْوَةِ وَالبَلَاءِ وَالعَنَاءِ دَعَا رَبَّهُ؛ فَلَبَّاهُ، وَنَجَّاهُ، وَأَهْلَكَ خُصُوْمَهُ.

وَهَذَا إِبْرَاهِيمُ عليه السلام اِسْتَجَارَ بِرَبِّهِ؛ فَأَنْجَاهُ مِنَ النَّارِ.

وَنَجَّى يُوْنُسَ بْنَ مَتَّى عليه السلام مِنَ الكَرْبِ العَظِيمِ، وَرَدَّ يُوْسُفَ إِلَى يَعْقُوْبَ وَجَمَعَ شَمْلَهُمْ، وَأَلَّفَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ إِخْوَتِهِ، وَرَدَّ بَصَرَ يَعْقُوْبَ إِلَيْهِ.

وَيُحِيطُ فِرْعَوْنُ بِمُوْسَى عليه السلام وَمَنْ مَعَهُ؛ ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾﴾[الشُّعَرَاء:٦١-٦٢]، فَيَنْتَقِمُ اللهُ ﷻ مِنْ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ بِالْغَرَقِ؛ فَكَانُوْا آيَةً لِلسَّائِلِينَ.

وَرَسُوْلُنَا ﷺ تَعْصِفُ بِهِ مَوَاقِفُ تَشِيبُ مِنْهَا الرُّؤُوْسُ، وَتَبْلُغُ فِيهَا القُلُوْبُ الحَنَاجِرَ، وَظُنَّ بِاللهِ الظُّنُوْنُ مِنْ بَعْضِ أَصْحَابِهِ، فَيَتَضَرَّعُ إِلَى مَوْلَاهُ؛ فَيُنْجِزُ اللهُ ﷻ الوَعْدَ، وَيُحِقُّ المُرَادَ، وَيُعْلِي كَلِمَةَ الحَقِّ..

تَأْتِي امْرَأَةٌ تُجَادِلُ فِي زَوْجِهَا رَسُوْلَ اللهِ ﷺ، وَعَائِشَةُ رضي الله عنها فِي طَرَفِ البَيْتِ تَقُوْلُ أَنَّهَا تَسْمَعُ كَلِمَةً وَتَغِيبُ عَنْهَا كَلِمَةٌ، وَبَعْدَ ذَلِكَ الجَدَلِ يَنْزِلُ جِبرِيلُ عَلَى الحَبِيبِ محمد ﷺ بِقَوْلِهِ: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾﴾ [المُجَادلَة:١].

فَسُبْحَانَ الَّذِي وَسِعَ سَمْعُهُ الأَصْوَاتَ كُلَّهَا!

سَمِعَ ﷺ الصَّحَابَةَ ﷺ وَهُمْ يَدْعُوْنَ رَبَّهُمْ بِأَصْوَاتٍ جَهِيرَةٍ مُرْتَفِعَةٍ؛ فَقَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ! ارْبَعُوْا عَلَى أَنْفُسِكُمْ؛ فَإِنَّكُمْ لاَ تَدْعُوْنَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا، وَلَكِنْ تَدْعُوْنَ سَمِيعًا بَصِيرًا»[أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ].

وَاللهُ مُطَّلِعٌ عَلَى مَا فِي نَفْسِكَ وَعَلَى خَوَاطِرِكَ، تَدْعُوْهُ فِي قَلْبِكَ فَيَسْتَجِيبُ.. إِنَّهُ القَرِيبُ ﷻ: ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴿٣﴾﴾[مَرْيَمَ:٣].

تَذْكُرُهُ فِي نَفْسِكَ فَيَسْمَعُكَ وَيَذْكُرُكَ؛ فَإِنَّهُ القَرِيبُ ﷻ.

وَفِي الحَدِيثِ القُدُسِيِّ المُتَّفَقِ عَلَيْهِ: «إِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ هُمْ خَيْرٌ مِنْهُمْ».

فَإِذَا عَلِمْتَ بِقُرْبِ اللهِ ﷻ مِنْكَ، وَأَنَّهُ مُطَّلِعٌ عَلَى سَرِيرَتِكَ؛ يَسْمَعُ دُعَاءَكَ وَيَرَى مَكَانَكَ وَيَعْلَمُ مَا فِي قَلْبِكَ؛ فَكُنْ مِنَ المُحْسِنِينَ: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [الأَعْرَافِ:٥٦].

وَتَقَرَّبْ إِلَيْهِ؛ فَإِنَّ تَقَرَّبْتَ مِنْهُ شِبْرًا تَقَرَّبَ إِلَيْكَ ذِرَاعًا، فَفِي الحَدِيثِ القُدُسِيِّ: «وَمَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ شِبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَمَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِذَا أَقْبَلَ إِلَيَّ يَمْشِي أَقْبَلْتُ إِلَيْهِ أُهَرْوِلُ»[أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ -وَاللَّفْظُ لَهُ-].

وَالتَّقَرُّبُ إِلَيْهِ يَكُوْنُ بِالفَرَائِضِ قَبْلَ النَّوَافِلِ؛ «وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ»[أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ].

وَكُلَّمَا كَمُلَ العَبْدُ فِي مَرَاتِبِ العُبُوْدِيَّةِ كَانَ أَقْرَبَ إِلَى اللهِ ﷻ، وَكُلَّمَا تَذَلَّلَ لِلَّهِ وَانْطَرَحَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَمَرَّغَ أَنْفَهُ وَعَفَّرَ وَجْهَهُ لِرَبِّهِ وَمَحْبُوْبِهِ؛ زَادَ قُرْبَهُ مِنْ رَبِّهِ، وَارْتَفَعَ شَأْنُهُ، صَحَّ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «أَقْرَبُ مَا يَكُوْنُ العَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ؛ فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ»[أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ].

فَالسُّجُوْدُ فِيهِ: أَعْظَمُ دَلَائِلِ الإِجْلَالِ، وَأَقْصَى دَرَجَاتِ العُبُوْدِيَّةِ، وَأَجَلُّ مَظَاهِرِ التَّذَلُّلِ، وَأَجْمَلُ رَسَائِلِ الحُبِّ، وَأَعْذَبُ مَنَاظِرِ الخُشُوْعِ، وَأَفْضَلُ أَثْوَابِ الافْتِقَارِ..

وَبِقَدْرِ سُجُوْدِكَ للهِ ﷻ، تَكُوْنُ رِفْعَتُكَ عِنْدَ الله، جَاءَ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «عَلَيْكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ لله، فَإِنَّكَ لَا تَسْجُدُ لِلَّهِ سَجْدَةً إِلَّا رَفَعَكَ اللهُ بِهَا دَرَجَةً، وَحَطَّ عَنْكَ بِهَا خَطِيئَةً» [أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ].

وَهُنَا تَحْصُلُ عَلَى النَّعِيمِ الدَّائِمِ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾﴾[الواقِعَة:١١]، ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾﴾[المُطَفِّفِينَ:٢٨].

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنْهُمْ؛ يَا رَبَّ العَالَمِينَ!

أَقُولُ قَولِي هَذَا، وَأَستَغْفِرُ اللهَ لِي وَلَكُمْ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرُوهُ؛ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ:

الحَمْدُ للهِ حَمْدًا طَيِّبًا كَثِيرًا مُبَارَكًا فِيهِ كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنِ اهْتَدَى بِهُدَاهُمْ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

يَا عَبْدَ الله..

وَبَعْدَ أَنْ عَلِمْتَ أَنَّ رَبَّكَ قَرِيبٌ مِنْكَ، رَحِيمٌ بِكَ؛ أَلَا يَسْتَحِقُّ أَنْ تُحِبَّهُ وَتَسْتَحِي مِنْهُ، وَتَقُوْمُ بَيْنَ يَدَيْهِ رَاجِيًا مُسْتَغْفِرًا مُتَضَرِّعًا إِلَيْهِ، مُسْتَنْجِدًا بِهِ، طَالِبًا مِنْهُ الفَرَجَ وَالسُّرُوْرَ وَالنَّعِيمَ المُقِيمَ؟!

فَرَبُّكَ ﷻ قَالَ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البَقَرَة:١٨٦]، وَقَالَ ﷻ: ﴿إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿٥٠﴾﴾[سَبَإ:٥٠]، وَقَالَ ﷻ: ﴿ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾[غَافِر:٦٠].

فَبَابُ الله مَفْتُوْحٌ، وَعَطَاؤُهُ مَمْنُوْحٌ، وَكَرَمُهُ عَظِيمٌ، وَجُوْدُهُ كَبِيرٌ؛ فَكَمْ مِنْ حَاجَةٍ قُضِيَتْ، وَمِنْ دَعْوَةٍ قُبِلَتْ، وَمِنْ بَرَكَةٍ نَزَلَتْ، وَرَحْمَةٍ غَشِيَتْ؟!

اللَّهُمَّ يَا قَرِيبُ.. يَا مُجِيبُ! أَجِبْ دَعَوَاتِنَا، وَارْحَمْ ضَعْفَنَا، وَفَرِّجْ هَمَّنَا، وَأَحْسِنْ خَاتِمَتَنَا فِي الأُمُوْرِ كُلِّهَا؛ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ!

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ الجَنَّةَ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ، ونَعَوْذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ الهُدَى وَالسَّدَادَ، وَنَسْأَلُكَ التُّقَى وَالعِفَّةَ وَالغِنَى.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنَ الخَيْرِ كُلِّهِ؛ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ؛ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَأَنْ تَجْعَلَ كُلَّ قَضَاءٍ قَضَيْتَهُ لَنَا خَيْرًا.

اللَّهُمَّ! أَصْلِحْ لَنَا دِيْنَنَا الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا دُنْيَانَا الَّتِي فِيهَا مَعَاشُنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا آخِرَتَنَا الَّتِي فِيهَا مَعَادُنَا، وَاجْعَلِ الحَيَاةَ زِيَادَةً لَنَا فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَالمَوْتَ رَاحَةً لَنَا مِنْ كُلِّ شَرٍّ.

اللَّهُمَّ! أَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا، وَأَلِّفْ بَيْنَ قُلُوْبِنَا، وَاهْدِنَا سُبَلَ السَّلَامِ، وَأَخْرِجْنَا مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوْرِ.

اللَّهُمَّ! بَارِكْ لَنَا فِي أَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوَّاتِنَا وَأَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّتِنَا وَأَمْوَالِنَا، وَاجْعَلْنَا مُبَارَكِيْنَ أَيْنَمَا كُنَّا.

وَآخِرُ دَعْوَانَا: أَنِ الحَمْدُ لله رَبِّ العَالَمِيْنَ.

المَجِيدُ ﷻ

إِنَّ الحَمْدَ لله؛ نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِالله مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَـهَ إِلَّا اللهُ؛ وَحْـدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ.

أَمَّا بَعْدُ:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[آلِ عِمْرَانَ: ١٠٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾[النِّسَاءَ: ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾[الأَحْزَابِ: ٧٠- ٧١].

عِبَادَ الله..

صَحَّ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «وَلاَ أَحَدَ أَحَبُّ إِلَيْهِ المِدْحَةُ مِنَ الله، وَمِـنْ أَجْـلِ ذَلِـكَ: وَعَـدَ اللهُ الجَنَّةَ»[أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ -وَاللَّفْظُ لَهُ-، وَمُسْلِمٌ]، وَفِي رِوَايَةٍ: «وَلاَ أَحَدَ أَحَبُّ إِلَيْهِ المِدْحَةُ مِـنَ الله؛ فَلِذَلِكَ مَدَحَ نَفْسَهُ»[أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ].

وَفِي «الأَدَبِ المُفْرَدِ» لِلْبُخَارِيِّ: أَنَّ الأَسْوَدَ بْنَ سَرِيعٍ قَالَ: كُنْتُ شَاعِرًا، فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ؛ فَقُلْتُ: أَلَا أُنْشِدُكَ مَحَامِدَ حَمِدْتُ بِهَا رَبِّي؟

قَالَ: «إِنَّ رَبَّكَ يُحِبُّ المَحَامِدَ»، وَلَمْ يَزِدْنِي عَلَيْهِ. [حَدِيثٌ حَسَنٌ].

وَمَا بَلَغَ المُهْدُوْنَ نَحْوَكَ مِدْحَةً وَإِنْ أَطْنَبُوْا، إِنَّ الَّذِي فِيكَ أَعْظَمُ

تَمْجِيدُنَا لَا يَعُوْدُ عَلَى الله عَائِدُهُ، وَتَقْصِيرُنَا لَا يَرْجِعُ عَلَى الله أَثَـرُهُ؛ فَـاللهُ ﷻ غَنِـيٌّ بِذَاتِـهِ، مَحْمُوْدٌ بِصِفَاتِهِ لَا بِحَمْدِ النَّاسِ وَلَا بِتَمْجِيدِهِمْ لَهُ وَلَا بُشْكْرِهِمْ عَلَى عَطَايَاهُ.

وَلَكِنْ مِنْ كَرِمِ الله ﷻ عَلَيْنَا: أَنْ جَعَلَ صَلَاحَ حَيَاتِنَا بِالشُّكْرِ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ؛ لِتَزْكُوَ النَّفْسَ، وَتَسْتَقِيمَ وَتَطْمَئِنَّ إِلَى رَبِّهَا.

لَكَ الحَمْدُ وَالنَّعْمَاءُ وَالمُلْكُ رَبَّنَا فَلَا شَيْءَ أَعْلَى مِنْكَ مجدًا وَأَمْجَدُ

وَاليَوْمَ نَقِفُ مَعَ اسْمِ الله: (المَجِيدِ ﷻ):

فَاللهُ ﷻ قَالَ: ﴿إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾﴾[هُوْدٍ:٧٣].

وَالمَجِيدُ: مِنَ المَجْدِ، وَهُوَ: الشَّرَفُ التَّامُّ الكَامِلُ، وَالسَّعَةُ وَالكَثْرَةُ.

فَرَبُّنَا ﷻ وَاسِعُ الكَرَمِ، صَاحِبُ المَجْدِ، وَأَيُّ مَجْدٍ أَعْلَى وَأَتَمُّ مِنْ مَجْدِهِ ﷻ؟!

فَهُوَ المَوْصُوْفُ بِصِفَاتِ: المَجْدِ وَالكِبْرِيَاءِ وَالعَظَمَةِ وَالجَلَالِ، وَهُـوَ أَكْـبَرُ مِـنْ كُـلِّ شَيْءٍ، وَأَعْظَمُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَأَجَلُّ وَأَعْلَى مِنْ كُلِّ شَيْءٍ.

وَرَبُّنَا ﷻ كُلُّ وَصْفٍ مِنَ أَوْصَافِهِ عَظِيمٌ شَأْنُهُ؛ فَهُـوَ العَلِـيمُ الكَامِـلُ فِي عِلْمِـهِ، الـرَّحِيمُ الَّذِي وَسِعَتْ رَحْمَتُهُ كُلَّ شَيْءٍ، القَدِيرُ الَّذِي لَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ، الحَلِيمُ الكَامِلُ فِي حِلْمِهِ، الحَـكِيمُ الكَامِلُ فِي حِكْمَتِهِ، وَجَمِيعُ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ كَمَالٌ؛ لَا نُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْهِ هُوَ كَمَا أَثْنَى عَلَى نَفْسِهِ.

وَقَدْ مَجَّـدَ اللهُ ﷻ نَفْسَهُ؛ لِكَمَالِهِ وَعَظَمَتِهِ وَجَلَالِهِ، صحَّ فِي الحَدِيثِ القُدُسِيِّ: «أَنَـا الجَبَّـارُ، أَنَا المُتَكَبِّرُ، أَنَا المَلِكُ، أَنَا المُتَعَالِي؛ يُمَجِّدُ نَفْسَهُ»[حَدِيثٌ صَحِيحٌ. رَوَاهُ أَحْمَدُ فِي «المُسْنَدِ»].

وَرَبُّنَا مَحْمُوْدٌ عَلَى عَظَمَتِهِ وَمَجْدِهِ: ﴿إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾﴾[هُوْدٍ:٧٣].

وَهُوَ ﷻ كَثِيرُ الإِحْسَانِ إِلَى عِبَادِهِ بِمَا يُفِيضُهُ مِنَ الخَيْرَاتِ، وَمَا يَرْزُقُ أَوْلِيَاءَهُ مِنْ تَمْجِيدِهِ فِي عُبُوْدِيَّتِهِمْ لَهُ وَحْدَهُ ﷻ.

جَاءَ فِي «الصَّحِيحِ» الحَدِيثُ القُدُسِيُّ: «وَإِذَا قَالَ: ﴿مَـٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾﴾[الفَاتِحَـةِ:٤]،

قَالَ: مَجَّدَنِي عَبْدِي»[أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ]، وَصَحَّ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ كَانَ إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنْ رُكُوْعِهِ قَالَ: «رَبَّنَا لَكَ الحَمْدُ، مِلْءَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ، وَمِلْءَ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ، أَهْلَ الثَّنَاءِ وَالمَجْدِ» [أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ].

وَمِنْ مَجْدِهِ ﷻ يَسْتَمِدُّ العُظَمَاءُ مَجْدَهُمْ، حَتَّى الرُّسُلُ وَالأَنْبِيَاءُ؛ لِذَا سَأَلَ الصَّحَابَةُ ﷺ رَسُوْلَ الله ﷺ: قَدْ عَرْفنَا كَيْفَ نُسَلِّمُ عَلَيْكَ؛ فكَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟

قَالَ: «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ؛ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ»[أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ بِنَحْوِهِ].

وَالقُرْآنُ: كَلَامُ الله ﷻ، وَهُوَ: ﴿قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝٢١﴾[البُرُوْج:٢١]، شَرِيفٌ كَرِيمٌ عَظِيمٌ، وَاسِعُ الخَيْرِ وَالفَضْلِ وَالكَرَمِ؛ لِمَا تَضَمَّنَهُ مِنَ العُلُوْمِ وَالمَكَارِمِ وَالمَقَاصِدِ العُلْيَا وَالمَصَالِحِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَالأُخْرَوِيَّةِ؛ وَلَا غَرَابَةَ! فَإِنَّهُ كَلَامُ الله المَجِيدِ ﷻ؛ الَّذِي لَا يَأْتِيهِ البَاطِلُ مِنْ بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ، تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ.

وَقَدْ مَجَّدَ اللهُ ﷻ نَفْسَهُ فِي قُرْآنِهِ المَجِيدِ، فَكَانَتْ أَعْظَمُ آيَاتِهِ: تِلْكَ الَّتِي احْتَوَتْ عَلَى الثَّنَاءِ عَلَيْهِ وَذِكْرِ صِفَاتِهِ؛ كَآيَةِ الكُرْسِيِّ فِي سُوْرَةِ البَقَرَةِ، وَهِيَ أَعْظَمُ آيَةٍ فِي كِتَابِ الله ﷻ، وَسُوْرَةِ الإِخْلَاصِ، وَهِيَ أَفْضَلُ سُوْرَةٍ، حَتَّى صَحَّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّهَا تَعْدِلُ ثُلُثَ القُرْآنِ» [أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ].

وَمِنْ أَعْظَمِ مَا يُعَظِّمُ بِهِ العَبْدُ رَبَّهُ وَيُمَجِّدُهُ هُوَ: تِلَاوَةُ كِتَابِهِ فِي آنَاءِ اللَّيْلِ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ، وَالاسْتِمْسَاكُ بِهِ، وَتَدَبُّرُهِ وَالعَمَلُ بِهِ؛ عِلْمًا وَخُشُوْعًا وَفَهْمًا.

وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ القُرْآن كَانَ مِنْ أَهْلِ الله الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهُ وَخَاصَّتُهُ، صَحَّ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ اللهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الكِتَابِ أَقْوَامًا، وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ»[أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ].

لَقِيَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ نَافِعَ بْنِ الحَارِثِ بِعُسْفَانَ، وَكَانَ عُمَرُ يَسْتَعْمِلُهُ عَلَى مَكَّةَ، فَقَالَ: مَنِ

اسْتَعْمَلْتَ عَلَى أَهْلِ الوَادِي؟ فَقَالَ: ابْنَ أَبْزَى.

قَالَ: وَمَنِ ابْنُ أَبْزَى؟ قَالَ: مَوْلًى مِنْ مَوَالِينَا.

قَالَ: فَاسْتَخْلَفْتَ عَلَيْهِمْ مَوْلًى؟! قَالَ: إِنَّهُ قَارِئٌ لِكِتَابِ اللهِ ﷻ، وَإِنَّهُ عَالِمٌ بِالْفَرَائِضِ.

قَالَ عُمَرُ: أَمَّا إِنَّ نَبِيَّنَا ﷺ قَدْ قَالَ: «إِنَّ اللهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الكِتَابِ أَقْوَامًا، وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ» [أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ].

فَالمَجْدُ لِمَنْ أَخَذَ بِهِ وَعَمِلَ بِهِ، وَالذُّلُّ لِمَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ.

وَمِمَّا يُمَجَّدُ بِهِ الرَّبُّ ﷻ: حُسْنُ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ؛ تَحْمِيدًا وَتَكْبِيرًا وَتَسْبِيحًا وَتَهْلِيلًا، وَمَنْ لَازَمَ ذَلِكَ فَازَ بِخَيْرِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ.

أَخْرَجَ البُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ» عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً يَطُوْفُونَ فِي الطُّرُقِ يَلْتَمِسُوْنَ أَهْلَ الذِّكْرِ؛ فَإِذَا وَجَدُوْا قَوْمًا يَذْكُرُوْنَ اللهَ؛ تَنَادَوْا: هَلُمُّوْا إِلَى حَاجَتِكُمْ! فَيَحُفُّوْنَهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا.

فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ -وَهُوَ أَعْلَمُ مِنْهُمْ-: مَا يَقُوْلُ عِبَادِي؟ قَالُوْا: يَقُوْلُوْنَ: يُسَبِّحُوْنَكَ وَيُكَبِّرُوْنَكَ وَيَحْمَدُوْنَكَ وَيُمَجِّدُوْنَكَ.

فَيَقُوْلُ: هَلْ رَأَوْنِي؟ فَيَقُوْلُوْنَ: لاَ -وَاللهِ!- مَا رَأَوْكَ؟

فَيَقُوْلُ: وَكَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي؟ يَقُوْلُوْنَ: لَوْ رَأَوْكَ كَانُوا أَشَدَّ لَكَ عِبَادَةً، وَأَشَدَّ لَكَ تَمْجِيدًا وَتَحْمِيدًا، وَأَكْثَرَ لَكَ تَسْبِيحًا.

يَقُوْلُ: فَمَا يَسْأَلُوْنِي؟ يَقُوْلُوْنَ: يَسْأَلُوْنَكَ الجَنَّةَ.

يَقُوْلُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟ يَقُوْلُوْنَ: لاَ -وَاللهِ!- يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا.

يَقُوْلُ: فَكَيْفَ لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا؟ يَقُوْلُوْنَ: لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا؛ كَانُوا أَشَدَّ عَلَيْهَا حِرْصًا، وَأَشَدَّ لَهَا طَلَبًا، وَأَعْظَمَ فِيهَا رَغْبَةً.

قَالَ: فَمِمَّ يَتَعَوَّذُوْنَ؟ يَقُوْلُوْنَ: مِنَ النَّارِ.

يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟ يَقُوْلُوْنَ: لاَ -وَاللهِ!- يَا رَبِّ! مَا رَأَوْهَا.

يَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا؟ يَقُوْلُوْنَ: لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ مِنْهَا فِرَارًا، وَأَشَدَّ لَهَا مَخَافَةً.

فَيَقُوْلُ: فَأُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ!

يَقُوْلُ مَلَكٌ مِنَ المَلَائِكَةِ: فِيهِمْ فُلَانٌ لَيْسَ مِنْهُمْ، إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ!

قَالَ: هُمُ الجُلَسَاءُ لاَ يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ».

وَإِذَا كَانَ جَلِيسُهُمْ لَا يَشْقَى؛ فَكَيْفَ الشَّأْنُ بِهِمْ؟!

وَوَصَفَ رَبُّنَا عَرْشَهُ الَّذِي اسْتَوَى عَلَيْهِ بِـ (المَجِيدِ)، فَاللهُ ﷻ لَا يَخْتَارُ لِنَفْسِهِ إِلَّا الأَفْضَلَ وَالأَتَمَّ وَالأَكْمَلَ؛ وَلِذَلِكَ حَقَّ أَنْ يَكُوْنَ مَجِيدًا.

لَكَ الحَمْدُ وَالنَّعْمَاءُ وَالمُلْكُ رَبَّنَا
فَلَا شَيْءَ أَعْلَى مِنْكَ مَجْدًا وَأَمْجَدُ
مَلِيكٌ عَلَى عَرشِ السَّمَاءِ مُهَيمِنٌ
لِعِزَّتِهِ تَعنُوْ الوُجُوْهُ وَتَسْجُدُ
فَسُبْحَانَ مَنْ لَا يَعْرِفُ الخَلْقُ قَدْرَهُ
وَمَنْ هُوَ فَوْقَ العَرْشِ فَرْدٌ مُوَحَّدُ

أَقُولُ قَولِي هَذَا، وَأَستَغْفِرُ اللهَ لِي وَلَكُمْ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرُوهُ؛ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ:

الحَمْدُ للهِ حَمْدًا طَيِّبًا كَثِيرًا مُبَارَكًا فِيهِ كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنِ اهْتَدَى بِهُدَاهُمْ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

يَا مُحِبُّ..

لَا شَكَّ أَنْ تَمْجِيدَ الله ﷻ مِنْ أَعْظَمِ العِبَادَاتِ الَّتِي تَظْهَرُ آثَارُهَا عَلَى الجَوَارِحِ، وَعَلَى قَدْرِ تَمْجِيدِ الله يَكُوْنُ القُرْبُ مِنَ الله.

وَهُنَاكَ وَسَائِلُ كَثِيرَةٌ لِتَمْجِيدِ الله ﷻ؛ أُلَخِّصُهَا بِمَا يَلِي:

١- إِفْرَادُ الله بِالْوَحْدَانِيَّةِ.

٢- تَدَبُّرُ مَعَانِي أَسْمَاءِ الله وَصِفَاتِهِ.

٣- التَّفَكُّرُ فِي آلَاءِ الله، والتَّأَمُّلُ فِي مَلَكُوْتِ السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ.

٤- تَعْظِيمُ شَعَائِرِ الله وَحُرُمَاتِهِ.

٥- كَثْرَةُ قِرَاءَةِ القُرْآنِ، وَالعَمَلِ بِهِ.

٦- كَثْرَةُ الذِّكْرِ مِنْ تَسْبِيحٍ وَتَحْمِيدٍ وَتَهْلِيلٍ.

٧- الدُّعَاءُ وَالالْتِجَاءُ إِلَى الله، وَانْكِسَارُ القَلْبِ عِنْدَ بَابِهِ.

٨- كَثْرَةُ الطَّاعَاتِ، وَاجْتِنَابُ مَا نَهَى اللهُ عَنْهُ.

٩- مُحَاسَبَةُ النَّفْسِ.

اللَّهُمَّ! بِاسْمِكَ المَجِيدِ نَسْأَلُ: أَنْ تَغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدِيْنَا وَلِجَمِيعِ المُسْلِمِينَ.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ الجَنَّةَ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ، ونَعُوْذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ الهُدَى وَالسَّدَادَ، وَنَسْأَلُكَ التُّقَى وَالعِفَّةَ وَالغِنَى.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنَ الخَيْرِ كُلِّهِ؛ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ؛ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَأَنْ تَجْعَلَ كُلَّ قَضَاءٍ قَضَيْتَهُ لَنَا خَيْرًا.

اللَّهُمَّ! أَصْلِحْ لَنَا دِيْنَنَا الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا دُنْيَانَا الَّتِي فِيهَا مَعَاشُنَا،

وَأَصْلِحْ لَنَا آخِرَتَنَا الَّتِي فِيهَا مَعَادُنَا، وَاجْعَلِ الحَيَاةَ زِيَادَةً لَنَا فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَالمَوْتَ رَاحَةً لَنَا مِنْ كُلِّ شَرٍّ.

اللَّهُمَّ! أَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا، وَأَلِّفْ بَيْنَ قُلُوْبِنَا، وَاهْدِنَا سُبَلَ السَّلَامِ، وَأَخْرِجْنَا مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوْرِ.

اللَّهُمَّ! بَارِكْ لَنَا فِي أَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوَّاتِنَا وَأَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّتِنَا وَأَمْوَالِنَا، وَاجْعَلْنَا مُبَارَكِيْنَ أَيْنَمَا كُنَّا.

وَآخِرُ دَعْوَانَا: أَنِ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ.

الْمُجِيبُ ﷻ

إِنَّ الحَمْدَ لله؛ نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِالله مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَـهَ إِلَّا اللهُ؛ وَحْـدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ.

أَمَّا بَعْدُ:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[آلِ عِمْرَانَ: ١٠٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾﴾[النِّسَاءَ: ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾[الأَحْزَابِ: ٧٠- ٧١].

سَمِعْنَا حَدِيثًا كَقَطْرِ النَّدَى ... فَجَدَّدَ فِي النَّفْسِ مَا جَدَّدَا

فَأَضْحَى لِآمَالِنَا مُنْعِشًا ... وَأَمْسَى لِآلَامِنَا مُرقِدَا

قَالَ عَطَاءٌ: "جَاءَنِي طَاوُوْسٌ ﷺ فَقَالَ لِي: يَا عَطَاءُ! إِيَّاكَ أَنْ تَرْفَعَ حَوَائِجَكَ إِلَى مَنْ أَغْلَقَ دُوْنَكَ بَابَهُ، وَعَلَيْكَ بِطَلَبِ حَوَائِجِكَ إِلَى مَنْ بَابُهُ مَفْتُوْحٌ لَكَ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ، طَلَبَكَ أَنْ تَـدْعُوْهُ ووَعَدَكَ الإِجَابَةَ".

﴿فَٱسۡتَغۡفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٞ مُّجِيبٞ ﴿٦١﴾﴾[هُوْدٍ: ٦١].

مِنْ أَسْمَاءِ الله الحُسْنَى: (المُجِيبِ ﷻ).

فَرَبُّنَا ﷻ المُجِيبُ؛ الَّذِي يُنِيلُ سَائِلَهُ مَا يُرِيدُ، وَيُجِيبُ دُعَاءَ الـسَّائِلِينَ، وَيُغِيـثُ المَلْهُـوْفِينَ،

وَيُؤَمِّنُ فَزِعَ الخَائِفِينَ، حَتَّى إِنَّهُ يَسْتَجِيبُ لِلَّذِينَ كَفَرُوْا بِهِ وَمَا عَرَفُوْهُ سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ! فَهُوَ يُجِيبُ نِدَاءَهُمْ، وَيكْشِفُ ضُرَّهُمْ كَرَمًا مِنْهُ، وَلَعَلَّهُمْ يُؤْمِنُوْنَ.

وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ يَتَنَاسَوْنَ الفَضْلَ، وَيُنْكِرُوْنَ الجَمِيلَ، وَيكْفُرُوْنَ المَعْرُوْفَ، قَالَ ﷻ: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [العَنْكَبُوْتِ:٦٥].

وَالنَّاسُ إِذَا أُغْلِقَتْ فِي وُجُوْهِهِمُ الأَبْوَابُ، وَضَاقَتْ بِهِمُ الأَرْضُ، وَاشْتَدَّ بِهِمُ الكَرْبُ، وَعَظُمْ عَلَيْهِمُ الخَطْبُ، وَلَمْ يَجِدُوْا فِي المَخْلُوْقِينَ مَلْجَأً وَلَا مَلَاذًا؛ فَإِنَّهُمْ بِدَافِعِ الفِطْرَةِ فِي نُفُوْسِهِمْ يَلْجَؤُوْنَ إِلَى اللهِ ﷻ، وَيَلُوْذُوْنَ بِجَنَابِهِ، وَيَنْطَرِحُوْنَ عَلَى أَعْتَابِهِ: ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾﴾[النَّحْلِ:٥٣].

وَاللهُ مِنْ كَرَمِهِ وَجُوْدِهِ وَإِحْسَانِهِ: يُحِبُّ أَنْ يُسْأَلَ فِي الرَّخَاءِ وَفِي الشِّدَّةِ، وَمَنْ عَرَفَ اللهَ فِي الرَّخَاءِ عَرَفَهُ فِي الشِّدَّةِ، صَحَّ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَسْتَجِيبَ اللهُ لَهُ عِنْدَ الشَّدَائِدِ وَالكَرْبِ؛ فَلْيُكْثِرِ الدُّعَاءَ فِي الرَّخَاءِ»[حَدِيثٌ حَسَنٌ. رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ].

يَا عَبْدَ اللهِ.. احْذَرْ مَوَانِعَ الإِجَابَةِ!

١- عَدَمُ الإِقْبَالِ عَلَى اللهِ بِصِدْقٍ، وَعَدَمُ التَّوَجُّهِ إِلَيْهِ فِي عَزِيمَةٍ، صَحَّ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «ادْعُوْا اللهَ وَأَنْتُمْ مُوْقِنُونَ بِالإِجَابَةِ، وَاعْلَمُوْا أَنَّ اللهَ لَا يَسْتَجِيبُ دُعَاءً مِنْ قَلْبٍ غَافِلٍ لَاهٍ» [حَدِيثٌ حَسَنٌ. رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ].

٢- عَدَمُ الجَزْمِ فِي المَسْأَلَةِ وَالإِلْحَاحِ فِي الدُّعَاءِ، يَقُوْلُ ﷺ: «إِذَا دَعَا أَحَدُكُمْ فَلْيَعْزِمِ المَسْأَلَةَ، وَلَا يَقُوْلَنَّ: اللَّهُمَّ إِنْ شِئْتَ فَأَعْطِنِي!؛ فَإِنَّهُ لَا مُسْتَكْرِهَ لَهُ»[أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ].

٣- عَدَمُ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، يَقُوْلُ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ ﷺ: "الدُّعَاءُ مَوْقُوْفٌ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، لَا يَصْعَدُ مِنْهُ شَيْءٌ حَتَّى تُصَلِّيَ عَلَى نَبِيِّكَ ﷺ".

٤- اسْتِعْجَالُ الإِجَابَةِ، صَحَّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «يُسْتَجَابُ لِأَحَدِكُمْ مَا لَمْ يَعْجَلْ، يَقُولُ: دَعَوْتُ فَلَمْ يُسْتَجَبْ لِي»[حَدِيثٌ صَحِيحٌ. رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ].

٥- أَكْلُ الحَرَامِ أَوْ شُرْبُ الحَرَامِ أَوْ لِبْسُ الحَرَامِ، صَحَّ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ: يَا رَبِّ.. يَا رَبِّ! وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالحَرَامِ؛ فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟!»[أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ].

٦- تَرْكُ الأَمْرِ بِالمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ المُنْكَرِ، فَفِي «صَحِيحِ ابْنِ حِبَّانَ»: قَالَ ﷺ:«يَا أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّ اللهَ ﷻ يَقُولُ لَكُمْ: مُرُوْا بِالمَعْرُوفِ، وَانْهَوْا عَنِ المُنْكَرِ، قَبْلَ أَنْ تَدْعُوْنِي فَلَا أُجِيبَكُمْ، وَتَسْأَلُوْنِي فَلَا أُعْطِيَكُمْ، وَتَسْتَنْصِرُوْنِي فَلَا أَنْصُرَكُمْ»[حَدِيثٌ حَسَنٌ].

وَفِي السُّنَّةِ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ ذَكَرَ أَوْقَاتًا وَأَحْوَالًا تُسْتَجَابُ فِيهَا الدَّعَوَاتُ، وَمِنْهَا:

١) الدُّعَاءُ بَيْنَ الأَذَانِ وَالإِقَامَةِ؛ لِمَا وَرَدَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «لَا يُرَدُّ الدُّعَاءُ بَيْنَ الأَذَانِ وَالإِقَامَةِ»[حَدِيثٌ صَحِيحٌ. رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ].

٢) فِي جَوْفِ اللَّيْلِ الآخِرِ؛ فَقَدْ صَحَّ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «أَقْرَبُ مَا يَكُوْنُ الرَّبُّ مِنَ العَبْدِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ الآخِرِ، فَإِنَّ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَكُوْنَ مِمَّنْ يَذْكُرُ اللهَ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ فَكُنْ»[حَدِيثٌ صَحِيحٌ. رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ].

وَكَذِلِكَ قَالَ ﷺ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا ﷻ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ؛ يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي، فَأَسْتَجِيبُ لَهُ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ»[أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ].

٣) وَكَذِلِكَ حَالَ السُّجُوْدِ؛ فَقَدْ صَحَّ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «أَقْرَبُ مَا يَكُوْنُ العَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ؛ فَأَكْثِرُوْا الدُّعَاءَ»[أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ].

٤) سَاعَةُ الجُمُعَةِ: صَحَّ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ فِي الجُمُعَةِ لَسَاعَةً، لَا يُوَافِقُهَا مُسْلِمٌ، قَائِمٌ يُصَلِّي، يَسْأَلُ اللهَ خَيْرًا؛ إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ»[أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ].

٥) مَنْ تَعَارَّ مِنَ اللَّيْلِ فَدَعَا بِالدُّعَاءِ الَّذِي صَحَّ عَنْهُ ﷺ: «مَنْ تَعَارَّ مِنَ اللَّيْلِ؛ فَقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، الحَمْدُ لله، وَسُبْحَانَ الله، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِالله، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، أَوْ دَعَا، اسْتُجِيبَ لَهُ، فَإِنْ تَوَضَّأَ وَصَلَّى قُبِلَتْ صَلَاتُهُ»[أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ].

اللَّهُمَّ يَا مُجِيبُ! اسْتَجِبْ دُعَاءَنَا، وَاغْفِرْ لَنَا؛ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَأَستَغْفِرُ اللهَ لِي وَلَكُمْ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرُوهُ؛ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ:

الحَمْدُ لله حَمْدًا طَيِّبًا كَثِيرًا مُبَارَكًا فِيهِ كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنِ اهْتَدَى بِهُدَاهُمْ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

عِبَادَ الله..

ذَكَرَ ﷺ بَعْضَ النَّاسِ الَّذِينَ تُسْتَجَابُ دَعَوَاتُهُمْ إِذَا دَعَوْا، ومِنْ ذَلِكَ:

صَحَّ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «ثَلَاثُ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٍ -لَا شَكَّ فِيهِنَّ-: دَعْوَةُ الْمَظْلُومِ، وَدَعْوَةُ الْمُسَافِرِ، وَدَعْوَةُ الوَالِدِ عَلَى وَلَدِهِ»[حَدِيثٌ حَسَنٌ. رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ].

وَصَحَّ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «اتَّقُوا دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ! فَإِنَّهَا تُحْمَلُ عَلَى الغَمَامِ، يَقُولُ اللهُ ﷻ: وَعِزَّتِي وَجَلَالِي لَأَنْصُرَنَّكَ؛ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ»[حَدِيثٌ صَحِيحٌ. رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي «المُعْجَمِ الكَبِيرِ»].

وَالبَابُ فِي هَذَا وَاسِعٌ، وَلَكِنْ تَذَكَّرْ وَأَنْتَ تَرْفَعُ يَدَيْكَ بِأَنَّ هَذَا فَضْلٌ مِنْ رَبِّكَ عَلَيْكَ، يُرِيدُ أَنْ يَهَبَ لَكَ؛ فَأَحْسِنِ الظَّنَّ، وَاعْزِمِ المَسْأَلَةَ؛ فَإِنَّ اللهَ ﷻ قَالَ: ﴿ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غَافِر:٦٠].

رَأَى عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ ﷺ شَيْخًا كَبِيرًا يَدَهُ مَشْلُولَةٌ؛ فَسَأَلَهُ: "مَا الَّذِي أَصَابَ يَدَكَ؟ قَالَ:

دَعَا عَلَيَّ أَبِي فِي الجَاهِلِيَّةِ أَنْ تُشَلَّ؛ فَشُلَّتْ، فَقَالَ عُمَرُ: هَذَا دَعَاءُ الآبَاءِ فِي الجَاهِلِيَّةِ؛ فَكَيْفَ فِي الإِسْلَامِ؟!".

وقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ﷺ: "ارْفَعُوْا أَفْوَاجَ البَلَاءِ بِالدُّعَاءِ".

وَقَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ ﷺ: "لَا تَعْجَزُوْا عَنِ الدُّعَاءِ؛ فَإِنَّهُ لَا يَهْلِكُ مَعَ الدُّعَاءِ أَحَدٌ".

بِكَ أَسْتَجِيرُ ومَنْ يُجِيرُ سِوَاكَا ... فَأَجِرْ ضَعِيفًا يَحْتَمِي بِحِمَاكَا

إِنِّي ضَعِيفٌ أَسْتَعِينُ عَلَى قُوَى ... ذَنْبِي وَمَعْصِيَتِي بِبَعْضِ قُوَاكَا

أَذْنَبْتُ يَا رَبِّي وَآذَتْنِي ذُنُوْبٌ ... مَا لَهَا مِنْ غَافِرٍ إِلَّاكَا

أَدْعُوْكَ يَا رَبِّي لِتَغْفِرَ حَوْبَتِي ... وَتُعِينَنِي وَتُمَدَّنِي بِهُدَاكَا

فَاقْبَلْ دُعَائِي وَاسْتَجِبْ لِرَجَاوَتِي ... مَا خَابَ يَوْمًا مَنْ دَعَا وَرَجَاكَا

اللَّهُمَّ يَا مُجِيبُ! أَجِبْ دُعَاءَنَا، وَارْحَمْ ضَعْفَنَا، وَأَجِرْنَا مِنَ النَّارِ.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ الجَنَّةَ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ، ونَعُوْذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ الهُدَى وَالسَّدَادَ، وَنَسْأَلُكَ التُّقَى وَالعِفَّةَ وَالغِنَى.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنَ الخَيْرِ كُلِّهِ؛ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ؛ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَأَنْ تَجْعَلَ كُلَّ قَضَاءٍ قَضَيْتَهُ لَنَا خَيْرًا.

اللَّهُمَّ! أَصْلِحْ لَنَا دِيْنَنَا الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا دُنْيَانَا الَّتِي فِيهَا مَعَاشُنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا آخِرَتَنَا الَّتِي فِيهَا مَعَادُنَا، وَاجْعَلِ الحَيَاةَ زِيَادَةً لَنَا فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَالمَوْتَ رَاحَةً لَنَا مِنْ كُلِّ شَرٍّ.

اللَّهُمَّ! أَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا، وَأَلِّفْ بَيْنَ قُلُوْبِنَا، وَاهْدِنَا سُبُلَ السَّلَامِ، وَأَخْرِجْنَا مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوْرِ.

اللَّهُمَّ! بَارِكْ لَنَا فِي أَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوَّاتِنَا وَأَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّتِنَا وَأَمْوَالِنَا، وَاجْعَلْنَا مُبَارَكِيْنَ أَيْنَمَا كُنَّا.

وَآخِرُ دَعْوَانَا: أَنِ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ.

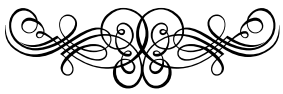

الْحَمِيدُ ﷻ

إِنَّ الحَمْدَ لله؛ نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِالله مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَـهَ إِلَّا اللهُ؛ وَحْـدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ.

أَمَّا بَعْدُ:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[آلِ عِمْرَانَ: ١٠٢]،

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾﴾النِّسَاءَ:١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾[الأَحْزَابِ:٧٠- ٧١].

عِبَادَ الله..

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ أَفْضَلَ عِبَادِ الله يَوْمَ القِيَامَةِ: الحَمَّادُوْنَ»؛ اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنْهُمْ!

وَقَدْ أَثْنَى اللهُ عَلَى نَفْسِهِ بِاسْمِهِ (الحَمِيدِ)؛ فَقَالَ ﷻ: ﴿وَهُوَ ٱلۡوَلِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿٢٨﴾﴾[الشُّوْرَى: ٢٨].

فَرَبُّنَا ﷻ المَحْمُوْدُ فِي ذَاتِهِ وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِـهِ؛ فَلَـهُ مِـنَ الأَسْـمَاءِ: أَحْـسَنُهَا، وَمِـنَ الصِّفَاتِ: أَكْمَلُهَا، وَمِنَ الأَفْعَالِ: أَتَمُّـهَا وَأَحْسَنُهَا.

وَرَبُّنَا ﷻ المَحْمُوْدُ فِي شَرْعِهِ؛ فَإِنَّهُ أَكْمَلُ الشَّرَائِعِ وَأَنْفَعُهَا لِكُلِّ الخَلَائِقِ.

وَرَبُّنَا ﷻ المَحْمُوْدُ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ، وَتَعَالِيهِ عَنِ الشَّـرِيكِ وَالنَّظِيرِ وَالوَلِيِّ مِنَ الذُّلِّ،

قَالَ ﷻ: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾﴾[الإِسْرَاءِ:١١١].

وَرَبُّنَا ﷻ مَحْمُوْدٌ بِكُلِّ لِسَانٍ، وَعَلَى كُلِّ حَالٍ، فَجَمِيعُ المَخْلُوْقَاتِ نَاطِقَةٌ بِحَمْدِهِ؛ مِنَ الجَمَادَاتِ وَالنَّاطِقَاتِ، فِي جَمِيعِ الأَوْقَاتِ عَلَى آلَائِهِ وَإِنْعَامِهِ، وَعَلَى كَمَالِهِ وَجَلَالِهِ، قَالَ ﷻ: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾[الإِسْرَاءِ:٤٤].

فَرَبُّنَا ﷻ المُسْتَحِقُّ لِلْحَمْدِ؛ بِجَمِيعِ صِيَغِهِ وَصُوَرِهِ، وَلَوْ لَمْ يَحْمَدُوْهُ فَهُوَ أَهْلُ الحَمْدِ؛ بِفَضْلِهِ وَجُوْدِهِ وَعَطَائِهِ وَرَحْمَتِهِ.

وَلَا يُحمَدُ عَلَى الأَحْوَالِ كُلِّهَا سِوَاهُ.

وَهُوَ الحَمِيدُ فَكُلُّ حَمْدٍ وَاقِعٍ ... أَوْ كَانَ مَفْرُوْضًا مَدَى الأَزْمَانِ

مَلأَ الوُجُوْدَ جَمِيعُهُ وَنَظِيرُهُ ... مِنْ غَيْرِ مَا عَدٍّ وَلَا حُسْبَانِ

هُوَ أَهْلُهُ سُبْحَانَهُ وَبِحَمْدِهِ ... كُلُّ المَحَامِدِ وَصْفُ ذِي الإِحْسَانِ

يَقُوْلُ ابْنُ القَيِّمِ ﷺ فِي كِتَابِهِ «طَرِيقُ الهِجْرَتَينِ»:

"فَإِنَّهُ المَحْمُوْدُ عَلَى مَا خَلَقَهُ وَأَمَرَ بِهِ وَنَهَى عَنْهُ.

فَهُوَ المَحْمُوْدُ عَلَى طَاعَاتِ العِبَادِ وَمَعَاصِيهِمْ وَإِيمَانِهِمْ وَكُفْرِهِمْ.

وَهُوَ المَحْمُوْدُ عَلَى خَلْقِ الأَبْرَارِ وَالفُجَّارِ والمَلَائِكَةِ وَالشَّيَاطِينِ، وَعَلَى خَلْقِ الرُّسُلِ وَأَعْدَائِهِمْ.

وَهُوَ المَحْمُوْدُ عَلَى عَدْلِهِ فِي أَعْدَائِهِ.

كَمَا هُوَ المَحْمُوْدُ عَلَى فَضْلِهِ وَإِنْعَامِهِ عَلَى أَوْلِيَائِهِ، فَكُلُّ ذَرَّةٍ مِنْ ذَرَّاتِ الكَوْنِ شَاهِدَةٌ بِحَمْدِهِ".

وَرَبُّنَا ﷻ مَحْمُودٌ حَتَّى مَعَ وُجُودِ أَعْدَائِنَا، ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾﴾[القَصَص:٤-٦].

فَرَبُّنَا ﷻ يَحْمَدُ نَفْسَهُ لِيُعَرِّفَنَا عَلَيْهِ، وَلِكَيْ نَصِلَ بِالحَمْدِ إِلَيْهِ، وَنُقْبَلَ عَلَيْهِ، وَنَطْمَعَ فِي مَغْفِرَتِهِ، وَنَطْمَعَ فِي عَطَائِهِ، وَنَطْمَعَ كَذَلِكَ فِي جَنَّتِهِ.

فَأَيُّ كَرَمٍ هَذَا؟! يُوَفِّقُكَ لِفِعْلِ الخَيْرَاتِ وَيَحْمَدُكَ عَلَيْهَا؟! ﴿وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾[الأَعْرَاف:٤٣].

وَرَبُّنَا ﷻ مِنْ لُطْفِهِ بِنَا: نَوَّعَ حَمْدَهُ؛ لِيَعْرِفَ العَبْدُ كَيْفَ يَحْمَدُ اللهَ وَيُثْنِي عَلَيْهِ؛ فَقَالَ ﷻ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾﴾[الفَاتِحَة:٢]، وَقَالَ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾[الأَنْعَام:١]، وَقَالَ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾﴾[الكَهْف:١]، وَالآيَاتُ فِي هَذَا التَّنَوُّعِ كَثِيرَةٌ.

وَأَخْبَرَ عَنْ حَمْدِ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَأَنَّهُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا بِحَمْدِهِ، فَقَالَ ﷻ عَنْهُمْ: ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾[الأَعْرَاف:٤٣].

اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ عَلَى الإِيمَانِ، وَنَسْأَلُكَ يَا حَمِيدُ بِأَنْ تُدْخِلَنَا جَنَّتَكَ؛ يَا رَبَّ العَالَمِينَ!

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَأَستَغْفِرُ اللهَ لِي وَلَكُمْ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرُوهُ؛ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ:

الحَمْدُ للهِ حَمْدًا طَيِّبًا كَثِيرًا مُبَارَكًا فِيهِ كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنِ اهْتَدَى بِهُدَاهُمْ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

عِبَادَ الله..

أَعْظَمُ صِفَةٍ فِي الْمُؤْمِنِينَ: أَنَّهُمْ يَحْمَدُوْنَ اللهَ ﷻ فِي كُلِّ حِينٍ؛ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ؛ لِأَنَّهُمْ يَعْلَمُوْنَ أَنَّ فِعْلَ الله ﷻ كُلَّهُ حِكْمَةٌ وَخَيْرٌ لَهُمْ.

وَلِذَا؛ فَأَفْضَلُ الذِّكْرِ: قَوْلُ العَبْدِ: (الحَمْدُ لله)، قَالَ ﷻ: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾﴾[النَّمْلِ:٥٩]، ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾﴾[ق:٣٩].

وَصَحَّ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «الطُّهُورُ شَطْرُ الإِيمَانِ، وَالحَمْدُ للَّهِ تَمْلَأُ المِيزَانَ، وَسُبْحَانَ الله وَالحَمْدُ لله تَمْلَآنِ -أَوْ تَمْلَأُ- مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ»[أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ].

وَصَحَّ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ الله وَبِحَمْدِهِ فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّة؛ حُطَّتْ خَطَايَاهُ، وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ البَحْرِ»[أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ].

وَلَمَّا سُئِلَ رَسُوْلُ الله ﷺ: أَيُّ الكَلَامِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «مَا اصْطَفَى اللهُ لِمَلَائِكَتِهِ أَوْ لِعِبَادِهِ: سُبْحَانَ الله وَبِحَمْدِهِ»[أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ].

جَاءَ فِي «صَحِيحِ البُخَارِيِّ»: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَلَّى بِأَصْحَابِهِ مَرَّةً، فَرَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوْعِ؛ فَقَالَ: «سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ!»، قَالَ رَجُلٌ وَرَاءَهُ: رَبَّنَا وَلَكَ الحَمْدُ؛ حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ.

فَلَمَّا انْصَرَفَ، قَالَ: «مَنِ المُتَكَلِّمُ؟»، قَالَ: أَنَا، قَالَ: «رَأَيْتُ بِضْعَةً وَثَلَاثِينَ مَلَكًا يَبْتَدِرُونَهَا أَيُّهُمْ يَكْتُبُهَا أَوَّلُ!»، كَيْفَ لَا يَبْتَدِرُوْنَهَا وَاللهُ يُحِبُّ أَنْ يُحْمَد؟!

صَحَّ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِذَا مَاتَ وَلَدُ العَبْدِ قَالَ اللهُ لِمَلَائِكَتِهِ: قَبَضْتُمْ وَلَدَ عَبْدِي؟ فَيَقُوْلُوْنَ: نَعَمْ.

فَيَقُولُ: قَبَضْتُمْ ثَمَرَةَ فُؤَادِهِ؟ فَيَقُوْلُوْنَ: نَعَمْ.

فَيَقُولُ: مَاذَا قَالَ عَبْدِي؟ فَيَقُوْلُوْنَ: حَمِدَكَ وَاسْتَرْجَعَ.

فَيَقُولُ اللهُ: ابْنُوا لِعَبْدِي بَيْتًا فِي الجَنَّةِ وَسَمُّوهُ: بَيْتَ الحَمْدِ»[رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ].

سُبْحَانَ الحَمِيدِ ﷻ مَا أَعْظَمَهُ وَأَجَلَّهُ وَأَكْرَمَهُ! النِّعْمَةُ مِنْهُ وَالرِّزْقُ مِنْهُ؛ وَالعَبْدُ يَتَمَتَّعُ بِذَلِكَ وَيَأْخُذُ عَلَيْهِ الأَجْرَ! صَحَّ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ أَكَلَ طَعَامًا، ثُمَّ قَالَ: الحَمْدُ للهِ الَّذِي أَطْعَمَنِي هَذَا الطَّعَامَ وَرَزَقَنِيهِ مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي وَلَا قُوَّةٍ؛ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»[حَدِيثٌ حَسَنٌ. رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ].

وَصَحَّ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ لَبِسَ ثَوْبًا؛ فَقَالَ: الحَمْدُ للهِ الَّذِي كَسَانِي هَذَا وَرَزَقَنِيهِ مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي وَلَا قُوَّةٍ؛ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»[حَدِيثٌ حَسَنٌ. رَوَاهُ الدَّارِمِيُّ].

وَصَحَّ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَا أَنْعَمَ اللهُ عَلَى عَبْدٍ نِعْمَةً فَقَالَ: الحَمْدُ للهِ؛ إِلَّا كَانَ الَّذِي أَعْطَى أَفْضَلَ مِمَّا أَخَذَ»[حَدِيثٌ حَسَنٌ. رَوَاهُ ابْنُ مَاجَه].

وَأَثْنَى اللهُ ﷻ عَلَى نُوحٍ ﷺ فِي كِتَابِهِ العَزِيزِ -ثَنَاءً سَيَبْقَى إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ- بِقَوْلِهِ: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾﴾[الإِسْرَاءِ:٣].

وَالكُفَّارُ لَمْ يَهْتَدُوْا إِلَى الحَقِّ كَمَا اهْتَدَى إِلَيْهِ المُتَّقُوْنَ، فَاللهُ ﷻ قَالَ عَنِ المُتَّقِينَ: ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٢٤﴾﴾[الحَجِّ:٢٤].

لَكَ الحَمْدُ حَمْدًا طَيِّبًا يَمْلَأُ السَّمَا
وَأَقْطَارَهَا وَالأَرْضَ وَالبَرَّ وَالبَحْرَا
لَكَ الحَمْدُ حَمْدًا سَرْمَدِيًّا مُبَارَكًا
يَقِلُّ مِدَادُ البَحْرِ عَنْ كُنْهِهِ حَصْرَا
لَكَ الحَمْدُ يَا ذَا الكِبْرِيَاءِ وَمَنْ يَكُنْ
بِحَمْدِكَ ذَا شُكْرٍ فَقَدْ أَحْرَزَ الشُّكْرَا

اللَّهُمَّ! لَكَ الحَمْدُ؛ كَمَا يَنْبَغِي لِجَلَالِ وَجْهِكَ وَعَظِيمِ سُلْطَانِكَ.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ الجَنَّةَ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ، ونَعُوْذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ الهُدَى وَالسَّدَادَ، وَنَسْأَلُكَ التُّقَى وَالعِفَّةَ وَالغِنَى.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنَ الخَيْرِ كُلِّهِ؛ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ؛ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَأَنْ تَجْعَلَ كُلَّ قَضَاءٍ قَضَيْتَهُ لَنَا خَيْرًا.

اللَّهُمَّ! أَصْلِحْ لَنَا دِيْنَنَا الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا دُنْيَانَا الَّتِي فِيهَا مَعَاشُنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا آخِرَتَنَا الَّتِي فِيهَا مَعَادُنَا، وَاجْعَلِ الحَيَاةَ زِيَادَةً لَنَا فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَالمَوْتَ رَاحَةً لَنَا مِنْ كُلِّ شَرٍّ.

اللَّهُمَّ! أَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا، وَأَلِّفْ بَيْنَ قُلُوْبِنَا، وَاهْدِنَا سُبَلَ السَّلَامِ، وَأَخْرِجْنَا مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوْرِ.

اللَّهُمَّ! بَارِكْ لَنَا فِي أَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوَّاتِنَا وَأَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّتِنَا وَأَمْوَالِنَا، وَاجْعَلْنَا مُبَارَكِيْنَ أَيْنَمَا كُنَّا.

وَآخِرُ دَعْوَانَا: أَنِ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ.

الشَّاكِرُ الشَّكُورُ ﷻ

إِنَّ الحَمْدَ لله؛ نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِالله مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَـهَ إِلَّا اللهُ؛ وَحْـدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ.

أَمَّا بَعْدُ:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[آلِ عِمْرَانَ: ١٠٢]،

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾﴾[النِّسَاءَ: ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾[الأَحْزَابِ: ٧٠- ٧١].

عِبَادَ الله..

قَالَ ﷻ: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمٗا ﴿١٤٧﴾﴾[النِّسَاءَ: ١٤٧]، وَقَالَ ﷻ عَـنْ نَفْـسِهِ: ﴿وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٞ ﴿١٧﴾﴾[التَّغَابُنِ: ١٧].

فَمِنْ أَسْمَاءِ الله: (الشَّاكِرِ وَالشَّكُوْرِ ﷻ).

فَرَبُّنَا ﷻ يَشْكُرُ اليَسِيرَ مِنَ الطَّاعَةِ؛ فَيُجَازِي عَلَيْهِ بِالْكَثِيرِ، بَلْ يُضَاعِفُهُ أَضْـعَافًا مُـضَاعَفَةً مِنَ الثَّوَابِ؛ بِغَيْرِ عَدٍّ وَلَا حِسَابٍ.

وَرَبُّنَا ﷻ يَشْكُرُ العِبَادَ عَلَى شُكْرِهِمْ لَهُ؛ فَيَزِيدُهُمْ مِنَ الخَيْرِ وَالفَضْلِ، وَهُوَ الَّذِي أَعْطَاهُمْ إِيَّاهُ، وَجَعَلَهُ لَهُمْ.

وَرَبُّنَا ﷻ يَشْكُرُ عَبْدَهُ بِأَنْ يُثْنِي عَلَيْهِ بَيْنَ مَلَائِكَتِهِ وَفِي مَلَئِهِ الأَعْلَى، وَيُلْقِي لَهُ الشُّكْرَ بَيْنَ عِبَادِهِ، وَيُشْكَرُ بِفِعْلِهِ مِنْهُمْ.

وَرَبُّنَا ﷻ يَغْفِرُ الكَثِيرَ مِنَ الزَّلَلِ، وَيَقْبَلُ اليَسِيرَ مِنْ صَالِحِ العَمَلِ وَيُثِيبُ عَلَيْهِ؛ ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾﴾[فَاطِر: ٣٤].

رَبُّنَا ﷻ يُعْطِي الجَزِيلَ مِنَ النِّعْمَةِ، فَيَرْضَى بِالْيَسِيرِ مِنَ الشُّكْرِ.

فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ اللهَ لَيَرْضَى عَنِ العَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الأَكْلَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا، أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا».

وَجَاءَ فِي «سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ»: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ: اللَّهُمَّ! مَا أَصْبَحَ بِي مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنْكَ وَحْدَكَ، لَا شَرِيكَ لَكَ، فَلَكَ الحَمْدُ، وَلَكَ الشُّكْرُ؛ فَقَدْ أَدَّى شُكْرَ يَوْمِهِ، وَمَنْ قَالَ مِثْلَ ذَلِكَ حِينَ يُمْسِي؛ فَقَدْ أَدَّى شُكْرَ لَيْلَتِهِ»[حَدِيثٌ حَسَنٌ].

وَمِنْ كَمَالِ شُكْرِهِ ﷻ: أَنَّهُ يُعْطِي العَبْدَ، وَيُوَفِّقُهُ لِمَا يَشْكُرُهُ عَلَيْهِ؛ فَهُوَ الَّذِي أَعْطَى فَأَثْنَى، فَمِنْهُ السَّبَبُ، وَمِنْهُ المُسَبَّبُ، قَالَ ﷻ: ﴿إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾﴾[الإِنْسَان: ٢٢].

فَسُبْحَانَ مَنْ يَمُنُّ عَلَيْكَ بِالسَّعْيِ، ثُمَّ يُوَفِّقُكَ إِلَيْهِ، ثُمَّ يَشْكُرُكَ عَلَيْهِ! أَلَيْسَ هَذَا غَايَةُ الفَضْلِ وَالإِحْسَانِ؟ فَلَهُ الحَمْدُ وَالشُّكْرُ.

وَمِنْ كَمَالِ رَبِّنَا: أَنَّهُ يَشْكُرُ القَلِيلَ مِنَ العَمَلِ وَالعَطَاءِ؛ مَعَ إِنْعَامِهِ بِالْكَثِيرِ مِنَ الآلَاءِ عَلَيْكَ، فَلَا يَسْتَقِلُّهُ إِنْ شَكَرْتَهُ، بَلْ يُضَاعِفُ الثَّوَابَ وَالجَزَاءَ لَكَ، أَلَمْ تَسْمَعْ قَوْلَ الكَرِيمِ ﷻ: ﴿وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾﴾[الشُّورَى: ٢٣]؟

أَخْرَجَ البُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ»: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «أَنَّ رَجُلًا رَأَى كَلْبًا يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ العَطَشِ؛ فَأَخَذَ الرَّجُلُ خُفَّهُ، فَجَعَلَ يَغْرِفُ لَهُ بِهِ حَتَّى أَرْوَاهُ؛ فَشَكَرَ اللهُ لَهُ، فَأَدْخَلَهُ الجَنَّةَ».

ثُمَّ إِذَا تَرَكْتَ شَيْئًا لَهُ ﷻ عَوَّضَكَ بِأَفْضَلَ مِنْهُ، وَإِذَا بَذَلْتَ شَيْئًا لَهُ رَدَّهُ عَلَيْكَ أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً؛ مَعَ أَنَّهُ هُوَ الَّذِي وَفَّقَكَ لِلتَّرْكِ وَالبَذْلِ، فَعَلَى أَيِّ شَيْءٍ تَشْكُرُهُ؟! عَلَى أَنَّ وَفَّقَكَ؟ أَوْ عَلَى أَنَّ عَوَّضَكَ؟!

وَهُوَ الشَّكُوْرُ فَلَنْ يُضَيِّعَ سَعْيَهُم ... لَكِنْ يُضَاعِفُهُ بِلَا حُسْبَانِ
مَا لِلْعِبَادِ عَلَيْهِ حَقٌّ وَاجِبٌ ... هُوَ أَوْجَبَ الأَجْرَ العَظِيمَ الشَّانِ
كَلَّا وَلَا عَمَلٌ لَدِيهِ بِضَائِعٍ ... إِنْ كَانَ بِالإِخْلَاصِ وَالإِحْسَانِ
إِنْ عُذِّبُوْا فَبِعَدْلِهِ أَوْ أُنْعِمُوْا ... فَبِفَضْلِهِ وَالحَمْدُ لِلمَنَّانِ

لَمَّا عَقَرَ نَبِيُّ اللهِ عليه السلام سُلَيْمَانُ الخَيْلَ غَضَبًا لَهُ -إِذْ أَشْغَلَتْهُ عَنْ ذِكْرِهِ، فَأَرَادَ أَلَّا تُشْغِلَهُ مَرَّةً أُخْرَى-؛ أَعَاضَهُ عَنْهَا: الرِّيحَ.

لَمَّا احْتَمَلَ يُوْسُفُ الصِّدِّيقُ عليه السلام ضِيْقَ السِّجْنِ؛ شَكَرَ لَهُ ﷻ ذَلِكَ بِأَنْ مَكَّنَ لَهُ؛ ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾[يُوْسُفَ:٥٦].

وَلَمَّا بَذَلَ رُسُلُهُ عليهم السلام أَعْرَاضَهُمْ فِيهِ لِأَعْدَائِهِمْ؛ فَنَالُوْا مِنْهُمْ وَسَبُّوْهُمْ؛ أَعَاضَهُمْ عَنْ ذَلِكَ بِأَنْ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِمْ وَمَلَائِكَتُهُ، وَجَعَلَ لَهُمْ أَطْيَبَ الثَّنَاءِ فِي سَمَاوَاتِهِ وَبَيْنَ خَلْقِهِ فَأَخْلَصَهُمْ ﴿بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾﴾[ص:٤٦].

وَلَمَّا تَرَكَ الصَّحَابَةُ رضي الله عنهم دِيَارَهُمْ، وَخَرَجُوْا مِنْهَا فِي مَرْضَاتِهِ؛ أَعَاضَهُمْ عَنْهَا: أَنْ مَلَّكَهُمُ الدُّنْيَا وَفَتَحَهَا عَلَيْهِمْ.

وَلَمَّا بَذَلَ الشُّهَدَاءُ أَبْدَانَهُمْ لَهُ حَتَّى مَزَّقَهَا أَعْدَاؤُهُ؛ شَكَرَ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنْ أَعَاضَهُمْ عَنْهَا: طَيْرًا خُضْرًا، أَقَرَّ أَرْوَاحَهُمْ فِيهَا، تَرِدُ أَنْهَارَ الجَنَّةِ، وَتَأْكُلُ مِنْ ثِمَارِهَا إِلَى يَوْمِ البَعْثِ، فَيَرُدُّهَا عَلَيْهِمْ أَكْمَلَ مَا تَكُوْنُ وَأَجْمَلَهُ وَأَبْهَاهُ.

إِنَّهُ الشَّكُوْرُ ﷻ؛ يُخْرِجُ العَبْدَ مِنَ النَّارِ بِأَدْنَى مِثْقَالِ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ، وَلَا يَضَيْعُ عَلَيْهِ هَذَا القَدْرُ، جَاءَ فِي الحَدِيثِ المُتَّفَقِ عَلَيْهِ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ وَجَدَ غُصْنَ شَوْكٍ عَلَى الطَّرِيقِ فَأَخَّرَهُ؛ فَشَكَرَ اللهُ لَهُ، فَغَفَرَ لَهُ».

فَكَيْفَ بِمَنْ يُزِيلُ العَوَائِقَ المَعْنَوِيَّةَ عَنْ طَرِيقِ النَّاسِ؟ كَيْفَ بِمَنْ يُيَسِّرُ أُمُوْرَ النَّاسِ وَيُفَرِّجُ هَمَّهُمْ، وَيَكْشِفُ غَمَّهُمْ، وَيُعِينُهُمْ عَلَى قَضَاءِ حَوَائِجِهِمْ، وَيُدْخِلُ السَّرُوْرَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ؟! وَهَذَا -كُلُّهُ- مِنْهُ ﷻ أَنْ وَفَّقَكَ فِي الأُوْلَى وَالآخِرَةِ.

يَقُوْلُ ابْنُ القَيِّمِ ﷺ: "وَهَذَا غَايَةُ الكَرَمِ الَّذِي لَا كَرَمَ فَوْقَهُ! يُنْعِمُ عَلَيْكَ ثُمَّ يُوزِعُكَ شُكْرَ النِّعْمَةِ، وَيَرْضَى عَنْكَ، ثُمَّ يُعِيدُ إِلَيْكَ مَنْفَعَةَ شُكْرِكَ، وَيَجْعَلُهُ سَبَبًا لِتَوَالِي نِعَمِهِ وَاتِّصَالِهِ إِلَيْكَ، وَالزِّيَادَةِ عَلَى ذَلِكَ مِنْهَا".

بَلْ رُبَّمَا شَكَرَ اللهُ ﷻ عَدُوَّهُ وَأَبْغَضَ خَلْقِهِ إِلَيْهِ، وَأَعْطَاهُ فِي الدُّنْيَا، وَرُبَّمَا خَفَّفَ عَنْهُ العَذَابَ فِي الآخِرَةِ؛ كَأَبِي طَالِبٍ عَمِّ النَّبِيِّ ﷺ، أَوْ غَفَرَ لَهُ؛ كَالمَرْأَةِ البَغِيِّ الَّتِي سَقَتْ كَلْبًا؛ فَشَكَرَ اللهُ لَهَا وَغَفَرَ لَهَا.

لَمَّا كَانَ ﷻ هُوَ الشَّكُوْرُ عَلَى الحَقِيقَةِ؛ كَانَ أَحَبَّ خَلْقِهِ إِلَيْهِ: مَنِ اتَّصَفَ بِصِفَةِ الشُّكْرِ، كَمَا أَنَّ أَبْغَضَ خَلْقِهِ إِلَيْهِ: مَنْ عَطَّلَها واتَّصَفَ بِضِدِّهَا.

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنَ الشَّاكِرِينَ؛ يَا رَبَّ العَالَمِينَ!

أَقُولُ قَولِي هَذَا، وَأَستَغْفِرُ اللهَ لِي وَلَكُمْ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرُوهُ؛ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ:

الحَمْدُ للهِ حَمْدًا طَيِّبًا كَثِيرًا مُبَارَكًا فِيهِ كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنِ اهْتَدَى بِهُدَاهُمْ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

عِبَادَ الله..

الشُّكْرُ شُكْرَانِ:

الأَوَّلُ: أَنْ يَكُوْنَ بِاللِّسَانِ، وَهُوَ: الثَّنَاءُ عَلَى المُنْعِمِ.

وَالآخِرُ: الشُّكْرُ بِجَمِيعِ الجَوَارِحِ، وَاسْتِخْدَامِهَا فِي طَاعَةِ اللهِ ﷻ.

وَهُوَ دَأْبُ الأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ جَمِيعًا.

أَخْرَجَ البُخَارِيُّ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُوْمُ اللَّيْلَ حَتَّى تَتَوَرَّمَ قَدَمَاهُ، فَتَقُوْلُ عَائِشَةُ ﵂: لِمَ تَصْنَعُ هَذَا وَقَدْ غَفَرَ اللهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟! فَيَقُوْلُ: «أَفَلَا أَكُوْنُ عَبْدًا شَكُوْرًا؟!».

وَنُوْحٌ ﵇ كَانَ مِنْ أَعْظَمِ الشَّاكِرِينَ، قَالَ اللهُ ﷻ عَنْهُ: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ۝٣﴾[الإِسْرَاءِ:٣]، قَالَ بَعْضُ المُفَسِّرِينَ: كَانَ إِذَا أَكَلَ أَوْ شَرِبَ أَوْ لَبِسَ أَوْ قَامَ؛ قَالَ: الحَمْدُ لله، فَجُعِلَتْ وِسَامًا لَهُ فِي كِتَابِ اللهِ ﷻ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ.

وَأَمَرَ اللهُ ﷻ عَبْدَهُ مُوْسَى ﵇ أَنْ يَتَلَقَّى مَا آتَاهُ مِنَ النُّبُوَّةِ وَالرِّسَالَةِ وَتَكْلِيمِهِ إِيَّاهُ بِالشُّكْرِ؛ فَقَالَ ﷻ: ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ۝١٤٤﴾[الأَعْرَافِ:١٤٤].

وَامْتَدَحَ اللهُ ﷻ آلَ دَاوُدَ ﵇ عَلَى شُكْرِهِمْ: ﴿ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا﴾[سَبَإٍ:١٣].

وَلَـمَّا كَانَ القَلِيلُ مِنْ عِبَادِ اللهِ ﷻ مَنْ حَقَّقَ عِبَادَةَ الشُّكْرِ؛ فَقَدْ أَوْجَبَ عَلَى العَبْدِ أَنْ يَطْلُبَ الإِعَانَةَ مِنْهُ عَلَى الشُّكْرِ وَالقَبُوْلِ.

فَهَذَا النَّبِيُّ ﷺ يُوْصِي مُعَاذًا أَنْ يَقُوْلَ دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ: «اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ»[حَدِيثٌ صَحِيحٌ. رَوَاهُ أَبُوْ دَاوُدَ].

وَفِي الحَدِيثِ الآخَرِ قَالَ ﷺ: «رَبِّ اجْعَلْنِي لَكَ شَكَّارًا، لَكَ ذَكَّارًا»[حَدِيثٌ صَحِيحٌ.

رَوَاهُ أَبُوْ دَاوُدَ].

ثُمَّ تَأَمَّلْ هَذَا الضَّمَانَ لَكَ مِنْ رَبِّ العَالَمِينَ -إِنْ كُنْتَ شَاكِرًا-؛ فاللهُ ﷻ قَدْ قَالَ: ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾﴾[النِّسَاءَ:١٤٧].

وَالشُّكْرُ لَكَ، قَالَ ﷻ: ﴿وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾﴾[لُقْمَانَ:١٢]، وَقَالَ ﷻ: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إِبْرَاهِيمَ: ٧].

فَمَا أَرْحَمَ اللهَ!

وَمَنْ أَرَادَ الزِّيَادَةَ فَعَلَيْهِ بِالشُّكْرِ؛ لِأَنَّ اللهَ ﷻ قَالَ: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إِبْرَاهِيمَ:٧].

قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ﷺ: "إِنَّ النِّعْمَةَ مَوْصُوْلَةٌ بِالشُّكْرِ، وَالشُّكْرُ مُتَعَلِّقٌ بِالمَزِيدِ، وَهُمَا مَقْرُوْنَانِ فِي قَرْنٍ؛ فَلَنْ يَنْقَطِعَ المَزِيدُ مِنَ اللهِ حَتَّى يَنْقَطِعَ الشُّكْرُ مِنَ العَبْدِ".

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ العزِيزِ ﷺ: "قَيِّدُوْا نِعَمَ اللهِ بِشُكْرِ اللهِ".

وَمِنْ شُكْرِ اللهِ ﷻ: شُكْرُ مَنْ أَجْرَى اللهُ النِّعْمَةَ عَلَى يَدَيهِ، وَأَوَّلُهُمْ: الوَالِدَانِ: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾﴾[لُقْمَانَ:١٤].

جَاءَ فِي «مُسْنَدِ الإِمَامِ أَحْمَدَ»: «مَنْ لَا يَشْكُرِ النَّاسَ لَا يَشْكُرُ اللهَ»[حَدِيثٌ صَحِيحٌ].

تَبَارَكَ مَنْ شُكْرُ الوَرَى عَنْهُ يَقْصُرُ
لِكَوْنِ أَيَادِي جُوْدِهِ لَيْسَ تُحْصَرُ
وَشَاكِرُهَا يَحْتَاجُ شُكْرًا لِشُكْرِهَا
كَذَلِكَ شُكْرُ الشُّكْرِ يَحْتَاجُ يُشْكَرُ

فَفِـي كُـلِّ شُـكْرٍ نِعْمَـةٌ بَعْـدَ نِعْمَـةٍ
بِغَـيْرِ تَنَـاءٍ دُوْنَهَـا الـشُّكْرُ يَـصْغُرُ
فَمَنْ رَامَ يَقْضِي حَقَّ وَاجِبِ شُكْرِهَا
تَحَمَّلَ ضِمْنَ الشُّكْرِ مَـا هُـوَ أَكْـبَرُ

اللَّهُمَّ! اجْعَلْنَا مِنَ الشَّاكِرِينَ؛ يَا رَبَّ العَالَمِينَ!

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ الجَنَّةَ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ، ونَعُوْذُ بِكَ مِنَ النَّـارِ وَمَـا قَـرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ الهُدَى وَالسَّدَادَ، وَنَسْأَلُكَ التُّقَى وَالعِفَّةَ وَالغِنَى.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنَ الخَيْرِ كُلِّهِ؛ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ؛ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَأَنْ تَجْعَلَ كُلَّ قَضَاءٍ قَضَيْتَهُ لَنَا خَيْرًا.

اللَّهُمَّ! أَصْلِحْ لَنَا دِيْنَنَا الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِنَـا، وَأَصْـلِحْ لَنَـا دُنْيَانَـا الَّتِـي فِيهَـا مَعَاشُـنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا آخِرَتَنَا الَّتِي فِيهَا مَعَادُنَا، وَاجْعَلِ الحَيَاةَ زِيَادَةً لَنَا فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَالمَوْتَ رَاحَةً لَنَا مِـنْ كُلِّ شَرٍّ.

اللَّهُمَّ! أَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا، وَأَلِّفْ بَيْنَ قُلُوْبِنَا، وَاهْدِنَا سُبُلَ السَّلَامِ، وَأَخْرِجْنَا مِنَ الظُّلُـمَاتِ إِلَى النُّوْرِ.

اللَّهُمَّ! بَارِكْ لَنَـا فِي أَسْـمَاعِنَا وَأَبْـصَارِنَا وَقُوَّاتِنَـا وَأَزْوَاجِنَـا وَذُرِّيَّتِنَـا وَأَمْوَالِنَـا، وَاجْعَلْنَـا مُبَارَكِيْنَ أَيْنَمَا كُنَّا.

وَآخِرُ دَعْوَانَا: أَنِ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ.

الكَرِيمُ الأَكْرَمُ ﷺ

إِنَّ الحَمْدَ لله؛ نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِالله مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَـهَ إِلَّا اللهُ؛ وَحْـدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ.

أَمَّا بَعْدُ:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[آلِ عِمْرَانَ: ١٠٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾[النِّسَاءَ: ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾[الأَحْزَابِ: ٧٠- ٧١].

عِبَادَ الله..

صَحَّ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِنِّي لَأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ الجَنَّةِ دُخُوْلًا الجَنَّةَ، وَآخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوْجًا مِنْهَا: رَجُلٌ يُؤْتَى بِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ؛ فَيُقَالُ: اعْرِضُوْا عَلَيْهِ صِغَارَ ذُنُوبِهِ، وَارْفَعُوْا عَنْهُ كِبَارَهَا! فَتُعْرَضُ عَلَيْهِ صِغَارُ ذُنُوْبِهِ، فَيُقَالُ: عَمِلْتَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا كَذَا وَكَذَا، وَعَمِلْتَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا كَذَا وَكَذَا؟ فَيَقُوْلُ: نَعَمْ، لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُنْكِرَ؛ وَهُوَ مُشْفِقٌ مِنْ كِبَارِ ذُنُوبِهِ أَنْ تُعْرَضَ عَلَيْهِ.

فَيُقَالُ لَهُ: فَإِنَّ لَكَ مَكَانَ كُلِّ سَيِّئَةٍ حَسَنَةً، فَيَقُوْلُ: رَبِّ! قَدْ عَمِلْتُ أَشْيَاءَ لَا أَرَاهَا هَا هُنَا».

قَالَ أَبُوْ ذَرٍّ -رَاوِي الحَدِيثِ-: فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُوْلَ الله ﷺ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ.

[أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ].

مَا أَكْرَمَ اللهَ! وَمَا أَحْلَمَ اللهَ! وَمَا أَعْظَمَ اللهَ!

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦﴾[الانْفِطَارَ:٦]، ﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ۝٤٠﴾[النَّمْلِ:٤٠].

وَمِنْ أَسْمَاءِ الله ﷻ: (الكَرِيمِ الأَكْرَمِ).

وَالكَرَمُ: لَفْظٌ جَامِعٌ لِلمَحَاسِنِ وَالمَحَامِدِ، لَا يُرَادُ بِهِ: مُجَرَّدُ عَطَاءٍ، بَلْ الإِعْطَاءُ مِنْ تَمَامِ مَعْنَاهُ، وَلِذَا؛ وَرَدَ عَنْ أَهْلِ العِلْمِ فِي مَعْنَى الاسْمِ أَقْوَالٌ عَدِيدَةٌ، وَكُلُّ الَّذِي أَوْرَدُوْهُ حَقٌّ.

فَرَبُّنَا الكَرِيمُ ﷻ كَثِيرُ الخَيْرِ وَالعَطَاءِ، دَائِمُ الخَيْرِ، لَهُ قَدْرٌ عَظِيمٌ وَشَأْنٌ كَبِيرٌ، مُنَزَّهٌ عَنِ النَّقَائِصِ وَالآفَاتِ، المُكْرِمُ المُنْعِمُ المُتَفَضِّلُ؛ الَّذِي يُعْطِي لَا لِعِوَضٍ وَلِغَيْرِ سَبَبٍ، يُعْطِي المُحْتَاجَ وَمَنْ لَا يَحْتَاجُ، إِذَا وَعَدَ وَفَّى، تُرْفَعُ إِلَيْهِ الحَاجَاتُ صَغِيرُهَا وَكَبِيرُهَا، لَا يَضِيعُ مَنِ الْتَجَأَ إِلَيْهِ، يَتَجَاوَزُ عَنِ الذُّنُوْبِ، وَيَغْفِرُ السَّيِّئَاتِ، بَلْ وَيُبَدِّلُ السَّيِّئَاتِ حَسَنَاتٍ، يُعْطِي قَبْلَ أَنْ نَسْأَلَهُ.

رَزَقَنَا السَّمْعَ وَالبَصَرَ، وَالأَفْئِدَةَ وَالجَوَارِحَ، وَالقُوَّةَ، وَالمَلَكَاتِ الظَّاهِرَةِ وَالخَفِيَّةِ؛ الَّتِي لَا نَسْتَطِيعُ عَدَّهَا: ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ۝٣٤﴾ [إِبْرَاهِيمَ:٣٤]، جَادَ بِهَا عَلَيْنَا دُوْنَ أَنْ نَسْأَلَهُ، وَقَبْلَ أَنْ نَسْأَلَهُ؛ كَرَمًا مِنْهُ وَفَضْلًا، فَهُوَ يُعْطِي وَيُثْنِي.

رَبُّنَا الكَرِيمُ ﷻ؛ الَّذِي قَدَرَ فَعَفَا، وَإِذَا وَعَدَ وَفَّى، وَعَدَ المُؤْمِنِينَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ بِأَلْوَانِ الفَضْلِ وَالخَيْرِ وَالنِّعَمِ وَالعَطَاءِ.

فَسُبْحَانَهُ مِنْ كَرِيمٍ جَوَادٍ!!

الكَرَمُ مِنْ صِفَاتِهِ، وَالجُوْدُ مِنْ أَعْظَمِ سِمَاتِهِ، وَالعَطَاءُ مِنْ أَجَلِّ هِبَاتِهِ؛ فَمَنْ أَعْظَمُ مِنْهُ جُوْدًا؟!

إِلَى اللهِ أُهْدِي الحَمْدَ وَالشُّكْرَ وَالثَّنَـا

لَـهُ الحَمْـدُ مَوْلَانَـا عَلَيْـهِ المُعَـوَّلُ

وَأَشْـــــهَدُ أَنَّ اللهَ لَا رَبَّ غَـــــيْرَهُ

كَـــرِيمٌ رَحِـــيمٌ يُرْتَجَـــى وَيُؤَمَّـــلُ

الخَلَائِقُ لَهُ عَاصُوْنَ، وَهُوَ لَهُمْ مُرَاقِبٌ، يَكْلَؤُهُمْ فِي مَضَاجِعِهِمْ كَـأَنَّهُمْ لَمْ يَعْـصُوْهُ، وَيَتَـوَلَّى حِفْظَهُمْ كَأَنَّهُمْ لَمْ يُذْنِبُوْا، وَيَجُوْدُ بِالفَضْلِ عَلَى العَاصِي، وَيَتَفَضَّلُ عَلَى المُسِيءِ..

مَنْ ذَا الَّذِي دَعَاهُ فَلَمْ يَسْتَجِبْ لَهُ؟ أَمْ مَنْ ذَا الَّذِي سَأَلَهُ فَلَمْ يُعْطِـهِ؟ أَمْ مَـنِ الَّـذِي أَنَـاخَ بِبَابِهِ فَنَحَّاهُ؟!

فَهُوَ ذُو الفَضْلِ وَمِنْهُ الفَضْلُ، وَهُوَ الجَوَادُ وَمِنْهُ الجُوْدُ، وَهُوَ الكَرِيمُ وَمِنْهُ الكَرَمُ.

يَقِفُ المُشْرِكُوْنَ فِي وَجْهِ النَّبِيِّ ﷺ، وَيُحَارِبُوْنَ دَعْوَتَهُ، وَيَمْكُـرُوْنَ بِـهِ؛ لِيَقْتُلُـوْهُ أَوْ يُثْبِتُـوْهُ، وَيُنْفِقُوْنَ أَمْوَالَهُمْ فِي الصَّدِّ عَنْ سَبِيلِهِ، وَيُشْرِكُوْنَ مَعَ اللهِ غَيْرَهُ، وَيَدْعُوْنَ سِوَاهُ؛ وَمَعَ ذَلِكَ يَقُوْلُ لَهُمُ الكَرِيمُ الحَلِيمُ الغَفُوْرُ الشَّكُوْرُ الصَّبُوْرُ: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدۡ مَضَتۡ سُنَّتُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾﴾[الأَنْفَالِ:٣٨].

رَبُّنَا ﷻ غَنِيٌّ عَنْ شُكْرِنَا، لَا تَعُوْدُ مَنْفَعَةُ الشُّكْرِ إِلَيْهِ، وَلَا يَضُرُّهُ كُفْرَانُ مَنْ كَفَرَهُ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ (كَرِيمٌ) فِي تَرْكِ المَعَاجَلَةِ بِالعُقُوْبَةِ؛ ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾[النَّمْلِ:٤٠].

وَمِنْ كَمَالِ غِنَاهُ وَكَرَمِهِ ﷻ: أَنَّهُ خَلَقَ العِبَادَ لِيَعْبُدُوْهُ؛ لَا لِيَرْزُقُوْهُ وَلَا لِيُطْعِمُوْهُ، بَلْ هُوَ رَزَّاقُ العَالَمِينَ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾[الذَّارِيَاتِ:٥٦-٥٨].

وَمِنْ جَلَالِهِ: أَنَّهُ لَا تَتَعَاظَمُ عَلَيْهِ المَسَائِلُ وَالدَّعَوَاتُ؛ مَهْمَا كَثُرَتْ وَكَبُرَتْ، صَحَّ عَنْـهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِذَا دَعَا أَحَدُكُمْ؛ فَلَا يَقُوْلَنَّ: اللَّهُمَّ! إِنْ شِئْتَ، وَلَكِنْ لِـيُعْظِمْ رَغْبَتَـهُ؛ فَـإِنَّ اللهَ ﷻ لَا

يَتَعَاظَمُ عَلَيْهِ شَيْءٌ أَعْطَاهُ»[حَدِيثٌ صَحِيحٌ. رَوَاهُ أَحْمَدُ فِي «المُسْنَدِ»].

بَلْ مِنْ كَرَمِهِ ﷻ: أَنَّهُ جَعَلَ دُعَاءَهُ أَكْرَمَ عِبَادَةٍ عِنْدَهُ ﷻ، صَحَّ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «لَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَمَ عَلَى اللهِ -سُبْحَانَه- مِنَ الدُّعَاءِ»[حَدِيثٌ حَسَنٌ. رَوَاهُ ابْنُ مَاجَه].

بَلِ انْظُرُوْا إِلَى عَظِيمِ كَرَمِهِ ﷻ: قَالَ ﷺ: «إِنَّ اللهَ حَيِيٌّ كَرِيمٌ يَسْتَحِي إِذَا رَفَعَ الرَّجُلُ إِلَيْهِ يَدَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا خَائِبَتَيْنِ»[حَدِيثٌ صَحِيحٌ. رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ].

وَكَرَمُهُ دَائِمٌ؛ لَا يَنْقَطِعُ إِلَى أَنْ تَلْقَاهُ، فَانْظُرْ إِلَى أَكْبَرِ وَأَعْظَمِ هَدِيَّةٍ تُقَدَّمُ لَكَ يَوْمَ القِيَامَةِ -إِنْ كُنْتَ مُؤْمِنًا-: تُضَاعَفُ لَكَ الحَسَنَاتُ: الحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِئَةِ ضِعْفٍ؛ إِذَا هَمَمْتَ بِهَا وَعَمِلْتَهَا، وَإِذَا هَمَمْتَ بِهَا وَلَمْ تَعْمَلْهَا؛ كُتِبَتْ حَسَنَةً، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ وَعَمِلَهَا؛ كُتِبَتْ سَيِّئَةً وَاحِدَةً، فَإِذَا تَابَ غُفِرَ لَهُ، وَبُدِّلَتِ السَّيِّئَةُ حَسَنَةً، ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾﴾[الفُرْقَان:٧٠]، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾[الأَنْفَال:٤].

بَلْ زَادَ عَلَى المُنَى، جَاءَ فِي الحَدِيثِ القُدُسِيِّ المُتَّفَقِ عَلَيْهِ: «قَالَ اللهُ ﷻ: أَعْدَدْتُ لِعِبَادِيَ الصَّالِحِين: مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ»، وَالأَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ: النَّظَرُ إِلَى وَجْهِهِ الكَرِيمِ؛ ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾[القيامة:٢٢-٢٣].

اللَّهُمَّ! اجْعَلْنَا مِنْهُمْ؛ يَا أَكْرَمَ الأَكْرَمِينَ!

أَقُولُ قَولِي هَذَا، وَأَستَغْفِرُ اللهَ لِي وَلَكُمْ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرُوهُ؛ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ:

الحَمْدُ للهِ حَمْدًا طَيِّبًا كَثِيرًا مُبَارَكًا فِيهِ كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنِ اهْتَدَى بِهُدَاهُمْ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

عِبَادَ الله..

مِيزَانُ الإِكْرَامِ وَالإِهَانَةِ يَوْمَ القِيَامَةِ: التَّقْوَى؛ ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[الحُجُرَاتِ: ١٣]، لَا كَرَامَةَ لِأَهْلِ الكُفْرِ بَلِ الإِهَانَةُ: ﴿وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ﴿١٨﴾﴾[الحَجِّ:١٨]، وَلَيْسَتْ مَوَازِينُ النَّاسِ فِي الدُّنْيَا؛ الَّتِي ذَكَرَهَا اللهُ ﷻ بِقَوْلِهِ: ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾﴾[الفَجْرِ:١٥-١٦].

وَمَنْ تَعَلَّقَ بِالقُرْآنِ؛ بَشَّرَهُ بِالْكَرَامَةِ فِي الدَّارَيْنِ، فاللهُ ﷻ قَدْ قَالَ: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾﴾ [الوَاقِعَةِ:٧٧]، كَثِيرُ الخَيْرِ، غَزِيرُ العِلْمِ، يُكْرِمُ حَافِظَهُ، وَيُعَظِّمُ قَارِئَهُ.

وَبَعْدَ أَنْ سَمِعْتَ عَنْ كَرَمِ رَبِّكَ؛ فَحَقٌّ عَلَيَّ وَعَلَيْكَ أَنْ نَدْعُوهُ فِي الشِّدَّةِ وَالرَّخَاءِ، وَالسَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ، وَنَفْزَعُ إِلَيْهِ فِي المُلِمَّاتِ، وَنَتَوَسَّلُ إِلَيْهِ فِي الكُرُبَاتِ، نَنْطَرِحُ عَلَى عَتَبَاتِ بَابِهِ؛ سَائِلِينَ بَاكِينَ ضَارِعِينَ مُنِيبِينَ؛ حِينَهَا يَأْتِي مَدَدُهُ، وَيَصِلُ عَوْنُهُ، وَيُسْرِعُ فَرَجُهُ؛ ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾[النَّمْلِ:٦٢].

فَالْكَرِيمُ ﷻ يُنْجِي الغَرِيقَ، وَيَرُدُّ الغَائِبَ، وَيُعَافِي المُبْتَلَى، وَيَنْصُرُ المَظْلُومَ، وَيَهْدِي الضَّالَّ، وَيَشْفِي المَرِيضَ، وَيُفَرِّجُ عَنِ المَكْرُوبِ.

كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ عِنْدَ الكَرْبِ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ العَظِيمُ الحَلِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ رَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَرَبُّ الأَرْضِ، وَرَبُّ العَرْشِ الكَرِيمِ»[أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ].

أَغِيبُ وَذُو اللَّطَائِفِ لَا يَغِيبُ ... وَأَرْجُوهُ رَجَاءً لَا يَخِيبُ
وَأَسْأَلُهُ السَّلَامَةَ مِنْ زَمَانٍ ... بُلِيتُ بِهِ نَوَائِبُهُ تُشِيبُ

وَأُنْـزِلُ حَـاجَتِي فِي كُـلِّ حَـالٍ إِلَى مَـن تَطْمَـئِنُّ بِـهِ القُلُـوْبُ
ومَـنْ لِي غَـيْرَ بَـابِ اللهِ بَـابٌ وَلَا مَـوْلَى سِـوَاهُ وَلَا حَبِيـبُ
كَـرِيمٌ مُـنْعِمٌ بَـرٌّ لَطِيـفٌ جَمِيلُ السَّتْرِ لِلدَّاعِي مُجِيبُ
فَيَا مَلِـكَ المُلُـوْكِ أَقِـلْ عِثَـارِي فَـإِنِّي عَنْـكَ أَنْـأَتْنِي الـذُّنُوْبُ
وَأَمْرَضَنِي الهَوَى لِهَوَانِ حَظِّـي وَلَكِنْ لَيْسَ غَـيْرَكَ لِي طَبِيـبُ

اللَّهُمَّ يَا كَرِيمُ! أَكْرِمنَا بِجَنَّتِكَ وَعَفْوِكَ وَرِضَاكَ.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ الجَنَّةَ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ، ونَعُوْذُ بِكَ مِنَ النَّـارِ وَمَـا قَـرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ الهُدَى وَالسَّدَادَ، وَنَسْأَلُكَ التُّقَى وَالعِفَّةَ وَالغِنَى.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنَ الخَيْرِ كُلِّهِ؛ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ؛ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَأَنْ تَجْعَلَ كُلَّ قَضَاءٍ قَضَيْتَهُ لَنَا خَيْرًا.

اللَّهُمَّ! أَصْلِحْ لَنَا دِيْنَنَا الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِنَـا، وَأَصْـلِحْ لَنَـا دُنْيَانَـا الَّتِـي فِيهَـا مَعَاشُـنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا آخِرَتَنَا الَّتِي فِيهَا مَعَادُنَا، وَاجْعَلِ الحَيَاةَ زِيَادَةً لَنَا فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَالمَوْتَ رَاحَةً لَنَا مِـنْ كُلِّ شَرٍّ.

اللَّهُمَّ! أَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا، وَأَلِّفْ بَيْنَ قُلُوْبِنَا، وَاهْدِنَا سُبُلَ السَّلَامِ، وَأَخْرِجْنَا مِنَ الظُّلُـمَاتِ إِلَى النُّوْرِ.

اللَّهُمَّ! بَارِكْ لَنَـا فِي أَسْـمَاعِنَا وَأَبْـصَارِنَا وَقُوَّاتِنَـا وَأَزْوَاجِنَـا وَذُرِّيَّتِنَـا وَأَمْوَالِنَـا، وَاجْعَلْنَـا مُبَارَكِيْنَ أَيْنَمَا كُنَّا.

وَآخِرُ دَعْوَانَا: أَنِ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ.

الْمُقِيتُ ﷻ

إِنَّ الحَمْدَ لله؛ نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِالله مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَـهَ إِلَّا اللهُ؛ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ.

أَمَّا بَعْدُ:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[آل عِمْرَان: ١٠٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾[النِّسَاء: ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾[الأَحْزَاب: ٧٠- ٧١].

عِبَادَ الله..

صَحَّ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ اللهَ -تَعَالَى- يَقُوْلُ: يَا ابْنَ آدَمَ! تَفَرَّغْ لِعِبَادَتِي أَمْلَأْ صَدْرَكَ غِنًى، وأَسُدَّ فَقْرَكَ، وَإِنْ لَا تَفْعَلْ؛ مَلَأْتُ يَدَكَ شُغْلًا، وَلَمْ أَسُدَّ فَقْرَكَ»[حَدِيثٌ صَحِيحٌ. رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ].

وَفِي الحَدِيثِ الصَّحِيحِ: «يَدُ الله مَلْأَى لاَ يَغِيضُهَا نَفَقَةٌ، سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ؟ فَإِنَّهُ لَمْ يَغِضْ مَا فِي يَدِهِ»[أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ -وَهَذَا لَفْظُهُ-، وَمُسْلِمٌ].

قَامَتْ بِهِ ﷻ السَّمَاوَاتُ والأَرْضُ، وَصَلُحَ بِهِ أَمْرُ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَأَذْعَنَ لَهُ الرَّطْبُ

وَاليَابِسُ.

مَقَالِيدُ المُلْكِ بِيَدِهِ، وَمَقَادِيرُ الأَشْيَاءِ عِنْدَهُ، وَمَفَاتِيحُ الأُمُوْرِ لَدَيْهِ، وَمَصِيرُ العِبَادِ إِلَيْهِ، وَالعَزَّةُ لَهُ جَمِيعًا، وَالمُلْكُ لَهُ كُلُّهُ، لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَى، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعَ، فَهَلْ يَعْجَزُ الكَرِيمُ القَوِيُّ الرَّحِيمُ المُقِيتُ أَنْ يَسُوقَ إِلَيْكَ رَغِيفًا أَوْ قُوْتًا أَوْ شَرَابًا فَتَحْيَا بِهِ نَفْسُكَ؟

وَمَا أَسْعَدَنَا عِنْدَمَا نَعِيشُ مَعَ اسْمٍ مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ الحُسْنَى، وَهُوَ (المُقِيتُ ﷻ):

يَقُوْلُ اللهُ ﷻ: ﴿ مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا ﴿٨٥﴾ ﴾[النِّسَاءَ:٨٥].

فَالمُقِيتُ: المُقْتَدِرُ؛ الَّذِي خَلَقَ الأَقْوَاتَ.

وَالمُقِيتُ: الحَفِيظُ؛ الَّذِي يُعْطِي الشَّيْءَ عَلَى قَدْرِ الحَاجَةِ مِنَ الحِفْظِ.

فَرَبُّنَا ﷻ الَّذِي أَوْصَلَ إِلَى كُلِّ مَوْجُوْدٍ مَا بِهِ يَقْتَاتُ، وَأَوْصَلَ إِلَيْهِ أَرْزَاقَهُ وَصَرَفَهَا كَيْفَ يَشَاءُ بِحِكْمَتِهِ وَحَمْدِهِ.

فَلِكُلِّ مَخْلُوْقٍ قُوْتٌ: فَالْأَبْدَانُ قُوْتُهَا: المَأْكُوْلُ وَالمَشْرُوْبُ، وَالأَرْوَاحُ قُوْتُهَا: العُلُوْمُ، وَقُوْتُ المَلَائِكَةِ: التَّسْبِيحُ.

فَاللهُ ﷻ هُوَ المُقِيتُ لِعِبَادِهِ، الحَافِظُ لَهُمْ، الشَّاهِدُ لِأَحْوَالِهِمْ، المُطَّلِعُ عَلَيْهِمْ؛ فَالرَّبُّ ﷻ قَائِمٌ عَلَى مَصَالِحِ العِبَادِ؛ يَقُوْتُهُمْ وَيَرْزُقُهُمْ، وَأَفْضَلُ الرِّزْقِ: العَقْلُ، وَمَنْ رُزِقَ العَقْلَ فَقَدْ أَكْرَمَهُ اللهُ ﷻ!

إِلَهِي لَكَ الفَضْلُ الَّذِي عَمَّمَ الوَرَى
وَجُوْدًا عَلَى كُلِّ الخَلِيقَةِ مُسْبَلُ
وَغَيْرُكَ لَوْ يَمْلِكُ خَزَائِنَكَ الَّتِي
تَزِيدُ مَعَ الإِنْفَاقِ لَا بُدَّ يَبْخَلُ

أَعُوْذُ بِكَ اللَّهُمَّ مِنْ سُوْءِ صُنْعِنَا

ومِنْ أَنْ تَكُنْ نُعْمَاكَ عَنَّا تُحَوَّلُ

فَلَا تَنْشَغِلَ بِمَا ضُمِنَ لكَ؛ فاللهُ قَدْ قَالَ عَنْ نَفْسِهِ: (المُقِيتُ)، وَقَالَ عَنْ نَفْسِهِ: (الرَّزَّاقُ).

وَالمُقِيتُ: أَخَصُّ مِنَ الرَّزَّاقِ؛ فَالْقُوْتُ: مَا بِهِ مِنْ قِوَامِ البُنْيَةِ مِمَّا يُتَغَذَّى بِهِ، وَالرِّزْقُ: كُلُّ مَا يَدْخُلُ تَحْتَ مُلْكِ العَبْدِ مِمَّا يُؤْكَلُ وَمِمَّا لَا يُؤْكَلُ.

وَمَا دَامَ الأَجَلُ بَاقِيًا؛ فَالْقُوْتُ وَالرِّزْقُ آتِيَانِ، وَإِذَا سَدَّ عَلَيْكَ بِحِكْمَتِهِ طَرِيقًا فَتَح لَكَ بِرَحْمَتِهِ طَرِيقًا آخَرَ.

وَتَأَمَّلْ حَالَ الجَنِينِ: يَأْتِيهِ غِذَاؤُهُ وَهُوَ: الدَّمُ، مِنْ طَرِيقٍ وَاحِدٍ وَهُوَ: السُّرَّةُ، وَعِنْدَمَا يَخْرُجُ مِنْ بَطْنِ أُمِّهِ يَنْقَطِعُ ذَلِكَ الطَّرِيقُ، وَيُفْتَحُ لَهُ طَرِيقَيْنِ اثْنَيْنِ، يُجْرِي لَهُ فِيهِمَا رِزْقًا أَطْيَبُ وَأَلَذُّ مِنَ الأَوَّلِ؛ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا، ثُمَّ إِذَا تَمَّتِ الرَّضَاعَةُ فَتَحَ لَهُ أَرْبَعَةَ طُرُقٍ يَحْصُلُ مِنْهَا عَلَى طَعَامَيْنِ وَشَرَابَيْنِ؛ أَمَّا الطَّعَامَانِ: فَمِنَ الحَيَوَانِ وَالنَّبَاتِ، وَأَمَّا الشَّرَابَانِ: فَمِنَ المِيَاهِ وَالأَلْبَانِ، فَإِذَا مَاتَ انْقَطَعَتْ تِلْكَ الطُّرُقُ الأَرْبَعَةُ، وَفُتِحَ لِلْمُؤْمِنِينَ أَبْوَابُ الجَنَّةِ الثَّمَانِيَةُ؛ يَدْخُلُوْنَ مِنْ أَيِّهَا شَاؤُوْا!

فَنِعَمُ اللهِ ﷻ تَفُوقُ العَدَّ، وَلَا يَأْتِي عَلَيْهَا الحَصْرُ، وَلَا يُقَيِّدُهَا حِسَابٌ: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾[إِبْرَاهِيمَ:٣٤].

نِعَمٌ يَهَبُهَا المُنْعِمُ الجَلِيلُ دُوْنَ حَاجَةٍ لِهَذَا المَخْلُوْقِ، وَدُوْنَ خَوْفٍ مِنْهُ أَوْ رَجَاءٍ فِيهِ، بَلْ تَفَضُّلٌ وَكَرَمٌ وَبِرٌّ وَإِحْسَانٌ وَجُوْدٌ وَامْتِنَانٌ، ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذَّارِيَاتِ:٥٦]، وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُوْنَ: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٣﴾﴾[النَّحْلِ:٨٣]، ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾﴾[عَبَسَ:١٧].

أَعْطَاكَ بِلَا حَقٍّ لَكَ عِنْدَهُ، ثُمَّ أَنْكَرْتَ حُقُوْقَهُ! حَبَاكَ بِلَا مَعْرُوْفٍ لَكَ لَدَيْهِ ثُمَّ جَحَدْتَ مَعْرُوْفَهُ!

نِعَمُ اللهِ ﷻ عَلَيْكَ تَتْرى؛ إِذَا سَأَلْتَ أَعْطَاكَ، وَإِنْ دَعَوْتَ أَجَابَكَ، وَإِنِ اسْتَعَنْتَ أَعَانَكَ، لَا غِنًى لَكَ إِلَّا بِهِ.

وَلِذَا؛ إِنْ شَكَرْتَ فَاشْكُرْ نِعْمَةً أُخْرَى أَنْ وَفَّقَكَ إِلَيْهَا؛ ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾[إِبْرَاهِيمَ:٧].

وَبَنُو آدَمَ لَوْ كَانَ عِنْدَهُمْ وَادٍ مِنْ ذَهَبٍ لَأَحَبُّوا أَنْ يَكُونَ لَهُمْ وَادِيَانِ.

وَلَيْسَتِ السَّعَادَةُ: فِي أَنْ تَحُوزَ الدُّنْيَا، وَلَكِنَّ سَعَادَةَ المَرْءِ: فِي أَنْ يَتَوَفَّرَ لَهُ قُوتُ يَوْمِهِ وَسَلَامَةُ بَدَنِهِ وَأَمْنُهُ، صَحَّ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ، مُعَافًى فِي جَسَدِهِ، عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ؛ فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا»[حَدِيثٌ حَسَنٌ. رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ].

اللَّهُمَّ آمِنَّا فِي أَوْطَانِنَا، وَأَصْلِحْ أُمَّتَنَا وَوُلَاةَ أُمُورِنَا؛ يَا رَبَّ العَالَمِينَ!

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ لِي وَلَكُمْ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرُوهُ؛ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ:

الحَمْدُ للهِ حَمْدًا طَيِّبًا كَثِيرًا مُبَارَكًا فِيهِ كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنِ اهْتَدَى بِهُدَاهُمْ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

عِبَادَ اللهِ..

المُؤْمِنُ مُطْمَئِنُّ النَّفْسِ؛ لِأَنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ اللهَ هُوَ المُقِيتُ وَهُوَ الرَّازِقُ ﷻ، وَأَنَّ رِزْقَهُ قَدْ كُتِبَ، وَلَنْ يَمُوتَ حَتَّى يَسْتَوْفِيَ رِزْقَهُ، فَهُوَ يَسْعَى وَقَدْ تَوَكَّلَ عَلَى اللهِ وَتَبَرَّأَ مِنْ حَوْلِهِ وَمِنْ قُوَّتِهِ، وَتَعَلَّقَ قَلْبُهُ بِاللهِ المُقِيتِ الرَّزَّاقِ ﷻ، فَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا طَوْلَ إِلَّا بِهِ، وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِهِ، وَلَا حَوْلَ إِلَّا بِهِ ﷻ.

فَمَنِ اسْتَحْضَرَ اسْمَ اللهِ: المُقِيتِ، وَاسْتَشْعَرَ مَعِيَّةَ اللهِ المُقِيتِ، وَوَثَقَ بِمَا عِنْدَهُ.. فَهُنَا تَحْصُلُ

السَّعَادَةُ الأَبَدِيَّةُ، وَهِيَ: الرِّضَا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ.

ثُمَّ إِنَّ رَسُوْلَ اللهِ ﷺ حَذَّرَ مَنْ يَتَصَدَّقُ بِقُوْتِ الأَهْلِ بُغْيَةَ طَلَبِ الأَجْرِ، فَيَنْقَلِبُ ذَلِكَ الأَمْرُ إِثْمًا إِذَا ضَيَّعَ مَنْ يَعُوْلُهُمْ وَتَلْزَمُهُ نَفَقَتُهُمْ مِنْ أَهْلِهِ وَعِيَالِهِ وَعَبِيدِهِ؛ لِأَنَّ النَّفَقَةَ مُتَعَلِّقَةٌ بِحُقُوْقِ الآدَمِيِّينَ، وَهُمْ أَحْوَجُ، وَحَقُّهُمْ آكَدُ، صَحَّ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «كَفَى بِالمَرْءِ إِثْمًا: أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَقُوْتُ»[حَدِيثٌ حَسَنٌ. رَوَاهُ أَبُوْ دَاوُدَ].

وَكَانَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ مِنْ حِرْصِهِ عَلَى أَهْلِهِ يَدَّخِرُ لَهُمْ قُوْتَ سَنَةٍ كَامِلَةٍ، جَاءَ عِنْدَ البُخَارِيِّ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ "كَانَ يَبِيعُ نَخْلَ بَنِي النَّضِيرِ، وَيَحْبِسُ لِأَهْلِهِ قُوْتَ سَنَتِهِمْ".

وَكَانَ مِنْ دُعَائِهِ ﷺ: «اللَّهُمَّ! اجْعَلْ رِزْقَ آلِ مُحَمَّدٍ قُوْتًا»[أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ]، أَيْ: مَا يَقُوتُهُمْ وَيَكْفِيهِمْ؛ حَتَّى لَا تُرْهِقُهُمُ الفَاقَةُ، وَلَا تُذِلَّهُمُ المَسْأَلَةُ، وَكَذِلِكَ لَا تُفْتَحُ لَهُمُ الدُّنْيَا فَيَرْكَنُوْا إِلَيْهَا؛ فَإِنَّ الدُّنْيَا رَاحِلَةٌ وَالآخِرَةَ هِيَ البَاقِيَةُ، فَآثَرَ البَاقِي عَلَى الفَانِي -صَلَوَاتُ رَبِّي عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ، وَمَنْ سَارَ عَلَى هَدْيِهِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ-.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ المُقِيتِ: أَنْ تَرْزُقَنَا مِنْ وَاسِعِ فَضْلِكَ، وَأَعِنَّا عَلَى ذِكْرِكَ.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ الهُدَى وَالسَّدَادَ، وَنَسْأَلُكَ التُّقَى وَالعِفَّةَ وَالغِنَى.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ الجَنَّةَ، وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، وَنَعُوْذُ بِكَ مِنَ النَّارِ، وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنَ الخَيْرِ كُلِّهِ؛ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ؛ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَأَنْ تَجْعَلَ كُلَّ قَضَاءٍ قَضَيْتَهُ لَنَا خَيْرًا.

اللَّهُمَّ! أَصْلِحْ لَنَا دِيْنَنَا الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا دُنْيَانَا الَّتِي فِيهَا مَعَاشُنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا آخِرَتَنَا الَّتِي فِيهَا مَعَادُنَا، وَاجْعَلِ الحَيَاةَ زِيَادَةً لَنَا فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَالمَوْتَ رَاحَةً لَنَا مِنْ كُلِّ شَرٍّ.

اللَّهُمَّ! أَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا، وَأَلِّفْ بَيْنَ قُلُوْبِنَا، وَاهْدِنَا سُبَلَ السَّلَامِ، وَأَخْرِجْنَا مِنَ الظُّلُـمَاتِ إِلَى النُّوْرِ.

اللَّهُمَّ! بَارِكْ لَنَـا فِي أَسْـمَاعِنَا وَأَبْـصَارِنَا وَقُوَّاتِنَـا وَأَزْوَاجِنَـا وَذُرِّيَّتِنَـا وَأَمْوَالِنَـا، وَاجْعَلْنَـا مُبَارَكِيْنَ أَيْنَمَا كُنَّا.

وَآخِرُ دَعْوَانَا: أَنِ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ.

الوَاسِعُ ﷻ

إِنَّ الحَمْدَ لله؛ نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِالله مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَـهَ إِلَّا اللهُ؛ وَحْـدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ.

أَمَّا بَعْدُ:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[آلِ عِمْرَانَ: ١٠٢]،

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾[النِّسَاءَ:١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾[الأَحْزَابِ:٧٠- ٧١].

عِبَادَ الله..

قَـالَ ﷻ: ﴿وَرَحْـمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾[الأَعْـرَافِ:١٥٦]، وَقَـالَ ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾﴾[البَقَرَةِ:٢٤٧].

مِنْ أَسْمَاءِ الله الحُسْنَى الَّتِي أَثْنَى اللهُ ﷻ عَلَى نَفْسِهِ بِهَا اسْمُهُ: (الوَاسِعُ ﷻ).

فَرَبُّنَا هُوَ الوَاسِعُ الغَنِيُّ ﷻ؛ الَّذِي وَسِعَ غِنَاهُ جَمِيعَ عِبَـادِهِ، وَسِـعَ خَلْقَـهُ كُلَّهُـمْ بِالكِفَايَـةِ وَالأَفْضَالِ وَالجُوْدِ وَالتَّدْبِيرِ.

وَهُوَ الوَاسِعُ المُطْلَقُ ﷻ، وَالكَامِلُ فِي ذَاتِهِ وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ وَمُلْكِهِ وَسُلْطَانِهِ، فَلَا يُحْصِي أَحَدٌ ثَنَاءً عَلَيْهِ هُوَ كَمَا أَثْنَى عَلَى نَفْسِهِ، فَمَهْمَا وَصَفَهُ الوَاصِفُوْنَ مِنْ خَلْقِهِ فَلَنْ يَبْلُغُوْا

كُنْهَهَ، وَلَنْ يُحِيْطُوْا بِهِ عِلْمًا.

وَرَبُّنَا وَسِعَ عِلْمُهُ كُلَّ شَيْءٍ: ﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾[الأَعْرَافِ:٨٩]، لَا تَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ، فَاللهُ ﷻ يَسْمَعُ دَبِيبَ النَّمْلَةِ السَّوْدَاءِ عَلَى الصَّخْرَةِ الصَّمَّاءِ فِي اللَّيْلَةِ الظَّلْمَاءِ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ.

وَعِلْمُهُ يَشْمَلُ أَسْرَارَ القُلُوْبِ، وَمَا تُضْمِرُهُ الصُّدُوْرُ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ؛ ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾﴾[غَافِرِ:١٩]، ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾﴾[البَقَرَةِ:٢٣٥].

وَرَبُّنَا ﷻ وَاسِعُ المَغْفِرَةِ؛ يَغْفِرُ لِكُلِّ مَنْ تَابَ وَأَنَابَ؛ مَهْمَا بَلَغَتْ ذُنُوْبُهُ وَخَطَايَاهُ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾[النَّجْمِ:٣٢].

وَرَبُّنَا الوَاسِعُ ﷻ؛ الَّذِي يُوَسِّعُ عَلَى عِبَادِهِ فِي دِينِهِمْ، وَلَا يُكَلِّفُهُمْ مَا لَيْسَ فِي وِسْعِهِمْ، ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾[البَقَرَةِ:١١٥].

وَأَشْهَدُ أَنَّ اللهَ لَا رَبَّ غَيْرُهُ
كَرِيمٌ رَحِيمٌ يُرْتَجَى وَيُؤَمَّلُ
إِذَا سُئِلَ الخَيْرَاتِ أَعْطَى جَزِيلَهَا
وَيَرفَعُ مَكْرُوْهَ البَلَا وَيُزِّوِلُ
يَسِحُّ مِنَ الخَيْرَاتَ سَحًّا عَلَى الوَرَى
فُيُغْنِي وَيُقْنِي دَائِمًا وَيُحَوِّلُ
إِذَا أَكْثَرَ المُثْنِيْ عَلَيْهِ مِنَ الثَّنَا
فَذُوْ العَرْشِ أَعْلَى فِي الجَلَالِ وَأَجْمَلُ

وَمَنْ فَهِمَ اسْمَ اللهِ: (الوَاسِعِ)؛ ذَهَبَ خَوْفُهُ، وَحَلَّتِ الطَّمَأْنِينَةَ فِي قَلْبِهِ، وَفُتِحَ لَهُ بَابُ الأَمَلِ.

فَذَاكَ المُزَارِعُ الَّذِي تَأَخَّرَ عَلَيْهِ وَقْتُ الحَصَادِ، وَشَحَّ المَاءُ، وَتَعَاظَمَتْ حَاجَتُهُ لِلثَّمَرِ؛ لَمَّا عَلِمَ أَنَّ اللهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ؛ نَظَرَ إِلَى السَّمَاءِ، وَتَعَلَّقَ قَلْبُهُ بِرَبِّهِ، وَنَادَى: يَا وَاسِعَ العَطَاءِ.. يَا اللهُ.. يَا وَاسِعَ الرَّحْمَةِ.. يَا وَاسِعَ الجُوْدِ! جُدْ عَلَيَّ مِنْ بَرَكَاتِكِ وَخَيْرَاتِكَ.

وَذَاكَ العَقِيمُ رَضَّتْهُ الأَيَّامُ، وَأَتْعَبَتْهُ الآلَامُ، وَاشْتَاقَ إِلَى طِفْلٍ يُلَاعِبُهُ وَيَمْلَأُ حَيَاتَهُ، وَتَأَخَّرَ الحَمْلُ أَوْ فُجِعَ بِقَوْلِ البَشِرِ: عَقِيمًا! وَبَيْنَمَا يَحْدُثُ ذَلِكَ وَالحُزْنُ يَعُمُّ؛ تَسْتَيقِظُ فِي دَاخِلِهِ حَيَاةٌ أُخْرَى بِتَذَكُّرِهِ بِأَنَّ اللهَ الوَاسِعَ الكَرِيمَ الجَوَادَ، لَا يَرُدُّ سَائِلًا مُوْقِنًا بِالإِجَابَةِ؛ فَيُنَادِي: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾[آلِ عِمْرَانَ:٣٨]، ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾[الأَنْبِيَاءِ:٨٩-٩٠].

وَكَذَا المَرِيضُ؛ آهَاتُهُ يَسْمَعُهَا اللهُ، وَآلَامُهُ يَعْلَمُهَا اللهُ، فَإِذَا تَذَكَّرَ وَاسِعَ العَطَاءِ، وَهُوَ الشَّافِي وَالكَافِي لِعِبَادِهِ؛ نَادَى: ﴿أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾﴾[الأَنْبِيَاءِ:٨٣].

فَيَكْشِفُ اللهُ ﷻ الهَمَّ، وَيُزِيلُ الغَمَّ، وَيَدُبُّ الشِّفَاءُ.. إِنَّهُ اللهُ الوَاسِعُ ﷻ.

تَتَزَاحَمُ الهُمُوْمَ فِي قَلْبِ المَدِينِ؛ حَتَّى مَا يَظُنُّ أَنَّ لَهَا كَاشِفَةً، ثُمَّ يَفْتَحُ اللهُ ﷻ عَلَى قَلْبِهِ، وَيُلْجِئُهُ إِلَيْهِ، وَهُنَا يَلُوْذُ بِجَنَابِ وَاسِعِ العَطَاءِ وَالجُوْدِ وَالكَرَمِ؛ فَيُنَادِي: يَا قَاضِيَ الحَاجَاتِ.. يَا وَاسِعَ العَطَاءِ! ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾[النَّمْلِ:٦٢].

فَيَقْضِي اللهُ الدَّيْنَ، وَيَرْزُقُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ، وَتَظْهَرَ الابْتِسَامَةُ، وَيَهْدَأَ القَلْبُ، وَتَسْكَنَ النَّفْسُ؛ ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ﴾[الأَنْعَامِ:٦٤].

تَحِلُّ المُعْضِلَةُ بِالعَالِمِ، وَتُشْكِلُ عَلَيْهِ المَسْأَلَةُ؛ فَيَتِيهُ عَنِ الصَّوَابِ، وَيَعِزُّ عَلَيْهِ الجَوَابُ، وَهُنَا يُمَرِّغُ أَنْفَهُ فِي التُّرَابِ مُنَادِيًا وَمُسْتَجْدِيًا: يَا وَاسِعَ العَطَاءِ.. يَا وَاسِعَ العِلْمِ.. يَا مُعَلِّمَ إِبْرَاهِيمَ عَلِّمْنِي.. يَا مُفَهِّمَ سُلَيْمَانَ فَهِّمْنِي! فَيَأْتِي التَّوْفِيقُ، وَتُحَلُّ المَغَالِيقُ مِنَ الوَاسِعِ ﷻ.

يَخْتَلِفُ الزَّوْجَانِ، وَيَنْقَطِعُ الحَبْلُ، وَتَنْقَطِعُ أَوَاصِرُ المَحَبَّةِ، وَتَضِيقُ بِهِمَا الحَالُ بَعْدَ الطَّلَاقِ؛ فَيَلْجَآنِ إِلَى اللهِ الوَاسِعِ؛ فَيُبْدِلُ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا خَيْرًا مِنَ الآخَرِ: ﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا ﴿١٣٠﴾﴾[النِّسَاءَ:١٣٠].

يَخْشَى المَرْءُ مِنَ الإِنْفَاقِ، وَيَخَافُ مِنَ الفَقْرِ؛ وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِأَنَّ الشَّيْطَانَ وَسْوَسَ فِي صَدْرِهِ بِالشَّرِّ وَالفَقْرِ، وَدَعَاهُ إِلَى البُخْلِ وَعَدَمِ الإِنْفَاقِ، ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾﴾[البَقَرَةِ:٢٦٨]؛ فَيَتَذَكَّرُ المُؤْمِنُ بِأَنَّ اللهَ الوَاسِعَ الكَرِيمَ قَدْ وَعَدَ ﷻ بِقَوْلِهِ: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾﴾[البَقَرَةِ: ٢٤٥]، وَيَتَذَكَّرَ قَوْلَهُ: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾[آلِ عِمْرَانَ:٧٣]؛ فَيُنْفِقُ مِنْ مَالِهِ، مُقْرِضًا رَبَّهُ، مُتَيَقِّنًا بِالخَلَفِ مِنَ اللهِ ﷻ فِي الدَّارَيْنِ، فَإِذَا بِالبَرَكَاتِ وَالرَّحَمَاتِ تَتَنَزَّلُ، وَتَعْظُمُ المِنَّةُ مِنَ اللهِ الوَاسِعِ صَاحِبِ الكَرَمِ وَالجُوْدِ.

يَتَذَكَّرُ المُؤْمِنُ عَظِيمَ ذَنْبِهِ، وَكَثْرَةَ خَطَئِهِ؛ فَتَهِيجُ عَلَيْهِ أَحْزَانُهُ، وَيَشْتَعِلُ فُؤَادُهُ، وَتَسِيلُ عَيْنَاهُ مِنَ الدَّمْعِ خَوْفًا مِنَ الجَبَّارِ؛ فَيَتَذَكَّرَ قَوْلَ اللهِ ﷻ: ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [الأَعْرَافِ:١٥٦]، وَقَوْلَهُ ﷻ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾[النَّجْمِ:٣٢].

وَهُنَا؛ يُعْلِنُ التَّوْبَةَ وَالإِنَابَةَ إِلَى اللهِ ﷻ، رَاجِيًا الدُّخُوْلَ فِي قَوْلِهِ ﷻ: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾﴾

[الفُرْقَان:٧٠]، مُسْتَشْعِرًا دُعَاءَ المَلَائِكَةِ: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ۝٧﴾[غَافِر:٧].

فَتَغْسِلُ التَّوْبَةُ حُرْقَةَ فُؤَادِهِ، وَلَوْعَةَ نَفْسِهِ، وَيَجْعَلُهُ اللهُ ﷻ مِنَ التَّوَّابِينَ وَمِنَ المُتَطَهِّرِينَ، ثُمَّ يَمُنُّ عَلَيْهِ بِاسْتِقَامَةٍ إِلَى المَمَاتِ، ثُمَّ المَآلُ إِلَى جَنَّاتِ النَّعِيمِ، ثُمَّ يَسْمَعُ: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ۝٥٤﴾[ص:٥٤].

اللَّهُمَّ أَدْخِلْنَا الجَنَّةَ، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ؛ يَا رَبَّ العَالَمِينَ!

أَقُولُ قَولِي هَذَا، وَأَستَغْفِرُ اللهَ لِي وَلَكُمْ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرُوهُ؛ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ:

الحَمْدُ للهِ حَمْدًا طَيِّبًا كَثِيرًا مُبَارَكًا فِيهِ كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنِ اهْتَدَى بِهُدَاهُمْ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

عِبَادَ اللهِ..

رَبُّنَا الوَاسِعُ ﷻ؛ الَّذِي وَسِعَتْ رَحْمَتُهُ جَمِيعُ الخَلَائِقِ: ﴿رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ﴾ [الأَنْعَام:١٤٧]، وَقَدْ وَسَّعَ اللهُ عَلَى عِبَادِهِ فِي دِينِهِمْ، وَرَفَعَ الضِّيقَ وَالحَرَجَ عَنْهُمْ؛ فَخَفَّفَ عَنِ المَرِيضِ وَالمُسَافِرِ وَالمُسِنِّ وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَصْحَابِ الأَعْذَارِ، فَلَمْ يُكَلِّفْهُمْ مَا لَا يُطِيقُونَ ﷻ؛ ﴿لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا﴾[البَقَرَة:٢٣٣]، وَمَنْ ضَاقَتْ عَلَيْهِ الأَرْضُ؛ فَاللهُ ﷻ قَدْ وَسَّعَ عَلَى عِبَادِهِ فِيهَا؛ ﴿وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ﴾[الزُّمَر: ١٠].

وَأَوْسَعُ عَطَاءٍ يُعْطِيهِ اللهُ ﷻ خَلْقَهُ هُوَ: الصَّبْرُ، صَحَّ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ»[أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ -وَهَذَا لَفْظُهُ-، وَمُسْلِمٌ].

وَالصَّبْرُ دَاخِلٌ فِي جَمِيعِ أُمُوْرِ العِبَادَاتِ؛ فَصَبْرٌ عَلَى الطَّاعَةِ، وَصَبْرٌ عَنِ المَعْصِيَةِ، وَصَبْرٌ عَلَى أَقْدَارِ اللهِ ﷻ، فَالحَيَاةُ كُلُّهَا صَبْرٌ إِلَى أَنْ نَلْقَى اللهَ ﷻ.

يَا مَنْ يُغِيثُ الوَرَى مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوْا

اِرْحَمْ عِبَادًا أَكُفَّ الفَقْرِ قَدْ بَسَطُوْا

عَوَّدْتَهُمَ بَسْطَ أَرْزَاقٍ بِلَا سَبَبٍ

سِوَى جَمِيلِ رَجَاءٍ نَحْوَهُ انْبَسَطُوْا

يَا اللهُ.. يَا وَاسِعَ العَطَاءِ! هَبْ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنَّا فَوْقَ مَسْأَلَتِهِ؛ فَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ الهُدَى وَالسَّدَادَ، وَنَسْأَلُكَ التُّقَى وَالعِفَّةَ وَالغِنَى.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ الجَنَّةَ، وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، وَنَعُوْذُ بِكَ مِنَ النَّارِ، وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنَ الخَيْرِ كُلِّهِ؛ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ؛ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَأَنْ تَجْعَلَ كُلَّ قَضَاءٍ قَضَيْتَهُ لَنَا خَيْرًا.

اللَّهُمَّ! أَصْلِحْ لَنَا دِيْنَنَا الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا دُنْيَانَا الَّتِي فِيهَا مَعَاشُنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا آخِرَتَنَا الَّتِي فِيهَا مَعَادُنَا، وَاجْعَلِ الحَيَاةَ زِيَادَةً لَنَا فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَالمَوْتَ رَاحَةً لَنَا مِنْ كُلِّ شَرٍّ.

اللَّهُمَّ! أَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا، وَأَلِّفْ بَيْنَ قُلُوْبِنَا، وَاهْدِنَا سُبُلَ السَّلَامِ، وَأَخْرِجْنَا مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوْرِ.

اللَّهُمَّ! بَارِكْ لَنَا فِي أَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوَّاتِنَا وَأَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّتِنَا وَأَمْوَالِنَا، وَاجْعَلْنَا مُبَارَكِيْنَ أَيْنَمَا كُنَّا.

وَآخِرُ دَعْوَانَا: أَنِ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ.

الفَتَّاحُ ﷻ

إِنَّ الحَمْدَ لله؛ نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِالله مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَـهَ إِلَّا اللهُ؛ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ.

أَمَّا بَعْدُ:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[آل عِمْرَان: ١٠٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾[النِّسَاء: ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾[الأَحْزَاب: ٧٠- ٧١].

عِبَادَ الله..

مِنْ أَسْمَاءِ الله ﷻ: (الفَتَّاحُ).

وَهَذَا الاسْمُ فِيهِ بُشْرَى وَرِسَالَةٌ إِلَى كُلِّ مَنْ مَلَّ مِنَ الحَيَاةِ، وَسَئِمَ العَيْشَ، وَضَاقَ ذَرْعًا بِالأَيَّامِ، وَذَاقَ الغُصَصَ! إِنَّ هُنَاكَ فَتْحًا مُبِينًا، وَنَصْرًا قَرِيبًا، وَفَرَجًا بَعْدَ شِدَّةٍ، وَيُسْرًا بَعْدَ عُسْرٍ، إِنَّ هُنَاكَ لُطْفًا خَفِيًّا مِنْ بَيْنِ يَدَيْكَ وَمِنْ خَلْفِكَ، وَإِنَّ هُنَاكَ أَمَلًا مُشْرِقًا وَمُسْتَقْبَلًا حَافِلًا، وَوَعْدًا صَادِقًا: ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ﴾[الرُّوْم: ٦].

إِنَّ لِضِيقِكَ مَعَ الفَتَّاحِ فُرْجَةً وَكَشْفًا، وَلِهَمِّكَ مَعَ الفَتَّاحِ أُنْسًا.

قَالَ اللهُ ﷻ عَنْ نَفْسِهِ: ﴿وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾﴾[سَبَإٍ: ٢٦].

فَرَبُّنَا ﷻ يَفْتَحُ مَغَالِيقَ القُلُوْبِ بِالهُدَى وَالإِيمَانِ وَالتُّقَى.

وَرَبُّنَا ﷻ يَكْشِفُ الغُمَّةَ عَنْ عِبَادِهِ، وَيُسْرِعُ بِالفَرَجِ، وَيَرْفَعُ الكَرْبَ، وَيُزِيلُ الضَّرَّاءَ، وَيَفِيضُ بِالرَّحْمَةِ، وَيَفْتَحُ أَبْوَابَ الرِّزْقِ، وَيَفْتَحُ لِعِبَادِهِ فِي شُؤُوْنِ دُنْيَاهُمْ مَا يُصْلِحُ بِهِ عَيْشَهُمْ وَتَسْتَقِيمُ حَيَاتُهُمْ، ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾﴾[فَاطِر:٢].

وَرَبُّنَا ﷻ هُوَ الَّذِي فَتَحَ أَبْوَابَ العِلْمِ وَالحِكْمَةِ وَالمَعْرِفَةِ وَالبَصِيرَةِ لِأَنْبِيَائِهِ وَأَوْلِيَائِهِ وَعِبَادِهِ الصَّالِحِينَ: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾﴾[البَقَرَة: ٢٨٢].

وَرَبُّنَا ﷻ الَّذِي فَتَحَ المَمَالِكَ وَالأَمْصَارَ لِعِبَادِهِ الصَّالِحِينَ المُؤْمِنِينَ؛ ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾﴾[الرُّوْم:٤-٥]، ﴿فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ﴾[الأَنْفَال:١٩]، ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِى وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾﴾[الشُّعَرَاء:١١٧-١١٨]، ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾﴾[الفَتْح: ١].

وَرَبُّنَا ﷻ هُوَ الَّذِي يَفْتَحُ وَيَحْكُمُ وَيَقْضِي بَيْنَ عِبَادِهِ بِالحَقِّ فِي الآخِرَةِ؛ حُكْمًا لَا جَوْرَ فِيهِ وَلَا جَنَفَ وَلَا ظُلْمَ، وَلَكِنَّهُ عَدْلٌ وَحَقٌّ، وَاللهُ خَيْرُ الفَاتِحِينَ: ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾﴾[سَبَإ:٢٦]، ﴿وَٱسْتَفْتَحُوا۟ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾﴾ [إِبْرَاهِيم:١٥]، ﴿قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِيمَٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾﴾[السَّجْدَة:٢٩].

وَرَبُّنَا ﷻ هُوَ الَّذِي يَفْتَحُ بِأَنْوَاعِ النِّعَمِ لِلْعَاصِينَ؛ اسْتِدْرَاجًا لَهُمْ: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾﴾

[الأَنْعَام:٤٤].

وَكَـذِلِكَ الفَتَّـاحُ مِـنْ أَسْـمَائِهِ ... وَالفَـتْحُ فِي أَوْصَـافِهِ أَمْـرانِ
فَـتْحٌ بِحُكْـمٍ وَهُـوَ شَرْعُ إِلَهِنَـا ... وَالفَـتْحُ بِالأَقْـدَارِ فَـتْحٌ ثَـانِي
وَالـرَّبُّ فَتَّـاحٌ بِـذَيْنِ كِلَـيْهِمَا ... عَدْلًا وَإِحْـسَانًا مِـنَ الـرَّحْمَنِ

نَقِفُ عِنْدَ قَوْلِهِ ﷻ: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾﴾[فَاطِر:٢]:

حَقِيقَةٌ لَا بُدَّ أَنْ يَتَذَكَّرَهَا المُؤْمِنُ عَلَى الدَّوَامِ، وَهِيَ: أَنَّهُ لَا عُبُوْرَ لِأَيِّ رَغْبَةٍ إِلَّا عَـنْ طَرِيـقِ اللهِ ﷻ، وَلَا وُجُوْدَ لِأَيِّ حَاجَةٍ إِلَّا فِي سَاحَةِ اللهِ ﷻ، وَلَا إِمْكَانِيَّـةَ لِحُـدُوْثِ شَيْءٍ إِلَّا بِـاللهِ ﷻ؛ فَإِنَّهُ وَحْدَهُ الَّذِي لَا حَوْلَ فِي الوُجُوْدِ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِهِ ﷻ.

وَلَا يُمْكِنُ لِخَلِيَّةٍ أَنْ تَتَحَرَّكَ، وَلَا لِذَرَّةٍ أَن تَكُوْنَ، وَلَا لِقَطْرَةٍ أَنْ تَتَبَخَّرَ، وَلَا لِوَرَقَـةِ شَـجَرٍ أَنْ تَسْقُطَ إِلَّا بِحَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ ﷻ.

وَلَا يَسْتَطِيعُ العَالَمُ كُلُّهُ أَنْ يَمَسَّكَ بِسُوْءٍ لَمْ يُرِدْهُ اللهُ ﷻ، وَلَا يَسْتَطِيعُ العَـالَمُ كُلُّـهُ أَنْ يَـدْفَعَ عَنْكَ سُوْءًا قَدَّرَهُ اللهُ ﷻ.

كَتَبَ بَعْضُ السَّلَفِ لِأَخٍ لَهُ: أَمَّا بعد؛ فَإِنْ كَانَ اللهُ مَعَكَ فَمَـنْ تَخَـافُ؟ وإِنْ كَـانَ عَلَيْـكَ فَمَنْ تَرْجُوْ؟!

يَحْتَاجُ المَرِيضُ إِلَى الشِّفَاءِ بَعْدَ أَنْ أَوْجَعَتْهُ الآلَامُ، وَأَتْعَبَتْهُ الأَوْجَاعُ، وَضَـاقَتْ بِـهِ الـدُّنْيَا، وَقَدْ يَعْجَزُ عَنْهُ الأَطِبَّاءُ، وَيُغْلَقُ بَابُ الدَّوَاءِ دُوْنَهُ؛ فَإِذَا بِالرَّحْمَنِ الفَتَّـاحِ العَلِـيمِ الـشَّافِي يَـشْفِيهِ بِسَبَبٍ، أَوْ بِأَضْعَفِ سَبَبٍ، أَوْ بِأَقْرَبِ سَبَبٍ أَوْ بِلَا سَبَبٍ.. إِنَّهُ الفَتَّاحُ ﷻ.

تَهْشِمُكَ الظُّرُوْفُ، وَتَتَوَاطَأُ ضِدَّكَ الكُرُوْبُ، وَتَتَكَالَـبُ عَلَيْـكَ الأَزْمَـاتُ، وَتَتَـزَاحَمُ فِي قَلْبِكَ الآلَامُ، وَيُغْلَقُ البَابُ دُوْنَكَ؛ حَتَّى تَظُنَّ أَنْ لَيْسَ لِهَذَا الهَمِّ وَالغَمِّ كَاشِـفَةٌ؛ فَـإِذَا بِالْفَتَّـاحِ

يُرْسِلُ إِلَيْكَ فَتْحَهُ بِأَيْسَرِ الأُمُوْرِ، وَتَتِمُّ إِرَادَتُهُ عَلَى مَا يَشَاءُ.

يُدْرِكُكَ الفَقْرُ، وَتَغْشَاكَ الدُّيُوْنُ، وَتَتَغَيَّرُ مَلَامِحُكَ، وَيَنْكَسِرُ قَلْبُكَ عِنْدَمَا تَذْكُرُ أَبْنَاءَكَ، وَتَخْشَى مِنْ صَاحِبِ الدَّيْنِ، وَيَحَارُ فِكْرُكَ، وَتَتَشَتَّتُ أَفْكَارُكَ؛ فَتَظُنُّ أَنَّ الدُّنْيَا أَغْلَنَتْ عِصْيَانَهَا عَلَيْكَ، وَأَدَارَتْ ظَهْرَهَا لَكَ، وَأُغْلِقَ البَابُ دُوْنَكَ؛ هُنَا يُرْسِلُ الفَتَّاحُ ﷻ بِفَرَجٍ خَفِيٍّ؛ فَيُقْضَى الدَّيْنُ، وَيَنْقَشِعُ الفَقْرُ، وَتُسَرُّ النَّفْسُ.. إِنَّهُ الفَتَّاحُ؛ الَّذِي فَتَحَ أَبْوَابَ الرِّزْقِ.

وَنَرَى المُزَارِعَ وَقَدْ تَأَخَّرَ وَقْتُ الحَصَادِ، وَتَعَاظَمَتْ حَاجَتُهُ لِلثَّمَرِ، وَصَارَ المَاءُ شَحِيحًا؛ فَإِذَا بِالفَتَّاحِ يَفْتَحُ أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُبَارَكٍ، تَبْهَجُ بِهِ النُّفُوْسُ، وَتَنْتَشِرُ الرَّحْمَةُ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ﴾[الشُّوْرَى:٢٨] .. إِنَّهُ الفَتَّاحُ.

يُحِيطُ المَوْتُ بِرُكَّابِ الطَّائِرَةِ أَوْ السَّفِينَةِ؛ فَتَشْخَصُ الأَبْصَارُ، وَتَبْلُغُ القُلُوْبُ الحَنَاجِرَ، وَيَظُنُّوْنَ أَنَّ المَوْتَ قَادِمٌ لَا مَحَالَةَ، وَبَابُ الحَيَاةِ قَدْ أُغلِقَ؛ فَيَتَّجِهُوْنَ إِلَى اللهِ الفَتَّاحِ العَلِيمِ، فَإِذَا بِالرَّبِّ الكَرِيمِ يُرْسِلُ فَرَجَهُ؛ فَتَهْدَأُ العَاصِفَةُ، وَتَسْتَقِرُّ الطَّائِرَةُ فِي مَسَارِهَا وَالسَّفِينَةُ عَلَى الشَّاطِئِ، وَتَطْمَئِنُّ القُلُوْبُ، ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾[العَنْكَبُوْتِ: ٦٥].

يَحْتَاجُ المُجَاهِدُ إِلَى نَصْرِ اللهِ ﷻ بَعْدَ أَنْ تَكَالَبَ عَلَيْهِ الأَعْدَاءُ؛ فَيَرْفَعُ يَدَهُ إِلَى السَّمَاءِ؛ فَإِذَا بِالْفَتَّاحِ يُرْسِلُ جُنُوْدَهُ، وَيُثَبِّتُ قَلْبَهُ، فَتُصْبِحُ الدَّائِرَةُ عَلَى أَعْدَائِهِ، وَيَأْتِي اللهُ ﷻ بِالفَتْحِ مِنْ عِنْدِهِ؛ ﴿فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ﴾[الأَنْفَالِ:١٩].

وَيَغِيبُ الِابْنُ، وَيُسَافِرُ الوَالِدُ، وَيَذْهَبُ الحَبِيبُ وَالصَّدِيقُ، وَيُؤْسَرُ العَالِمُ؛ فَتَضِيقُ النَّفْسُ، وَتَتَشَتَّتُ الأَفْكَارُ، وَيَرْجُفُ القَلْبُ كُلَّمَا تَذَكَّرَ الغَائِبَ؛ وَهُنَا يَنْطَرِحُ المُؤْمِنُ عِنْدَ بَابِ المَلِكِ الفَتَّاحِ، سَائِلًا أَنْ يَرُدَّ الغَائِبَ وَيَحْفَظَهُ؛ سَوَاءً أَكَانَ أَسِيرًا أَمْ مُسَافِرًا، فَإِذَا بِالْبُشْرَى مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ؛ بِقُدُوْمِ الغَائِبِ، وَفَكِّ الأَسِيرِ، وَرَدِّ الحَبِيبِ؛ ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ

﴿وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾[النَّمْلِ:٦٢].

يَسِحُّ مِنَ الخَيْرَاتِ سَحًّا عَلَى الوَرَى

فَيُغْنِـــي وَيُقْنِـــي دَائِـــمًا وَيُحَـــوِّلُ

إِذَا أَكْثَـــرَ المَثْنِـــيُّ عَلَيْـــهِ مِـــنَ الثَّنَـــا

فَذُوْ العَرشِ أَعْلَى فِي الجَلَالِ وَأَجْمَلُ

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِمَّنْ دَعَاكَ فَأَجَبْتَهُ، وَمِمَّنْ تَضَرَّعَ إِلَيْكَ فَرَحِمْتَهُ!

أَقُولُ قَولِي هَذَا، وَأَستَغْفِرُ اللهَ لِي وَلَكُمْ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرُوهُ؛ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ:

الحَمْدُ للهِ حَمْدًا طَيِّبًا كَثِيرًا مُبَارَكًا فِيهِ كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَـهُ، وَأَشْـهَدُ أَنَّ مُحَمَّـدًا عَبْـدُهُ وَرَسُـولُهُ، صَـلَّى اللهُ وَسَـلَّمَ وَبَـارَكَ عَلَيْـهِ وَعَـلَى آلِـهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنِ اهْتَدَى بِهُدَاهُمْ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

عِبَادَ اللهِ..

إِنَّهُ الفَتَّاحُ العَلِيمُ ﷻ؛ فَمَا أَعْظَمَ شَأْنَهُ، وَأَعْلَى مَكَانَهُ، وَأَقْرَبَهُ مِنْ خَلْقِهِ، وَأَلْطَفَهُ بِعِبَادِهِ.

فَبَابُ الفَتَّاحِ مَفْتُوحٌ، فَإِذَا رَأَيْتَ الحَبْلَ يَشْتَدُّ؛ فَاعْلَمْ أَنَّهُ سَيَنْقَطِعُ، وَإِذَا اشْتَدَّ الظَّلَامُ؛ فَأَبْشِرْ بِصُبْحٍ قَرِيبٍ، لَا تَضِقْ ذَرْعًا مَعَ الرَّبِّ الكَرِيمِ الفَتَّاحِ، فَمِنَ المُحَالِ دَوَامُ الحَالِ، وَأَفْضَلُ العِبَادَةِ: انْتِظَارُ الفَرَجِ، وَالأَيَّامُ دُوَلٌ، وَالدَّهْرُ قُلَّبٌ، وَاللَّيَالِي حُبَالَى، وَالغَيْبُ مَسْتُورٌ، وَالفَتَّاحُ ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٢٩﴾﴾[الرَّحْمَنِ:٢٩]، وَ﴿لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾﴾[الطَّلَاقِ:١]، وَ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾﴾[الشَّرح:٥-٦].

قُـلْ لِلطَّبِيـبِ تَخَطَّفَتْـهُ يَـدُ الـرَّدَى:

مَـنْ يَـا طَبِيـبُ بِطِبِّـهِ أَرْدَاكَـا؟

قُلْ لِلمَرِيضِ نَجَا وَعُوفِيَ بَعْدَمَا

عَجِزَتْ فُنُوْنُ الطِّبِّ: مَنْ عَافَاكَا؟

قُلْ لِلصَّحِيحِ يَمُوْتُ لَا مِنْ عِلَّةٍ:

مَنْ بِالمَنَايَا يَا صَحِيحُ دَهَاكَا؟

هَذِي عَجَائِبُ طَالَمَا أُخِذَتْ بِهَا

عَيْنَاكَ وَانْفَتَحَتْ بِهَا أُذُنَاكَا

يَا أَيُّهَا الإِنْسَانُ مَهْلاً مَا الَّذِي

بِالله جَلَّ جَلَالُهُ أَغْرَاكَا؟

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ الجَنَّةَ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ، ونَعُوْذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ الهُدَى وَالسَّدَادَ، وَنَسْأَلُكَ التُّقَى وَالعِفَّةَ وَالغِنَى.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنَ الخَيْرِ كُلِّهِ؛ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ؛ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَأَنْ تَجْعَلَ كُلَّ قَضَاءٍ قَضَيْتَهُ لَنَا خَيْرًا.

اللَّهُمَّ! أَصْلِحْ لَنَا دِيْنَنَا الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا دُنْيَانَا الَّتِي فِيهَا مَعَاشُنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا آخِرَتَنَا الَّتِي فِيهَا مَعَادُنَا، وَاجْعَلِ الحَيَاةَ زِيَادَةً لَنَا فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَالمَوْتَ رَاحَةً لَنَا مِنْ كُلِّ شَرٍّ.

اللَّهُمَّ! أَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا، وَأَلِّفْ بَيْنَ قُلُوْبِنَا، وَاهْدِنَا سُبَلَ السَّلَامِ، وَأَخْرِجْنَا مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوْرِ.

اللَّهُمَّ! بَارِكْ لَنَا فِي أَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوَّاتِنَا وَأَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّتِنَا وَأَمْوَالِنَا، وَاجْعَلْنَا مُبَارَكِيْنَ أَيْنَمَا كُنَّا.

اللَّهُمَّ! افْتَحْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِ الأَرْضِ وَالسَّمَاءِ، وَافْتَحْ لَنَا أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ؛ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ!

وَآخِرُ دَعْوَانَا: أَنِ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ.

الرَّقِيبُ ﷻ

إِنَّ الحَمْدَ لله؛ نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِالله مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَـهَ إِلَّا اللهُ؛ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ.

أَمَّا بَعْدُ:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[آلِ عِمْرَانَ: ١٠٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾﴾[النِّسَاءَ: ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾[الأَحْزَابِ: ٧٠- ٧١].

عِبَادَ الله..

مِنْ أَعْلَى المَقَامَاتِ عِنْدَ الله: اسْتِشْعَارُ المُؤْمِنِ رَقَابَةَ رَبِّهِ ﷻ، وَأَنَّ اللهَ مُرَاقِبُهُ، قَالَ اللهُ عَنْ نَفْسِهِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾﴾[النِّسَاءِ: ١].

فَرَبُّنَا ﷻ الرَّقِيبُ المُطَّلِعُ عَلَى مَا أَكَنَّتْهُ الصُّدُوْرُ، وَهُوَ الحَافِظُ الَّذِي لَا يَغِيبُ عَنْهُ شَيْءٌ.

وَرَبُّنَا العَالِمُ بِمَا فِي الضَّمَائِرِ، الشَّاهِدُ عَلَى أَكِنَّةِ السَّرَائِرِ وَلَحَظَاتِ العُيُوْنِ، القَائِمُ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ.

وَرَبُّنَا رَقِيبٌ رَاصِدٌ لِأَعْمَالِ العِبَادِ وَكَسْبِهِمْ.

وَهُوَ رَقِيبٌ حَافِظٌ، لَا يَغِيبُ عَمَّا يَحْفَظُ، حَفِظَ المَخْلُوْقَاتِ، وَأَجْرَاهَا عَلَى أَحْسَنِ نِظَامٍ

وَأَكْمَلِ تَدْبِيرٍ.

وَهُوَ الرَّقِيبُ عَلَى الخَوَاطِرِ وَاللَّوَا حِظِ كَيْفَ بِالأَفْعَالِ وَالأَرْكَانِ

﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾﴾[يُونُس:٦١]؛ حَالَاتُ العَبْدِ وَتَقَلُّبَاتُهُ فِي لَيْلِهِ وَنَهَارِهِ، وَسِرِّهِ وَجَهْرِهِ، وَحَضَرِهِ وَسَفَرِهِ.

فَالرَّقِيبُ ﷻ يَسْمَعُ وَيَرَى، بَلْ يَعْلَمُ المَكْنُوْنَ فِي الصُّدُوْرِ قَبْلَ أَنْ تَنْطِقَ الشِّفَاهُ وَتَكْتُبَ الأَقْلَامُ فِي السُّطُوْرِ.

أَحَاطَ عِلْمُهُ المُطْلَقُ بِكُلِّ مَوْجُوْدٍ، وَاطِّلَاعُهُ التَّامُ عَلَى كُلِّ مَخْلُوْقٍ؛ فَلَا يَنِدُّ عَنْ عِلْمِهِ شَيْءٌ، وَلَا يَعْزُبُ عَنِ اطِّلَاعِهِ شَيْءٌ، وَلَا يَفُوْتُ عَنْ إِحَاطَتِهِ شَيْءٌ، لَا الغَائِبُ تَسْتُرُهُ غَيْبَتُهُ عَنِ الرَّقِيبِ ﷻ، وَلَا الخَافِي يَحْجُبُهُ خَفَاؤُهُ عَنِ العَظِيمِ، النَّجْوَى عِنْدَهُ جَهْرٌ، وَالسِّرُّ عِنْدَهُ عَلَانِيَةٌ، وَالخَفَاءُ عِنْدَهُ مَكْشُوْفٌ.

آيَةٌ وَاحِدَةٌ تَجْعَلُ الإِنْسَانَ فَقِيهًا قَرِيبًا مِنْ رَبِّهِ كُلَّمَا تَلَا هَذِهِ الآيَةَ وَطَبَّقَهَا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾[النِّسَاء:١].

جَاءَ فِي «المُسْتَدْرَكِ»: أَنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَى رَسُوْلِ الله ﷺ؛ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله! أَقْرِئْنِي سُوْرَةً جَامِعَةً؟ فَأَقْرَأَهُ رَسُولُ الله ﷺ: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ﴾[الزَّلزَلَة:١]؛ حَتَّى فَرَغَ مِنْهَا، فَقَالَ الرَّجُلُ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ! لَا أَزِيدُ عَلَيْهِ أَبَدًا.

ثُمَّ أَدْبَرَ الرَّجُلُ، فَقَالَ رَسُوْلُ الله ﷺ: «أَفْلَحَ الرُّوَيْجِلُ»[حَدِيثٌ صَحِيحٌ].

وَفِي «مُسْنَدِ الإِمَامِ أَحْمَدَ» مِنْ حَدِيثِ صَعْصَعَةَ بْنِ مُعَاوِيَةَ أَنَّهُ: أَتَى النَّبِيَّ ﷺ؛ فَقَرَأَ عَلَيْهِ: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾ [الزَّلزَلَة:٧-٨]، فَقَالَ: "حَسْبِي! لَا أُبَالِي أَنْ لَا أَسْمَعَ غَيْرَهَا"[حَدِيثٌ صَحِيحٌ].

فَالْمُؤْمِنُ يَعْلَمَ أَنَّ اللهَ ﷻ رَقِيبُهُ وَشَاهِدُهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ؛ فَنَجِدُهُ يُرَاقِبُ حَتَّى أَنْفَاسَهُ، وَيَجْعَلُ عَمَلَهُ خَالِصًا لِرَبِّهِ، وَيُرَاقِبُ اللهَ فِي كُلِّ شَيْءٍ.. اسْتَشْعَرَ رَقَابَةَ رَبِّهِ؛ فَبَلَغَ مَقَامَ الإِحْسَانِ.

قَالَ العُلَمَاءُ: مِنْ أَفْضِلِ الطَّاعَاتِ: مُرَاقَبَةُ اللهِ عَلَى الدَّوَامِ، وَفِي كُلِّ وَقْتٍ.

ذَكَرَ ابْنُ الجَوْزِيِّ فِي «صَفْوَةِ الصَّفْوَةِ» عَنْ أَسْلَمَ، قَالَ: "بَيْنَمَا أَنَا مَعَ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ ﷺ وَهُوَ يَعُسُّ المَدِينَةَ إِذْ أَعْيَا وَاتَّكَأَ عَلَى جَانِبِ جِدَارٍ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ، وَإِذَا امْرَأَةٌ تَقُولُ لِابْنَتِهَا: يَا ابْنَتَاهُ! قُومِي إِلَى ذَلِكَ اللَّبَنِ فَامْذُقِيهِ بِالمَاءِ، فَقَالَتْ لَهَا: يَا أُمَّتَاهُ! وَمَا عَلِمْتِ مَا كَانَ مِنْ عَزْمَةِ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ اليَوْمَ؟

قَالَتْ: وَمَا كَانَ مِنْ عَزْمَتِهِ يَا بُنَيَّةُ؟ قَالَتْ: إِنَّهُ أَمَرَ مُنَادِيًا فَنَادَى: أَلَّا يُشَابَ اللَّبَنُ بِالمَاءِ! فَقَالَتْ لَهَا: يَا بُنَيَّةُ! قُومِي إِلَى اللَّبَنِ فَامْذُقِيهِ بِالمَاءِ؛ فَإِنَّكِ بِمَوْضِعٍ لَا يَرَاكِ عُمَرُ وَلَا مُنَادِي عُمَرَ، فَقَالَتْ الصَّبِيَّةُ: يَا أُمَّتَاهُ! مَا كُنْتُ لِأُطِيعَهُ فِي المَلَأِ وَأَعْصِيَهُ فِي الخَلَاءِ".

وَأَخْرَجَ الطَّبَرَانِيُّ: أَنَّ ابْنَ عُمَرَ ﷺ مَرَّ بِرَاعِي غَنَمٍ؛ فَقَالَ: يَا رَاعِيَ الغَنَمِ! هَلْ مِنْ جَزْرَةٍ (الشَّاةُ الَّتِي تَصْلُحُ لِلذَّبْحِ)؟ قَالَ الرَّاعِي: لَيْسَ هَهُنَا رَبُّهَا! قَالَ ابْنُ عُمَرَ: تَقُولُ: أَكَلَهَا الذِّئْبُ، فَرَفَعَ الرَّاعِي رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ، ثُمَّ قَالَ: فَأَيْنَ اللهُ؟!

فَاشْتَرَى ابْنُ عُمَرَ الرَّاعِي، وَاشْتَرَى الغَنَمَ؛ فَأَعْتَقَهُ وَأَعْطَاهُ الغَنَمَ.

فَيَا سَعَادَةَ مَنْ كَانَ حَالُهُ كَحَالِ رَاعِي الغَنَمِ!!

أَقُولُ قَولِي هَذَا، وَأَستَغْفِرُ اللهَ لِي وَلَكُمْ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرُوهُ؛ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ:

الحَمْدُ للهِ حَمْدًا طَيِّبًا كَثِيرًا مُبَارَكًا فِيهِ كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنِ اهْتَدَى بِهُدَاهُمْ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

عِبَادَ الله..

العَبْدُ بِقَدْرِ مَعْرِفَتِهِ بِأَسْمَاءِ الله ﷻ وَالعَمِلِ بِهَا تَكُوْنُ سَعَادَتُهُ فِي الدَّارَيْنِ، وَبِقَدْرِ مُرَاقَبَةِ الله ﷻ فِي حَيَاتِكَ؛ تكُوْنُ مَعِيَّةُ الله لَكَ، فَإِنْ كُنْتَ مِنْ أَوْلِيَائِهِ؛ كَانَ عَيْنَكَ الَّتِي تُبْصِرُ بِهَا، وَسَمْعَكَ الَّذِي تَسْمَعُ بِهِ، وَيَدَكَ الَّتِي تَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَكَ الَّتِي تَمْشِي بِهَا.

فَرَاقِبْ مَوْلَاكَ قَبْلَ الطَّاعَةِ، وَفِي الطَّاعَةِ، وَعِنْدَ المُبَاحَاتِ، وَعِنْدَ المَعْصِيَةِ:

أَمَّا قَبْلَ الطَّاعَةِ؛ فَتَكُوْنُ بِمُرَاقَبَةِ النِّيَّةِ وَإِصْلَاحِهَا؛ لِقَوْلِهِ ﷺ: «وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى»[أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ]، قَالَ الحَسَنُ: "رَحِمَ اللهُ عَبْدًا وَقَفَ عِنْدَ هَمِّهِ؛ فَإِنْ كَانَ لله مَضَى، وَإِنْ كَانَ لِغَيْرِهِ تَأَخَّرَ".

وَفِي الطَّاعَاتِ؛ بِأَنْ تَسْتَمِرَ المُرَاقَبَةُ لله، وَتَكُوْنُ خَالِصَةً لِوَجْهِهِ، ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾[الأَنْعَام:١٦٢-١٦٣].

وَأَمَّا عِنْدَ المُبَاحَاتِ؛ فَتَكُوْنُ بِمُرَاعَاةِ الأَدَبِ، وَالشُّكْرِ عَلَى النِّعَمِ.

وَعِنْدَ المَعْصِيَةِ؛ بِأَلَّا يَكُوْنَ اللهُ أَهْوَنَ النَّاظِرِينَ إِلَيْكَ، فَالمُؤْمِنُ سَرِيعُ العَوْدَةِ إِلَى مَوْلَاهُ بِالتَّوْبَةِ وَالإِنَابَةِ وَالإِقْلَاعِ؛ ﴿۞ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾[آلِ عِمْرَانَ:١٣٣].

فَإِذَا رَاقَبْتَ اللهَ ﷻ عِنْدَ هَذِهِ الأَحْوَالِ؛ كَانَتِ الثَّمَرَةُ: انْشِرَاحًا لِلصَّدْرِ، وَقُرَّةً لِلْعَيْنِ.

قِيلَ: مَنْ رَاقَبَ اللهَ فِي خَوَاطِرِهِ؛ عَصَمَهُ اللهُ فِي حَرَكَاتِ جَوَارِحِهِ.

فَمَنْ آمَنَ بِأَنَّ اللهَ ﷻ رَقِيبٌ عَلَيْهِ، وَمُطَّلِعٌ عَلَيْهِ، وَحَفِيظٌ عَلَى عَمَلِهِ -إِنْ كَانَ خَيْرًا أَوْ شَرًّا-؛ فَأَنَّى لَهُ أَنْ يَعِقَّ وَالِدَيهِ؟ وَأَنَّى لَهُ أَنْ يَكْذِبَ؟ وَأَنَّى لَهُ أَنْ يُدَلِّسَ؟ وَأَنَّى لَهُ أَنْ يَغِشَّ وَيَخْتَالَ؟

قَالَ ابْنُ عَطَاءٍ: "أَفْضَلُ الطَّاعَاتِ: مُرَاقَبَةُ الحَقِّ عَلَى دَوَامِ الأَوْقَاتِ".

وَأَهْمِسُ فِي أُذُنِكَ قَولَهُ ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ۝١﴾[النِّسَاءِ:١]، وَقَولَهُ: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا ۝٥٢﴾[الأَحْزَابِ:٥٢]؛ فَإِنَّهُ يُخَاطِبُكَ خِطَابًا خَاصًّا، وَيَقُوْلُ لَكَ: يَا عَبْدِي! أَتَظُنُّ أَنَّكَ إِذَا أَفْلَحتَ فِي سَتْرِ مَعَاصِيكَ عَنِ النَّاسِ أَنَّكَ تُفْلِحُ فِي النَّجَاةِ مِنِّي؟!

وَاللهَ ﷻ أَسْأَلُ أَنْ لَا يَجْعَلَنَا مِنْ أَهْلِ الرِّيَاءِ وَالنِّفَاقِ؛ الَّذِينَ قَالَ فِيهِمْ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ: «لَأَعْلَمَنَّ أَقْوَامًا مِنْ أُمَّتِي يَأْتُوْنَ يَوْمَ القِيَامَةِ بِحَسَنَاتٍ أَمْثَالِ جِبَالِ تِهَامَةَ بِيضًا؛ فَيَجْعَلُهَا اللهُ ﷻ هَبَاءً مَنْثُورًا».

قَالَ ثَوْبَانُ: يَا رَسُولَ اللهِ! صِفْهُمْ لَنَا، جَلِّهِمْ لَنَا؛ أَنْ لَا نَكُونَ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَا نَعْلَمُ!

قَالَ: «أَمَا إِنَّهُمْ إِخْوَانُكُمْ، وَمِنْ جِلْدَتِكُمْ، وَيَأْخُذُوْنَ مِنَ اللَّيْلِ كَمَا تَأْخُذُوْنَ، وَلَكِنَّهُمْ أَقْوَامٌ إِذَا خَلَوْا بِمَحَارِمِ اللهِ انْتَهَكُوهَا»[حَدِيثٌ صَحِيحٌ. رَوَاهُ ابْنُ مَاجَه].

وَيَعْظُمُ هَذَا الاسْمُ خَاصَّةً فِي هَذَا الزَّمَنِ؛ الَّذِي كَثُرَتْ فِيهِ الفِتَنُ، وَسَهُلَ الوُصُوْلُ إِلَيْهَا.

إِذَا مَا خَلَوْتَ الدَّهْرَ يَوْمًا فَلَا تَقُلْ
خَلَوْتُ وَلَكِنْ قُلْ عَلَيَّ رَقِيْبُ
وَلَا تَحْسَبَنَّ اللهَ يَغْفَلُ سَاعَةً
وَلَا أَنَّ مَا يَخْفَى عَلَيْهِ يَغِيبُ

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الرَّقِيبِ: أَنْ تَجْعَلَنَا مِنْ أَوْلِيَائِكَ، وَنَسأَلُكَ خَشْيَتَكَ فِي الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، وَالقَصْدَ فِي الفَقْرِ وَالغِنَى، وَالعَدْلَ فِي الغَضَبِ وَالرِّضَا.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ الجَنَّةَ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ، ونَعُوْذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ الهُدَى وَالسَّدَادَ، وَنَسْأَلُكَ التُّقَى وَالعِفَّةَ وَالغِنَى.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنَ الخَيْرِ كُلِّهِ؛ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ

الشَّرِّ كُلِّهِ؛ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَأَنْ تَجْعَلَ كُلَّ قَضَاءٍ قَضَيْتَهُ لَنَا خَيْرًا.

اللَّهُمَّ! أَصْلِحْ لَنَا دِيْنَنَا الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا دُنْيَانَا الَّتِي فِيهَا مَعَاشُنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا آخِرَتَنَا الَّتِي فِيهَا مَعَادُنَا، وَاجْعَلِ الحَيَاةَ زِيَادَةً لَنَا فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَالمَوْتَ رَاحَةً لَنَا مِنْ كُلِّ شَرٍّ.

اللَّهُمَّ! أَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا، وَأَلِّفْ بَيْنَ قُلُوْبِنَا، وَاهْدِنَا سُبَلَ السَّلَامِ، وَأَخْرِجْنَا مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوْرِ.

اللَّهُمَّ! بَارِكْ لَنَا فِي أَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوَّاتِنَا وَأَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّتِنَا وَأَمْوَالِنَا، وَاجْعَلْنَا مُبَارَكِيْنَ أَيْنَمَا كُنَّا.

اللَّهُمَّ! افْتَحْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِ الأَرْضِ وَالسَّمَاءِ، وَافْتَحْ لَنَا أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ؛ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ!

وَآخِرُ دَعْوَانَا: أَنِ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ.

الحَسِيبُ ﷻ

إِنَّ الحَمْدَ لله؛ نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِالله مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَـهَ إِلَّا اللهُ؛ وَحْـدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ.

أَمَّا بَعْدُ:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[آلِ عِمْرَانَ: ١٠٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾﴾[النِّسَاءَ: ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾[الأَحْزَابِ: ٧٠- ٧١].

عِبَادَ الله..

قَالَ جَعْفَـرٌ الـصَّادِقُ ﷺ: "عَجِبْـتُ لِمَـنْ خَـافَ وَلَمْ يَفْـزَعْ إِلَى قَوْلِـهِ: ﴿حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾؛ فَـإِنِّي سَـمِعْتُ اللهَ يَقُـوْلُ بِعَقْبِهَـا: ﴿فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ﴾[آلِ عِمْرَانَ: ١٧٤].

وَعَجِبْتُ لِمَنْ اغْتَمَّ كَيْفَ لَا يَفْـزَعُ إِلَى قَوْلِـهِ ﷻ: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾[الأَنْبِيَاءِ: ٨٧]؛ فَإِنِّي سَمِعْتُ اللهَ يَقُوْلُ بِعَقْبِهَا: ﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾[الأَنْبِيَاءِ: ٨٨].

وَعَجِبْتُ لِمَنْ مُكِرَ بِهِ كَيْفَ لَا يَفْزَعُ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾﴾[غَافِر:٤٤]؛ فَإِنِّي سَمِعْتُ اللهَ يَقُولُ: ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْ﴾ [غَافِر:٤٥]".

إِذَا بَارَتْ عَلَيْكَ الحِيَلُ، وَضَاقَتْ السُّبُلُ، وَانْتَهَتِ الآمَالُ، وَتَقَطَّعَتِ الحِبَالُ؛ فَقُلْ: (حَسْبِيَ اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ!).

إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْكَ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ، وَضَاقَتْ عَلَيْكَ نَفْسُكَ بِمَا حَمَلَتْ؛ فَاهْتِفْ بِـ: (حَسْبِيَ اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ!).

حِينَهَا يَأْتِي مَدَدُهُ، وَيَصِلُ عَوْنُهُ، وَيُسْرِعُ فَرَجُهُ؛ ﴿فَٱنقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ﴾[آلِ عِمْرَانَ:١٧٤].

وَاللهُ عَرَّفَ نَفْسَهُ لِلْعِبَادِ بِأَنَّه: حَسِيبُهُمْ؛ فَقَالَ ﷻ: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٦﴾﴾[النِّسَاءَ:٦]، وَقَالَ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾﴾[النِّسَاءَ:٨٦].

فَاللهُ ﷻ هُوَ: الحَسِيبُ.

فَرَبُّنَا ﷻ الكَافِي لِجَمِيعِ خَلْقِهِ فِي كُلِّ شَيْءٍ يَحْتَاجُوْنَهُ؛ فِي المَنَافِعِ، وَدَفْعِ المَضَارِّ.

وَكِفَايَتُهُ:

١- كِفَايَةٌ عَامَّةٌ لِلْخَلَائِقِ كُلِّهَا؛ بِإِيْجَادِهَا، وَرِزْقِهَا، وَإِمْدَادِهَا بِكُلِّ مَا خُلِقَتْ لَهُ، ﴿ٱلَّذِيٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾﴾[طه:٥٠].

٢- كِفَايَةٌ خَاصَّةٌ لِعِبَادِهِ المُوَحِّدِينَ؛ بِالنَّصْرِ والتَّمْكِينِ، وَالدَّفْعِ عَنْهُمْ فِي كُلِّ مَا يَكْرَهُوْنَ، ﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ﴾[الأَنْفَالِ:٦٢].

وَرَبُّنَا ﷻ المُحَاسِبُ لِكُلِّ الخَلَائِقِ عَلَى أَعْمَالِهِمْ يَوْمَ يُرَدُّوْنَ إِلَيْهِ، وَمُجَازِيهِمْ عَلَيْهَا، لَا تَخْفَى

عَلَيْهِ خَافِيَةٌ، وَلَا يَعزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذرةٍ فِي الأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ، ﴿وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾[الأَنْبِيَاءِ:٤٧]، ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾﴾[الزَّلزَلَةِ:٧-٨].

إِنْ كُنْتَ أَزْمَعْتَ قِلًى دَائِمًا وَالنَّأْيَ وَالهَجْرَ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ
وَإِنْ عَزَمْتَ الشَّرَّ فِي حَقِّنَا فَحَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ

رَبُّنَا ﷻ مَنْ لَاذَ بِهِ وَاكْتَفَى بِهِ حَسِيبًا؛ كَفَاهُ، وَحَفِظَهُ، وَرَعَاهُ، وَنَصَرَهُ، «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي؛ فَلْيَظُنَّ بِي مَا شَاءَ!»[حَدِيثٌ صَحِيحٌ. رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي «المُعْجَمِ الكَبِيرِ»].

فَمَنْ خُوِّفَ بِغَيْرِ اللهِ وَقَالَ: (حَسْبِيَ اللهُ!) نَجَّاهُ وَنَصَرَهُ.

أُلْقِيَ إِبْرَاهِيمُ ﷺ فِي النَّارِ؛ فَقَالَ: حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ! فَجَعَلَهَا اللهُ عَلَيْهِ بَرْدًا وَسَلَامًا.

رَسُوْلُنَا ﷺ وَأَصْحَابُهُ؛ لَمَّا هُدِّدُوْا بِجُيُوشِ الكُفَّارِ وَكَتَائِبِ الوَثَنِيَّةِ؛ قَالُوْا: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾﴾[آلِ عِمْرَانَ:١٧٣-١٧٤].

قَالُوْا: حَسْبُنَا اللهُ! لِأَنَّهُمْ يَعْلَمُوْنَ أَنَّ اللهَ هُوَ الَّذِي يَكْفِيهِمْ، فَهُوَ القَوِيُّ، وَهُوَ الرَّزَّاقُ، وَهُوَ الغَنِيُّ، وَهُوَ العَلِيمُ، وَهُوَ الكَرِيمُ، وَهُوَ السَّمِيعُ، وَهُوَ المُجِيبُ، وَهُوَ الرَّؤُوْفُ، وَهُوَ الرَّحِيمُ، وَهُوَ المُعْطِي، وَهُوَ المَانِعُ، وَهُوَ الرَّافِعُ، وَهُوَ الخَافِضُ.

قَالُوْهَا.. فَكَفَاهُمْ وَطَمْأَنَهُمْ وَشَرَّفَهُمْ وَرَفَعَهُمْ وَأَعَزَّهُمْ وَفَرَّجَ عَنْهُمْ.

إِذَا وَقَعَتِ المُصِيبَةُ، وَحَلَّتِ النَّكَبَةُ، وَجَثَمَتِ الكَارِثَةُ؛ فَقُلْ: (حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ!).

فَاللهُ الحَسِيبُ هُوَ: الَّذِي تُمَدُّ إِلَيْهِ الأَكُفُّ فِي الأَسْحَارِ، وَالأَيَادِي فِي الحَاجَاتِ، وَالأَعْيُنُ فِي المُلِمَّاتِ، وَالأَسْئِلَةُ فِي الحَوَادِثِ.

صِحْتُكَ بِيَدِهِ، زَوْجَتُكَ بِيَدِهِ، الأَقْوِيَاءُ بِيدِهِ، وَالضُّعَفَاءُ بِيدِهِ، وَمَنْ تَحْتَكَ بِيدِهِ، طَعَامُكَ بِيدِهِ، وَرِزْقُكَ بِيَدِهِ، المُلُوْكُ بِيدِهِ، الظَّالِمُ بِيدِهِ، عَدُوُّكَ بِيدِهِ.

مَا عَلَيْكَ إِلَّا أَنْ تُنَادِيَهُ وَتَهْتِفَ: حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ!

شِعَارُكَ وَدِثَارُكَ..

"حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ!" هِيَ: مِفْتَاحُ الفَرَجِ، وَبَابٌ إِلَى السَّعَادَةِ، ﴿فَٱنقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُواْ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾﴾[آلِ عِمْرَانَ: ١٧٤].

وَاللهُ قَدْ طَمْأَنَكَ وَوَعَدَكَ؛ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ قِيلًا؟ أَلَمْ تَسْمَعْ بِمَا طَمْأَنَ ﷻ بِهِ نَبِيَّهُ ﷺ بِأَنَّهُ ﷺ: أَقْوَى مِنَ الأَعْدَاءِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾﴾[الأَنْفَالِ: ٦٤].

وَاللهُ ﷻ وَعَدَ مَنْ تَقَرَّبَ إِلَيْهِ وَاتَّقَاهُ -بِحُبِّهِ وَطَاعَتِهِ- أَنَّهُ: إِذَا طَلَبَ العَبْدُ مِنْهُ أَعْطَاهُ، وَإِذَا اكْتَفَى بِهِ كَفَاهُ، ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾﴾[الطَّلَاقِ: ٢-٣].

فَإِذَا خِفْتَ مِنْ مَرَضٍ أَوْ شَعَرْتَ بِبَوَادِرِهِ؛ فَقُلْ: (حَسْبِيَ اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ!)، ثُمَّ أَبْشِرْ بِالشِّفَاءِ؛ فَإِنَّهُ يُزِيحُهُ عَنْكَ، ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾﴾[الشُّعَرَاءِ: ٨٠].

إِذَا خِفْتَ مِنَ الخَسَارَةِ فِي التِّجَارَةِ، وَزَادَ الخَوْفُ مِنَ الإِفْلَاسِ؛ فَقُلْ: (حَسْبِيَ اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ!).

إِذَا ضَاقَتِ المَرْأَةُ عِنْدَ الوِلَادَةِ، وَأَصَابَهَا الطَّلْقُ؛ فَلْتَقُلْ: (حَسْبِيَ اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ!).

إِذَا خِفْتَ مِنَ الفَقْرِ، وَأُوْصِدَتِ الأَبْوَابُ فِي وَجْهِكَ؛ فَاجْعَلْ شِعَارَكَ: (حَسْبِيَ اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ!).

إِذَا أَثْقَلَتْكَ الدُّيُوْنُ، وَصَعُبَ عَلَيْكَ الحِمْلُ، وَزَادَ الهَمُّ وَالغَمُّ؛ فَاجْعَلْ شِعَارَكَ: (حَسْبِيَ

اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ!).

إِذَا خِفْتَ عَلَى وَلَدِكَ أَوْ حَبِيبِكَ أَوْ غَائِبِكَ؛ فَاجْعَلْ شِعَارَكَ: (حَسْبِيَ اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ!).

شِعَارُكَ مَعْنَاهُ:

يَا رَبُّ! الْتَجَأْتُ إِلَيْكَ، وَاحْتَمَيْتُ بِكَ، وَاسْتَعَنْتُ بِكَ عَلَى مَا أَخَافُ مِنْهُ، وَتَوَكَّلْتُ عَلَيْكَ؛ فَأَنْتَ حَسْبِي وَرَجَائِي وَذُخْرِي وَمَلَاذِي! ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾[النَّمْلِ:٦٢].

فَإِذَا عَلِمْتَ أَنَّ اللهَ: هُوَ الكَافِي، وَهُوَ الحَسِيبُ؛ فَلَا تَرْفَعْ حَوَائِجَكَ إِلَّا إِلَيْهِ، وَلَا تَشْكُوْ الرَّحِيمَ إِلَى الَّذِي لَا يَرْحَمُ!

وَهُوَ الحَسِيبُ كِفَايَةً وَحِمَايَةً وَالحَسْبُ كَافِي العَبْدِ كلَّ أَوَانِ

أَقُولُ قَولِي هَذَا، وَأَستَغْفِرُ اللهَ لِي وَلَكُمْ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرُوهُ؛ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ:

الحَمْدُ للهِ حَمْدًا طَيِّبًا كَثِيرًا مُبَارَكًا فِيهِ كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنِ اهْتَدَى بِهُدَاهُمْ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

عِبَادَ اللهِ..

إِذَا عَلِمَ الْمُؤْمِنُ: أَنَّ اللهَ سَيُحَاسِبُهُ غَدًا عَلَى الكَبِيرِ وَالصَّغِيرِ، وَيُطَالِبُهُ بِالنَّقِيرِ وَالقِطْمِيرِ، وَأَنَّهُ لَا تَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ، وَأَنَّ حِسَابَ الخَلْقِ لَا مَشَقَّةَ فِيهِ عَلَى الخَالِقِ الحَسِيبِ؛ كَانَ فِي اسْتِعْدَادٍ دَائِمٍ، وَكَانَ مُرَاقِبًا للهِ ﷻ فِي كُلِّ أَحْوَالِهِ، ﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾﴾[الأَنْعَامِ:٦٢]، ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾[الزَّلْزَلَةِ:٧-٨]؛ تَجَلَّى النُّورُ فِي قَلْبِهِ، وَثَبَّتَهُ اللهُ يَوْمَ

لِقَائِهِ، ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾[العَنْكَبُوْت:٦٩].

جَاءَ فِي «مُسْنَدِ الإِمَامِ أَحْمَدَ»: أَنَّ عَائِشَةَ ﵂ قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُوْلَ الله ﷺ يَقُولُ فِي بَعْضِ صَلَاتِهِ: اللَّهُمَّ! حَاسِبْنِي حِسَابًا يَسِيرًا»، قُلْتُ: يَا نَبِيَّ الله! مَا الحِسَابُ اليَسِيرُ؟ قَالَ: «أَنْ يَنْظُرَ فِي كِتَابِه فيتجاوز عَنْهُ؛ إِنَّهُ مَنْ نُوقِشَ الحِسَابَ يَوْمَئِذٍ -يَا عَائِشَةُ!- هَلَكَ»[حَدِيثٌ صَحِيحٌ]، وَرُوِيَ عَنْ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ ﵁ أَنَّهُ قَالَ: "حَاسِبُوْا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوْا، وَزِنُوْا أَعْمَالَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُوْزَنَ عَلَيْكُمْ، وَتَزَيَّنُوْا لِلْعَرْضِ الأَكْبَرِ؛ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُوْنَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ".

فِي الآخِرَةِ مَحْكَمَةٌ تُرَدُّ فِيهَا الحُقُوْقُ؛ حَيْثُ لَا دِرْهَمَ وَلَا دِينَارًا، إِنَّمَا الحِسَابُ بِالحَسَنَاتِ وَالأَعْمَالِ، وقتها أَنْتَ أحوج مَا تكُوْن إِلَى الحسنة.

إِيَّاكَ وَحُقُوْقَ الآخِرِينَ! فَإِنَّهَا لَا تَحِلُّ؛ وَلَوْ قَضَى بِهَا النَّبِيُّ ﷺ، فَقَدْ صَحَّ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ «إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، وَإِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ، وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُوْنَ أَلحَنَ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ، وَأَقْضِيَ لَهُ عَلَى نَحْوِ مَا أَسْمَعُ.

فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ مِنْ حَقِّ أَخِيهِ شَيْئًا؛ فَلَا يَأْخُذْ، فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ»[أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ].

اللَّهُمَّ! أَنْتَ حَسْبُنَا وَكَفَى.. فَكُنْ لَنَا وَلَا تَكُنْ عَلَيْنَا؛ يَا مَوْلَانَا!

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ الجَنَّةَ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ، ونَعُوْذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ الهُدَى وَالسَّدَادَ، وَنَسْأَلُكَ التُّقَى وَالعِفَّةَ وَالغِنَى.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنَ الخَيْرِ كُلِّهِ؛ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ؛ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَأَنْ تَجْعَلَ كُلَّ قَضَاءٍ قَضَيْتَهُ لَنَا خَيْرًا.

اللَّهُمَّ! أَصْلِحْ لَنَا دِيْنَنَا الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا دُنْيَانَا الَّتِي فِيهَا مَعَاشُنَا،

وَأَصْلِحْ لَنَا آخِرَتَنَا الَّتِي فِيهَا مَعَادُنَا، وَاجْعَلِ الحَيَاةَ زِيَادَةً لَنَا فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَالمَوْتَ رَاحَةً لَنَا مِنْ كُلِّ شَرٍّ.

اللَّهُمَّ! أَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا، وَأَلِّفْ بَيْنَ قُلُوْبِنَا، وَاهْدِنَا سُبَلَ السَّلَامِ، وَأَخْرِجْنَا مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوْرِ.

اللَّهُمَّ! بَارِكْ لَنَا فِي أَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوَّاتِنَا وَأَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّتِنَا وَأَمْوَالِنَا، وَاجْعَلْنَا مُبَارَكِيْنَ أَيْنَمَا كُنَّا.

وَآخِرُ دَعْوَانَا: أَنِ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ.

الشَّهِيدُ ﷺ

إِنَّ الحَمْدَ لله؛ نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِالله مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَـهَ إِلَّا اللهُ؛ وَحْـدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ.

أَمَّا بَعْدُ:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[آل عِمْرَان: ١٠٢]،

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾[النِّسَاء: ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾[الأَحْزَاب: ٧٠- ٧١].

عِبَادَ الله..

جَاءَ فِي «الصَّحِيحَيْنِ» مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنْ رَسُوْلِ الله ﷺ: أَنَّهُ ذكرَ: «رَجُلًا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، سَأَلَ بَعْضَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يُسْلِفَهُ أَلْفَ دِينَارٍ، فَقَالَ: ائْتِنِي بِالشُّهَدَاءِ أُشْـهِدُهُمْ؛ فَقَالَ: كَفَى بِالله شَهِيدًا! قَالَ: فَأْتِنِي بِالكَفِيلِ؛ قَالَ: كَفَى بِالله كَفِيلًا!

قَالَ: صَدَقْتَ، فَدَفَعَهَا إِلَيْهِ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى، فَخَرَجَ فِي البَحْرِ فَقَضَى حَاجَتَهُ، ثُـمَّ الـتَمَسَ مَرْكِبًا يَرْكَبُهَا يَقْدَمُ عَلَيْهِ لِلْأَجَلِ الَّذِي أَجَّلَهُ؛ فَلَمْ يَجِدْ مَرْكِبًا، فَأَخَذَ خَشَبَةً فَنَقَرَهَا؛ فَأَدْخَلَ فِيهَـا أَلْفَ دِينَارٍ وَصَحِيفَةً مِنْهُ إِلَى صَاحِبِهِ، ثُمَّ زَجَّجَ مَوْضِعَهَا، ثُمَّ أَتَى بِهَا إِلَى البَحْرِ؛ فَقَـالَ: اللَّهُـمَّ! إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي كُنْتُ تَسَلَّفْتُ فُلَانًا أَلْفَ دِينَارٍ، فَسَأَلَنِي كَفِيلًا؛ فَقُلْتُ: كَفَى بِالله كَفِـيلًا! فَـرَضِيَ

بِكَ، وَسَأَلَنِي شَهِيدًا؛ فَقُلْتُ: كَفَى بِالله شَهِيدًا! فَرَضِيَ بِكَ، وَأَنِّي جَهَدْتُ أَنْ أَجِدَ مَرْكِبًا أَبْعَثُ إِلَيْهِ الَّذِي لَهُ فَلَمْ أَقْدِرْ، وَإِنِّي أَسْتَوْدِعُكَهَا، فَرَمَى بِهَا فِي البَحْرِ؛ حَتَّى وَلَجَتْ فِيهِ.

ثُمَّ انْصَرَفَ وَهُوَ فِي ذَلِكَ يَلْتَمِسُ مَرْكِبًا يَخْرُجُ إِلَى بَلَدِهِ، فَخَرَجَ الرَّجُلُ الَّذِي كَانَ أَسْلَفَهُ؛ يَنْظُرُ لَعَلَّ مَرْكِبًا قَدْ جَاءَ بِمَالِهِ، فَإِذَا بِالخَشَبَةِ الَّتِي فِيهَا المَالُ؛ فَأَخَذَهَا لِأَهْلِهِ حَطَبًا، فَلَمَّا نَشَرَهَا وَجَدَ المَالَ وَالصَّحِيفَةَ.

ثُمَّ قَدِمَ الَّذِي كَانَ أَسْلَفَهُ، فَأَتَى بِالأَلْفِ دِينَارٍ؛ فَقَالَ: وَالله! مَا زِلْتُ جَاهِدًا فِي طَلَبِ مَرْكِبٍ لِآتِيَكَ بِمَالِكَ، فَمَا وَجَدْتُ مَرْكِبًا قَبْلَ الَّذِي أَتَيْتُ فِيهِ.

قَالَ: هَلْ كُنْتَ بَعَثْتَ إِلَيَّ بِشَيْءٍ؟ قَالَ: أُخْبِرُكَ أَنِّي لَمْ أَجِدْ مَرْكِبًا قَبْلَ الَّذِي جِئْتُ فِيهِ.

قَالَ: فَإِنَّ الله قَدْ أَدَّى عَنْكَ الَّذِي بَعَثْتَ فِي الخَشَبَةِ، فَانْصَرِفْ بِالأَلْفِ دِينَارٍ رَاشِدًا».

وَشَهَادَةُ الله ﷻ أَعْظَمُ شَهَادَةٍ، فَشَهَادَتُهُ شَهَادَةُ حُضُورٍ وَمُعَايَنَةٍ، وَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ جَوَانِبِ الحَقِيقَةِ؛ كَمَا يَحْدُثُ لِلبَشَرِ، فَمَنْ شَهِدَ اللهُ لَهُ فَهُوَ حَسْبُهُ، وَلَا يَحْتَاجُ إِلَى شَهَادَةِ غَيْرِهِ؛ ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۚ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ۚ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ ۚ قُل لَّآ أَشْهَدُ ۚ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الأَنْعَام:١٩].

وَقَدْ سَمَّى اللهُ نَفْسَهُ بِالشَّهِيدِ؛ فَقَالَ ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾﴾[الحَجِّ:١٧].

فَرَبُّنَا ﷻ الَّذِي لَا يَغِيبُ عَنْهُ شَيْءٌ، وَهُوَ الحَفِيظُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَعِلْمُهُ أَحَاطَ بِالأَشْيَاءِ.

رَبُّنَا ﷻ يَشْهَدُ بِالحَقِّ، وَيُنْصِفُ المَظْلُومَ، وَيَقْتَصُّ مِنَ الظَّالِمِ، سَمِعَ جَمِيعَ الأَصْوَاتِ خَفِيَّهَا وَجَلِيَّهَا، وَأَبْصَرَ جَمِيعَ المَوْجُودَاتِ دَقِيقَهَا وَجَلِيلَهَا، صَغِيرَهَا وَكَبِيرَهَا، أَحَاطَ عِلْمُهُ بِكُلِّ شَيْءٍ.

وَرَبُّنَا ﷻ هُوَ الَّذِي شَهِدَ لِعِبَادِهِ وَعَلَى عِبَادِهِ بِمَا عَمِلُوهُ، فَشَهَادَتُهُ ﷻ أَصْلُ الشَّهَادَاتِ،

وَمَبْعَثُهَا، وَأَعْظَمُهَا؛ لِأَنَّهُ ﷻ لَـمَّا كَانَتِ الأَشْيَاءُ لَا تَخْفَى عَلَيْهِ؛ كَانَ شَهِيدًا لَهَا، أَيْ: عَالِمًا بِحَقَائِقِهَا، عَالِمَ الْمُشَاهَدَةِ لَهَا؛ لِأَنَّهُ لَا تَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ ﷻ.

فَمَنْ جَلَالِهِ ﷻ: أَنَّهُ شَهِدَ لِنَفْسِهِ بِالوَحْدَانِيَّةِ وَالقِيَامِ بِالْقِسْطِ: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ﴾[آل عِمْرَانَ:١٨].

وَشَهَادَتُهُ ﷻ بِصِدْقِ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا وَحَّدُوْهُ، وَشَهَادَتُهُ لِرُسُلِهِ وَمَلَائِكَتِهِ: ﴿وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾﴾[النِّسَاءَ:٧٩].

وَشَهَادَتُهُ ﷻ لِلمَظْلُوْمِ الَّذِي لَا شَاهِدَ لَهُ وَلَا نَاصِرَ عَلَى الظَّالِمِ الْمُعْتَدِي، وَهَذِهِ الشَّهَادَةُ تَقْتَضِي: العَوْنَ وَالنُّصْرَةَ، قَالَ ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾﴾[الحَجِّ:١٧].

وَالعِبَادُ يَشْهَدُوْنَ لَهُ بِالْوَحْدَانِيَّةِ، وَيُقِرُّوْنَ لَهُ بِالعُبُوْدِيَّةِ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ﴾[الأَعْرَافِ:١٧٢].

وَشَهَادَةُ العِبَادِ وَرَقَابَتُهُمْ مَحْدُوْدَةٌ بِأَوْقَاتٍ، وَلَا بُدَّ أَنْ تَتَوَقَّفَ؛ فَالْعَبْدُ يَنَامُ وَيَغْفُلُ وَيَضْعُفُ ثُمَّ يَمُوْتُ، أَمَّا اللهُ ﷻ فَرَقَابَتُهُ دَائِمَةٌ تَامَّةٌ، وَهُوَ حَيٌّ لَا يَمُوْتُ، ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾﴾[المَائِدَةِ:١١٧].

وَعِنْدَمَا يَقْدُمُ العِبَادُ عَلَى اللهِ ﷻ يَوْمَ القِيَامَةِ يُحَاسِبُهُمْ حِسَابَ العَالِمِ بِهِمْ، الْمُطَّلِعِ عَلَى خَفَايَاهُمْ، الْمُحْصِي لِأَقْوَالِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ؛ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾﴾[الحَجِّ:١٧].

وَالْمُؤْمِنُ يَعْلَمُ أَنْ عَمَلَهُ لَا يَضِيعُ عِنْدَ اللهِ، ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٤٧﴾﴾[سَبَإٍ:٤٧].

وَأَمَّا الكَافِرُ؛ فَلَا يَضِيعُ مِنْ عَمَلِهِ شَيْءٌ؛ وَإِنْ نَسِيَهُ فَاللهُ قَدْ أَحْصَاهُ: ﴿أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾﴾[المُجَادلَةِ:٦].

اللَّهُمَّ يَا شَهِيدُ! تَجَاوَزْ عَنَّا؛ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

أَقُولُ قَولِي هَذَا، وَأَستَغْفِرُ اللهَ لِي وَلَكُمْ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرُوهُ؛ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ:

الحَمْدُ للهِ حَمْدًا طَيِّبًا كَثِيرًا مُبَارَكًا فِيهِ كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنِ اهْتَدَى بِهُدَاهُمْ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

عِبَادَ اللهِ..

مَنْ عَلِمَ أَنَّ رَبَّهُ ﷻ شَهِيدٌ عَلَيْهِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا؛ اسْتَحَى أَنْ يَرَاهُ عَلَى مَعْصِيَتِهِ، أَوْ فِيمَا لَا يُحِبُّ، وَمَنْ عَلِمَ أَنَّ اللهَ يَرَاهُ أَحْسَنَ عَمَلَهُ وَعِبَادَتَهُ وَأَخْلَصَ فِيهَا حَتَّى يَصِلَ لِمَقَامِ الإِحْسَانِ، وَهُوَ أَعْلَى مَقَامَاتِ الطَّاعَةِ؛ الَّذِي قَالَ عَنْهُ الحَبِيبُ ﷺ: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»[أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ].

إِذَا مَا خَلَوْتَ الدَّهْرَ يَوْمًا فَلَا تَقُلْ

خَلَوْتُ وَلَكِنْ قُلْ عَلَيَّ رَقِيبُ

وَلَا تَحْسَبَنَّ اللهَ يَغْفَلُ سَاعَةً

وَلَا أَنَّ مَا يُخْفَى عَلَيْهِ يَغِيبُ

وَشَأْنُ المُؤْمِنِينَ: أَنْ يَسْتَحْضِرُوا مُشَاهَدَةَ اللهِ لَهُمْ فِي كُلِّ عَمَلٍ يَعْمَلُونَهُ؛ دَقَّ أَوْ جَلَّ، وَاللهُ يَقُولُ: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾﴾[يُونُس:٦١].

وَقِيلَ: مَنْ رَاقَبَ اللهَ فِي خَوَاطِرِهِ، عَصَمَهُ فِي حَرَكَاتِ جَوَارِحِهِ.

ثُمَّ إِذَا نَظَرْتَ إِلَى السَّبْعَةِ الَّذِينَ يُظِلُّهُمُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ؛ وَجَدْتَ أَنَّ المُشْتَرَكَ بَيْنَهُمِ أَنَّهُمْ:

آمَنُوْا بِأَنَّ اللهَ شَهِيدٌ عَلَيْهِمْ، وَنَظَرُوْا إِلَى حَالِهِمْ فَعَبَدُوْهُ كَأَنَّهُ يَرَاهُمْ، فَنَالُوْا المَنْزِلَةَ.. "فَلَا يَكُنِ اللهُ أَهْوَنَ النَّاظِرِينَ إِلَيْكَ".

اللَّهُمَّ يَا شَهِيدُ! نَسْأَلُكَ أَنْ تَغْفِرَ لَنَا وَتَرْحَمَنَا وَتَتَجَاوَزَ عَنَّا؛ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ!

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ الجَنَّةَ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ، ونَعُوْذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ الهُدَى وَالسَّدَادَ، وَنَسْأَلُكَ التُّقَى وَالعِفَّةَ وَالغِنَى.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنَ الخَيْرِ كُلِّهِ؛ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ؛ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَأَنْ تَجْعَلَ كُلَّ قَضَاءٍ قَضَيْتَهُ لَنَا خَيْرًا.

اللَّهُمَّ! أَصْلِحْ لَنَا دِيْنَنَا الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا دُنْيَانَا الَّتِي فِيهَا مَعَاشُنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا آخِرَتَنَا الَّتِي فِيهَا مَعَادُنَا، وَاجْعَلِ الحَيَاةَ زِيَادَةً لَنَا فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَالمَوْتَ رَاحَةً لَنَا مِنْ كُلِّ شَرٍّ.

اللَّهُمَّ! أَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا، وَأَلِّفْ بَيْنَ قُلُوْبِنَا، وَاهْدِنَا سُبَلَ السَّلَامِ، وَأَخْرِجْنَا مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوْرِ.

اللَّهُمَّ! بَارِكْ لَنَا فِي أَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوَّاتِنَا وَأَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّتِنَا وَأَمْوَالِنَا، وَاجْعَلْنَا مُبَارَكِيْنَ أَيْنَمَا كُنَّا.

وَآخِرُ دَعْوَانَا: أَنِ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ.

الحَقُّ ﷻ

إِنَّ الحَمْدَ لله؛ نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِالله مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَـهَ إِلَّا اللهُ؛ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ.

أَمَّا بَعْدُ:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾[آلِ عِمْرَانَ: ١٠٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾[النِّسَاءَ: ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾[الأَحْزَابِ: ٧٠- ٧١].

عِبَادَ الله..

ذَكَرَ أَهْلُ السِّيَرِ: "أَنَّ الأَخْنَسَ بْنَ شُرَيْقٍ جَاءَ إِلَى أَبِي جَهْلِ بْنِ هِشَامٍ يَوْمَ بَدْرٍ؛ فَقَالَ لَه: يَا أَبَا الحَكَمِ! مَا رَأْيُكَ فِيمَا سَمِعْتَ مِنْ مُحَمَّدٍ؟ قَالَ: مَاذَا سَمِعْتَ؟ تَنَازَعْنَا نَحْنُ وَبَنُوْ عَبْدِ مَنافٍ الشَّرَفَ، أَطْعَمُوْا فَأَطْعَمْنَا، وَحَمَلُوْا فَحَمَلْنَا، وَأَعْطُوْا فَأَعْطَيْنَا، حَتَّى إِذَا تَجَاثَيْنَا عَلَى الرُّكَبِ، وَكُنَّا كَفَرَسَيْ رِهَانٍ، قَالُوْا: مِنَّا نَبِيٌّ يَأْتِيهِ الوَحْيُ مِنَ السَّمَاءِ، فَمَتَى نُدْرِكُ مِثْلَ هَذِهِ؟! وَاللهِ! لَا نُؤْمِنُ بِهِ أَبَدًا وَلَا نُصَدِّقُهُ، فَقَامَ عَنْهُ الأَخْنَسَ وَتَرَكَهُ".

وَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ مِنْ دُعَائِهِ: «اللَّهُمَّ! اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الحَقِّ بِإِذْنِكَ؛ إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ».

وَكَانَ مِنْ دُعَاءِ السَّلَفِ: اللَّهُمَّ! أَرِنَا الحَقَّ حَقًّا وَارْزُقْنَا اتِّبَاعَهُ، وَأَرِنَا البَاطِلَ بَاطِلًا وَارْزُقْنَا اجْتِنَابَهُ.

وَاللهُ ﷻ قَالَ عَنْ نَفْسِهِ إِنَّهُ: (الحَقُّ): ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ﴾[طه:١١٤]، ﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ﴾[الأنعام:٦٢].

فَرَبُّنَا ﷻ الحَقُّ؛ فِي ذَاتِهِ وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ.

كَامِلُ الوُجُوْبِ، وكَامِلُ الصِفَاتِ والنُّعُوْتِ، المُنَزَّهُ عَنِ البَاطِلِ مِنْ جَمِيعِ الوُجُوْهِ، فَهُوَ الَّذِي لَمْ يَزَلْ -وَلَا يَزَالُ- بِالجَلَالِ وَالجَمَالِ وَالكَمَالِ مَوْصُوْفًا، وَلَمْ يَزَلْ -وَلَا يَزَالُ- بالإِحْسَانِ مَعْرُوْفًا.

بَاقٍ لَا يَحُوْلُ وَلَا يَزُوْلُ، سُنَّتُهُ حَقٌّ؛ وَهِيَ بَاقِيَةٌ بِلَا تَبْدِيلٍ، وَشَرَائِعُهُ حَقٌّ؛ لَا يَأْتِيهَا البَاطِلُ، وَوَعْدُهُ حَقٌّ؛ لَا رَيْبَ فِيهِ، خَبَرُهُ حَقٌّ؛ لَا يَتَخَلَّفُ، وَلِقَاؤُهُ حَقٌّ؛ لَا رَيْبَ فِيهِ.

فَمَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَرَزَقَكُمْ مِنْهَا؟ وَمَنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ؟ وَمَنْ يُخْرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّتِ وَيُخْرِجُ المَيِّتَ مِنَ الحَيِّ؟ وَمَنْ يُدَبِّرُ الأَمْرَ؟

إِنَّه اللهُ رَبُّنَا الحَقُّ ﷻ؛ فَلَا شَكَّ فِيهِ، وَلَا مَثِيلَ لَهُ، وَلَا شَرِيكَ لَهُ، وَلَا نِدَّ لَهُ.

فَهُوَ الحَقُّ ﷻ، وَمَا سِوَى الحَقِّ إِلَّا البَاطِلُ وَالضَّلَالُ، وَمَنِ ادَّعَى إِلَهًا غَيْرَ اللهِ ادَّعَى بَاطِلًا وَكَذِبًا وَزُوْرًا؛ ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾﴾[الحج:٦٢]، ﴿فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ﴾[يونس:٣٢].

فَرَبُّنَا ﷻ الحَقُّ، وَقَوْلُهُ الحَقُّ، وَفِعْلُهُ حَقٌّ، وَلِقَاؤُهُ حَقٌّ، وَرُسُلُهُ حَقٌّ، وَكُتُبُهُ حَقٌّ، وَدِينُهُ حَقٌّ، وَعِبَادَتُهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ هِيَ الحَقُّ، وكُلُّ شَيْءٍ يُنسَبُ إِلَيْهِ فَهُوَ الحَقُّ؛ ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ﴾[طه:١١٤].

وَجَاءَ فِي «الصَّحِيحَيْنِ» مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ ﷺ فِي دُعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ: أَنَّهُ إِذَا قَامَ

إِلَى الصَّلَاةِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ قَالَ: «اللَّهُمَّ! أَنْتَ الحَقُّ، وَوَعْدُكَ الحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ، وَقَوْلُكَ حَقٌّ، وَالجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَمُحَمَّدٌ حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ».

فَرَبُّنَا الحَقُّ ﷻ، وَمَا جَاءَ مِنْ عِنْدِهِ حَقٌّ.

نَزَّلَ ﷻ الكِتَابَ بِالحَقِّ: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ ﴾[الشُّوْرَى:١٧].

وَأَرْسَلَ رُسُلَهُ بِالحَقِّ: ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾[البَقَرَة:١١٩].

وَخَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالحَقِّ: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ﴾ [الأَنْعَام:٧٣].

وَقَصَّ القَصَصَ بِالحَقِّ: ﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ﴾[الكَهْفِ:١٣].

وَوَعْدُ اللهِ حَقٌّ؛ وَهُوَ لَا يُخْلِفُ المِيعَادَ؛ ﴿أَلَآ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾[يُوْنُس:٥٥].

وَاللهُ ﷻ يُحِبُّ الحَقَّ، وَيَأْمُرُ بِهِ، وَلَا حَيَاءَ مِنَ الحَقِّ، ﴿وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [الأَحْزَاب:٥٣].

وَمَنَحَ اللهُ ﷻ الحَقَّ قُوَّةً يَغْلِبُ بِهَا البَاطِلَ: ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾[الأَنْبِيَاء:١٨].

فَمَنْ تَمَسَّكَ بِالحَقِّ نَجَا وَأَفْلَحَ، وَمَنْ كَفَرَ بِالحَقِّ خَسِرَ وَذَلَّ، وَعِنْدَمَا تَمَسَّكَ المُسْلِمُوْنَ بِالحَقِّ انْتَصَرُوْا عَلَى البَاطِلِ؛ ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ ﴾ [الإِسْرَاء:٨١].

وَهَذَا صِرَاعٌ أَبَدِيٌّ بَيْنَ الحَقِّ وَالبَاطِلِ؛ فَمَنْ كَانَ مَعَ اللهِ فَهُوَ عَلَى الحَقِّ المُبِينِ، وَلَهُ النَّصْرُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾[التَّوْبَة:٣٣].

فَالمُؤْمِنُوْنَ مُتَّبِعُوْنَ لِلحَقِّ، ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ ﴿٣﴾﴾[مُحَمَّدٍ:٣]، وَهُمْ يَتَوَاصَوْنَ فِيمَا بَيْنَهُمْ عَلَى التَّمَسُّكِ بِالحَقِّ: ﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾[سُوْرَةُ العَصْرِ].

وَمَنِ ادَّعَى الإِيمَانَ وَجَاءَ بِنَقِيضِهِ فَلَا يَكُوْنُ مُتَّبِعًا لِلْحَقِّ، وَمَنْ تَرَكَ أَوْ تَسَاهَلَ أَوْ شَكَّ فِي حُكْمِ اللهِ فَلَا يَكُوْنُ مُتَّبِعًا لِلْحَقِّ؛ حَتَّى لَوْ ادَّعَى ذَلِكَ! ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النِّسَاءَ:٦٥].

فَالشَّرْطُ: الإِذْعَانُ وَالتَّسْلِيمُ، وَالاغْتِبَاطُ بِشَرْعِ اللهِ.

وَالمُؤْمِنُ مُتَوَاضِعٌ لِلْحَقِّ، مُنْقَادٌ لَهُ؛ لِأَنَّ الخَيْرَ كُلَّهُ فِي الحَقِّ.

وَمَنْ رَدَّ الحَقَّ بَعْدَ بَيَانِهِ فَهُوَ: المُتَكَبِّرُ الظَّالِمُ لِنَفْسِهِ، فَقَدْ صَحَّ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «الكِبْرُ: بَطَرُ الحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ»[أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ].

فَمَنْ تَكَبَّرَ عَلَى الحَقِّ فَإِنَّمَا رَدَّ عَلَى اللهِ، وَتَكَبَّرَ عَلَيْهِ.

رُوِيَ: أَنَّ أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ ﷺ صَعِدَ المِنْبَرَ، وَأَرَادَ أَنْ يُحَدِّدَ المَهْرَ؛ بَعْدَمَا رَأَى مُغَالَاةَ النَّاسِ فِيهِ، فَتَقُوْمَ إِلَيْهِ الشِّفَاءُ بِنْتُ عَبْدِ اللهِ، وَتَقُوْلَ لَهُ: "لَيْسَ لَكَ هَذَا! إِنَّ اللهَ يَقُوْلُ: ﴿وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا﴾[النِّسَاءَ:٢٠]، فَبِأَيِّ حَقٍّ تُحَدِّدُهُ؟

فَيَقُوْلُ عُمَرُ ﷺ: أَصَابَتْ امْرَأَةٌ، وَأَخْطَأَ عُمَرُ".

اللَّهُمَّ! أَرِنَا الحَقَّ حَقًّا وَارْزُقْنَا اتِّبَاعَهُ، وَأَرِنَا البَاطِلَ بَاطِلًا وَارْزُقْنَا اجْتِنَابَهُ.

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ لِي وَلَكُمْ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرُوهُ؛ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ:

الْحَمْدُ لله حَمْدًا طَيِّبًا كَثِيرًا مُبَارَكًا فِيهِ كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنِ اهْتَدَى بِهُدَاهُمْ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

عِبَادَ اللهِ..

قَالَ ﷻ: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴿٧٩﴾﴾[النَّمْلِ:٧٩]، مَا هُوَ الأَمْرُ الكَبِيرُ، وَالكَرْبُ الشَّدِيدُ، وَالهَمُّ العَظِيمُ الَّذِي يَسْتَعْصِي عَلَى رَبِّ العِزَّةِ؟ فَاللهُ هُوَ الحَقُّ، وَقَوْلُهُ الحَقُّ، وَوَعْدُهُ الحَقُّ.

فَحَقٌّ عَلَى العَبْدِ أَنْ يَظُنَّ بِرَبِّهِ خَيْرًا، وَيَتَوَكَّلَ عَلَيْهِ، وَأَنْ يَنْتَظِرَ مِنْهُ فَضْلًا، وَأَنْ يَرْجُوَ مِنْ مَوْلَاهُ لُطْفًا، وَأَنْ يَتَعَلَّقَ بِعُهُودِهِ. فَلَا يَجْلِبُ النَّفْعَ إِلَّا هُوَ، وَلَا يَدْفَعُ الضُّرَّ إِلَّا هُوَ، وَلَهُ فِي كُلِّ نَفْسٍ لُطْفٌ، وَفِي كُلِّ حَرَكَةٍ حِكْمَةٌ، وَفِي كُلِّ سَاعَةٍ فَرَجٌ، جَعَلَ بَعْدَ اللَّيْلِ صَبَاحًا وَبَعْدَ القَحْطِ غَيْثًا.

وَاللهُ لَا يَرُدُّ دَعْوَةَ مُؤْمِنٍ صَادِقٍ؛ لِأَنَّ اللهَ ﷻ هُوَ الحَقُّ، وَوَعْدُهُ حَقٌّ؛ فَاللهُ ﷻ قَالَ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾[غَافِرٍ:٦٠]، وَقَالَ ﷺ: «إِنَّ اللهَ حَيِيٌّ كَرِيمٌ يَسْتَحِي إِذَا رَفَعَ الرَّجُلُ إِلَيْهِ يَدَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا خَائِبَتَيْنِ»[حَدِيثٌ صَحِيحٌ. رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ].

إِذَنْ؛ فَمُشْكِلَاتُكَ جَمِيعُهَا إِلَى حُلُولٍ، وَكُلُّ آلَامِكَ إِلَى عَافِيَةٍ، وَكُلُّ أَحْلَامِكَ إِلَى وَاقِعٍ، وَكُلُّ دُمُوعِكَ إِلَى ابْتِسَامَةٍ.. اطْمَئِنْ!

فَإِنَّ بَعْدَ الفَقْرِ غِنًى، وَبَعْدَ الظَّمَإِ رِيٌّ، وَبَعْدَ الفِرَاقِ اجْتِمَاعٌ، وَبَعْدَ الهَجْرِ وَصْلٌ، وَبَعْدَ الانْقِطَاعِ اتِّصَالٌ، ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٣﴾﴾[الأَحْزَابِ:٣].

يَا مِنَ إِلَيْـهِ جَمِيـعُ الخَلْـقِ يَبْتَهِـلُ ... وَكُـلُّ حَـيٍّ عَـلَى رُحْمَـاهُ يَتَّكِـلُ
أَنْتَ المُنَـادَى بِـهِ فِي كُـلِّ حَادِثَـةٍ ... وَأَنْتَ مَلْجأُ مَنْ ضَاقَتْ بِهِ السُّبُلُ
إِنَّـا قَـصَدْنَاكَ وَالآمَـالُ وَاقِعَـةٌ ... عَلَيكَ وَالكُـلُّ مَلْهُـوفٌ وَمُبْتَهِـلُ
فَإِنْ غَفَرْتَ فَعَنْ طَوْلٍ وَعَنْ كَرَمٍ ... وَإِنْ سَطَوْتَ فَأَنْتَ الحَاكِمُ العَـدِلُ

وَأَخِيْرًا.. إِنَّ كُلَّ شَيْءٍ يُقَرِّبُكَ مِنْهُ ﷺ فَهُوَ: حَقٌّ، وَكُلَّ شَيْءٍ يُبَعِّدُكَ عَنْهُ فَهُوَ: بَاطِلٌ.

اللَّهُمَّ! أَرِنَا الحَقَّ حَقًّا وَارْزُقْنَا اتِّبَاعَهُ، وَأَرِنَا البَاطِلَ بَاطِلًا وَارْزُقْنَا اجْتِنَابَهُ.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ الجَنَّةَ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ، ونَعُوْذُ بِكَ مِنَ النَّـارِ وَمَـا قَـرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ الهُدَى وَالسَّدَادَ، وَنَسْأَلُكَ التُّقَى وَالعِفَّةَ وَالغِنَى.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنَ الخَيْرِ كُلِّهِ؛ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ؛ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَأَنْ تَجْعَلَ كُلَّ قَضَاءٍ قَضَيْتَهُ لَنَا خَيْرًا.

اللَّهُمَّ! أَصْلِحْ لَنَا دِيْنَنَا الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِنَـا، وَأَصْـلِحْ لَنَـا دُنْيَانَـا الَّتِـي فِيهَـا مَعَاشُـنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا آخِرَتَنَا الَّتِي فِيهَا مَعَادُنَا، وَاجْعَلِ الحَيَاةَ زِيَادَةً لَنَا فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَالمَوْتَ رَاحَةً لَنَا مِـنْ كُلِّ شَرٍّ.

اللَّهُمَّ! أَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا، وَأَلِّفْ بَيْنَ قُلُوْبِنَا، وَاهْدِنَا سُبَلَ السَّلَامِ، وَأَخْرِجْنَا مِنَ الظُّلُـمَاتِ إِلَى النُّوْرِ.

اللَّهُمَّ! بَارِكْ لَنَـا فِي أَسْـمَاعِنَا وَأَبْـصَارِنَا وَقُوَّاتِنَـا وَأَزْوَاجِنَـا وَذُرِّيَّتِنَـا وَأَمْوَالِنَـا، وَاجْعَلْنَـا مُبَارَكِيْنَ أَيْنَمَا كُنَّا.

وَآخِرُ دَعْوَانَا: أَنِ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ.

المُبِينُ ﷻ

إِنَّ الحَمْدَ لله؛ نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِالله مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَـهَ إِلَّا اللهُ؛ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ.

أَمَّا بَعْدُ:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾[آلِ عِمْرَانَ: ١٠٢]،

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾[النِّسَاءَ: ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾[الأَحْزَابِ: ٧٠- ٧١].

عِبَادَ الله..

نَقِفُ مَعَ اسْمٍ مِنْ أَسْمَاءِ الله ﷻ، وَهُوَ: (المُبِينُ ﷻ):

فَاللهُ ﷻ قَدْ قَالَ عَنْ نَفْسِهِ: ﴿يَوْمَئِذٖ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلۡحَقَّ وَيَعۡلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ ٱلۡمُبِينُ ٢٥﴾[النُّوْرِ: ٢٥].

وَبَيَانُ الشَّيْءِ: ظُهُوْرُهُ وَوُضُوْحُهُ.

فَرَبُّنَا ﷻ المُبِينُ لِكُلِّ العَالَمِينَ، البَيِّنُ أَمْرُهُ فِي وُجُوْدِهِ وَوِحْدَانِيَّتِهِ، وَأَنَّهُ لَا شَرِيكَ لَهُ فِي رُبُوْبِيَّتِهِ وَأُلُوْهِيَّتِهِ وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ.

وَرَبُّنَا ﷻ الَّذِي بَيَّن لِعِبَادِهِ سَبِيلَ الرَّشَادِ، وَأَوْضَحَ لَهُمُ الأَعْمَالَ الَّتِي يَسْتَحِقُّوْنَ الثَّوَابَ عَلَى فِعْلِهَا، وَالأَعْمَالَ الَّتِي يَسْتَحِقُّوْنَ العِقَابَ عَلَيْهَا، وَيَوْمَ القِيَامَةِ يَزُوْلُ الشَّكُّ فِيهِ عَنْ أَهْلِ النِّفَاقِ؛ الَّذِينَ كَانُوْا فِيمَا يَعِدُهُمْ فِي الدُّنْيَا يَمْتَرُوْنَ.

وَصِفَةُ البَيَانِ: مِنْ أَعْظَمِ صِفَاتِ الله ﷻ؛ وَقَدْ جَاءَ البَيَانُ عَنْ طَرِيقَينِ:

الأَوَّلُ: بِمَا أَنْزَلَهُ ﷻ فِي كُتُبِهِ المُنَزَّلَةِ عَلَى رُسُلِهِ، وَمَا أَوْحَاهُ إِلَى رُسُلِهِ وَأَنْبِيَائِهِ: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾﴾[المَائِدَةِ:١٥].

وَالثَّانِي: بِآيَاتِهِ الَّتِي خَلَقَهَا دَالَّةً عَلَيْهِ.

وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ الوَاحِدُ

فَأَمَّا الأَوَّلُ؛ فَيَكْفِينَا أَنْ نَتَأَمَّلَ فِي آخِرِ الكُتُبِ وَأَعْظَمِهَا -وَهُوَ: القُرْآنُ الكَرِيمُ-: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾﴾[المَائِدَةِ:١٥].

وَكَمَا كَانَ القُرْآنُ مُبِينًا؛ كَذَلِكَ رَسُوْلُ الله ﷺ كَانَ مُبِينًا، فاللهُ ﷻ قَدْ قَالَ: ﴿إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٥﴾﴾[الشُّعَرَاءِ:١١٥]، وَقَالَ ﷻ: ﴿إِن يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾﴾[ص:٧٠].

وَقَدْ أَخْبَرَ اللهُ ﷻ العِبَادَ فِي كُتُبِهِ وَعَلَى أَلْسِنَةِ رُسُلِهِ فِي الدُّنْيَا بِأَنَّ الَّذِي اخْتَلَفُوْا فِيهِ فِي الدُّنْيَا سَيُبَيِّنُهُ لَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ؛ فَقَالَ ﷻ: ﴿وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾﴾[النَّحْلِ:٩٢].

وَمَنْ تَبَيَّنَ لَهُ الحَقُّ فَصَدَّ عَنْهُ؛ كَانَ جَزَاءُهُ العَذَابُ الأَلِيمُ، قَالَ ﷻ: ﴿فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾﴾[البَقَرَةِ:٢٠٩]، وَكَذَا مَنْ كَتَمَ الحَقَّ؛ عَرَّضَ نَفْسَهُ لِلَّعْنَةِ؛ فاللهُ ﷻ قَدْ قَالَ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾﴾[البَقَرَةِ:١٥٩].

وَأَمَّا الطَّرِيقُ الثَّانِي؛ وَهُوَ: (آيَاتُهِ):

فَاللهُ المُبِينُ ﷻ أَوْضَحَ دَلَالَتِهِ لِلْمُتَفَكِّرِينَ، وَأَبْدَى شَوَاهِدَهُ لِلنَّاظِرِينَ.

وَمِنْ آيَاتِهِ لِلْعَالَمِينَ، وَقَطْعِ أَعْذَارِ المُعَانِدِينَ: ﴿أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾﴾[النَّمْل:٦١-٦٤].

هَذَا الطَّبِيبُ النَّفْسِيُّ الْأَمْرِيكِيُّ الشَّهِيرُ الدَّكْتُورُ (هِنْرِي لِنْكْ)؛ الَّذِي كَفَرَ بِالدِّينِ، وَحَارَبَ الْإِيمَانَ، وَأَنْكَرَ وُجُوْدَ الْإِلَهِ، عَادَ بَعْدَ رِحْلَةٍ طَوِيلَةٍ وَفَرِيدَةٍ! وَقَالَ: "الدِّينُ هُوَ: الْإِيمَانُ بِوُجُوْدِ قُوَّةٍ مَا كَمَصْدَرٍ لِلْحَيَاةِ، هَذِهِ القُوَّةُ هِيَ: قُوَّةُ الله، مُدَبِّرُ الْكَوْنَ، خَالِقُ السَّمَاوَاتِ".

وَيَقُوْلُ الْأُسْتَاذُ (هُوْشْ): "كُلَّمَا اتَّسَعَ نِطَاقَ الْعِلْمِ زَادَتِ الْبَرَاهِينُ الدَّامِغَةُ الْقَوِيَّةُ عَلَى وُجُوْدِ خَالِقٍ أَذْكَى، لَا حَدَّ لِقُدْرَتِهِ وَلَا نِهَايَةَ، فَالْجُيُولُوْجِيُّوْنَ وَالرِّيَاضِيُّوْنَ وَالْفَلَكِيُّوْنَ وَالطَّبِيعِيُّوْنَ قَدْ تَعَاوَنُوا عَلَى تَشْيِيدِ صَرْحِ الْعِلْمِ، وَهُوَ: صَرْحُ عَظَّمَةِ الله وَحْدَهُ".

وَيَقُوْلُ الْعَالِمُ الطَّبِيعِيُّ (سِيرْ آرْثَرَ طُوْمْسُوْنْ) -المُؤَلِّفُ الأُسْكَتْلَنْدِيُّ الشَّهِيرُ- فِي مَجْمُوْعَةِ «الْعِلْمِ وَالدِّينِ»: "فَنَحْنُ نُقَرِّرُ عَنْ رَوِيَّةٍ: أَنَّ أَعْظَمَ خِدْمَةٍ قَامَ بِهَا الْعِلْمُ أَنَّهُ: قَادَ الإِنْسَانَ إِلَى فِكْرَةٍ عَنِ الله أَنْبَلَ وَأَسْمَى".

فَسُبْحَانَ مَنْ بَهَرَتْ عَظَمَتُهُ عُقُوْلَ العَارِفِينَ!

وَسُبْحَانَ مَنْ بَهَرَتْ أَنْوَارُهُ بَصَائِرَ السَّالِكِينَ!

تَأَمَّلْ فِي نَبَاتِ الأَرْضِ وَانْظُرْ ... إِلَى آثَارِ مَا صَنَعَ المَلِيكُ
عُيُونٌ مِنْ لُجَيْنٍ شَاخِصَاتٌ ... بِأَحْدَاقٍ هِيَ الذَّهَبُ السَّبِيكُ
عَلَى كَثَبِ الزَّبَرْجَدِ شَاهِدَاتٌ ... بِأَنَّ اللهَ لَيْسَ لَهُ شَرِيكُ

أَقُولُ قَولِي هَذَا، وَأَستَغْفِرُ اللهَ لِي وَلَكُمْ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرُوهُ؛ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ:

الحَمْدُ للهِ حَمْدًا طَيِّبًا كَثِيرًا مُبَارَكًا فِيهِ كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنِ اهْتَدَى بِهُدَاهُمْ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

عِبَادَ اللهِ..

امْتَدَحَ اللهُ ﷻ أُولِي الأَلْبَابِ عِنْدَمَا فَتَحُوْا بَصَائِرَهُم لِاسْتِقْبَالِ آيَاتِهِ الكَوْنِيَّةِ؛ فَاتَّجَهُوْا إِلَى اللهِ بِقُلُوْبِهِمْ قِيَامًا وَقُعُوْدًا وَعَلَى جُنُوْبِهِمْ، وَامْتَلَأَتْ أَفْئِدَتُهُم إِيمَانًا، وَرَفَعُوْا أَيْادِيَهُمْ إِلَى اللهِ بِالدُّعَاءِ الصَّادِقِ وَطَلَبِ الهِدَايَةِ؛ فَكَانَ الجَوَابُ عَلَيْهِمْ: ﴿أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾﴾[آلِ عِمْرَانَ:١٩٥].

اللَّهُمَّ! بِاسْمِكَ المُبِينِ نَسْأَلُكَ: أَنْ تُدْخِلَنَا جَنَّةَ النَّعِيمِ، وَأَنْ تُجِيرَنَا مِنَ النَّارِ؛ يَا رَبَّ العَالَمِينَ!

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ الجَنَّةَ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ، ونَعُوْذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ الهُدَى وَالسَّدَادَ، وَنَسْأَلُكَ التُّقَى وَالعِفَّةَ وَالغِنَى.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنَ الخَيْرِ كُلِّهِ؛ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ؛ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَأَنْ تَجْعَلَ كُلَّ قَضَاءٍ قَضَيْتَهُ لَنَا خَيْرًا.

اللَّهُمَّ! أَصْلِحْ لَنَا دِيْنَنَا الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا دُنْيَانَا الَّتِي فِيهَا مَعَاشُنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا آخِرَتَنَا الَّتِي فِيهَا مَعَادُنَا، وَاجْعَلِ الحَيَاةَ زِيَادَةً لَنَا فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَالمَوْتَ رَاحَةً لَنَا مِنْ كُلِّ شَرٍّ.

اللَّهُمَّ! أَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا، وَأَلِّفْ بَيْنَ قُلُوْبِنَا، وَاهْدِنَا سُبَلَ السَّلَامِ، وَأَخْرِجْنَا مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوْرِ.

اللَّهُمَّ! بَارِكْ لَنَا فِي أَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوَّاتِنَا وَأَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّتِنَا وَأَمْوَالِنَا، وَاجْعَلْنَا مُبَارَكِيْنَ أَيْنَمَا كُنَّا.

وَآخِرُ دَعْوَانَا: أَنِ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ.

المُحِيطُ ﷻ

إِنَّ الحَمْدَ لله؛ نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِالله مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَـهَ إِلَّا اللهُ؛ وَحْـدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ.

أَمَّا بَعْدُ:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[آلِ عِمْرَانَ: ١٠٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾[النِّسَاءَ: ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾[الأَحْزَابِ: ٧٠- ٧١].

عِبَادَ الله..

مِنْ أَسْمَاءِ رَبِّنَا ﷻ: (المُحِيطُ).

قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطًا ﴿١٢٦﴾﴾ [النِّسَاءَ:١٢٦].

فَرَبُّنَا ﷻ لَا يَغِيبُ عَنْ عِلْمِهِ شَيْءٌ صَغِيرٌ أَوْ كَبِيرٌ، ظَاهِرٌ أَوْ بَاطِنٌ؛ فَإِنَّهُ كَمَا وَصَـفَ نَفْـسَهُ: ﴿أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ ﴿٥٤﴾﴾[فُصِّلَتْ: ٥٤].

وَإِحَاطَتُهُ تَشْتَمِلُ عَلَى: العِلْمِ وَالاطِّلَاعِ عَلَى الأَحْـوَالِ كُلِّهَـا، كَـمَا تَـشْتَمِلُ عَـلَى: القُـدْرَةِ وَعَدَمِ الفَوْتِ، كَمَا تَشْتَمِلُ عَلَى: السُّلْطَانِ وَالحُكْمِ.

جَاءَ فِي «شَرْحِ الطَّحَاوِيَّةِ»: أَمَّا كَوْنُهُ مُحِيطًا بِكُلِّ شَيْءٍ؛ فَقَالَ ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ﴿٢٠﴾﴾[البُرُوْجِ:٢٠]، ﴿أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ ﴿٥٤﴾﴾[فُصِّلَتْ:٥٤]، ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطًا ﴿١٢٦﴾﴾[النِّسَاءِ:١٢٦]، وَلَيْسَ المُرَادُ مِنْ إِحَاطَتِهِ بِخَلْقِهِ: أَنَّهُ كَالْفَلَكِ، وَأَنَّ المَخْلُوقَاتِ دَاخِلُ ذَاتِهِ المُقَدَّسَةِ -تَعَالَى اللهُ عَنْ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا-.

وَإِنَّمَا المُرَادُ: إِحَاطَةُ عَظَمَتِهِ، وَسِعَةُ عِلْمِهِ وَقُدْرَتِهِ، وَأَنَّهَا بِالنِّسْبَةِ إِلَى عَظَمَتِهِ كَالْخَرْدَلَةِ؛ كَمَا رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: مَا السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُوْنَ السَّبْعُ وَمَا فِيهِنَّ وَمَا بَيْنَهُنَّ فِي يَدِ الرَّحْمَنِ إِلَّا كَخَرْدَلَةٍ فِي يَدِ أَحَدِكُمْ".

وَإِحَاطَةُ الله ﷻ بِخَلْقِهِ: إِحَاطَةٌ تَامَّةٌ؛ لَا يَهْرُبُ مِنْهُمْ أَحَدٌ، وَلَا يَنِدُّ مِنْهُمْ أَحَدٌ، أَحَاطَتْ بِهِمْ قُدْرَتُهُ، وَأَحَاطَ بِهِمْ عِلْمُهُ، أَحَاطَ بِذَوَاتِهِمْ وَأَقْوَالِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ؛ كَمَا قَالَ ﷻ: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾﴾[الطَّلَاقِ:١٢].

وَهَذِهِ الإِحَاطَةُ العَامَّةُ، وَهِيَ تَشْمَلُ: مُسْلِمَهُمْ وَكَافِرَهُمْ.

وَأَمَّا الإِحَاطَةُ الخَاصَّةُ، فِيهَا: مَعْنَى التَّهْدِيدِ لِلعُصَاةِ وَالمُعَانِدِينَ.

وَأَكْثَرُ مَا جَاءَ الاسْمُ فِي مَوَاضِعِ التَّهْدِيدِ وَالوَعِيدِ لِلكُفَّارِ وَالمُنَافِقِينَ، فَهُوَ ﷻ عَالِمٌ بِمَا يَمْكُرُوْنَ وَمَا يَكْذِبُوْنَ، وَهُوَ ﷻ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ، وَلَهُمْ بِالْمِرْصَادِ، مَرَدُّهُمْ إِلَيْهِ، وَطَرِيقُهُمْ إِلَيْهِ، وَلَا يَفُوْتُوْنَهُ ﷻ؛ فَإِلَى أَيْنَ المَهْرَبُ وَالمَصِيرُ؟

فَقَالَ ﷻ عَنِ الكَافِرِينَ: ﴿وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾﴾[البَقَرَةِ:١٩].

وَكَذَلِكَ قَالَ عَنْ أَهْلِ الرِّيَاءِ وَالبَطَرِ: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾﴾[الأَنْفَالِ:٤٧].

وَقَالَ عَنْ أَهْلِ الشَّمَاتَةِ وَالكَيْدِ مِنَ الكُفَّارِ وَالمُنَافِقِينَ: ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾﴾[آلِ عِمْرَانَ:١٢٠].

وَإِذَا نَزَلَ عَذَابُ اللهِ ﷻ بِقَوْمٍ؛ فَإِنَّهُ يُحِيطُ بِهِمْ: ﴿وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾﴾[هُوْدٍ:٨٤].

وَالنَّارُ يَوْمَ القِيَامَةِ مُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ: ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ [الكَهْفِ:٢٩].

اللَّهُمَّ نَجِّنَا مِنْ عَذَابِ القَبْرِ وَمِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ؛ يَا رَبَّ العَالَمِينَ!

أَقُولُ قَولِي هَذَا، وَأَستَغْفِرُ اللهَ لِي وَلَكُمْ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرُوهُ؛ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ:

الحَمْدُ للهِ حَمْدًا طَيِّبًا كَثِيرًا مُبَارَكًا فِيهِ كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنِ اهْتَدَى بِهُدَاهُمْ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

عِبَادَ اللهِ..

المُؤْمِنُ إِذَا عَلِمَ أَنَّ اللهَ هُوَ: المُحِيطُ ﷻ؛ اطْمَأَنَّتْ نَفْسُهُ، وَتَوَكَّلَ عَلَى رَبِّهِ وَاتَّقَاهُ؛ فَهُوَ لَا يَتَبَاطَأُ عَوْنَ اللهِ، وَلَا يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَتِهِ، وَلَا يَقْطَعُ أَمَلَهُ مِنَ الفَرَجِ؛ فَإِنَّ الفَرَجَ آتِيهِ لَا مَحَالَةَ، وسَوْفَ يَجِدُ الخُرُوْجَ مِنَ الضِّيقِ بِلَا شَكٍّ، لَكِنَّ لِلْأُمُوْرِ أَوْقَاتًا وَلِلْمَقْدُوْرِ عُمْرًا؛ لَا بُدَّ أَنْ يَقْضِيهِ حَتَّى يَصِلَ، وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَ اللهِ ﷻ بِأَجَلٍ مُسَمًّى: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾﴾[آلِ عِمْرَانَ:١٢٠].

فَاللهُ ﷻ جَعَلَ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا، وَلَهُ زَمَنًا لَا يَتَجَاوَزَهُ، وَوَقْتًا لَا يَتَخَطَّاهُ، فَإِذَا جَاءَ مَوْعِدُ

المَقْدُوْرِ فَلَا يَسْتَأْخِرُ عَنْ وَقْتِهِ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُ.

وَلِلْكُرْبَةِ وَقْتٌ ثُمَّ تَزُوْلُ، وَلِهَا زَمَنٌ ثُمَّ تَحُوْلُ؛ فَلَا يُسْتَعْجَلُ لِحُصُوْلِ المَرْغُوْبِ وَإِزَاحَةِ المَرْهُوْبِ، فَالْأَمْرُ لَيْسَ لِلْعَبْدِ، فَإِنَّ العَبْدَ عَلَيْهِ بَذْلُ السَّبَبِ وَالصَّبْرُ، فَنَصْرُ اللهِ ﷻ وَفَرَجُهُ لَا يَعُزُّ عَلَى طَالِبٍ فِي أَيِّ مَكَانٍ.

إِبْرَاهِيمُ عليه السلام يُحَاطُ بِهِ، وَيُلقَى فِي النَّارِ؛ فَتَكُوْنُ بَرْدًا وَسَلَامًا.

وَيُوْسُفُ عليه السلام يُحِيطُ بِهِ إِخْوَانُهُ، وَيُلْقُوْنَهُ فِي الجُبِّ، ثُمَّ يُحَاطُ بِهِ مَرَّةً أُخْرَى مِنِ امْرَأَةِ العَزِيزِ وَمَنْ مَعَهَا، ثُمَّ يُسْجَنُ؛ لَكِنَّ اللهَ المُحِيطَ ﷻ رَدَّ كَيْدَ الأَعْدَاءِ؛ فَكَانَتْ إِحَاطَتُهُمْ نَصْرًا وَفَتْحًا لِيُوْسُفَ عليه السلام؛ لِيَكُوْنَ عَزِيزًا عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ.

يُحَاطُ بِبَيتِ أُمِّ مُوْسَى عليه السلام، فَيُلقَى مُوْسَى فِي اليَمِّ، فَكَانَتْ إِحَاطَتُهُمْ فَرَجًا لَهَا وَلَهُ؛ فَيَرْجِعُ إِلَيْهَا وَهِيَ مُطْمَئِنَّةٌ.

يُحِيطُ فِرْعَوْنُ بِمُوْسَى عليه السلام وَمَنْ مَعَهُ؛ فَكَانَتْ إِحَاطَتَهُمْ هَلَاكُ فِرْعَوْنَ، وَانْتِصَارُ مُوْسَى عليه السلام.

يُحِيطُ الكَافِرُوْنَ بِبَيتِ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ؛ فَيَخْرُجُ مِنْ مَكَّةَ طَرِيدًا حَزِينًا، ثُمَّ يُحِيطُ اللهُ بِأَعْدَائِهِ؛ فَيَرْجِعُ إِلَيْهَا فَاتِحًا مُنْتَصِرًا ﷺ.

فَالمُؤْمِنُ كُلَّمَا اسْتَشْعَرَ إِحَاطَةَ اللهِ ﷻ: زَادَ إِيمَانُهُ، وَفَرِحَ بِرَبِّهِ، وَفَرَّ إِلَيْهِ خَاضِعًا لِعَظَمَتِهِ مُسْتَسْلِمًا لِأَمْرِهِ، مُمْتَثِلًا لِقَوْلِهِ ﷻ: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥٠﴾[الذَّارِيَاتِ: ٥٠].

بِكَ أَسْتَجِيرُ وَمَنْ يُجِيرُ سِوَاكَا
فَأَجِرْ ضَعِيفًا يَحْتَمِي بِحِمَاكَا
إِنِّي أَوَيْتُ لِكُلِّ مَأْوَىً فِي الحَيَاةِ
فَمَا رَأَيْتُ أَعَزَّ مِنْ مَأْوَاكَا

فَاقْبَلْ دُعَائِي وَاسْتَجِبْ لِرَجَـاوَتِي

مَا خَابَ يَوْمًا مَـنْ دَعَـا وَرَجَاكَـا

اللَّهُمَّ! بِاسْمِكَ المُحِيطِ نَسْأَلُكَ: أَنْ تُحِيطَ أَعْدَاءَنَا بِالْعَذَابِ مِنْ عِنْدِكَ، وَأَنْ تَجْعَلَ لَنَـا مِـنْ كُلِّ هَمٍّ فَرَجًا، وَمِنْ كُلِّ ضِيقٍ مَخْرَجًا.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ الهُدَى وَالسَّدَادَ، وَنَسْأَلُكَ التُّقَى وَالعِفَّةَ وَالغِنَى.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ الجَنَّةَ، وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، وَنَعُوْذُ بِكَ مِنَ النَّارِ، وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنَ الخَيْرِ كُلِّهِ؛ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ؛ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَأَنْ تَجْعَلَ كُلَّ قَضَاءٍ قَضَيْتَهُ لَنَا خَيْرًا.

اللَّهُمَّ! أَصْلِحْ لَنَا دِيْنَنَا الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِنَـا، وَأَصْـلِحْ لَنَـا دُنْيَانَـا الَّتِـي فِيهَـا مَعَاشُـنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا آخِرَتَنَا الَّتِي فِيهَا مَعَادُنَا، وَاجْعَلِ الحَيَاةَ زِيَادَةً لَنَا فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَالمَوْتَ رَاحَةً لَنَا مِـنْ كُلِّ شَرٍّ.

اللَّهُمَّ! أَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا، وَأَلِّفْ بَيْنَ قُلُوْبِنَا، وَاهْدِنَا سُبَلَ السَّلَامِ، وَأَخْرِجْنَا مِنَ الظُّلُـمَاتِ إِلَى النُّوْرِ.

اللَّهُمَّ! بَارِكْ لَنَـا فِي أَسْـمَاعِنَا وَأَبْـصَارِنَا وَقُوَّاتِنَـا وَأَزْوَاجِنَـا وَذُرِّيَّتِنَـا وَأَمْوَالِنَـا، وَاجْعَلْنَـا مُبَارَكِيْنَ أَيْنَمَا كُنَّا.

وَآخِرُ دَعْوَانَا: أَنِ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ.

الوَدُودُ ﷻ

إِنَّ الحَمْدَ لله؛ نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِالله مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَـهَ إِلَّا اللهُ؛ وَحْـدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ.

أَمَّا بَعْدُ:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾[آلِ عِمْرَانَ: ١٠٢]،

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾[النِّسَاءَ:١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾[الأَحْزَابِ:٧٠- ٧١].

وَلَـمَّا جَلَسْنَا مَجْلِسًا طَلَّهُ النَّدَى

جَمِيلًا وَبُسْتَانًا مِنَ الرَّوْضِ نَادِيًا

أَثَارَ لَنَا طِيبُ المَكَـانِ وَحُـسْنُهُ

مُنَـىً فَتَمَنَّينَـا فَكُنْـتَ الأَمَانِيَـا

رَبُّنَا الوَدُوْدُ ﷻ؛ حَبِيبُ الطَّائِعِينَ، وَمَلَاذُ الهَارِبِينَ، وَمَلْجَأُ المُلْتَجِئِينَ، وَأَمَانُ الخَائِفِينَ.

المُحِبُّ لِلتَّوَّابِينَ وَالمُتَطَهِّرِينَ، أَجْوَدُ الأَجْوَدِينَ، وَأَكْرَمُ الأَكْرَمِينَ.

أَوْسَعُ مَن أَعْطَى، أَرْحَمُ مَنِ اسْتُرْحِمْ، أَكْـرَمُ مَـنْ قُـصِدَ، المَـلَاذُ فِي الـشِّدَّةِ، الأَنِـيسُ فِي الوَحْشَةِ، والنَّصِيرُ فِي القِلَّةِ ﷻ.

عِبَادَ الله..

حَدِيثُنَا عَنِ اسْمِ الله: (الوَدُوْدِ ﷻ):

قَالَ ﷻ: ﴿إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾﴾[هُـوْدٍ:٩٠]، وَقَـالَ: ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾﴾[البُرُوْجِ:١٤-١٥].

وَالوُدُّ: المَحَبَّةُ.

فَرَبُّنَا ﷻ تَوَدَّدَ إِلَى أَوْلِيَائِهِ بِمَعْرِفَتِهِ، وَنُعُوْتِهِ الجَمِيلَةِ..

وَهَذَا الوُدُّ خَاصٌّ بِالأَوْلِيَاءِ وَالأَتْقِيَاءِ؛ فَجَلَبَ لَهُمْ أَسْبَابَ التَّوَدُّدِ إِلَيْـهِ، وَجَـذَبَ قُلُـوْبَهُمْ وُدُّهُ، فَذَكَرَ لَهُمْ مَا لَهُ مِنَ الأَسْمَاءِ الحُسْنَى وَالنُّعُوْتِ الوَاسِعَةِ العَظِيمَةِ الجَمِيلَةِ؛ فَجُلِبَتِ القُلُوْبُ السَّلِيمَةُ وَالأَفْئِدَةُ المُسْتَقِيمَةُ إِلَيْهِ.

وَكَانَ فُـؤَادِي خَالِيًـا قَبْـلَ حُـبِّكُمُ
وَكَـانَ بِـذِكْرِ الخَلْـقِ يَلْهُـوْ وَيَمْـرَحُ
فَلَـمَّا دَعَـا قَلْبِـي هَـوَاكَ أَجَابَـهُ
فَلَـسْتُ أَرَاهُ عَـنْ فِنَائِـكَ يَـبْرَحُ

وَرَبُّنَا ﷻ وَدُوْدٌ؛ تَحَبَّبَ إِلَى العُصَاةِ مِنْ خَلْقِهِ، وَتَوَدَّدَ إِلَى التَّائِبِينَ مِنْهُمْ؛ فَشَرَحَ لَهُمُ الأَسْبَابَ الَّتِي يَنَالُوْنَ بِهَا مَغْفِرَتَهُ، وَالسُّبُلَ إِلَى عَفْوِهِ، وَالدَّلَائِلَ عَلَى سِعَةِ رَحْمَتِهِ.

قَالَ ﷻ: ﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾[الزُّمَرِ:٥٣]، وَقَالَ ﷻ: ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ﴾[الأَعْرَافِ:١٥٦].

وَرَبُّنَا ﷻ تَوَدَّدَ إِلَى عِبَادِهِ بِآلَائِهِ وَنِعَمِهِ العَظِيمَةِ الظَّاهِرَةِ وَالبَاطِنَةِ، فَهُـوَ الَّـذِي أَوْجَـدَهُمْ

وَأَبْقَاهُمْ وَأَحْيَاهُمْ وَأَصْلَحَهُمْ، وَأَتَمَّ لَهُمُ الأُمُوْرَ، وَهَدَاهُمْ لِلإِيمَانِ والإِسْلَام؛ الَّذِي هُوَ أَكْبَرُ النِّعَمِ.

وَهُوَ الوَدُوْدُ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّهُ ... أَحْبَابُهُ وَالفَضْلُ لِلمَنَّانِ
وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ المَحَبَّةَ فِي قُلُوْ ... بِهِمُ وَجَازَاهُمْ بِحُبٍّ ثَانِ
هَذَا هُوَ الإِحْسَانُ حَقًّا لَا مُعَا ... وَضَةً وَلَا لِتوَقُّعِ الشُّكْرَانِ

إِذَا كُشِفَ مَعْنَى اسمِ الوَدُوْدِ لِعَبْدٍ؛ تَعَلَّقَ قَلْبُهُ بِرَبِّهِ؛ فَأَصْبَحَ مُشْتَغِلًا بِهِ حُبًّا وَشَوْقًا وَلَذَّةً لَا أَحْلَى مِنْهَا وَلَا أَطْيَبَ!

وَذَلِكَ أَعْظَمُ مَا عَبْدَهُ بِهِ العَابِدُوْنَ، وَتَقَرَّبَ إِلَيْهِ المُتَقَرِّبُوْنَ؛ ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾[المَائِدَةِ: ٥٤].

وَصَفَاءُ الحَالِ بْحَسْبِ صَفَاءِ المَعْرِفَةِ بِأَسْمَاءِ اللهِ وَصِفَاتِهِ.

وَالعَبْدُ المُؤْمِنُ يَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الحَالَ لَيْسَ بِحَوْلِ العَبْدِ وَلَا قُوَّتِهِ، وَإِنَّمَا هُوَ الوَدُوْدُ الَّذِي أَحَبَّ عَبْدَهُ فَجَعَلَ المَحَبَّةَ فِي قَلْبِهِ، ثُمَّ لَمَّا أَحَبَّهُ العَبْدُ بِتَوْفِيقِهِ ﷻ جَازَاهُ اللهُ بِحُبٍّ آخَرَ، وَهَذَا هُوَ الإِحْسَانُ المَحْضُ؛ إِذْ مِنْهُ السَّبَبُ وَمِنْهُ المُسَبَّبُ.

وَإِذَا أَحَبَّ العَبْدُ رَبَّهُ حُبًّا حَقِيقِيًّا أَثْمَرَ إِخْلَاصَ العُبُوْدِيَّةِ لَهُ وَحْدَهُ، وَاسْتَلْزَمَ مَحَبَّةَ مَنْ يُحِبُّهُ اللهُ وَمَا يُحِبُّهُ، وَيُبْغِضُ مَنْ يُبْغِضُهُ وَمَا يَبْغُضُهُ، وَهَذِهِ هِيَ حَقِيقَةُ الوَلَاءِ وَالبَرَاءِ؛ ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾[المُجَادلَةِ: ٢٢].

وَالمُؤْمِنُ الصَّادِقُ يَتَوَدَّدُ إِلَى اللهِ بِالأَعْمَالِ الَّتِي تَقْتَضِي مَحَبَّتَهُ ﷻ؛ مِنَ الأَقْوَالِ وَالأَفْعَالِ،

وَأَعْظَمُهَا: طَاعَةُ اللهِ ﷻ وَرَسُوْلِهِ ﷺ، قَالَ ﷻ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آلِ عِمْرَانَ:٣١].

وَلَا يَزَالُ العَبْدُ يَمْضِي عَلَى مَا يُحِبُّهُ اللهُ ﷻ، وَيُسَارِعُ فِيمَا يُرِيدُهُ مَوْلَاهُ، حَتَّى يَفُوْزَ بِالحُبِّ، وَيَظْفَرَ بِالقُرْبِ، وَاللهُ ﷻ «إِذَا أَحَبَّ اللهُ العَبْدَ نَادَى جِبرِيلَ: إِنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحْبِبْهُ! فَيُحِبُّهُ جِبرِيلُ، فَيُنَادِي جِبرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ! فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ القَبُولُ فِي الأَرْضِ»[أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ]، قَالَ ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾﴾[مَرْيَمَ:٩٦].

وَإِذَا أَحَبَّ اللهُ ﷻ عَبْدًا؛ كَانَ «سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا»[أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ].

قَالَ ابْنُ القَيِّمِ ﷺ: "فَالْأَسْبَابُ الجَالِبَةُ لِمَحَبَّةِ اللهِ ﷻ عَشْرَةٌ:

أَحَدُهَا: قِرَاءَةُ القُرْآنِ بِالتَّدَبُّرِ وَالتَّفَهُّمِ لِمَعَانِيهِ وَمَا أُرِيدَ بِهِ..

الثَّانِي: التَّقَرُّبُ إِلَى اللهِ بِالنَّوَافِلِ بَعْدَ الفَرَائِضِ..

الثَّالِثُ: دَوَامُ ذِكْرِهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ؛ بِاللِّسَانِ وَالقَلْبِ، وَالعَمَلِ وَالحَالِ...

الرَّابِعُ: إِيثَارُ مَحَابِّهِ عَلَى مَحَابِّكَ عِنْدَ غَلَبَاتِ الهَوَى...

الخَامِسُ: مُطَالَعَةُ القَلْبِ لِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، وَمُشَاهَدَتُهَا وَمَعْرِفَتُهَا.

السَّادِسُ: مُشَاهَدَةُ بِرِّهِ وَإِحْسَانِهِ وَآلَائِهِ، وَنِعَمِهِ البَاطِنَةِ وَالظَّاهِرَةِ...

السَّابِعُ -وَهُوَ مِنْ أَعْجَبِهَا-: انْكِسَارُ القَلْبِ بِكُلِّيَّتِهِ بَيْنَ يَدَيِ اللهِ ﷻ...

الثَّامِنُ: الخَلْوَةُ بِهِ وَقْتَ النُّزُوْلِ الإِلَهِيِّ لِمُنَاجَاتِهِ...

التَّاسِعُ: مُجَالَسَةُ المُحِبِّينَ الصَّادِقِينَ، وَالتِقَاطُ أَطَايِبِ ثَمَرَاتِ كَلَامِهِمْ...

العَاشِرُ: مُبَاعَدَةُ كُلِّ سَبَبٍ يَحُوْلُ بَيْنَ القَلْبِ وَبَيْنَ اللهِ ﷻ.

اللَّهُمَّ وَفِّقْنَا إِلَى طَاعَتِكَ؛ يَا رَبَّ العَالَمِينَ!

أَقُولُ قَولِي هَذَا، وَأَستَغْفِرُ اللهَ لِي وَلَكُمْ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرُوهُ؛ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ:

الحَمْدُ للهِ حَمْدًا طَيِّبًا كَثِيرًا مُبَارَكًا فِيهِ كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنِ اهْتَدَى بِهُدَاهُمْ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

فَمَا كُلُّ عَيْنٍ بِالحَبِيبِ قَرِيرَةٌ وَلَا كُلُّ مَنْ نُودِي يُجِيبُ المُنَادِيَا

يَسْمَعُ المُحِبُّوْنَ مُنَادِيَ الحَبِيبِ: (حَيَّ عَلَى الفَلَاحِ!)؛ فَيَهْجُرُوْنَ الفُرُشَ، وَيَطْرُدُوْنَ الكَرَى، وَيَمْتَطُوْنَ الأَقْدَامَ؛ فِي وَهَجِ الشَّمْسِ أَوْ لَوْعَةِ البَرْدِ، وَكَأَنَّمَا يَمْشُوْنَ عَلَى الحَرِيرِ، وَيَطْرُقُ أَسْمَاعَهُم: (حَيَّ عَلَى الكِفَاحِ!)؛ فَيَبْذُلُوْنَ المُهَجَ، وَيُقَدِّمُوْنَ الأَرْوَاحَ، وَيُزْهِقُوْنَ الأَنْفُسَ، وَيُهْرِقُوْنَ الدِّمَاءَ.

يُتْلَى عَلَيْهِمْ: ﴿أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم﴾[البَقَرَة:٢٥٤]؛ فَيَتَسَابَقُوْنَ بِالغَالِي وَالنَّفِيسِ، وَيَبْذُلُوْنَ مِنْ أَعَزِّ مَا يَمْلِكُوْنَ وَأَفْضَلِ مَا يُحِبُّوْنَ، وَيُعْطُوْنَ عَطَاءَ مَنْ لَا يَخْشَى الفَقْرَ.

وَيُتْلَى عَلَيْهِمْ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ﴾[آلِ عِمْرَانَ:٩٧]؛ فَيُقْبِلُوْنَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ، وَوَادٍ سَحِيقٍ، شُعْثًا غُبْرًا خِمَاصَ البُطُوْنِ، ظَمْأَى الأَفْئِدَةِ: لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ! لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ!

حَالُهُمْ وَحَالُ غَيْرِهِمْ كَقَوْلِ الشَّاعِرِ:

مَنْ لَمْ يَبِتْ وَالحُبُّ حَشْوُ فُؤَادِهِ لَمْ يَدْرِ كَيْفَ تُفَتَّتُ الأَكْبَادُ

يَقُوْلُ جَلَالُ الدِّينِ الرُّوْمِيُّ: "إِنَّ الحُبَّ يَجْعَلُ المُرَّ حُلْوًا، وَالتُّرَابَ تِبْرًا، وَالكَدَرَ صَفَاءً، وَالأَلَمَ شِفَاءً، وَالسِّجْنَ رَوْضَةً، وَالسَّقَمَ نِعْمَةً، وَالقَهْرَ رَحْمَةً، وَهُوَ الَّذِي يُلَيِّنُ الحَدِيدَ، وَيُذِيبُ الحَجَرَ، وَيَبْعَثُ المَيْتَ، وَيَنْضَحُ فِيهِ الحَيَاةَ".

فَلَيتَـكَ تَحْلُـوْ وَالحَيَـاةُ مَرِيـرَةٌ وَلَيْتَكَ تَرْضَى وَالأَنَامُ غِـضَابُ
وَلَيْتَ الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ عَـامِرٌ وَبَيْنِـي وَبَـيْنَ العَـالَمِينَ خَـرَابُ
إِذَا نِلْتُ مِنْكَ الوُدَّ فَالْكُلُّ هَـيِّنٌ وَكُلُّ الَّذِي فَوْقَ التُّرَابِ تُـرَابُ

وَيَقُوْلُ ابْنُ القَيِّمِ ﷺ عَنِ المَحَبَّةِ: "وَهِيَ: سِرُّ التَّأْلِيهِ، وَتَوْحِيدُهَا هُوَ: شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَـهَ إِلَّا اللهُ".

يَقُوْمُ أَعْرَابِيٌّ وَالنَّبِيُّ ﷺ يُحَدِّثُ النَّاسَ؛ فَيَقُوْلُ: مَتَى السَّاعَةُ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: «مَا أَعْدَدْتَ لَهَا»، قَالَ: مَا أَعْدَدْتُ لَهَا مِنْ كَثِيرِ صَلاَةٍ وَلَا صَوْمٍ وَلَا صَدَقَةٍ؛ وَلَكِنِّي أُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ، قَالَ: «أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ»[أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ].

أُحِبُّ الصَّالِحِينَ وَلَسْتُ مِنْهُمْ لَعَـلِّي أَنْ أَنَـالَ بِهِـمْ شَـفَاعَةْ
وَأَكْـرَهُ مَـنْ تِجَارَتُـهُ المَعَـاصِي وَلَوْ كُنَّـا سَـوَاءً فِي البِـضَاعَةْ

وَالمُؤْمِنُ: وَدُوْدٌ؛ يُحِبُّ وَيُحَبُّ، وَيَأْلَفُ وَيُؤْلَفُ، جَاءَ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «المُؤْمِنُ يَأْلَفُ وَيُؤْلَفُ»[حَدِيثٌ حَسَنٌ. رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي «المُعْجَمِ الأَوْسَطِ»]، وَذَلِكَ أَنَّهُ يُحِبُّ الخَيْرَ لِأَقْرَانِهِ المُسْلِمِينَ، وَيَكُفُّ شَرَّهُ عَنْهُمْ.

وَصَحَّ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَدْعُوْ: «اللَّهُمَّ! وَأَسْأَلُكَ حُبَّكَ، وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ، وَحُبَّ عَمَلٍ يُقَرِّبُنِي إِلَى حُبِّكَ»[حَدِيثٌ صَحِيحٌ. رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ].

اللَّهُمَّ يَا وَدُوْدُ! اغْفِرْ ذُنُوْبَنَا، وَأَجِرنَا مِنَ النَّارِ.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ الهُدَى وَالسَّدَادَ، وَنَسْأَلُكَ التُّقَى وَالعِفَّةَ وَالغِنَى.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ الجَنَّةَ، وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، وَنَعُوْذُ بِكَ مِنَ النَّارِ، وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنَ الخَيْرِ كُلِّهِ؛ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ

الشَّرِّ كُلِّهِ؛ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَأَنْ تَجْعَلَ كُلَّ قَضَاءٍ قَضَيْتَهُ لَنَا خَيْرًا.

اللَّهُمَّ! أَصْلِحْ لَنَا دِيْنَنَا الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا دُنْيَانَا الَّتِي فِيهَا مَعَاشُنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا آخِرَتَنَا الَّتِي فِيهَا مَعَادُنَا، وَاجْعَلِ الحَيَاةَ زِيَادَةً لَنَا فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَالمَوْتَ رَاحَةً لَنَا مِنْ كُلِّ شَرٍّ.

اللَّهُمَّ! أَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا، وَأَلِّفْ بَيْنَ قُلُوْبِنَا، وَاهْدِنَا سُبَلَ السَّلَامِ، وَأَخْرِجْنَا مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوْرِ.

اللَّهُمَّ! بَارِكْ لَنَا فِي أَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوَّاتِنَا وَأَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّتِنَا وَأَمْوَالِنَا، وَاجْعَلْنَا مُبَارَكِيْنَ أَيْنَمَا كُنَّا.

وَآخِرُ دَعْوَانَا: أَنِ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ.

الأَوَّلُ الآخِرُ
الظَّاهِرُ البَاطِنُ ﷺ

إِنَّ الحَمْدَ للهِ؛ نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَـهَ إِلَّا اللهُ؛ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ.

أَمَّا بَعْدُ:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[آلِ عِمْرَانَ: ١٠٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾[النِّسَاءَ: ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾[الأَحْزَابِ: ٧٠- ٧١].

عِبَادَ اللهِ..

جَاءَ فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَقُوْلُ: «اللَّهُمَّ! رَبَّ السَّمَاوَاتِ وَرَبَّ الأَرْضِ وَرَبَّ العَرْشِ العَظِيمِ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، فَالِقَ الحَبِّ وَالنَّوَى، وَمُنْزِلَ التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالفُرْقَانِ؛ أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ شَيْءٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهِ.

اللَّهُمَّ! أَنْتَ الأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ البَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ؛ اقْضِ عَنَّا الدَّيْنَ، وَأَغْنِنَا مِنَ الفَقْرِ».

فَرَبُّنَا ﷻ هُوَ: الأَوَّلُ بِلَا بِدَايَةٍ، فَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ قَبْلَهُ وَلَا مَعَهُ، وَهُوَ سَابِقُ الأَشْيَاءَ كُلِّهَا، وَهُوَ الَّذِي ابْتَدَأَتْ مِنْهُ جَمِيعُ البَرِيَّةِ؛ فَهُوَ الَّذِي أَوْجَدَهَا وَأَمَدَّهَا.

وَهُوَ: الآخِرُ بَعْدَ كُلِّ شَيْءٍ؛ فَلَا نِهَايَةَ لِوجُوْدِهِ، وَكُلُّ شَيْءٍ زَائِلٌ وَمِنْتَهِي، وَهُوَ البَاقِي بَعْدَ فَنَاءِ الخَلْقِ، ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾[القَصَصِ:٨٨].

وَرَبُّنَا ﷻ هُوَ: الظَّاهِرُ، وَهُوَ العَلِيُّ الأَعْلَى ﷺ، وَهُوَ العَلِيُّ فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ؛ فَلَا شَيْءَ أَعْلَى مِنْهُ، فَلَهُ عُلُوُّ الذَّاتِ، وَعُلُوُّ القَدْرِ وَالصِّفَاتِ، وَعُلُوُّ القَهْرِ، وَهُوَ الَّذِي ظَهَرَ لِلْعُقُوْلِ وَقَهَرَهَا بِحُجَجِهِ.

وَهُوَ: البَاطِنُ العالِمُ بِبَاطَنِ الشَّيْءِ، عَالِمٌ بِبَوَاطِنِ الأُمُوْرِ وَظَوَاهِرِهَا، مُطَّلِعٌ عَلَى السَّرَائِرِ والضَّمَائِرِ وَالخَفَايَا وَالخَبَايَا، وَهُوَ مُحْتَجِبٌ عَنْ أَبْصَارِ الخَلَائِقِ؛ فَلَا يُرَى فِي الدُّنْيَا، وَيَرَاهُ المُؤْمِنُوْنَ فِي الآخِرَةِ، وَلَكِنْ لَا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ؛ لِكَمَالِ عَظَمَتِهِ وَجَلَالِ كِبْرِيَائِهِ.

وَمَعَ عُلُوِّهِ ﷻ وَفَوْقِيَّتِهِ، وَكَوْنِهِ عَلَى العَرْشِ فَوْقَ السَّمَاوَاتِ؛ إِلَّا أَنَّهُ قَرِيبٌ مِنْ عِبَادِهِ، مُطَّلِعٌ عَلَى بَوَاطِنِهِمْ، عَالِمٌ بِظَوَاهِرِهِمْ، ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾﴾[ق:١٦]، ﴿قُلْ إِن تُخْفُوا۟ مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ﴾[آلِ عِمْرَانَ:٢٩].

يَسْمَعُ كَلِمَاتِكَ، وَيَرَى أَفْعَالَكَ، لَا تَخْفَى عَلَيْهِ مِنْكَ خَافِيَةٌ.

دَخَلَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ المَسْجِدَ؛ فَإِذَا بِالصَّحَابَةِ يَدْعُوْنَ رَبَّهُمْ بِأَصْوَاتٍ جَهْوَرَةٍ مُرْتَفِعَةٍ؛ فَقَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ! ارْبَعُوْا عَلَى أَنْفُسِكُمْ؛ فَإِنَّكُمْ لاَ تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا، وَلَكِنْ تَدْعُونَ سَمِيعًا بَصِيرًا»[أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ].

تَهْمِسُ فِي سُجُوْدِكَ: "سُبْحَانَ رَبِّيَ الأَعْلَى"؛ فَإِذَا السَّمَاوَاتُ تَتَفَتَّحُ لِدَعْوَتِكَ، وَإِذَا بِالمَوْلَى يَسْمَعُكَ؛ فَلَا تَتَوَهَّمْ أَنَّهُ بَعِيدٌ، أَوْ أَنَّهُ تَخْفَى عَلَيْهِ مِنْكَ خَافِيَةٌ.

يَسْمَعُ دَبِيبَ النَّمْلَةِ السَّوْدَاءِ عَلَى الصَّخْرَةِ الصَّمَّاءِ فِي اللَّيْلَةِ الظَّلْمَاءِ، ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾[الأَنْعَام:٥٩].

فَإِذَا ضَاقَتْ بِكَ الحِيَلُ، وَصَفَعَتْكَ المَخَاوِفُ؛ تَذَكَّرْ: أَنَّهُ الأَوَّلُ وَالآخِرُ، وَأَنَّهُ قَرِيبٌ مِنْكَ، وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَأَنَّهُ لَيْسَ فَوْقَهُ شَيْءٌ الْبَتَّةَ، وَأَنَّهُ قَاهِرٌ فَوْقَ عِبَادِهِ، يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ، وَأَنَّهُ مُطَّلِعٌ عَلَى سَرَائِرِكَ وَمَا يُخَالِجُ ضَمِيرَكَ.

هُنَا صَارَ لِقَلْبِكَ رَبٌّ يَقْصِدُهُ، وَإِلَهٌ يَعْبُدُهُ، وَصَمَدٌ يَصْمُدُ إِلَيْهِ فِي حَوَائِجِهِ، وَمَلْجَأٌ يَلْجَأُ إِلَيْهِ، فَإِذَا اسْتَقَرَّ ذَلِكَ؛ سَعِدَ قَلْبُكَ، وَهَدَأَتْ نَفْسُكَ، وَارْتَاحَ ضَمِيرُكَ، وَقَرُبَ الفَرَجُ، وَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّهُ: الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالبَاطِنُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

وَالعِلْمُ بِهَذِهِ الأَسْمَاءِ الأَرْبَعَةِ وَمَعَانِيهَا لَهُ أَثَرٌ عَظِيمٌ فِي دَفْعِ الوَسْوَسَةِ.

جَاءَ رَجُلٌ -يُقَالُ لَهُ: أَبُو زُمَيْلٍ- إِلَى حَبْرِ الأُمَّةِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ ﷺ؛ فَسَأَلَهُ، "قَالَ: يَا ابْنَ عَبَّاسٍ! مَا شَيْءٌ أَجِدُهُ فِي صَدْرِي، قَالَ: مَا هُوَ؟ قُلْتُ: وَاللهِ مَا أَتَكَلَّمُ بِهِ! قَالَ: فَقَالَ لِي أَشَيْءٌ مِنْ شَكٍّ؟ قَالَ: وَضَحِكَ، قال: مَا نَجَا مِنْ ذَلِكَ أَحَدٌ، قَالَ: حَتَّى أَنْزَلَ اللهُ قَوْلَهُ: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾﴾[يُونُس:٩٤]، ثُمَّ قَالَ لِي: إِذَا وَجَدْتَ فِي نَفْسِكَ شَيْئًا؛ فَقُلْ: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾﴾".

اعْلَمْ أَنَّ مِنْ حِكْمَتِهِ وَنِعْمَتِهِ: أَنْ يُذَكِّرَكَ بِأَنَّهُ ابْتَدَأَتْ مِنْهُ المَخْلُوقَاتُ، وَانْتَهَتْ إِلَيْهِ عُبُودِيَّتُهَا، فَكَمَا كَانَ وَاحِدًا فِي إِيْجَادِكَ فَاجْعَلْهُ وَاحِدًا فِي تَأَلُّهِكَ إِلَيْهِ، وَكَمَا ابْتَدَأَ وُجُودَكَ وَخَلَقَكَ مِنْهُ فَاجْعَلْهُ نِهَايَةَ حُبِّكَ وَإِرَادَتِكَ وَتَأَلُّهِكَ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا لَكَ خَاشِعِينَ مُنِيبِينَ؛ يَا رَبَّ العَالَمِينَ!

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَأَستَغْفِرُ اللهَ لِي وَلَكُمْ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرُوهُ؛ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ:

الحَمْدُ لله حَمْدًا طَيِّبًا كَثِيرًا مُبَارَكًا فِيهِ كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنِ اهْتَدَى بِهُدَاهُمْ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

يَا عَبْدَ الله..

الإِنْسَانُ وَحْدَهُ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُصَارِعَ الأَحْدَاثَ، أَوْ يُقَاوِمَ المُلِمَّاتِ، أَوْ يُنَازِلَ الخُطُوبَ؛ لِأَنَّهُ خُلِقَ ضَعِيفًا عَاجِزًا؛ إِلَّا حِينَمَا يَتَوَكَّلُ عَلَى رَبِّهِ؛ لِأَنَّهُ يَعْلَمُ أَنْ أَوَّلِيَّتَهُ سَبَقَتْ كُلَّ شَيْءٍ، وَبَقِيَ بَعْدَ كُلِّ شَيْءٍ بِآخِرِيَّتِهِ، وَعَلَا عَلَى كُلِّ شَيْءٍ بِظُهُورِهِ، وَدَنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ بِبُطُونِهِ.

فَلَا تُوَارِي مِنْهُ سَمَاءٌ سَمَاءً، وَلَا أَرْضٌ أَرْضًا، وَلَا يَحْجُبُ عَنْهُ ظَاهِرٌ بَاطِنًا، بَلِ البَاطِنُ لَهُ ظَاهِرٌ، وَالغَيْبُ عِنْدَهُ شَهَادَةٌ، وَالبَعِيدُ مِنْهُ قَرِيبٌ، وَالسِّرُّ عِنْدَهُ عَلَانِيَةٌ.

فَيَا سَعَادَةَ مَنْ تَعَلَّقَ بِالله، وَتَعَلَّمَ أَسْمَاءَ الله، وَأَصْلَحَ سَرِيرَتَهُ، وأخلص عَمَلَهُ، وَأَحْسَنَ نِيَّتَهُ، وَتَتَرَّسَ بِالصَّبْرِ، وَتَدَرَّعَ بِالثِّقَةِ بِمَوْلَاهُ! فَهَذَا التَّعَبُّدُ بِخَالِصِ المَحَبَّةِ وَصَفْوِ الوِدَادِ.

وَنَازَعَنِي شَوْقٌ إِلَيْكَ وَهَزَّنِي ... مِنَ الغَيْبِ مَا يَهْفُو إِلَيْهِ رَجَائِيَا

قَالَ ابْنُ القَيِّم ﷺ: "فَمَعْرِفَةُ هَذِهِ الأَسْمَاءِ الأَرْبَعَةِ وَهِيَ: الأَوَّلُ، وَالآخِرُ، وَالظَّاهِرُ، وَالبَاطِنُ هِيَ أَرْكَانُ العِلْمِ وَالمَعْرِفَةِ، فَحَقِيقٌ بِالعَبْدِ أَنْ يَبْلُغَ فِي مَعْرِفَتِهَا إِلَى حَيْثُ يَنْتَهِي بِهِ قِوَاهُ وَفَهْمُهُ"، وَمَدَارُ هَذِهِ الأَسْمَاءِ عَلَى الإِحَاطَةِ الزَّمَانِيَّةِ وَالمَكَانِيَّةِ.

هُوَ أَوَّلٌ هُوَ آخِرٌ هُوَ ظَاهِرٌ ... هُوَ بَاطِنٌ، هِيَ أَرْبَعٌ بِوِزَانِ

مَا قَبْلَهُ شَيْءٌ كَذَا مَا بَعْدَهُ ... شَيْءٌ تَعَالَى اللهُ ذُو السُّلْطَانِ

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ الهُدَى وَالسَّدَادَ، وَنَسْأَلُكَ التُّقَى وَالعِفَّةَ وَالغِنَى.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ الجَنَّةَ، وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ، وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنَ الخَيْرِ كُلِّهِ؛ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ؛ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَأَنْ تَجْعَلَ كُلَّ قَضَاءٍ قَضَيْتَهُ لَنَا خَيْرًا.

اللَّهُمَّ! أَصْلِحْ لَنَا دِيْنَنَا الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا دُنْيَانَا الَّتِي فِيهَا مَعَاشُنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا آخِرَتَنَا الَّتِي فِيهَا مَعَادُنَا، وَاجْعَلِ الحَيَاةَ زِيَادَةً لَنَا فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَالمَوْتَ رَاحَةً لَنَا مِنْ كُلِّ شَرٍّ.

اللَّهُمَّ! أَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا، وَأَلِّفْ بَيْنَ قُلُوْبِنَا، وَاهْدِنَا سُبَلَ السَّلَامِ، وَأَخْرِجْنَا مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوْرِ.

اللَّهُمَّ! بَارِكْ لَنَا فِي أَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوَّاتِنَا وَأَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّتِنَا وَأَمْوَالِنَا، وَاجْعَلْنَا مُبَارَكِيْنَ أَيْنَمَا كُنَّا.

اللَّهُمَّ يَا مَنْ هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالبَاطِنُ! أَصْلِحْ سَرَائِرَنَا، وَأَحْسِنْ خَاتِمَتَنَا فِي الأُمُوْرِ كُلِّهَا، وَأَجِرْنَا مِنْ خِزِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ.

النُّورُ ﷻ

إِنَّ الحَمْدَ لله؛ نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِالله مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَـهَ إِلَّا اللهُ؛ وَحْـدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ.

أَمَّا بَعْدُ:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾[آلِ عِمْرَانَ: ١٠٢]،

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾[النِّسَاءَ: ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾[الأَحْزَابِ: ٧٠- ٧١].

عِبَادَ الله..

مِنْ أَسْمَاءِ الله: (النُّوْرِ ﷻ).

قال ﷻ: ﴿۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۗ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ٣٥﴾[النُّوْرِ: ٣٥].

وَجَاءَ فِي «الصَّحِيحَيْنِ»: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَدْعُوْ بِهَؤُلَاءِ: «اللَّهُمَّ! اجْعَـلْ فِي قَلْبِـي نُـوْرًا، وَفِي بَصَرِي نُوْرًا، وَفِي سَمْعِي نُوْرًا، وَعَنْ يَمِينِي نُوْرًا، وَعَنْ يَسَارِي نُوْرًا، وَفَوْقِي نُوْرًا، وَتَحْتِـي

نُورًا، وَأَمَامِي نُورًا، وَخَلْفِي نُورًا، وَاجْعَلْ لِي نُورًا».

وَأَيْمُ الله! إِنَّ هَذَا مِنْ أَثْمَنِ عَطَاءَاتِ الله لِلْعَبْدِ؛ أَنْ يَرْزُقَهُ نُورَهُ وَهُدَاهُ.

عِبَادَ الله..

نُصُوْصُ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ -كَمَا ذَكَرَ ابْنُ تَيْمِيَّةَ ﷺ- الَّتِي سَمَّى اللهَ فِيهَا نَفْسَهُ (نُوْرًا)، جَاءَتْ بِثَلَاثَةٍ:

الأَوَّلُ: اتِّصَافُهُ بِصِفَةِ النُّوْرِ، فِي قَوْلِهِ ﷻ: ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾[الزُّمَرِ:٦٩]، وَفِي الحَدِيثِ: «وَأَلْقَى عَلَيْهِمْ مِنْ نُوْرِهِ»[حَدِيثٌ صَحِيحٌ. رَوَاهُ ابْنُ حِبَّانَ].

الثَّانِي: كَوْنَهُ ﷻ نُوْرًا، ﴿۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[النُّوْرِ:٣٥]، وَفِي الحَدِيثِ: «أَنْتَ نُوْرُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ»[أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ].

الثَّالِثُ: حِجَابُهُ النُّوْرُ؛ كَمَا فِي الحَدِيثِ الصَّحِيحِ: «حِجَابُهُ النُّوْرُ، لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ»[أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ].

وَنُوْرُ الله ﷻ الَّذِي يَتَّصِفُ بِهِ لَا يُشْبِهُ الأَنْوَارَ المَخْلُوْقَةَ؛ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾[الشُّوْرَى:١١].

وَالنُّورُ مِنْ أَسْمَائِهِ أَيْضًا وَمِنْ ... أَوْصَافِهِ سُبْحَانَ ذِي البُرْهَانِ

قَالَ العَلَّامَةُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ السِّعْدِيُّ ﷺ: "مِنْ أَسْمَائِهِ ﷻ وَمِنْ أَوْصَافِهِ: (النُّوْرُ)؛ الَّذِي هُوَ وَصْفُهُ العَظِيمُ، فَإِنَّهُ ذُوْ الجَلَالِ وَالإِكْرَامِ، وَذُوْ البَهَاءِ وَالسُّبُحَاتِ، الَّذِي لَوْ كَشَفَ الحِجَابَ عَنْ وَجْهِهِ الكَرِيمِ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُهُ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ.

وَهُوَ الَّذِي اسْتَنَارَتْ بِهِ العَوَالِمُ كُلُّهَا؛ فَبِنُوْرِ وَجْهِهِ أَشْرَقَتِ الظُّلُمَاتُ، وَاسْتَنَارَ بِهِ العَرْشُ وَالكُرْسِيُّ وَالسَّبْعُ الطِّبَاقُ وَجَمِيعُ الأَكْوَانِ، وَهَذَا نُوْرٌ حِسِّيٌّ.

وَأَمَّا النُّوْرُ المَعْنَوِيُّ؛ فَهُوَ: النُّوْرُ الَّذِي نَوَّرَ قُلُوْبَ أَنْبِيَائِهِ وَأَصْفِيَائِهِ وَأَوْلِيَائِهِ وَمَلَائِكَتِهِ؛ مِنْ

أَنْوَارِ مَعْرِفَتِهِ وَأَنْوَارِ مَحَبَّتِهِ، فَإِنَّ لِمَعْرِفَتِهِ فِي قُلُوْبِ أَوْلِيَائِهِ أَنْوَارًا بِحَسْبِ مَا عَرَفُوْهُ مِنْ نُعُوْتِ جَلَالِهِ، وَمَا اعْتَقَدُوْهُ مِنْ صِفَاتِ جَمَالِهِ، فَإِذَا اطَّلَعْتَ عَلَى اسمٍ مِنْ أَسْمَائِهِ الحُسْنَى وَكَانَ مِنْ مَعَانِيهِ: العَظَمَةُ وَالكِبْرِيَاءُ وَالجَلَالُ وَالمَجْدُ؛ هُنَا يَمْتَلِئُ قَلْبُكَ مِنْ أَنْوَارِ الهَيْبَةِ وَالتَّعْظِيمِ وَالإِجْلَالِ وَالتَّكْبِيرِ.

وَفِي مَعَانِي الجَمَالِ وَالبِرِّ وَالإِكْرَامِ؛ يَمْتَلِئُ قَلْبُكَ مِنْ أَنْوَارِ المَحَبَّةِ وَالوُدِّ وَالشَّوْقِ.

وَفِي مَعَانِي الرَّحْمَةِ وَالرَّأْفَةِ وَالجُوْدِ وَاللُّطْفِ؛ يَمْتَلِئُ قَلْبُكَ مِنْ أَنْوَارِ الحُبِّ النَّامِي عَلَى الإِحْسَانِ، وَأَنْوَارِ الشُّكْرِ وَالحَمْدِ بِأَنْوَاعِهِ وَالثَّنَاءِ.

وَفِي مَعَانِي الأُلُوْهِيَّةِ؛ يَمْتَلِئُ قَلْبُكَ مِنْ أَنْوَارِ التَّعَبُّدِ، وَضِيَاءِ التَّقَرُّبِ، وَسَنَاءِ التَّحَبُّبِ، وَأَسْرَارِ التَّوَدُّدِ.

وَفِي مَعَانِي العِلْمِ وَالإِحَاطَةِ وَالشَّهَادَةِ وَالقُرْبِ الخَاصِّ؛ يَمْتَلِئُ قَلْبُكَ مِنْ أَنْوَارِ مُرَاقَبَتِهِ، وَيُوْصِلُكَ إِلَى مَقَامِ الإِحْسَانِ، وَهُوَ: أَعْلَى المَقَامَاتِ كُلِّهَا؛ «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»[أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ].

فَكُلُّ مَعْنًى وَنَعْتٍ مِنْ نُعُوْتِ الرَّبِّ يَكْفِي فِي امْتِلَاءِ القَلْبِ مِنْ نُوْرِهِ".

فَإِذَا عَرَفْتَ اللهَ ﷻ أَصَبْتَ أَعْظَمَ المَعَارِفِ كُلِّهَا؛ فَالعِلْمُ بِهِ أَجَلُّ العُلُوْمِ، وَالعِلْمُ النَّافِعُ كُلُّهُ أَنْوَارٌ فِي القُلُوْبِ، فَكَيْفَ بِهَذَا العِلْمِ الَّذِي هُوَ: أَفْضَلُ العُلُوْمِ وَأَجَلُّهَا وَأَصْلُهَا وَأَسَاسُهَا؟

وَهُنَا؛ يَصْدُقُ عَلَى قَلْبِكَ قَوْلُهُ: ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾﴾ [النُّوْرِ:٣٥].

وَهَذَا النُّوْرُ المَضْرُوْبُ هُوَ: نُوْرُ الإِيمَانِ بِاللهِ ﷻ وَبِصِفَاتِهِ وَآيَاتِهِ، مَثَلُهُ فِي قُلُوْبِ المُؤْمِنِينَ

مَثَلُ: هَذَا النُّوْرِ الَّذِي جَمَعَ جَمِيعَ الأَوْصَافِ؛ وَلِذَلِكَ كَانَ مِنْ دُعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ: «اللَّهُمَّ! اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُوْرًا، وَفِي بَصَرِي نُوْرًا، وَفِي سَمْعِي نُوْرًا، وَعَنْ يَمِينِي نُوْرًا، وَعَنْ يَسَارِي نُوْرًا، وَفَوْقِي نُوْرًا، وَتَحْتِي نُوْرًا، وَأَمَامِي نُوْرًا، وَخَلْفِي نُوْرًا، وَاجْعَلْ لِي نُوْرًا»[أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ].

وَمَتَى امْتَلَأَ القَلْبُ مِنْ هَذَا النُّوْرِ فَاضَ عَلَى الوَجْهِ؛ فَاسْتَنَارَ الوَجْهُ، وَانْقَادَتْ الجَوَارِحُ بِالطَّاعَةِ مُذْعِنَةً مُطِيعَةً؛ كَمَا جَاءَ فِي الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَاللهُ ﷻ يَقُوْلُ: ﴿يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾[النُّوْر:٣٥].

وَهَذَا النُّوْرُ يَمْنَعُ العَبْدَ مِن ارْتِكَابِ الفَوَاحِشِ؛ كَمَا صَحَّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرَبُ الخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ..»[أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ].

اللَّهُمَّ ارْزُقْنَا نُوْرَكَ؛ يَا رَبَّ العَالَمِينَ!

أَقُولُ قَولِي هَذَا، وَأَستَغْفِرُ اللهَ لِي وَلَكُمْ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرُوهُ؛ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ:

الحَمْدُ للهِ حَمْدًا طَيِّبًا كَثِيرًا مُبَارَكًا فِيهِ كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنِ اهْتَدَى بِهُدَاهُمْ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

عِبَادَ اللهِ..

أَخْبَرَنَا اللهُ ﷻ أَنَّ الكُتُبَ المُنَزَّلَةُ مِنْ عِنْدِهِ: نُوْرٌ يُضِيْءُ اللهُ بِهِ قُلُوْبَ العِبَادِ، قَالَ ﷻ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾[المَائِدَة:٤٤]، وَقَالَ: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ﴾[المَائِدَة:٤٦].

وَأَعْظَمُ الأَنْوَارِ المُنَزَّلَةِ: الكِتَابُ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ، قَالَ ﷻ: ﴿قَدْ جَآءَكُم

مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾﴾[المَائِدَة:١٥].

بِهِ أَخْرَجَ اللهُ ﷻ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوْرِ: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿١﴾﴾[إِبْرَاهِيمَ:١].

وَلِذَا؛ لَـمَّا عَلِمَ الكُفَّارُ مَدَى قُوَّةِ تَأْثِيرِ هَذَا النُّوْرِ فِي هَذِهِ الأُمَّةِ؛ جَاهَدُوْا أَنْ يُطْفِئُوْهُ، وَلَكِنَّ اللهَ ﷻ حَافِظٌ كِتَابَهُ، ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾﴾[الصَّفِّ:٨]، وَكِتَابُهُ ﷻ حَافِظُ هَذِهِ الأُمَّةَ مِنَ الزَّوَالِ، وَلَا عِزَّةَ لَهَا إِلَّا بِهَذَا الكِتَابِ.

خُلَاصَةُ القَوْلِ..

لَـمَّا كَانَ النُّوْرُ مِنْ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ؛ كَانَ: دِينُهُ نُوْرًا، وَرَسُوْلُهُ نُوْرًا، وَكَلَامُهُ نُوْرًا، وَدَارُ كَرَامَتِهِ لِعِبَادِهِ نُوْرًا يَتَلَأْلَأُ، وَالنُّوْرُ يَتَوَقَّدُ فِي قُلُوْبِ عِبَادِهِ المُؤْمِنِينَ، وَيَجْرِي عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ، وَيَظْهَرُ عَلَى جَوَارِحِهِمْ، وَيُتِمُّ ﷻ عَلَيْهِم هَذَا النُّوْرَ يَوْمَ القِيَامَةِ؛ فاللهُ قَدْ قَالَ: ﴿نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾﴾[التَّحْرِيم:٨].

اللَّهُمَّ يَا نُوْرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ! أَتْمِمْ لَنَا نُوْرَنَا، وَاغْفِرْ لَنَا؛ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ الهُدَى وَالسَّدَادَ، وَنَسْأَلُكَ التُّقَى وَالعِفَّةَ وَالغِنَى.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ الجَنَّةَ، وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، وَنَعُوْذُ بِكَ مِنَ النَّارِ، وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنَ الخَيْرِ كُلِّهِ؛ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ؛ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَأَنْ تَجْعَلَ كُلَّ قَضَاءٍ قَضَيْتَهُ لَنَا خَيْرًا.

اللَّهُمَّ! أَصْلِحْ لَنَا دِيْنَنَا الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا دُنْيَانَا الَّتِي فِيهَا مَعَاشُنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا آخِرَتَنَا الَّتِي فِيهَا مَعَادُنَا، وَاجْعَلِ الحَيَاةَ زِيَادَةً لَنَا فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَالمَوْتَ رَاحَةً لَنَا مِنْ

كُلِّ شَرٍّ.

اللَّهُمَّ! أَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا، وَأَلِّفْ بَيْنَ قُلُوْبِنَا، وَاهْدِنَا سُبَلَ السَّلَامِ، وَأَخْرِجْنَا مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوْرِ.

اللَّهُمَّ! بَارِكْ لَنَا فِي أَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوَّاتِنَا وَأَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّتِنَا وَأَمْوَالِنَا، وَاجْعَلْنَا مُبَارَكِيْنَ أَيْنَمَا كُنَّا.

وَآخِرُ دَعْوَانَا: أَنِ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ.

السُّبُّوحُ ﷻ

إِنَّ الحَمْدَ لله؛ نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِالله مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَـهَ إِلَّا اللهُ؛ وَحْـدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ.

أَمَّا بَعْدُ:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[آلِ عِمْرَانَ: ١٠٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾﴾[النِّسَاءَ: ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾[الأَحْزَابِ: ٧٠- ٧١].

سُبْحَانَ مَنْ هُـوَ لَا يَـزَالُ مُـسَبَّحًا
أَبَـدًا وَلَـيْسَ لِغَـيْرِهِ الـسُّبْحَانُ
سُبْحَانَ مَنْ فِي ذِكْرِهِ طُرُقُ الرِّضَـا
مِنْـهُ وَفِيـهِ الـرُّوْحُ وَالرَّيْحَـانُ

وَكَانَ رَسُوْلُنَا ﷺ يَقُولُ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ: «سُبُّوْحٌ قُـدُّوْسٌ، رَبُّ المَلَائِكَـةِ وَالـرُّوْحِ» [أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ].

وَمِنْ أَسْمَاءِ الله الحُسْنَى: (السُّبُّوْحِ ﷻ).

وَالتَّسْبِيحُ فِي اللُّغَةِ هُوَ: التَّنْزِيهُ، (سَبَّحَ اللهَ) أَيْ: نَزَّهَهُ، وَبَرَّأَهُ مِنْ كُلِّ عَيْبٍ.

فَرَبُّنَا ﷻ مُنَزَّهٌ عَنْ كُلِّ عَيْبٍ وَنَقْصٍ وَسُوْءٍ، فَلَهُ الكَمَالُ المُطْلَقُ ﷻ.

وَمِنْ رَحْمَةِ الله ﷻ بِنَا أَنَّهُ: أَرْشَدَنَا إِلَى كَيْفِيَّةِ تَنْزِيهِهِ؛ وَذَلِكَ بِتَسْبِيحِنَا لَهُ؛ ﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾[الأَحْزَابِ:٤٢]، ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَارِ ﴿٤١﴾﴾[آلِ عِمْرَانَ:٤١].

وَالكَوْنُ كُلُّهُ مُعَبَّدٌ، كُلُّ مَنْ فِيهِ يُسَبِّحُ اللهَ ﷻ، وَهُوَ أَعْظَمُ مَا يُعْبَدُ اللهُ بِهِ.

فَهَؤُلَاءِ أَهْلُ السَّمَاءِ مِنَ المَلَائِكَةِ: ﴿قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾[البَقَرَةِ:٣٠]، ﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ﴾[الرَّعْدِ:١٣]، ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الأَنْبِيَاءِ:٢٠].

وَلَا شَيْءَ فِي الكَوْنِ إِلَّا وَهُوَ يُسَبِّحُ خَالِقَهُ، وَتَتَجَاوَبُ جَنَبَاتُهُ بِالتَّسْبِيحِ لِخَالِقِهِ؛ إِلَّا كَفَرَةَ الإِنْسِ وَالجِنِّ.

فَاللهُ ﷻ قَالَ: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾[الإِسْرَاءِ:٤٤].

وَهُوَ ﷻ المُسْتَحِقُّ لِلتَّسْبِيحِ؛ لِكَمَالِ ذَاتِهِ وَكَمَالِ صِفَاتِهِ.

وَيَسْتَحِقُّهُ تَنْزِيهًا لَهُ وَتَقْدِيسًا عَمَّا يَنْسِبُهُ إِلَيْهِ المُبْطِلُوْنَ مِنْ صِفَاتِ النَّقْصِ؛ كَدَعْوَى نِسْبَةِ الوَلَدِ وَالبَنَاتِ وَالشَّرِيكِ لَهُ، وَالتَّعَبِ بَعْدَ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ، وَمَا نَسَبُوْهُ إِلَيْهِ مِنَ الفَقْرِ؛ ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾﴾[المُؤْمِنُونَ:٩١]، ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾[الصَّافَّاتِ:١٨٠-١٨٢].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُوْلَ الله ﷺ يقول: «قَرَصَتْ نَمْلَةٌ نَبِيًّا مِنَ الأَنْبِيَاءِ،

فَأَمَرَ بِقَرْيَةِ النَّمْلِ؛ فَأُحْرِقَتْ، فَأَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ: أَنْ قَرَصَتْكَ نَمْلَةٌ أَحْرَقْتَ أُمَّةً مِنَ الأُمَمِ تُسَبِّحُ؟!»[أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ -وَهَذَا لَفْظُهُ-، وَمُسْلِمٌ].

الجِبَالُ وَالطَّيْرُ يُسَبِّحُوْنَ اللهَ ﷻ، وَالكُلُّ يُسَبِحُ اللهَ: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾﴾[الأَنْبِيَاءِ:٧٩]، فَأَنْتَ أَحَقُّ مَنْ يَتَوَجَّهَ بِالتَّسْبِيحِ إِلَى اللهِ ﷻ.

وَلَـمَّا عَلِمَ أَهْلُ الصَّلَاحِ بِالأُجُوْرِ: أَنَّ التَّسْبِيحَ أَحَبُّ الكَلَامِ إِلَى اللهِ؛ تَسَابَقُوْا إِلَى التَّسْبِيحِ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِمْ، فَهِيَ الغَنِيمَةُ البَارِدَةُ، جَاءَ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي المِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللهِ العَظِيمِ»[أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ].

وَصَحَّ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ؛ حُطَّتْ خَطَايَاهُ، وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ البَحْرِ»[أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ].

وَقَالَ ﷺ: «أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكْسِبَ كُلَّ يَوْمٍ أَلْفَ حَسَنَةٍ؟»، فَسَأَلَهُ سَائِلٌ مِنْ جُلَسَائِهِ: كَيْفَ يَكْسِبُ أَحَدُنَا أَلْفَ حَسَنَةٍ؟ قَالَ: «يُسَبِّحُ مِائَةَ تَسْبِيحَةٍ؛ فَيُكْتَبُ لَهُ أَلْفُ حَسَنَةٍ، أَوْ يُحَطُّ عَنْهُ أَلْفُ خَطِيئَةٍ»[أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ].

ومَنْ أَكْثَرَ مِنَ التَّسْبِيحِ دَخَلَ فِي زُمْرَةِ الَّذِينَ امْتَدَحَهُمُ اللهُ ﷻ بِقَوْلِهِ: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾﴾[آلِ عِمْرَانَ:١٩١].

رَوَى الأَزْهَرِيُّ بِإِسْنَادِهِ: "أَنَّ ابْنَ الكَوَّا سَأَلَ عَلِيًّا ﷺ عَنْ سُبْحَانَ اللهِ؛ فَقَالَ: كَلِمَةٌ رَضِيهَا اللهُ لِنَفْسِهِ؛ فَأَوْصَى بِهَا".

وَكَانَ أَغْلَبُ كَلَامِ ابْنِ سِيرِينَ ﷺ: "سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، وسُبْحَانَ اللهِ العَظِيمِ"، وَلِذَا؛ فُتِحَ عَلَيْهِ مِنَ العِلْمِ وَتَعْبِيرِ الرُّؤَى مَا لَمْ يُفْتَحْ عَلَى غَيْرِهِ!

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا لَكَ مُسَبِّحِينَ ذَاكِرِينَ؛ يَا رَبَّ العَالَمِينَ!

أَقُولُ قَولِي هَذَا، وَأَستَغْفِرُ اللهَ لِي وَلَكُمْ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرُوهُ؛ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ:

الحَمْدُ للهِ حَمْدًا طَيِّبًا كَثِيرًا مُبَارَكًا فِيهِ كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنِ اهْتَدَى بِهُدَاهُمْ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

عِبَادَ اللهِ..

تَسْبِيحُ اللهِ ﷻ: مِنَ البَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ، وَفِي التَّسْبِيحِ: سُلْوَةٌ لِلطَّائِعِينَ، وَمَلَاذٌ لِلْهَارِبِينَ، وَمَلْجَأٌ لِلْخَائِفِينَ؛ فَهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّ الَّذِي يُسَبِّحُونَهُ وَيُنَزِّهُونَهُ مِنْ كُلِّ عَيْبٍ وَنَقْصٍ هُوَ: مَلَاذُهُمْ فِي الشِّدَّةِ، وَأَنِيسُهُمْ فِي الوَحْشَةِ، وَنَصِيرُهُمْ فِي القِلَّةِ، يَتَّجِهُ إِلَيْهِ المَرِيضُ الَّذِي اسْتَعْصى مَرَضُهُ عَلَى الأَطِبَّاءِ، وَيَتَّجِهُ إِلَيْهِ المَكْرُوبُ؛ فَيَسْأَلُهُ الصَّبرَ وَالرِّضَا، وَالخَلَفَ مِنْ كُلِّ فَائِتٍ وَالعِوَضَ عَنْ كُلِّ مَفْقُودٍ، وَيَتَّجِهُ إِلَيْهِ المَظْلُومُ آمِلًا يَومًا قَرِيبًا يَنْتَصِرُ فِيهِ عَلَى ظَالِمِهِ، وَيَتَّجِهُ إِلَيْهِ المَحْرُومُ مِنَ الأَوْلَادِ سَائِلًا أَنْ يَرْزُقَهُ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً.

كَيْفَ لَا يُسْتَجَابُ لِأَهْلِ التَّسْبِيحِ وَهُمُ الَّذِينَ عَرَفُوا اللهَ فِي الرَّخَاءِ، فَكَيْفَ لَا يَعْرِفُهُمْ فِي الشِّدَّةِ؟!

فَهَذَا يُونُسُ بْنُ مَتَّى؛ مَاذَا قَالَ اللهُ ﷻ عَنْهُ؟ ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾﴾[الصَّافَّاتِ:١٤٣-١٤٤].

جَاءَ فِي الأَثَرِ: "أَنَّ المَلَائِكَةَ كَانَتْ تَقُولُ: يَا رَبُّ! صَوْتٌ مَعْرُوفٌ، مِنْ عَبْدٍ مَعْرُوفٍ، فِي مَكَانٍ غَيْرِ مَعْرُوفٍ!"، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ ﷺ: "كَانَتِ الحِيتَانُ تَهْدَأُ فِي البَحْرِ، وَلَا يَهْدَأُ هُوَ مِنَ التَّسْبِيحِ، وَكَانَتِ الضَّفَادِعُ تَسْكُنُ مِنَ النَّقْنَقَةِ، وَلَا يَسْكُنُ هُوَ مِنْ ذِكْرِ اللهِ ﷻ".

وَجَاءَ فِي الأَثَرِ: "أَنَّ العَبْدَ إِذَا كَانَ صَالِحًا أَصْبَحَ مَعْرُوْفًا فِي السَّمَاءِ"؛ لِأَنَّ التَّسْبِيحَ عَمَلٌ صَالِحٌ، وَاللهُ ﷻ يَقُوْلُ: ﴿وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾[فَاطِرٍ:١٠].

بِالتَّسْبِيحِ يُرْزَقُ العَبْدُ، جَاءَ فِي «الأَدَبِ المُفْرَدِ» عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «...وَسُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ؛ فَإِنَّهَا صَلَاةُ كُلِّ شَيْءٍ، وَبِهَا يُرْزَقُ كُلُّ شَيْءٍ»[حَدِيثٌ صَحِيحٌ].

وَاللهُ أَمَرَ عِبَادَهُ: أَنْ يُكْثِرُوْا مِنْ تَسْبِيحِهِ حِينَ الشُّرُوْقِ وَالغُرُوْبِ؛ فَقَالَ ﷻ: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾﴾[الرُّوْمِ:١٧]، وَقَالَ ﷻ: ﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ [الأَحْزَابِ:٤٢]، وَقَالَ ﷺ: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٤١﴾﴾[آلِ عِمْرَانَ: ٤١]، وَقَالَ ﷺ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ ءَانَآئِ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾﴾[طه:١٣٠]، وَقَالَ ﷺ: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴿٤٠﴾﴾ [ق: ٤٠].

وَلِأَهَمِّيَّةِ التَّسْبِيحِ؛ جَعَلَ اللهُ أَهَلَ الجَنَّةِ يُلْهَمُوْنَ التَّسْبِيحَ كَمَا يُلْهَمُونَ النَّفَسَ؛ ﴿دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾﴾ [يُوْنُسَ: ١٠].

سُبْحَانَ مَنْ سَبَّحَتْهُ أَلْسُنُ الأُمَمِ
تَسْبِيحَ حَمْدٍ بِمَا أَوْلَى مِنَ النِّعَمِ
سُبْحَانَ مَنْ سَبَّحَتْهُ أَلْسُنٌ عَرَفَتْ
بِأَنَّ تَسْبِيحَهُ مِنْ أَفْضَلِ العِصَمِ
سُبْحَانَ مَنْ إِنْ يَشَأْ يُخْزِ المُسِيْءَ وَإِنْ
يَشَأْ عَفَا عَنْ كَبِيرِ الإِثْمِ وَاللَّمَمِ

سُبْحَانَ مَنْ مِنْهُ نَرْجُوْ عَفْـوَ مُقْتَـدِرٍ

وَنَـسْتَعِيذُ بِـهِ مِـنْ بَطْـشِ مُنْتَـقِـمِ

جَعَلَنَا اللهُ ﷻ مِـنَ الْمُـسَبِّحِينَ بِحَمْـدِهِ، الْمُـؤْمِنِينَ بِأَسْـمَائِهِ وَصِـفَاتِهِ، الْمُحِقِّقِـينَ لِتَوْحِيـدِهِ وَتَعْظِيمِهِ؛ إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ.

﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾﴾[الرُّوْم:١٧-١٨].

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ الجَنَّةَ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ، ونَعُوْذُ بِكَ مِنَ النَّـارِ وَمَـا قَـرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ الهُدَى وَالسَّدَادَ، وَنَسْأَلُكَ التُّقَى وَالعِفَّةَ وَالغِنَى.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنَ الخَيْرِ كُلِّهِ؛ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ؛ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَأَنْ تَجْعَلَ كُلَّ قَضَاءٍ قَضَيْتَهُ لَنَا خَيْرًا.

اللَّهُمَّ! أَصْلِحْ لَنَا دِيْنَنَا الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِنَـا، وَأَصْـلِحْ لَنَـا دُنْيَانَـا الَّتِـي فِيهَـا مَعَاشُـنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا آخِرَتَنَا الَّتِي فِيهَا مَعَادُنَا، وَاجْعَلِ الحَيَاةَ زِيَادَةً لَنَا فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَالمَوْتَ رَاحَةً لَنَا مِـنْ كُلِّ شَرٍّ.

اللَّهُمَّ! أَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا، وَأَلِّفْ بَيْنَ قُلُوْبِنَا، وَاهْدِنَا سُبَلَ السَّلَامِ، وَأَخْرِجْنَا مِنَ الظُّلُـمَاتِ إِلَى النُّوْرِ.

اللَّهُمَّ! بَارِكْ لَنَـا فِي أَسْـمَاعِنَا وَأَبْـصَارِنَا وَقُوَّاتِنَـا وَأَزْوَاجِنَـا وَذُرِّيَّتِنَـا وَأَمْوَالِنَـا، وَاجْعَلْنَـا مُبَارَكِيْنَ أَيْنَمَا كُنَّا.

وَآخِرُ دَعْوَانَا: أَنِ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ.

الكَافِي ﷻ

إِنَّ الحَمْدَ لله؛ نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِالله مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَـهَ إِلَّا اللهُ؛ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ.

أَمَّا بَعْدُ:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[آل عِمْرَان: ١٠٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾﴾[النِّسَاء: ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾[الأَحْزَاب: ٧٠- ٧١].

عِبَادَ الله..

جَاءَ فِي «الصَّحِيحَيْنِ» عَنْ جَابِرٍ ﷺ قَالَ: غَزَوْنَا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ غَزْوَةَ نَجْدٍ، فَلَمَّا أَدْرَكَتْهُ القَائِلَةُ وَهُوَ فِي وَادٍ كَثِيرِ العِضَاهِ؛ فَنَزَلَ تَحْتَ شَجَرَةٍ وَاسْتَظَلَّ بِهَا، وَعَلَّقَ سَيْفَهُ، فَتَفَرَّقَ النَّاسُ فِي الشَّجَرِ يَسْتَظِلُّونَ، وَبَيْنَا نَحْنُ كَذَلِكَ؛ إِذْ دَعَانَا رَسُولُ الله ﷺ؛ فَجِئْنَا، فَإِذَا أَعْرَابِيٌّ قَاعِدٌ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ: «إِنَّ هَذَا أَتَانِي وَأَنَا نَائِمٌ؛ فَاخْتَرَطَ سَيْفِي، فَاسْتَيْقَظْتُ وَهُوَ قَائِمٌ عَلَى رَأْسِي مُخْتَرِطٌ صَلْتًا، قَالَ: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ قُلْتُ: اللهُ، فَشَامَهُ ثُمَّ قَعَدَ، فَهُوَ هَذَا».

قَالَ: وَلَمْ يُعَاقِبْهُ رَسُولُ الله ﷺ.

فَاللهُ هُوَ الكَافِي، وَمِنْ أَسْمَائِهِ ﷻ: (الكَافِي).

قَالَ ﷻ: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾[الزُّمَر:٣٦].

فَرَبُّنَا ﷻ كَافٍ عِبَادَهُ؛ لِأَنَّهُ رَازِقُهُمْ وَحَافِظُهُمْ وَمُصْلِحُ شُؤُوْنِهُمْ؛ فَقَدْ كَفَاهُمْ اللهُ ﷻ، وَهَذِهِ كِفَايَةٌ عَامَّةٌ لِجَمِيعِ الخَلْقِ.

وَأَمَّا كِفَايَتُهُ الخَاصَّةُ، فَهِيَ: كِفَايَتُهُ لِلْمُتَوَكِّلِينَ عَلَيْهِ، وَالمُنِيبِينَ إِلَيْهِ، وَهِيَ كِفَايَةٌ وَاسِعَةٌ، فَاللهُ ﷻ قَدْ قَالَ: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾﴾[الزُّمَر:٣٦]، وَقَالَ ﷻ: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥ﴾[الطَّلَاق:٣]، أَيْ: كَافِيهِ كُلَّ أُمُوْرِهِ الدِّينِيَّةِ وَالدُّنْيَوِيَّةِ.

وَمِنْ كِفَايَتِهِ ﷻ لِرَسُوْلِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ: أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْهِمْ نَصْرَهُ، وَيُمِدَّهُمْ بِمَلَائِكَتِهِ: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[الفَتْح:٤]، وَيَقُوْلُ ﷻ: ﴿بَلَىٰٓ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾﴾[آلِ عِمْرَانَ:١٢٥].

وَالعَبْدُ لَا غِنًى لَهُ عَنْ رَبِّهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ فِي جَمِيعِ شُؤُوْنِ حَيَاتِهِ؛ فَهُوَ مُحْتَاجٌ إِلَى حِفْظِ اللهِ وَكِفَايَتِهِ وَتَسْدِيدِهِ؛ فَهَذَا النَّبِيُّ ﷺ يُعَلِّمُنَا حَدِيثًا هُوَ مِنْ أَعْظَمِ أَحَادِيثِ كِفَايَةِ اللهِ ﷻ لِلْعَبْدِ: صَحَّ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِذَا خَرَجَ الرَّجُلُ مِنْ بَيْتِهِ فَقَالَ: بِسْمِ اللهِ، تَوَكَّلْتُ عَلَى اللهِ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، يُقَالُ حِينَئِذٍ: هُدِيتَ، وَكُفِيتَ، وَوُقِيتَ.

فَتَتَنَحَّى لَهُ الشَيَاطِينُ، فَيَقُولُ لَهُ شَيْطَانٌ آخَرُ: كَيْفَ لَكَ بِرَجُلٍ قَدْ هُدِيَ وَكُفِيَ وَوُقِيَ؟» [حَدِيثٌ صَحِيحٌ. رَوَاهُ أَبُوْ دَاوُدَ].

وَالعَبْدُ المُؤْمِنُ يُكْثِرُ التَّضَرُّعَ وَالتَّوَسُّلَ بِأَسْمَائِهِ الحُسْنَى فِي طَلَبِ الحِفْظِ وَالثَّبَاتِ، فَإِنَّهُ لَا كَافِيَ إِلَّا هُوَ، وَلَا حَافِظَ سِوَاهُ، جَاءَ فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»: أَنَّ رَسُوْلَ اللهِ ﷺ كَانَ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ قَالَ: «الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَنَا وَسَقَانَا، وَكَفَانَا وَآوَانَا؛ فَكَمْ مِمَّنْ لَا كَافِيَ لَهُ وَلَا مُؤْوِيَ!».

يَا عَبْدَ الله..

الْعَبْدُ الْمُؤْمِنُ إِذَا أَحْسَنَ الظَّنَّ بِالله ﷻ، وَصَدَقَ فِي تَوَكُّلِهِ، وَعَظُمَ رَجَاؤُهُ؛ فَإِنَّ اللهَ لَا يُخَيِّبُ ظَنَّهُ؛ لِأَنَّ اللهَ ﷻ قَالَ: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾[الطَّلَاقِ:٣].

وَهِيَ مِنْ رَبْطِ الأَسْبَابِ بِمُسَبِّبَاتِهَا، وَصَحَّ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «يَقُولُ اللهُ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي؛ إِنْ ظَنَّ بِي خَيْرًا فَلَهُ، وَإِنْ ظَنَّ شَرًّا فَلَهُ»[حَدِيثٌ صَحِيحٌ. رَوَاهُ أَحْمَدُ فِي «الْمُسْنَدِ»].

عِبَادَ الله..

مِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَعَجَّلُ الكِفَايَةَ وَقْتَ التَّوَكُّلِ.

يَقُوْلُ ابْنُ القَيِّمِ ﷺ: "فَلَمَّا ذَكَرَ كِفَايَتَهُ لِلْمُتَوَكِّلِ عَلَيْهِ؛ فَرُبَّمَا أَوْهَمَ ذَلِكَ: تَعْجِيلَ الكِفَايَةِ وَقْتَ التَّوَكُّلِ؛ فَعَقَّبَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ۝٣﴾[الطَّلَاقِ:٣]، أَيْ: وَقْتًا لَا يَتَعَدَّاهُ، فَهُوَ يَسُوقُهُ إِلَى وَقْتِهِ الَّذِي قَدَّرَهُ لَهُ.

فَلَا يَسْتَعْجِلْ الْمُتَوَكِّلُ وَيَقُولُ: قَدْ تَوَكَّلْتُ، وَدَعَوْتُ فَلَمْ أَرَ شَيْئًا، وَلَمْ تَحْصُلْ لِي الكِفَايَةُ؟! فَاللهُ بَالِغُ أَمْرِهِ فِي وَقْتِهِ الَّذِي قَدَّرَهُ لَهُ".

وَلِذَا؛ يَمْتَحِنُ اللهُ ﷻ بَعْضَ عِبَادِهِ فِي صِدْقِ تَوَكُّلِهِمْ؛ فَيُؤَخِّرُ الإِجَابَةَ، فَإِذَا طَالَ المَقَامُ بِبَعْضِهِمْ تَرَكَ التَّوَكُّلَ عَلَى اللهِ، وَذَهَبَ وَانْكَسَرَ وَذَلَّ لِلْمَخْلُوْقِ؛ وَلَوْ عَلَى حِسَابِ دِينِهِ وَرِضَا رَبِّهِ ﷻ.

صَحَّ فِي الحَدِيثِ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنِ التَمَسَ رِضَاءَ اللهِ بِسَخَطِ النَّاسِ؛ كَفَاهُ اللهُ مُؤْنَةَ النَّاسِ، وَمَنِ التَمَسَ رِضَاءَ النَّاسِ بِسَخَطِ اللهِ؛ وَكَلَهُ اللهُ إِلَى النَّاسِ»[حَدِيثٌ صَحِيحٌ. رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ].

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِمَّنْ تَوَكَّلَ عَلَيْكَ فَكَفَيْتَهُ؛ يَا رَبَّ العَالَمِينَ!

أَقُولُ قَولِي هَذَا، وَأَستَغْفِرُ اللهَ لِي وَلَكُمْ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرُوهُ؛ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ:

الحَمْدُ للهِ حَمْدًا طَيِّبًا كَثِيرًا مُبَارَكًا فِيهِ كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنِ اهْتَدَى بِهُدَاهُمْ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

عِبَادَ اللهِ..

لَا يَحْصُلُ المَقْصُودُ لِلْعَبْدِ إِلَّا بِجَعْلِ الآخِرَةِ هِيَ هَمَّهُ، صَحَّ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ جَعَلَ الهُمُومَ هَمًّا وَاحِدًا: هَمَّ آخِرَتِهِ؛ كَفَاهُ اللهُ هَمَّ دُنْيَاهُ، وَمَنْ تَشَعَّبَتْ بِهِ الهُمُومُ فِي أَحْوَالِ الدُّنْيَا لَمْ يُبَالِ اللهُ فِي أَيِّ أَوْدِيَتِهَا هَلَكَ!»[حَدِيثٌ صَحِيحٌ. رَوَاهُ ابْنُ مَاجَه].

يَقُولُ ابْنُ القَيِّمِ ﷺ: "مَنِ اشْتَغَلَ بِاللهِ عَنْ نَفْسِهِ؛ كَفَاهُ اللهُ مَؤُونَةَ نَفْسِهِ، وَمَنِ اشْتَغَلَ بِاللهِ عَنِ النَّاسِ؛ كَفَاهُ اللهُ مَؤُونَةَ النَّاسِ، وَمَنِ اشْتَغَلَ بِنَفْسِهِ عَنِ اللهِ؛ وَكَلَهُ اللهُ إِلَى نَفْسِهِ، وَمَنِ اشْتَغَلَ بِالنَّاسِ عَنِ اللهِ؛ وَكَلَهُ اللهُ إِلَيْهِمْ".

يَكْفِيكَ مَنْ وَسِعَ الخَلَائِقَ رَحْمَةً ... وَكِفَايَةً ذُو الفَضْلِ وَالإِحْسَانِ
يَكْفِيكَ رَبٌّ لَمْ تَزَلْ أَلْطَافُهُ ... تَأْتِي إِلَيْكَ بِرَحْمَةٍ وَحَنَانِ
يَكْفِيكَ رَبٌّ لَمْ تَزَلْ فِي سِتْرِهِ ... وَيَرَاكَ حِينَ تَجِيءُ بِالعِصْيَانِ
يَكْفِيكَ رَبٌّ لَمْ تَزَلْ فِي حِفْظِهِ ... وَوِقَايَةً مِنْهُ مَدَى الأَزْمَانِ
يَكْفِيكَ رَبٌّ لَمْ تَزَلْ فِي فَضْلِهِ ... مُتَقَلِّبًا فِي السِّرِّ وَالإِعْلَانِ

اللَّهُمَّ يَا كَافٍ! اِكْفِنَا بِحَلَالِكَ عَنْ حَرَامِكَ.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ الجَنَّةَ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ، ونَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ الهُدَى وَالسَّدَادَ، وَنَسْأَلُكَ التُّقَى وَالعِفَّةَ وَالغِنَى.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنَ الخَيْرِ كُلِّهِ؛ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ؛ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَأَنْ تَجْعَلَ كُلَّ قَضَاءٍ قَضَيْتَهُ لَنَا خَيْرًا.

اللَّهُمَّ! أَصْلِحْ لَنَا دِيْنَنَا الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا دُنْيَانَا الَّتِي فِيهَا مَعَاشُنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا آخِرَتَنَا الَّتِي فِيهَا مَعَادُنَا، وَاجْعَلِ الحَيَاةَ زِيَادَةً لَنَا فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَالمَوْتَ رَاحَةً لَنَا مِنْ كُلِّ شَرٍّ.

اللَّهُمَّ! أَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا، وَأَلِّفْ بَيْنَ قُلُوْبِنَا، وَاهْدِنَا سُبَلَ السَّلَامِ، وَأَخْرِجْنَا مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوْرِ.

اللَّهُمَّ! بَارِكْ لَنَا فِي أَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوَّاتِنَا وَأَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّتِنَا وَأَمْوَالِنَا، وَاجْعَلْنَا مُبَارَكِيْنَ أَيْنَمَا كُنَّا.

وَآخِرُ دَعْوَانَا: أَنِ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ.

الوَلِيُّ المَوْلَى ﷻ

إِنَّ الحَمْدَ لله؛ نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِالله مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَـهَ إِلَّا اللهُ؛ وَحْـدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ.

أَمَّا بَعْدُ:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[آلِ عِمْرَانَ: ١٠٢]،

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾[النِّسَاءَ:١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾[الأَحْزَابِ:٧٠- ٧١].

يَا عَبْدَ الله..

أَنْتَ بِحَاجَةٍ إِلَى سَنَدٍ، بِحَاجَةٍ إِلَى مُرَبٍّ، بِحَاجَةٍ إِلَى مَرْجِعٍ، بِحَاجَةٍ إِلَى مَنْ تَتَوَكَّـلُ عَلَيْـهِ، بِحَاجَةٍ إِلَى مَوْلًى، بِحَاجَةٍ إِلَى مَنْ يُطَمْئِنُكَ بِأَنَّ هَذِهِ الحَيَاةَ جُبِلَتْ عَلَى كَدَرٍ..

أَنْتَ بِحَاجَةٍ إِلَى قَوِيٍّ يَحْمِيكَ مِنْ شُرُوْرِ أَعْدَائِكَ، أَنْتَ بِحَاجَةٍ إِلَى مَوْلَاكَ.

أَتَيتُكَ رَاجِيًـا يَـا ذَا الجَـلَالِ ... فَفَرِّجْ مَا تَرَى مِنْ سُوْءِ حَالِي

إِلَى مَنْ يَشْتَكِي المَمْلُـوْكَ إِلَّا ... إِلَى مَـوْلَاهُ يَـا مَـوْلَى المَـوَالِي

مِنْ أَسْمَاءِ الله الحُسْنَى: (الوَلِيِّ وَالمَوْلَى ﷻ).

قَالَ اللهُ ﷻ فِي كِتَابِهِ: ﴿وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾﴾[الشُّوْرَى:٢٨].

وَقَالَ ﷻ: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾[البَقَرَة:٢٥٧].

وَقَالَ ﷻ: ﴿بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ ﴿١٥٠﴾﴾[آلِ عِمْرَانَ:١٥٠].

وَقَالَ ﷻ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿١١﴾﴾[مُحَمَّدٍ:١١].

فَرَبُّنَا ﷻ هُوَ الوَلِيُّ المَوْلَى لِكُلِّ الخَلْقِ أَجْمَعِينَ؛ بِالخَلْقِ وَالتَّدْبِيرِ، وَتَصْرِيفِ الأُمُوْرِ وَالمَقَادِيرِ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِينَ، فِي كُلِّ وَقْتٍ وَحِينٍ، فَلَيْسَ لَنَا وَلِيٌّ سِوَاهُ يَجْلِبُ لَنَا المَنَافِعَ، وَيَدْفَعُ عَنَّا الضُّرَّ وَالشُّرُوْرَ وَالمَسَاوِئَ، نَوَاصِينَا كُلَّهَا بِيَدِهِ ﷻ.

وَهَذِهِ الوِلَايَةُ العَامَّةُ، وَهِيَ: وِلَايَةُ الخَلْقِ وَالتَّدْبِيرِ الشَّامِلَةِ لِلْخَلْقِ كَافَّةً، لِلبَرِّ وَالفَاجِرِ، وَالمُؤْمِنِ وَالكَافِرِ، يَقُوْلُ رَبُّنَا ﷻ: ﴿مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ﴾[السَّجْدَةِ:٤]، وَقَالَ: ﴿فَمَا لَهُۥ مِن وَلِىٍّ مِّنۢ بَعْدِهِۦ﴾[الشُّوْرَى:٤٤]، وَقَالَ ﷻ: ﴿ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾﴾[الأَنْعَام:٦٢].

وَأَمَّا الوِلَايَةُ الخَاصَّةُ؛ فَهِيَ لِأَوْلِيَائِهِ المُتَّقِينَ؛ يُخْرِجُهُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الجَهْلِ وَالكُفْرِ وَالمَعَاصِي إِلَى نُوْرِ العِلْمِ وَالإِيمَانِ وَالطَّاعَةِ، وَيَنْصُرُهُمْ عَلَى عَدُوِّهِمْ، وَيُصْلِحُ لَهُمْ أُمُوْرَهُمْ الدُّنْيَوِيَّةِ وَالدِّيْنِيَّةِ.

فَهِيَ وِلَايَةٌ تَقْتَضِي: الرَّأفَةَ وَالرَّحْمَةَ وَالإِصْلَاحَ وَالحِفْظَ وَالمَحَبَّةَ، أَمَا قَرَأْتَ قَوْلَهُ ﷻ: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾[البَقَرَة:٢٥٧]؟

وَقَالَ ﷻ: ﴿وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ ۚ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٤٠﴾﴾[الأَنْفَالِ:٤٠]، وَقَالَ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿١١﴾﴾[مُحَمَّدٍ:١١].

وَوِلَايَةُ اللهِ ﷻ لِلْعَبْدِ المُؤْمِنِ بِحَسَبِ مَحَبَّتِهِ لَهُ، يَقُوْلُ ابْنُ القَيِّمِ ﷺ: "الوِلَايَةُ أَصْلُهَا: الحُبُّ، فَلَا مُوَالَاةَ إِلَّا بِحُبٍّ، كَمَا أَنَّ العَدَاوَةَ أَصْلُهَا: البُغْضُ.

وَاللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُمْ أَوْلِيَاؤُهُ، فَهُمْ يُوَالُونَهُ بِمَحَبَّتِهِمْ لَهُ، وَهُوَ يُوَالِيهِمْ بِمَحَبَّتِهِ لَهُمْ، فَاللهُ يُوَالِي عَبْدَهُ الْمُؤْمِنَ بِحَسَبِ مَحَبَّتِهِ لَهُ".

وَوِلَايَةُ اللهِ ﷻ لَيْسَتْ كَغَيْرِهَا؛ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشُّوْرَى:١١].

وَاللهُ ﷻ يُوَالِي عَبْدَهُ إِحْسَانًا إِلَيْهِ وَجَبْرًا لَهُ وَرَحْمَةً، ﴿ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾[البَقَرَةِ: ٢٥٧]، بِخِلَافِ الْمَخْلُوْقِ؛ فَإِنَّهُ يُوَالِي الْمَخْلُوْقَ لِتَعَزُّزِهِ بِهِ وَتَكْثُّرِهِ بِمَوَالَاتِهِ، لِذُلِّ العَبْدِ وَحَاجَتِهِ.

وَأَمَّا العَزِيزُ الغَنِيُّ ﷻ فَلَا يُوَالِي أَحَدًا مِنْ ذُلٍّ وَحَاجَةٍ، فَاللهُ ﷻ قَدْ قَالَ: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾﴾[الإِسْرَاءِ: ١١١].

وَصِفَةُ الوَلِيِّ مِنْ عِبَادِ اللهِ: أَنَّهُ يُحِبُّ اللهَ ﷻ وَرَسُوْلَهُ ﷺ، وَيَحِبُّ مَنْ يُحِبُّ اللهَ وَرَسُوْلَهُ، وَيُبْغِضُ مَنْ يُبْغِضِ اللهَ وَرَسُوْلَهُ، وَيُوَالِي مَنْ يُوَالِي اللهَ وَرَسُوْلَهُ، وَيُعَادِي مَنْ يُعَادِي اللهَ وَرَسُوْلَهُ، وَيَعْمَلُ بِطَاعَةِ اللهِ، وَيَنْتَهِي عَنْ مَعْصِيَتِهِ.

﴿ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾﴾[المَائِدَةِ:٥٦]، ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾[المُجَادِلَةِ:٢٢].

وَالوِلَايَةُ: لَا تُنَالُ إِلَّا بِشَرْطَيْنِ: بِالتَّقْوَى، وَالإِيمَانِ، فاللهُ ﷻ قَدْ قَالَ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾﴾[يُوْنُسَ: ٦٢-٦٤].

وَوِلَايَةُ اللهِ ﷻ كَسْبِيَّةٌ لَهَا أَسْبَابُهَا وَأَعْمَالُهَا القَلْبِيَّةُ وَالبَدَنِيَّةُ، فاللهُ ﷻ قَدْ قَالَ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩﴾[العَنْكَبُوْت:٦٩]، ﴿وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٢٧﴾[الأَنْعَام:١٢٧].

وَكُلَّمَا ازْدَادَ العَبْدُ تَقَرُّبًا إِلَى اللهِ ﷻ بِفِعْلِ الفَرَائِضِ وَرَغَائِبِ الدِّينِ؛ ازْدَادَ مَحَبَّةً وَقُرْبًا مِنَ اللهِ ﷻ.

صَحَّ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «يَقُوْلُ اللهُ ﷻ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ.

وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ المُؤْمِنِ؛ يَكْرَهُ المَوْتَ، وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ» [أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ].

وَلَوْ مَشَى العَبْدُ إِلَى اللهِ ﷻ خُطْوَةً أَقْبَلَ عَلَيْهِ خُطُوَاتٍ، فِي الحَدِيثِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ عَنْ رَبِّهِ أَنَّهُ قَالَ: «وَمَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ شِبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَمَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِذَا أَقْبَلَ إِلَيَّ يَمْشِي أَقْبَلْتُ إِلَيْهِ أُهَرْوِلُ»[أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ -وَاللَّفْظُ لَهُ-].

فَإِذَا قَبِلَكَ اللهُ أَحَبَّكَ، فَإِذَا أَحَبَّكَ فَلَا تَعْبَأْ بِشَيْءٍ آخَرَ، إِذَا أَحَبَّكَ اللهُ أَلْقَى مَحَبَّتَكَ فِي قُلُوْبِ الخَلْقِ: ﴿وَأَلۡقَيۡتُ عَلَيۡكَ مَحَبَّةٗ مِّنِّي﴾[طه:٣٩]، ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٩﴾[الأَنْفَال:١٩].

فَإِذَا كَانَ اللهُ ﷻ مَعَكَ فَمَنْ عَلَيْكَ؟ وَإِذَا كَانَ عَلَيْكَ فَمَنْ مَعَكَ؟

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ لِي وَلَكُمْ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرُوهُ؛ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ:

الحَمْدُ لله حَمْدًا طَيِّبًا كَثِيرًا مُبَارَكًا فِيهِ كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنِ اهْتَدَى بِهُدَاهُمْ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

يَا عَبْدَ الله..

هَذَا التَّوَلِّي الخَاصُّ يَقْتَضِي: لُطْفَهُ بِعِبَادِهِ وَتَوْفِيقَهُمْ، ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾[البَقَرَة:٢٥٧].

وَيَقْتَضِي: غُفْرَانَ الذُّنُوبِ وَالرَّحْمَةِ، ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾﴾ [الأَعْرَافِ:١٥٥].

وَيَقْتَضِي: النَّصْرَ وَالتَّأْيِيدَ عَلَى الأَعْدَاءِ، ﴿أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾[البَقَرَة:٢٨٦]، وَاللهُ ﷻ قَدْ قَالَ: ﴿بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ ﴿١٥٠﴾﴾[آلِ عِمْرَانَ:١٥٠].

قَالَ أَبُو سُفْيَانَ يَوْمَ غُزْوَةِ أُحِدٍ: لَنَا العُزَّى وَلَا عُزَّى لَكُمْ!

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَلَا تُجِيبُوا لَهُ؟»، قَالُوا: يَا رَسُولَ الله! مَا نَقُولُ؟ قَالَ: «قُولُوا: اللهُ مَوْلَانَا، وَلَا مَوْلَى لَكُمْ»[أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ].

وَالوِلَايَةُ تَقْتَضِي: دُخُولَ الجِنَانِ وَالنَّجَاةَ مِنَ النِّيرَانِ، قَالَ ﷻ: ﴿لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ ۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾﴾[الأَنْعَامِ:١٢٧].

وَقَالَ ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾

[فُصِّلَتْ:٣٠-٣٢].

وَمِنْ نِعَمِ اللهِ الكُبْرَى: أَنْ يَكُوْنَ اللهُ وَلِيَّكَ، قَالَ ﷻ: ﴿نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٤٠﴾﴾ [الأَنْفَالِ:٤٠].

فَإِذَا كَانَ ﷻ وَلِيَّكَ؛ فَقَدْ حُزْتَ الأَمْنَ فِي الدَّارَيْنِ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأَنْعَامِ:٨٢].

وَإِذَا كَانَ ﷻ وَلِيَّكَ؛ فَقَدْ أُعْطِيتَ الحِكْمَةَ: ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[البَقَرَةِ:٢٦٩].

إِذَا كَانَ ﷻ وَلِيَّكَ؛ فَقَدْ عِشْتَ رَاضِيًا، فَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ مَا مَنَعَكَ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا وَهُوَ شَرٌّ، وَإِنْ أَصَابَتْكَ آفَةٌ عَلِمْتَ أَنَّهَا مِنْ مَوْلَاكَ ﷻ، وَعَلِمْتَ أَنَّ خَلْفَهَا فَرَجًا وَسُرُوْرًا: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾﴾[الشَّرح:٥].

وَصَحَّ عَنْهُ ﷺ: «عَجَبًا لِأَمْرِ المُؤْمِنِ! إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ: إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ؛ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ؛ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ»[أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ].

فَأَنْتَ مُطْمَئِنٌّ؛ لِأَنَّ اللهَ ﷻ مَعَكَ، لِسَانُكَ يَقُوْلُ دَائِمًا: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾[التَّوْبَةِ:٥١]، يُشَدِّدُ عَلَيْكَ، وَيُضَيِّقُ عَلَيْكَ لِيَصْطَفِيَكَ؛ ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾﴾[القَصَصِ:٥].

فَإِذَا تَوَلَّاكَ مَوْلَاكَ؛ فَأَنْتَ فِي عِنَايَةٍ مُشَدَّدَةٍ، وَفِي نِعْمَةٍ كُبْرَى، تُخْطِئُ فَيُعَاقِبُكَ، تُسْرِفُ فَيَقْتُرُ عَلَيْكَ، تَسْتَعْلِي فَيُؤَدِّبُكَ؛ وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِأَنَّ اللهَ ﷻ مَوْلَاكَ؛ نِعْمَ المَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ.

وَأَنْتَ تَعْلَمُ عِلْمَ يَقِينٍ: أَنَّ هَذَا عِقَابُ مُحِبٍّ وَلَيْسَ عَذَابًا؛ لِأَنَّ اللهُ لَا يُعَذِّبُ أَحْبَابَهُ؛

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ﴾[المَائِدَة:١٨]، قَالَ ﷺ: ﴿قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾﴾[الشُّعَرَاء:٦١]، وَفِرْعَوْنُ مِنْ وَرَائِهِمْ وَالبَحْرُ أَمَامَهُمْ؛ فَقَالَ مُوسَى عليه السلام: ﴿كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾﴾[الشُّعَرَاء:٦٢].

إِلَهِـي أَنْـتَ لِلإِحْـسَانِ أَهْـلُ ... وَمِنْكَ الجُوْدُ وَالفَضْلُ الجَزِيلُ
إِلَهِـي بَـاتَ قَلْبِـي فِي هُمُـومٍ ... وَحَـالِي لَا يُـسَرُّ بِـهِ خَلِيـلُ
إِلَهِي تُبْ وَجُـدْ وَارْحَـمْ عُبَيـدًا ... مِـنَ الأَوْزَارِ مَدْمَعُـهُ يَـسِيلُ
إِلَهِـي جُـدْ بِعَفْـوِكَ لِي فَـإِنِّي ... عَلَى الأَبْوَابِ مُنْكَـسِرٌ ذَلِيـلُ

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ المَوْلَى: أَنْ تَمُنَّ عَلَيْنَا بِدُخُوْلِ الجَنَّةِ.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ الجَنَّةَ، وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، وَنَعُوْذُ بِكَ مِنَ النَّارِ، وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنَ الخَيْرِ كُلِّهِ؛ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ؛ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَأَنْ تَجْعَلَ كُلَّ قَضَاءٍ قَضَيْتَهُ لَنَا خَيْرًا.

اللَّهُمَّ! أَصْلِحْ لَنَا دِيْنَنَا الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا دُنْيَانَا الَّتِي فِيهَا مَعَاشُنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا آخِرَتَنَا الَّتِي فِيهَا مَعَادُنَا، وَاجْعَلِ الحَيَاةَ زِيَادَةً لَنَا فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَالمَوْتَ رَاحَةً لَنَا مِنْ كُلِّ شَرٍّ.

اللَّهُمَّ! أَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا، وَأَلِّفْ بَيْنَ قُلُوْبِنَا، وَاهْدِنَا سُبُلَ السَّلَامِ، وَأَخْرِجْنَا مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوْرِ.

اللَّهُمَّ! بَارِكْ لَنَا فِي أَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوَّاتِنَا وَأَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّتِنَا وَأَمْوَالِنَا، وَاجْعَلْنَا مُبَارَكِيْنَ أَيْنَمَا كُنَّا.

وَآخِرُ دَعْوَانَا: أَنِ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ.

الهَادِي ﷻ

إِنَّ الحَمْدَ لله؛ نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِالله مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَـهَ إِلَّا اللهُ؛ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ.

أَمَّا بَعْدُ:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[آلِ عِمْرَانَ: ١٠٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾﴾[النِّسَاءَ: ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾[الأَحْزَابِ: ٧٠- ٧١].

عِبَادَ الله..

مِنْ رَحْمَةِ الله ﷻ بِالعِبَادِ: أَنْ جَعَلَ الهِدَايَةَ بِيَدِهِ، وَقَدْ سَمَّى اللهُ نَفْسَهُ بِـ(الهَادِي ﷻ).

وَنَقِفُ مَعَ هَذَا الاسْمِ، وَنَحْنُ نَسْأَلُهُ: أَنْ يَهْدِيَنَا إِلَى الحَقِّ بِإِذْنِهِ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ:

يَقُوْلُ ﷻ: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٥٤﴾﴾[الحَجِّ: ٥٤]، وَقَالَ ﷻ: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيٗا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾﴾[الفُرْقَانَ: ٣١].

فَرَبُّنَا ﷻ الَّذِي يَهْدِي وَيُرْشِدُ عِبَادَهُ إِلَى جَلْبِ المَنَافِعِ وَإِلَى دَفْعِ المَضَارِّ، وَيُعَلِّمُهُمْ مَا لَا يَعْلَمُوْنَ، وَيَهْدِيهِمْ لِهِدَايَةِ التَّوْفِيقِ وَالتَّسْدِيدِ، وَيُلْهِمُهُمُ التَّقْوَى، وَيَجْعَلُ قُلُوْبَهُمْ مُنِيبَةً إِلَيْهِ، مُنْقَادَةً لِأَمْرِهِ ﷻ.

وَهِدَايَةُ اللَّهِ لِلإِنْسَانِ عَلَى أَرْبَعَةِ أَوْجُهٍ:

أَوَّلًا: الهِدَايَةُ العَامَّةُ، وَهِيَ: هِدَايَةُ كُلِّ نَفْسٍ إِلَى مَصَالِحِ مَعَاشِهَا وَمَا يُقِيمُهَا، وَهِيَ هِدَايَةٌ شَامِلَةٌ لِلحَيْوَانِ كُلِّهِ؛ نَاطِقِهِ وَبَهِيمِهِ، طَيْرِهِ وَدَوَابِّهِ، فَصِيحِهِ وَأَعْجَمِهِ.

وَقَدْ أَوْجَزَ مُوْسَى ﷺ فِي الرَّدِّ عَلَى فِرْعَوْنَ عِنْدَمَا سَأَلَهُ عَنْ رَبِّ العَالَمِينَ؛ قَالَ لَهُ مُوْسَى: ﴿رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾﴾[طه:٥٠]، وَكَفَى بِهَا دَلِيْلًا!

يَا أَيُّهَا الإِنْسَانُ مَهْلًا وَاتَّئِدْ ... وَاشْكُرْ لِرَبِّكَ فَضْلَ مَا أَوْلَاكَا
اللهُ مَازَكَ دُوْنَ سَائِرِ خَلْقِهِ ... وَبِنِعْمَةِ العَقْلِ البَصِيرِ حَبَاكَا
أَفَإِنْ هَدَاكَ بِعِلْمِهِ لِعَجِيبَةٍ ... تَزْوَرُّ عَنْهُ وَيَنْثَنِي عِطْفَاكَا
لِلَّهِ فِي الآفَاقِ آيَاتٌ لَعَلَّ ... أَقَلَّهَا هُوَ مَا إِلَيْهِ هَدَاكَا
وَلَعَلَّ مَا فِي النَّفْسِ مِنْ آيَاتِهِ ... عَجَبٌ عُجَابٌ لَوْ تَرَى عَيْنَاكَا
وَالكُوْنُ مَشْحُوْنٌ بِأَسْرَارٍ إِذَا ... حَاوَلْتَ تَفْسِيرًا لَهَا أَعْيَاكَا

ثَانِيًا: هِدَايَةُ الإِرْشَادِ وَالبَيَانِ لِلْمُكَلَّفِينَ، وَهِيَ: حُجَّةُ اللهِ ﷻ عَلَى خَلْقِهِ؛ الَّتِي لَا يُعَذِّبُ أَحَدًا مِنْهُمْ إِلَّا بَعْدَ إِقَامَتِهَا عَلَيْهِ.

قَالَ ﷻ: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾[فُصِّلَتْ:١٧].

ثَالِثًا: هِدَايَةُ التَّوْفِيقِ وَالإِلْهَامِ وَشَرْحِ الصَّدْرِ لِقَبُوْلِ الحَقِّ وَالرِّضَا بِهِ، فَاللهُ ﷻ قَالَ: ﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ﴾[الإِسْرَاءِ:٩٧]، وَقَالَ ﷻ: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾[البَقَرَةِ:٢٧٢]، ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾[التَّغَابُنِ:١١].

وَلِذَا؛ أَمَرَ ﷻ عِبَادَهُ أَنْ يَسْأَلُوْهُ الهِدَايَةَ؛ بَلْ أَرْشَدَهُمْ إِلَى أَنْ يَسْأَلُوْهُ الهِدَايَةَ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾﴾[الفَاتِحَةِ:٦].

رَابِعًا: الهِدَايَةُ إِلَى الجَنَّةِ وَالنَّارِ يَوْمَ القِيَامَةِ؛ فَاللهُ ﷻ قَالَ: ﴿سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ۝٥﴾ [مُحَمَّدٍ:٥]، ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾[الأَعْرَافِ:٤٣].

وَأَمَّا الهِدَايَةُ إِلَى النَّارِ؛ فَاللهُ ﷻ قَالَ: ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ۝٢٢ مِن دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ ۝٢٣﴾[الصَّافَّاتِ:٢٢-٢٣].

وَهَذِهِ الهِدَايَاتُ الأَرْبَعُ مُرَتَّبَةٌ، فَمَنْ لَمْ تَحْصُلْ -أَعَاذَنَا اللهُ!- لَهُ الأُوْلى لَا تَحْصُلُ لَهُ الثَّانِيَةُ، بَلْ لَا يَصْلُحُ لَهُ تَكْلِيفٌ، وَمَنْ لَمْ تَحْصُلْ لَهُ الثَّانِيَةُ لَا تَصْلُحُ لَهُ الثَّالِثَةُ وَالرَّابِعَةُ، وَمَنْ حَصَلَتْ لَهُ الرَّابِعَةُ فَقَدْ حَصَلَ لَهُ الثَّلَاثُ الَّتِي قَبْلَهَا، ثُمَّ يَنْعَكِسُ.

وَالهِدَايَةُ: أَكْبَرُ نِعْمَةٍ يُنْعِمُ بِهَا (الهَادِي) عَلَى عَبْدِهِ، وَكُلُّ نِعْمَةٍ دُوْنَهَا زَائِلَةٌ.

فَالرَّاسِخُوْنَ فِي العِلْمِ أَكْثَرُ النَّاسِ حِرصًا عَلَى هَذِهِ النِّعْمَةِ، وَهُمْ يَدْعُوْنَ اللهَ بِعَدَمْ زَوَالِهَا: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾[آلِ عِمْرَانَ:٨].

وَلِابْنِ القَيِّمِ ﷺ كَلَامٌ جَمِيلٌ حَوْلَ هِدَايَةِ النَّاسِ، قَالَ: "تَكَرَّرَ فِي القُرْآنِ جَعْلُ الأَعْمَالِ القَائِمَةِ بِالقَلْبِ وَالجَوَارِحِ سَبَبَ الهِدَايَةِ وَالإِضْلَالِ.

فَيَقُوْمُ بِالقَلْبِ وَالجَوَارِحِ أَعْمَالٌ تَقْتَضِي الهُدَى اقْتِضَاءَ السَّبَبِ لِمُسَبِّبِهِ وَالمُؤَثِّرِ لِأَثَرِهِ، وَكَذَلِكَ الضَّلَالُ؛ فَأَعْمَالُ البِرِّ تُثْمِرُ الهُدَى، وَكُلَّمَا ازْدَادَ مِنْهَا ازْدَادَ هُدَىً، وَأَعْمَالُ الفُجُوْرِ بِالضِّدِّ، وَذَلِكَ أَنَّ الله ﷻ يُحِبُّ أَعْمَالَ البِرِّ فَيُجَازِي عَلَيْهَا بِالهُدَى وَالفَلَاحِ، وَيُبْغِضُ أَعْمَالَ الفُجُوْرِ وَيُجَازِي عَلَيْهَا بِالضَّلَالِ وَالشَّقَاءِ...

فَإِنَّ الهِدَايَةَ لَا نِهَايَةَ لَهَا؛ وَلَوْ بَلَغَ العَبْدُ فِيهَا مَا بَلَغْ! فَفَوْقَ هِدَايَتِهِ هِدَايَةٌ أُخْرَى، وَفَوقَ تِلْكَ الهِدَايَةِ هِدَايَةٌ أُخْرَى، إِلَى غَيْرِ غَايَةٍ، فَكُلَّمَا اتَّقَى العَبْدُ رَبَّهُ ارْتَقَى إِلَى هِدَايَةٍ أُخْرَى؛ فَهُوَ فِي مَزِيدِ هِدَايَةٍ مَا دَامَ فِي مَزِيدٍ مِنَ التَّقْوَى.

وَكُلَّمَا فَوَّتَ حَظًّا مِنَ التَّقْوَى فَاتَهُ حَظٌّ مِنَ الهِدَايَةِ بِحَسَبِهِ؛ فَكُلَّمَا اتَّقَى زَادَ هُدَاهُ، وَكُلَّمَا

اهْتَدَى زَادَتْ تَقْوَاهُ... فَلَمَّا آمَنُوْا هَدَاهُمْ لِلْإِيمَانِ هِدَايَةً بَعْدَ هِدَايَةٍ، وَنَظِيرُ هَذَا: قَوْلُهُ: ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى﴾[مَرْيَمَ:٧٦]، وَقَوْلُهُ ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾[الأَنْفَالِ:٢٩]".

وَقَالَ ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ﴾[يُوْنُسَ: ٩]، ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾﴾[مُحَمَّدٍ:١٧].

إِلَهِي أَجِرْنِي مِنْ عَذَابِكَ إِنَّنِي ... أَسِيرٌ ذَلِيلٌ خَائِفٌ لَكَ أَخْضَعُ
إِلَهِي أَذِقْنِي طَعْمَ عَفْوِكَ يَوْمَ لَا ... بَنُوْنَ وَلَا مَالٌ هُنَالِكَ يَنْفَعُ

أَقُولُ قَولِي هَذَا، وَأَستَغْفِرُ اللهَ لِي وَلَكُمْ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرُوهُ؛ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ:

الحَمْدُ للهِ حَمْدًا طَيِّبًا كَثِيرًا مُبَارَكًا فِيهِ كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنِ اهْتَدَى بِهُدَاهُمْ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

عِبَادَ اللهِ..

قَدْ قَرَنَ اللهُ بَيْنَ الهُدَى وَالتُّقَى وَالرَّحْمَةِ، فَاللهُ ﷻ قَدْ قَالَ: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾[البَقَرَةِ:١٥٧]، وَمَنْ حَصَلَ لَهُ الهُدَى؛ حَصَلَ لَهُ النَّعِيمُ الأَبَدِيُّ، فَاللهُ ﷻ قَدْ قَالَ: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾[الفَاتِحَةِ:٧].

فَالهُدَى وَالرَّحْمَةُ وَتَوَابِعُهُمَا مِنَ الفَضْلِ وَالإِنْعَامِ -كُلُّهُ- مِنْ صِفَةِ العَطَاءِ، كَمَا أَنَّ الإِضْلَالَ وَالعَذَابَ وَتَوَابِعَهُمَا مِن صِفَةِ المَنْعِ.

وَهُوَ ﷻ يَصْرِفُ خَلْقَهُ بَيْنَ عَطَائِهِ وَمَنْعِهِ، وَذَلِكَ كُلُّهُ صَادِرٌ عَنْ حِكْمَةٍ بَالِغَةٍ، وَمُلْكٍ تَامٍّ، وَحَمْدٍ تَامٍّ، فَلَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ.

وَعَلَامَةُ الهِدَايَةِ: انْشِرَاحُ الصَّدْرِ؛ فَاللهُ ﷻ قَالَ: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾[الأَنْعَام:١٢٥]، وَمَنْ هَدَاهُ اللهُ ﷻ فَلَا أَحَدَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُضِلَّهُ، وَالعَكْسُ صَحِيحٌ؛ فَاللهُ ﷻ قَالَ: ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ﴾[الزُّمَر: ٣٦-٣٧].

وَلِذَا؛ كَانَ مِنْ أَكْثَرِ دُعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الهُدَى وَالتُّقَى، وَالعَفَافَ وَالغِنَى» [أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ]، وعلَّمَ عَلِيًّا ﷺ بِقَوْلِهِ: «قُلْ: اللَّهُمَّ! اهْدِنِي وَسَدِّدْنِي»[أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ]، وَعلَّمَ ﷺ الحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ ﷺ أَنْ يَقُوْلَ فِي قُنُوْتِ الوِتْرِ: «اللَّهُمَّ! اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ»[حَدِيثٌ صَحِيحٌ. رَوَاهُ أَبُوْ دَاوُدَ].

جَاءَ فِي «سِيَرِ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ»: "أَنَّ الفُضَيْلَ بْنَ عِيَاضٍ كَانَ شَاطِرًا يَقْطَعُ الطَّرِيقَ، وَذَاتَ لَيْلَةٍ سَمِعَ تَالِيًا يَتْلُوْ: ﴿۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الحَدِيد: ١٦]، فَقَالَ: بَلَى رَبِّ!".

فَتَابَ، وَجَعَلَ تَوْبَتَهُ: مُجَاوَرَةَ البَيْتِ الحَرَامِ؛ حَتَّى لُقِّبَ بِعَابِدِ الحَرَمَيْنِ.

يَا عَبْدَ الله..

اِذْهَبْ إِلَى الله بِضَعْفِكَ يَأْتِيكَ بِقُوَّتِهِ..

اِذْهَبْ إِلَى الله بِذُلِّكَ يَأْتِيكَ بِعِزِّهِ..

اِذْهَبْ إِلَى الله بِوَحْشَتِكِ يَأْتِيكَ بِأُنْسِهِ..

اْذْهَبْ إِلَى الله بْفَقْرِكَ يَأْتِيكَ بِغِنَاهُ..

اِذْهَبْ إِلَى الله بِهَمِّكَ يَأْتِيَك بِفَرَجِهِ..

اِذْهَبْ إِلَى الله بِحُزْنِكَ يَأْتِيكَ بِفَرَحِهِ.

أَلَمْ تَسْمَعْ مَاذَا قَالَ ﷺ عَلَى لِسَانِ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام: ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾﴾ [الصَّافَّاتِ:٩٩]؟!

ضَلَلْتُ زَمَانًا لَسْتُ أَعْرِفُ الهُدَى

وَقَدْ كَانَ ذَاكُمْ ظُلْمَـةٌ فِي فُؤَادِيَـا

فَلَـــمَّا أَرَادَ اللهُ دَفْعِـــيَ لِلهُـــدَى

أَبَـانَ سَـبِيلَ الحَـقِّ لِي وَهَـدَانِيَا

فَأَلْقَيْتُ عَنِّي ظُلْمَةَ الغَيِّ وَالرَّدَى

وَيَمَّمْـتُ نُـوْرًا لِلْهِدَايَـةِ بَادِيَـا

وَصِرْتُ إِلَى دِيـنِ النَّبِـيِّ مُحَمَّـدٍ

رَشِيدًا ومِنْ بَعْدَ الضَّلَالَةِ دَاعِيَـا

اللَّهُمَّ يَا هَادِي! اِهْدِنَا لِـمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الحَقِّ بِإِذْنِكَ؛ إِنَّكَ تَهْـدِي مَـنْ تَـشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ الهُدَى وَالسَّدَادَ، وَنَسْأَلُكَ التُّقَى وَالعِفَّةَ وَالغِنَى.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ الجَنَّةَ، وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، وَنَعُوْذُ بِكَ مِنَ النَّارِ، وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنَ الخَيْرِ كُلِّهِ؛ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ؛ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَأَنْ تَجْعَلَ كُلَّ قَضَاءٍ قَضَيْتَهُ لَنَا خَيْرًا.

اللَّهُمَّ! أَصْلِحْ لَنَا دِيْنَنَا الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِنَـا، وَأَصْـلِحْ لَنَـا دُنْيَانَـا الَّتِـي فِيهَـا مَعَاشُـنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا آخِرَتَنَا الَّتِي فِيهَا مَعَادُنَا، وَاجْعَلِ الحَيَاةَ زِيَادَةً لَنَا فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَالمَوْتَ رَاحَةً لَنَا مِـنْ كُلِّ شَرٍّ.

اللَّهُمَّ! أَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا، وَأَلِّفْ بَيْنَ قُلُوْبِنَا، وَاهْدِنَا سُبَلَ السَّلَامِ، وَأَخْرِجْنَا مِنَ الظُّلُـمَاتِ إِلَى النُّوْرِ.

اللَّهُمَّ! بَارِكْ لَنَـا فِي أَسْـمَاعِنَا وَأَبْـصَارِنَا وَقُوَّاتِنَـا وَأَزْوَاجِنَـا وَذُرِّيَّتِنَـا وَأَمْوَالِنَـا، وَاجْعَلْنَـا مُبَارَكِيْنَ أَيْنَمَا كُنَّا.

وَآخِرُ دَعْوَانَا: أَنِ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ.

النَّصِيرُ ﷻ

إِنَّ الحَمْدَ لله؛ نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِالله مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَـهَ إِلَّا اللهُ؛ وَحْـدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ.

أَمَّا بَعْدُ:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[آلِ عِمْرَانَ: ١٠٢]،

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾[النِّسَاءَ: ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾[الأَحْزَابِ: ٧٠- ٧١].

عِبَادَ الله..

جَاءَ فِي «الصَّحِيحَيْنِ»: أَنَّ شُرُوْطَ الحُدَيْبِيَةِ ثَقُلَتْ عَلَى أَصْحَابِ رَسُوْلِ الله ﷺ.

قَالَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ: فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ؛ فَقُلْتُ: أَلَسْتَ نَبِيَّ الله؟ قَالَ: «بَلَى»، قُلْتُ: أَلَسْنَا عَلَى الحَقِّ، وَعَدُوُّنَا عَلَى البَاطِلِ؟ قَالَ: «بَلَى»، قُلْتُ: فَلِمَ نُعْطِي الدَنِيَّةَ فِي دِينِنَا إِذًا؟!

فَقَالَ ﷺ: «إِنِّي رَسُولُ الله، وَلَسْتُ أَعْصِيهِ، وَهُوَ نَاصِرِي»[هَذَا لَفْظُ البُخَارِيِّ].

تَعَالَيْتَ يَا مَنْ تَجْعَلُ الحَـقَّ يَغْلِـبُ ... وَيَهْـزِمُ شَرًّا قَـدْ تَمَـادَى يُخَـرِّبُ

فَأَنْتَ الَّذِي تُعْطِي الحُقُوْقَ لِأَهْلِهَا ... فَنَصْرُكَ أَقْوَى مَا يَكُوْنُ وَأَقْـرَبُ

(النَّصِيرُ ﷻ): اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ الله الحُسْنَى، وَرَدَ أَمَانًا لِلْخَائِفِينَ، وَفَرَجًا لِلْمُسْتَضْعَفِينَ.

قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿فَاعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْۚ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٤٠﴾﴾[الأَنْفَالِ:٤٠].

فَرَبُّنَا ﷻ هُوَ الَّذِي يَنْصُرُ رُسُلَهُ وَأَنْبِيَاءَهُ وَأَوْلِيَاءَهُ عَلَى أَعْدَائِهِمْ فِي الدُّنْيَا، وَيَوْمَ يَقُوْمُ الأَشْهَادُ، قَالَ ﷻ: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾﴾ [غَافِرٍ:٥١].

وَرَبُّنَا ﷻ يَنْصُرُ الْمُسْتَضْعَفِينَ، وَيَرْفَعُ الظُّلْمَ عَنِ الْمَظْلُوْمِينَ؛ وَلَوْ كَانُوْا كَافِرِينَ؛ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ إِلَّا اللهُ.

وَرَبُّنَا ﷻ يَنْصُرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى عَدُوِّهِمْ؛ سَوَاءً كَانَ خَارِجِيًّا؛ كَالْكَافِرِينَ وَالظَّالِمِينَ، أَوْ دَاخِلِيًّا؛ كَالنَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ، وَهُمَا أَضَرُّ عَلَى الْمُؤْمِنِ مِنْ عَدُوِّهِ الخَارِجِيِّ؛ ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾[العَنْكَبُوْتِ:٦٩].

وَإِذَا نَزَلَ نَصْرُ اللهِ؛ فَلَا غَالِبَ لَمَنْ نَصَرَهُ، وَلَا نَاصِرَ لَمَنْ خَذَلَهُ؛ ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾[آلِ عِمْرَانَ:١٦٠].

وَأَنْوَاعُ نُصْرَةِ اللهِ لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ يَأْتِي بِهَا اللهُ ﷻ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ العَبْدُ، فَلَا تُعَدُّ وَلَا تُحَدُّ وَلَا تُرَدُّ:

فَتَارَةً تَكُوْنُ: بِتَأْيِيدِ الْمَلَائِكَةِ؛ كَمَا فِي نَصْرِهِ لِنَبِيِّهِ وَصَحْبِهِ فِي بَدْرٍ، أَوْ بِالرِّيحِ؛ كَمَا فِي عَادٍ وَالأَحْزَابِ، أَوْ بِإِرْسَالِ الطَّيرِ الأَبَابِيلِ؛ كَمَا فِي أَصْحَابِ الفِيلِ، أَوْ بِالصَّيْحَةِ؛ كَمَا فِي ثَمُوْدَ، أَوْ بِالْخَسْفِ؛ كَمَا فُعِلَ بِقَارُوْنَ، أَوْ القَذْفِ؛ كَمَا فِي قَوْمِ لُوْطٍ، أَوْ الطُّوْفَانِ؛ كَمَا فِي قَوْمِ نُوْحٍ.

وَجُنْدُ اللهُ ﷻ لَا حَصْرَ لَهُم، وَاللهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

وَصُوَرُ النَّصْرِ تَكُوْنُ: تَارَةً بِالظَّفَرِ بِالأَعْدَاءِ وَقَهْرِهِمْ؛ كَانْتِصَارِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ ﷺ، وَالنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ.

وَتَارَةً بِالانْتِقَامِ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ فِي حَيَاةِ الرُّسُلِ؛ كَقَوْمِ نُوْحٍ، وَقَوْمِ لُوْطٍ، وَهَلَاكِ فِرْعَوْنَ

وَغَيْرِهِمْ، أَوْ بَعْدَ مَمَاتِهِمْ؛ كَتَسْلِيطِ بُخْتُنَصَّرَ عَلَى قَتْلَةِ يَحْيَى عليه السلام، وَتَسْلِيطِ الرُّوْمِ عَلَى مُرِيدِي قَتْلِ عِيْسَى عليه السلام.

فَاللهُ ﷻ قَالَ: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾﴾ [غَافِر:٥١].

قَال السِّدِّيُّ: "قَدْ كَانَ الأَنْبِيَاءُ وَالْمُؤْمِنُوْنَ يُقْتَلُوْنَ فِي الدُّنْيَا وَهُمْ مَنْصُوْرُوْنَ، وذَلِكَ: أَنَّ تِلْكَ الأُمَّةَ الَّتِي تَفْعَلُ ذَلِكَ بِالأَنْبِيَاءِ وَالْمُؤْمِنِينَ لَا تَذْهَبُ حَتَّى يَبْعَثَ اللهُ قَوْمًا فَيَنْتَصِرُ بِهِمْ لِأُوْلَئِكَ الَّذِينَ قُتِلُوْا مِنْهُمْ، فَيَكُوْنُ الإِشْكَالُ قَدْ زَالَ عِنْدَ هَذِهِ الآيَةِ".

وَأَمَّا الإِشْكَالُ الآخَرُ الَّذِي يُوْرِدُهُ بَعْضُ النَّاسِ عِنْدَ قَوْلِهِ ﷻ: ﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾﴾[النِّسَاء:١٤١]:

أَمَّا فِي الآخِرَةِ؛ فَلَا إِشْكَالَ فِيهِ.

وَأَمَّا فِي الدُّنْيَا؛ فَجَوَابُهُ -كَمَا قَالَ ابْنُ القَيِّمِ رحمه الله-: "فَإِذَا ضَعُفَ الإِيمَانُ صَارَ لِعَدُوِّهِمْ عَلَيْهِمْ مِنَ السُّبُلِ بِحَسْبِ مَا نَقَصَ مِنْ إِيمَانِهِمْ.

فَالْمُؤْمِنُ عَزِيزٌ غَالِبٌ مُؤَيَّدٌ وَمَنْصُوْرٌ، مَكْفِيٌّ، وَمُعَانٌ وَعَزِيزٌ، مَدْفُوْعٌ عَنْهُ بِالذَّاتِ أَيْنَ كَانَ، وَلَوِ اجْتَمَعَ عَلَيْهِ مَنْ بِأَقْطَارِهَا؛ إِذَا قَامَ بِحَقِيقَةِ الإِيمَانِ وَوَاجِبَاتِهِ -ظَاهِرًا وَبَاطِنًا-.

وَقَدْ قَالَ ﷻ لِلْمُؤْمِنِينَ: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾ [آلِ عِمْرَانَ:١٣٩]، وَقَالَ ﷻ: ﴿فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٥﴾﴾[مُحَمَّدٍ:٣٥]"، فَهَذَا الضَّمَانُ إِنَّمَا هُوَ: إِيمَانُهُمْ وَأَعْمَالُهُمْ.

وَمَا يَرَاهُ الْمُسْلِمُ فِي هَذَا الزَّمَانِ مِنْ تَسَلُّطِ الكُفَّارِ إِنَّمَا هُوَ بِسَبَبِ: مَا أَحْدَثَهُ الْمُسْلِمُوْنَ فِي دِينِهِمْ مِنْ نَقْصٍ أَوْ زِيَادَةٍ، فَإِنَّ تَابُوْا اكْتَمَلَ إِيمَانُهُمْ، وَحَلَّ نَصْرُهُم مِنَ اللهِ ﷻ: ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ﴾[الرُّوْمِ:٦].

وَثَمَنُ النَّصْرِ: الإِيمَانُ وَالإِعْدَادُ وَالصَّبْرُ؛ لِأَنَّ اللهَ ﷻ قَالَ: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾[الرُّوْمِ:٤٧]، وَقَالَ: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾[الأَنْفَالِ:٦٠]، وَقَالَ: ﴿وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا﴾[آلِ عِمْرَانَ:١٢٠]، وجَاءَ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «...وَأَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ»[حَدِيثٌ صَحِيحٌ. رَوَاهُ أَحْمَدُ فِي «المُسْنَدِ»].

وَهُنَا يَنْزِلُ النَّصْرُ مِنَ المَوْلَى النَّصِيرِ؛ لِأَنَّ اللهَ ﷻ قَالَ: ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾[آلِ عِمْرَانَ:١٢٦]، وَقَالَ: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾[آلِ عِمْرَانَ:١٦٠].

يَا مُؤْمِنُ..

إِذَا كَانَ اللهُ ﷻ مَعَكَ فَمَنْ عَلَيْكَ؟ وَإِذَا كَانَ عَلَيْكَ فَمَنْ مَعَكَ؟

أَقُولُ قَولِي هَذَا، وَأَستَغْفِرُ اللهَ لِي وَلَكُمْ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرُوهُ؛ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ:

الحَمْدُ للهِ حَمْدًا طَيِّبًا كَثِيرًا مُبَارَكًا فِيهِ كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنِ اهْتَدَى بِهُدَاهُمْ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

عِبَادَ اللهِ..

المُؤْمِنُ يَنْصُرُ دِينَ اللهِ ﷻ بِالجِهَادِ، وَيَنْصُرُ أَوْلِيَاءَهُ؛ لِأَنَّ اللهَ ﷻ قَالَ: ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾[مُحَمَّدٍ:٧].

وَقَالَ ﷺ: «انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا»، قَالُوْا: يَا رَسُولَ اللهِ! هَذَا نَنْصُرُهُ مَظْلُومًا، فَكَيْفَ نَنْصُرُهُ ظَالِمًا؟ قَالَ: «تَأْخُذُ فَوْقَ يَدَيْهِ»[أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ -بِهَذَا السِّيَاقِ-، وَمُسْلِمٌ].

وَشُعُوْرُ المُؤْمِنِ دَائِمًا بِأَنَّهُ فِي حَاجَةٍ إِلَى اللهِ ﷻ فِي جَمِيعِ شُؤُوْنِهِ، وَلَا يَبْتَعِدُ عَنْ مَوْلَاهُ طَرْفَةَ عَيْنٍ، فَتَجِدُهُ يَدْعُوْ اللهَ ﷻ دَائِمًا، كَمَا كَانَ الحَبِيبُ ﷺ يَقُوْلُ: «رَبِّ أَعِنِّي وَلَا تُعِنْ عَلَيَّ، وَانْصُرْنِي

وَلَا تَنْصُرْ عَلَيَّ، وَامْكُرْ لِي وَلَا تَمْكُرْ عَلَيَّ، وَاهْدِنِي وَيَسِّرْ هُدَايَ إِلَيَّ، وَانْصُرْنِي عَلَى مَنْ بَغَى عَلَيَّ» [حَدِيثٌ صَحِيحٌ. رَوَاهُ أَبُوْ دَاوُدَ]، وَصَحَّ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَقُوْلُ: «اللَّهُمَّ! أَنْتَ عَضُدِي وَنَصِيرِي، بِكَ أَحُوْلُ، وَبِكَ أَصُوْلُ، وَبِكَ أُقَاتِلُ»[حَدِيثٌ صَحِيحٌ. رَوَاهُ أَبُوْ دَاوُدَ]، ﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾﴾[آلِ عِمْرَانَ:١٤٧].

وَمَنْ لَاذَ بِاللهِ كَفَاهُ وَعَلَا شَأْنُهُ: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾﴾ [الحَجِّ:٧٨].

اللَّهُمَّ يَا نَصِيرُ! انْصُرْنَا عَلَى القَوْمِ الكَافِرِينَ.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ الجَنَّةَ، وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، وَنَعُوْذُ بِكَ مِنَ النَّارِ، وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنَ الخَيْرِ كُلِّهِ؛ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ؛ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَأَنْ تَجْعَلَ كُلَّ قَضَاءٍ قَضَيْتَهُ لَنَا خَيْرًا.

اللَّهُمَّ! أَصْلِحْ لَنَا دِيْنَنَا الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا دُنْيَانَا الَّتِي فِيهَا مَعَاشُنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا آخِرَتَنَا الَّتِي فِيهَا مَعَادُنَا، وَاجْعَلِ الحَيَاةَ زِيَادَةً لَنَا فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَالمَوْتَ رَاحَةً لَنَا مِنْ كُلِّ شَرٍّ.

اللَّهُمَّ! أَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا، وَأَلِّفْ بَيْنَ قُلُوْبِنَا، وَاهْدِنَا سُبَلَ السَّلَامِ، وَأَخْرِجْنَا مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوْرِ.

اللَّهُمَّ! بَارِكْ لَنَا فِي أَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوَّاتِنَا وَأَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّتِنَا وَأَمْوَالِنَا، وَاجْعَلْنَا مُبَارَكِيْنَ أَيْنَمَا كُنَّا.

وَآخِرُ دَعْوَانَا: أَنِ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ.

الوَارِثُ ﷻ

إِنَّ الحَمْدَ لله؛ نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِالله مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَـهَ إِلَّا اللهُ؛ وَحْـدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ.

أَمَّا بَعْدُ:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[آلِ عِمْرَانَ: ١٠٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾[النِّسَاءَ: ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾[الأَحْزَابِ: ٧٠- ٧١].

قِيلَ لِأَحَدِ الحُكَمَاءِ: مَا لَكَ تُدْمِنُ إِمْسَاكَ العَصَا وَلَسْتَ بِكَبِيرٍ وَلَا مَرِيضٍ؟ فَقَالَ: لِأَذْكُرَ أَنِّي مُسَافِرٌ.

حَمَلْتُ العَصَا لَا الضَّعْفُ أَوْجَبَ حَمْلَهَا
عَلَيَّ وَلَا أَنِّي تَحَنَّيْتُ مِنْ كِبَرْ
وَلَكِنَّنِي أَلْزَمْتُ نَفْسِيَ حَمْلَهَا
لِأُعْلِمَهَا أَنَّ المُقِيمَ عَلَى سَفَرْ

أُعْلِنَ لِلْمُسَافِرِ أَنَّهُ: لَيْسَ لَكَ إِقَامَةٌ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا؛ فَلَا تَرْكَنْ إِلَيْهَا، وَالإِعْلَانُ فِي قَوْلِهِ ﷻ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾﴾[مَرْيَمَ: ٤٠].

فَاللهُ هُوَ: (الوَارِثُ ﷻ).

نَقِفُ مَعَ اسْمِهِ ﷻ: (الوَارِثِ ﷻ) نُذَكِّرُ أَنْفُسَنَا؛ لَعَلَّ اللهَ يَرْحَمُنَا:

قَالَ ﷻ: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿٢٣﴾﴾[الحِجْر:٢٣].

فَرَبُّنَا ﷻ البَاقِي بَعْدَ فَنَاءِ كُلِّ الخَلَائِقِ، الوَارِثُ لجَمِيعِ الأَشْيَاءِ بَعْدَ زَوَالِ كُلِّ مَنْ فِي الأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ الطَّوَابِقِ.

وَرَبُّنَا الوَارِثُ ﷻ بِلَا تَوْرِيثِ أَحَدٍ، البَاقِي لَيْسَ لِلْكِهِ مَدٌّ، قَالَ ﷻ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾﴾[مَرْيَم:٤٠].

وَرَبُّنَا ﷻ لَمْ يَزَلْ مَالِكًا لِأُصُوْلِ الأَشْيَاءِ كُلِّهَا، يُوَرِّثُهَا مَنْ يَشَاءُ، وَيَسْتَخْلِفُ فِيهَا مَنْ أَحَبَّ، قَالَ ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾﴾ [الأَعْرَافِ:١٢٨].

وَرَبُّنَا ﷻ الَّذِي يورِّثُ المُؤْمِنِينَ دِيَارَ الكَافِرِينَ فِي الدُّنْيَا وَمَسَاكِنَهُمْ فِي الآخِرَةِ.

أَمَّا الدُّنْيَا؛ فَاللهُ ﷻ قَالَ: ﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا﴾[الأَحْزَابِ: ٢٧].

وَأَمَّا الآخِرَةُ؛ فَاللهُ ﷻ قَالَ: ﴿تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾﴾[مَرْيَم:٦٣]، وَقَالَ ﷻ: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ۖ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ۖ وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾[الأَعْرَافِ:٤٣].

وَكِتَابُ اللهِ ﷻ: كِتَابُ الهِدَايَةِ وَالعِزِّ وَالفَلَاحِ، يُوْرِثُهُ مَنِ اصْطَفَاهُمْ وَاجْتَبَاهُمْ لِكَرَامَتِهِ، قَالَ ﷻ: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ

﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾﴾[فَاطِر:٣٢].

وَالمُؤْمِنُ يَعْلَمُ أَنَّ يَدَهُ يَدُ أَمَانَةٍ؛ فَالْبَيْتُ مُؤَقَّتٌ، وَالدَّابَّةُ مُؤَقَّتَةٌ، وَالمَتْجَرُ مُؤَقَّتٌ، وَالمَالُ مُؤَقَّتٌ، فَكُلُّ شَيْءٍ يَدَهُ عَلَيْهِ يَدُ أَمَانَةٍ، يَدُ اسْتِخْلَافٍ، وَاللهُ ﷻ يَنْظُرُ كَيْفَ يَعْمَلُ!

ثُمَّ هَذَا كُلُّهُ يَعُودُ إِلَى اللهِ ﷻ؛ لِأَنَّ اللهَ هُوَ: المَالِكُ الحَقِيقِيُّ، وَالدُّنْيَا زَائِلَةٌ، وَالعَبْدُ فِيهَا إِلَى زَوَالٍ.

صَحَّ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ لعُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رضي الله عنه: «مَا لِي وَلِلدُّنْيَا! مَا أَنَا فِي الدُّنْيَا إِلَّا كَرَاكِبٍ اسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا»[حَدِيثٌ صَحِيحٌ. رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ].

وَكَوْنُ المُؤْمِنِ مُسْتَخْلَفًا وَذَاهِبًا إِلَى رَبِّهِ؛ فَمَنِ كَرَمِ اللهِ عَلَى المُؤْمِنِ: أَنَّهُ أَمَرَهُ بِالإِنْفَاقِ مِمَّا وَهَبَهُ اللهُ لَهُ؛ مَعَ أَنَّهُ مِنْ خَالِصِ مُلْكِهِ ﷻ، وَالعَبْدُ مُسْتَخْلَفٌ، ثُمَّ وَعَدَهُ بِالأَمْرِ الكَبِيرِ، قَالَ ﷻ: ﴿ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾﴾ [الحَدِيد:٧].

وَقَالَ ﷻ: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[الحَدِيد:١٠]، فَالمُلْكُ الحَقِيقِيُّ: مَا ادَّخَرَهُ العَبْدُ لِيَوْمِ المِيعَادِ.

فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» عن مُطَرِّفٍ عَنْ أَبِيهِ عَبْدِ اللهِ بْنِ الشِّخِّيرِ رضي الله عنه قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ يَقْرَأُ: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴿١﴾﴾[التكاثر:١]، قَالَ: «يَقُولُ ابْنُ آدَمَ: مَالِي.. مَالِي! وَهَلْ لَكَ -يَا ابْنَ آدَمَ!- مِنْ مَالِكَ إِلَّا مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ، أَوْ لَبِسْتَ فَأَبْلَيْتَ، أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ؟».

وَمَا المَالُ وَالأَهْلُوْنَ إِلَّا وَدِيعَةٌ

وَلَا بُدَّ يَوْمًا أَنْ تُرَدَّ الوَدَائِعُ

أَقُولُ قَولِي هَذَا، وَأَستَغْفِرُ اللهَ لِي وَلَكُمْ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرُوهُ؛ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ:

الْحَمْدُ لله حَمْدًا طَيِّبًا كَثِيرًا مُبَارَكًا فِيهِ كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنِ اهْتَدَى بِهُدَاهُمْ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

يَا عَبْدَ الله..

اعْلَمْ أَنَّ التَّوَسُّلَ إِلَى الله بِهَذَا الاسْمِ دَاخِلٌ فِي عُمُوْمِ قَوْلِهِ ﷻ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾[الأَعْرَافِ:١٨٠]؛ وَلَا سِيَّمَا بِمُرَاعَاةِ الْمُنَاسَبَةِ بَيْنَ الْمَطْلُوْبِ وَالاسْمِ الْمَذْكُوْرِ؛ كَمَا فِي دُعَاءِ نَبِيِّ الله زَكَرِيَّا عليه السلام: ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾﴾[الأَنْبِيَاءِ:٨٩]، وَقَالَ: ﴿فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾﴾[مَرْيَمَ:٥-٦].

وَالإِرْثُ الْمَذْكُوْرُ هُنَا: إِنَّمَا هُوَ إِرْثُ عِلْمٍ وَنُبُوَّةٍ وَدَعْوَةٍ إِلَى الله ﷻ، لَا إِرْثَ مَالٍ، وَمِثْلُ هَذَا الإِرْثِ الْمُبَارَكِ: مَا وَرَدَ فِي قَوْلِهِ ﷻ: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾[النَّمْلِ:١٦].

عَنِ الفُضَيْلِ بْنِ عِيَاضٍ رحمه الله قَالَ: "قَالَ دَاوُدُ عليه السلام لِرَبِّهِ ﷻ: إِلَهِي! كُنْ لِوَلَدِي سُلَيْمَانَ مِنْ بَعْدِي كَمَا كُنْتَ لِي، فَأَوْحَى اللهُ ﷻ إِلَيْهِ: يَا دَاوُدُ! قُلْ لِابْنِكَ سُلَيْمَانَ: يَكُنْ لِي مِثْلَمَا كُنْتَ لِي؛ أَكُنْ لَهُ كَمَا كُنْتُ لَكَ!".

وَصَحَّ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَقُوْلُ: «اللَّهُمَّ! أَمْتِعْنِي بِسَمْعِي وَبَصَرِي، وَاجْعَلْهُمَا الْوَارِثَ مِنِّي»[حَدِيثٌ صَحِيحٌ. رَوَاهُ الحَاكِمُ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ»].

وَأَشَارَ العُلَمَاءُ عِنْدَ هَذَا الاسِمِ: أَنَّ العَبْدَ يَنْبَغِي أَنْ يَتَّقِيَ اللهَ ﷻ فِي حُقُوْقِ الإِرْثِ؛ فَلَا يَظْلِمْ مِنَ الوَرَثَةِ أَحَدًا.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الوَارِثِ: أَنْ تُمَتِّعَنَا بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا، وَتَجْعَلَهَا الوَارِثَ مِنَّا.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ الهُدَى وَالسَّدَادَ، وَنَسْأَلُكَ التُّقَى وَالعِفَّةَ وَالغِنَى.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ الجَنَّةَ، وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، وَنَعُوْذُ بِكَ مِنَ النَّارِ، وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنَ الخَيْرِ كُلِّهِ؛ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ؛ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَأَنْ تَجْعَلَ كُلَّ قَضَاءٍ قَضَيْتَهُ لَنَا خَيْرًا.

اللَّهُمَّ! أَصْلِحْ لَنَا دِيْنَنَا الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا دُنْيَانَا الَّتِي فِيهَا مَعَاشُنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا آخِرَتَنَا الَّتِي فِيهَا مَعَادُنَا، وَاجْعَلِ الحَيَاةَ زِيَادَةً لَنَا فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَالمَوْتَ رَاحَةً لَنَا مِنْ كُلِّ شَرٍّ.

اللَّهُمَّ! أَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا، وَأَلِّفْ بَيْنَ قُلُوْبِنَا، وَاهْدِنَا سُبَلَ السَّلَامِ، وَأَخْرِجْنَا مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوْرِ.

اللَّهُمَّ! بَارِكْ لَنَا فِي أَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوَّاتِنَا وَأَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّتِنَا وَأَمْوَالِنَا، وَاجْعَلْنَا مُبَارَكِيْنَ أَيْنَمَا كُنَّا.

وَآخِرُ دَعْوَانَا: أَنِ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ.

الشَّافِي ﷻ

إِنَّ الحَمْدَ لله؛ نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِالله مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَـهَ إِلَّا اللهُ؛ وَحْـدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ.

أَمَّا بَعْدُ:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[آلِ عِمْرَانَ: ١٠٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾[النِّسَاءَ: ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾[الأَحْزَابِ: ٧٠- ٧١].

عِبَادَ الله..

جَاءَ فِي «الصَّحِيحَيْنِ»: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ عَادَ أَعْرَابِيًّا مَرِيضًا يَتَلَوَّى مِنْ شِدَّةِ الحُمَّى؛ فَقَـالَ لَـهُ -مُوَاسِيًا وَمُشَجِّعًا-: «طَهُورٌ».

فَقَالَ الأَعْرَابِيُّ: بَلْ هِي حُمَّى تَفُوْرُ، عَلَى شَيْخٍ كَبِيرٍ، تُوْرِدُهُ القُبُوْرَ!

قَالَ: «فَنَعَمْ إِذًا!».

شِفَاءُ الإِنْسَانِ أَوْ بَقَاؤُهُ عَلَى مَرَضِهِ -غَالِبًا- يَنْبُعُ مِنْ نَفْسِهِ وَحْـدَهُ، فَـإِذَا سَـاوَرَتْنَا أَفْكَـارٌ سَعِيدَةٌ كُنَّا سُعَدَاءَ، وَإِذَا تَمَلَّكَتْنَا أَفْكَارُ الشِّفَاءِ وَالتَّفَاؤُلِ وَحُسْنُ الظَّـنِّ بِـالله غَـدَوْنَا بُـرَآءَ، وَإِذَا تَغَلَّبَتْ عَلَيْنَا هَوَاجِسُ السَّقَمِ وَالمَرَضِ فَالْأَغْلَبُ أَنْ نَبِيتَ مَرْضى سُقَمَاءَ.

وَرَبُّنَا ﷻ فَتَحَ بَابَ الأَمَلِ لِكُلِّ مَرِيضٍ، وَنَادَاهُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأَعْرَافِ:١٨٠].

وَمِنْ أَسْمَائِهِ الحُسْنَى: (الشَّافِي)، فَتَقَرَّبْ إِلَى اللهِ بِهَذَا الاسْمِ؛ حَتَّى تَقْرُبَ مِنْ مُرَادِكَ، وَتَنَالَ حَاجَتَكَ.

نَقِفُ مَعَ اسْمِ اللهِ: (الشَّافِي ﷻ)؛ لِنَغْسِلَ أَرْوَاحَنَا مِنْ أَوْجَاعِهَا وَأَتْعَابِهَا:

كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أَتَى مَرِيضًا أَوْ أُتِيَ بِهِ إِلَيْهِ قَالَ: «أَذْهِبِ البَاسَ رَبَّ النَّاسِ! اشْفِ وَأَنْتَ الشَّافِي، لاَ شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ، شِفَاءً لاَ يُغَادِرُ سَقَمًا»[أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ].

وَالشِّفَاءُ فِي اللُّغَةِ هُوَ: البُرْءُ مِنَ المَرَضِ.

فَرَبُّنَا ﷻ الَّذِي يَرْفَعُ البَأْسَ وَالعِلَلَ، وَيَشْفِي العَلِيلَ بِالأَسْبَابِ وَالأَمَلِ، فَقَدْ يَبْرَأُ المَرِيضُ مَعِ انْعِدَامِ الدَّوَاءِ، وَقَدْ يَزُوْلُ الدَّاءُ بِلُزُوْمِ الدَّوَاءِ، وَتَرَتَّبَ عَلَيْهِ أَسْبَابُ الشِّفَاءِ، وَكِلَاهُمَا بِالنَّظَرِ إِلَى قُدْرَةِ اللهِ ﷻ سَوَاءٌ.

وَرَبُّنَا ﷻ كَمَا يَشْفِي الأَبْدَانَ مِنْ أَمْرَاضِهَا؛ كَذَلِكَ يَشْفِي القُلُوْبَ مِنْ أَسْقَامِهَا، وَالصُّدُوْرَ مِنْ ضِيقِهَا، وَالنُّفُوْسَ مِنْ عِلَلِهَا، فَاللهُ ﷻ قَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾[يُوْنُسَ:٥٧].

وَهُوَ ﷻ يَشْفِي مَنْ يَشَاءُ، وَيَطْوِي عِلْمَ الشِّفَاءِ عَنِ الأَطِبَّاءِ، إِذَا لَمْ يُقَدِّرْ الشِّفَاءَ.

وَهُوَ ﷻ وَحْدَهُ المُتَفَرِّدُ بِالشِّفَاءِ لَا شَرِيكَ لَهُ؛ فَلَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُهُ؛ كَمَا قَالَ إِبْرَاهِيمُ ﷺ: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾﴾[الشُّعَرَاءِ:٨٠]، وَكَمَا قَالَ ﷺ: «..لاَ شَافِيَ إِلَّا أَنْتَ»[أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ].

وَمِنْ كَرَمِ اللهِ الشَّافِي: أَنَّهُ لَمْ يُنْزِلْ دَاءً إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ دَوَاءً، صَحَّ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «يَا عِبَادَ اللهِ تَدَاوَوْا! فَإِنَّ اللهَ ﷻ لَمْ يَضَعْ دَاءً إِلَّا وَضَعَ لَهُ دَوَاءً، غَيْرَ دَاءٍ وَاحِدٍ: الهَرَمُ»[حَدِيثٌ صَحِيحٌ.

رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ].

يَنْزِلُ بِالمَرِيضِ الدَّاءُ، وَتُغْلَقُ أَبْوَابُ الشِّفَاءِ فِي وَجْهِهِ، وَتَضِيقُ عَلَيْهِ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ، وَيَشْتَدُّ الكَرْبُ، وَلَا يَجِدُ فِي المَخْلُوْقِينَ مَلْجَأً وَلَا مَلَاذًا، وَحَالُهُ يَقُوْلُ:

لَقَدْ ضَعْضَعَتْنِي، وَهِيَ سِرٌّ، وَلَمْ يَكُنْ
يُضَعْضِعُنِي صَرْفُ الزَّمَانِ إِذَا عَدَا
إِذا مَا أَنَا أَسْنَدْتُ رَأْسِي إِلَى يَدِيْ
رَمَتْنِي مِنْهَا بِالَّذِي يُوْهِنُ اليَدَا
إِذَا اللَّيْلُ أَعْيَاهُ مُسَاجَلَةُ الضُّحَى
تَمَنَّى لَوْ أَنَّ الصُّبْحَ أَصْبَحَ أَسْوَدَا

وَهُنَا؛ بِدَاعِي الفِطْرَةِ فِي النُّفُوْسِ يَلُوذُ المَرِيضُ بِالله، وَيَنْطِرُحُ عَلَى أَعْتَابِهِ، ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾﴾[النَّحْلِ:٥٣]، وَيُنَادِي المُؤْمِنُ بِاسْمِ الشَّافِي: يَا شَافِ اشْفِنِي.. يَا اللهُ اشْفِنِي!

وَكَذِلِكَ غَيْرُ المُؤْمِنِ يَنْطَرِحُ عِنْدَ بَابِهِ يَرْجُوْ مِنْهُ الشِّفَاءَ؛ ﴿فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَـٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍۭ ۚ بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾﴾[الزُّمَرِ: ٤٩].

وبَعْدَ إِلْحَاحٍ وَصَبْرٍ.. يَأْتِي الفَرَجُ، وَيَأْذَنَ الشَّافِي ﷻ بِالشِّفَاءِ، ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾[النَّمْلِ:٦٢].

عَطَاؤُهُ مَمْنُوْحٌ، وَكَرَمُهُ عَظِيمٌ، وَجُوْدُهُ كَبِيرٌ؛ فَإِذَا الحَاجَةُ قُضِيتْ، وَالدَّعَوَاتُ قُبِلَتْ، وَالرَّحْمَةُ نَزَلَتْ، وَالمِحْنَةُ أُزِيلَتْ، وَالشِّفَاءُ دَبَّ.

وَكَمْ مِنْ مَرِيضٍ نَعَاهُ الطَّبِيبُ إِلَى نَفْسِهِ وَتَوَلَّى كَئِيبَا
فَمَاتَ الطَّبِيبُ وَعَاشَ المَرِيضُ فَأَضْحَى إِلَى النَّاسِ يَنْعَى الطَّبِيبَا

وَالفَرْقُ بَيْنَ المُؤْمِنِ وَغَيْرِهِ: أَنَّ المُؤْمِنَ يَعْلَمُ أَنَّ زِمَامَ العَالَمِ بِيَدِ الله ﷻ، وَأَنَّهُ هُوَ الشَّافِي، وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، وَأَنَّ المَرَضَ مَا أُرْسِلَ إِلَّا لِخَيرٍ عَلِمَهُ اللهُ الرَّحِيمُ؛ ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾[البَقَرَة:٢١٦].

فَمَهْمَا اضْطَرَبَتِ الأَحْدَاثُ وَتَقَلَّبَتِ الأَحْوَالُ؛ فَلَنْ تَبُتَّ فِيهَا إِلَّا المَشِيئَةُ العُلْيَا، ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾﴾[يُوسُفَ:٢١]، فَتَجِدُ المُؤْمِنَ المَرِيضَ رَاضِيًا مُسَلِّمًا مُحْتَسِبًا بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مِنَ الدَّاءِ.

وَالمُؤْمِنُ يَعْلَمُ: "أَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ، وَمَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ"؛ لِقَوْلِهِ ﷺ: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾[التَّوْبَة:٥١]، وَلِقَوْلِهِ ﷺ: «..وَلَوْ أَنْفَقْتَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا فِي سَبِيلِ الله مَا قَبِلَهُ اللهُ مِنْكَ حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ، وَتَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَأَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَلَوْ مُتَّ عَلَى غَيْرِ هَذَا لَدَخَلْتَ النَّارَ»[حَدِيثٌ صَحِيحٌ. رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ].

مَرَّ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ بِعَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ ﷺ؛ فَرَآهُ حَزِينًا كَئِيبًا؛ فَقَالَ لَهُ: "يَا عَدِيُّ! مَا لِي أَرَاكَ كَئِيبًا حَزِينًا؟ قَالَ: وَمَا يَمْنَعُنِي وَقَدْ قُتِلَ أَبْنَائِي وَفُقِئَتْ عَيْنِي؟

فَقَالَ عَلِيٌّ ﷺ: يَا عَدِيُّ! إِنَّهُ مَنْ رَضِيَ بِقَضَاءِ الله جَرَى عَلَيْهِ، وَكَانَ لَهُ أَجْرٌ، وَمَنْ لَمْ يَرْضَ بِقَضَاءِ الله جَرَى عَلَيْهِ، وَحَبِطَ عَمَلُهُ".

وَيُرْوَى: "أَنَّ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ﷺ مَرَّ بِرَجُلٍ أَعْمَى أَبْرَصَ، مُقْعَدٍ، مَضْرُوبِ الجَنْبَينِ بِفَالِجٍ (شَلَلٍ)، وَقَدْ تَنَاثَرَ لَحْمُهُ مِنَ الجُذَامِ وَهُوَ يَقُولُ: الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَافَانِي مِمَّا ابْتَلَى بِهِ كَثِيرًا مِنْ خَلْقِهِ!

فَقَالَ لَهُ: يَا هَذَا! أَيُّ شَيْءٍ مِنَ البَلَاءِ أَرَاهُ مَصْرُوْفًا عَنْكَ؟! فَقَالَ: يَا رُوْحَ القُدُسِ! أَنَا خَيْرٌ مِمَّنْ لَمْ يَجْعَلِ اللهُ فِي قَلْبِهِ مَا جَعَلَ فِي قَلْبِي مِنْ مَعْرِفَتِهِ.

فَقَالَ: صَدَقْتَ، هَاتِ يَدَكَ؛ فَنَاوَلَهُ يَدَهُ، فَأَبْرَأَهُ اللهُ مِمَّا كَانَ فِيهِ، فَإِذَا هُوَ أَحْسَنُ النَّاسِ وَجْهًا، وَأَفْضَلُهُمْ هَيْئَةً".

قَالَ العُلَمَاءُ: بِقَدْرِ حَاجَةِ الإِنْسَانِ إِلَى اللهِ، وَانْطِرَاحِهِ بَيْنَ يَدَيهِ، وَلُجُوْئِهِ إِلَيْهِ؛ تَكُوْنُ الإِجَابَةُ، وَيَأْتِي الفَرَجُ، وَيُسْتَجَابَ الدُّعَاءُ.

وَمَا مِنَّا إِلَّا وَلَهُ تَجْرُبَةٌ مَعَ المَرَضِ، وَكَيْفَ أَنَّ المَرَض كَشَفَ ضَعْفَنَا، وَأَنَّهُ لَا حَوْلَ لَنَا وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِهِ ﷻ، فَلَمَّا كُشِفَ عَنَّا وَزَالَ مَا بِنَا مِنْ دَاءٍ؛ صَارَ حَالَنَا كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ:

نَحْنُ نَدْعُوْ الإِلَهَ فِي كُلِّ كَرْبٍ ... ثُمَّ نَنْسَاهُ عِنْدَ كَشْفِ الكُرُوْبِ

كَيْفَ نَرْجُوْ إِجَابَةً لِدُعَاءٍ ... قَدْ سَدَدْنَا طَرِيقَهَا بِالذُّنُوْبِ

فَشَأْنُنَا مَعَ اللهِ ﷻ عَجِيبٌ!!

أَقُولُ قَولِي هَذَا، وَأَستَغْفِرُ اللهَ لِي وَلَكُمْ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرُوهُ؛ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ:

الحَمْدُ للهِ حَمْدًا طَيِّبًا كَثِيرًا مُبَارَكًا فِيهِ كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنِ اهْتَدَى بِهُدَاهُمْ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

يَا عَبْدَ اللهِ..

إِذَا بُلِيتَ بِالمَرَضِ فَاعْلَمْ: أَنَّ اللهَ هُوَ الشَّافِي، وَلَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ، فَإِنْ ظَنَنْتَ أَنَّ مَرَضَكَ لَيْسَ لَهُ شِفَاءٌ؛ فَقَدْ أَسَأْتَ الظَّنَّ بِاللهِ! فَقطْ أَقْبِلْ عَلَيْهِ بِحُسْنِ الظَّنِّ وَصِدْقِ الالْتِجَاءِ، وَاصْبِرْ مُحْتَسِبًا وَتَصَدَّقْ، وَأَلِحَّ عَلَيْهِ فِي الدُّعَاءِ: يَا شَافِ اشْفِنِي! فَهُوَ الحَقُّ، وَقَوْلَهُ الحَقُّ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، أَلَمْ تَسْمَعْ قَوْلَهُ ﷻ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[غَافِر: ٦٠]؟

وجَاءَ فِي الحَدِيثِ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ اللهَ حَيِيٌّ كَرِيمٌ يَسْتَحِي إِذَا رَفَعَ الرَّجُلُ إِلَيْهِ يَدَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا خَائِبَتَيْنِ»[حَدِيثٌ صَحِيحٌ. رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ]، وَاللهُ ﷻ قَالَ: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾[النَّمْل:٦٢].

وَعِنْدَمَا تَكُوْنُ عَلَى هَذِهِ الحَالِ؛ فَقَدْ تَكَرَّمَ عَلَيْكَ مَوْلَاكَ بِعَظِيمِ الأَجْرِ والثَّوَابِ، قَالَ ﷺ: «مَا مِنْ مُصِيبَةٍ تُصِيبُ المُسْلِمَ إِلَّا كَفَّرَ اللهُ بِهَا عَنْهُ؛ حَتَّى الشَّوْكَةَ يُشَاكُهَا»[أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ -وَهَذَا لَفْظُهُ-، وَمُسْلِمٌ].

ثُمَّ تعزَّ بِأَهْلِ البَلاءِ؛ فَفِي كُلِّ دَارٍ نَائِحَةٌ، وَعَلَى كُلِّ خَدٍّ دَمْعٌ، وَفِي كُلِّ وَادٍ بَنُوْ سَعْدٍ.

كَمْ مِنَ المَصَائِبِ، وَكَمْ مِنَ الصَّابِرِينَ؟! فَلَسْتَ وَحْدَكَ المُصَابُ، بَلْ مُصَابُكَ أَنْتَ بِالنِّسْبَةِ لِغَيْرِكَ قَلِيلٌ.

كَمْ مِنْ مَرِيضٍ عَلَى سَرِيرِهِ مِنْ أَعْوَامٍ؟! يَتَقَلَّبُ ذَاتَ اليَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ، يَئِنُّ مِنَ الأَلَمِ، وَيَصِيحُ مِنَ السَّقَمِ.

وَتَذَكَّرْ أَنَّ هَذِهِ الحَيَاةَ سِجْنُ المُؤْمِنِ، وَدَارٌ لِلْأَحْزَانِ وَالنَّكَبَاتِ، فِيهَا تُصْبِحُ القُصُوْرُ حَافِلَةً بِأَهْلِهَا، وَتُمْسِي خَاوِيَةً عَلَى عُرُوْشِهَا، ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ۝٤﴾[البَلَد:٤].

اِقْبَلْ دُنْيَاكَ كَمَا هِيَ، وَطَوِّعْ نَفْسَكَ لِمُعَايَشَتِهَا؛ فَإِنَّهَا جُبِلَتْ عَلَى كَدَرٍ، وَالكَمَالُ لَيْسَ مِنْ شَأْنِهَا، وَلَوْلَا مَرَارَةُ المَرَضِ مَا عُرِفَتْ نِعْمَةُ الصِّحَةِ.

وَلَكَ فِي أَيُّوْبَ ﷺ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ..

قُلْ لِلطَّبِيبِ تَخَطَّفَتْهُ يَدُ الرَّدَى: مَنْ يَا طَبِيبُ بِطِبِّهِ أَرْدَاكَا
قُلْ لِلمَرِيضِ شُفِيَ وَعُوْفِيَ بَعْدَمَا عَجَزَتْ فُنُوْنُ الطِّبِّ: مَنْ عَافَاكَا

إِنَّهُ الرَّحِيمُ الشَّافِي المُعَافِي، ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ۝٨٠﴾[الشُّعَرَاء:٨٠].

اللَّهُمَّ! اشْفِنَا وَاشْفِ مَرْضَى المُسْلِمِينَ.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ الجَنَّةَ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ، ونَعَوْذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ الهُدَى وَالسَّدَادَ، وَنَسْأَلُكَ التُّقَى وَالعِفَّةَ وَالغِنَى.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنَ الخَيْرِ كُلِّهِ؛ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ؛ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَأَنْ تَجْعَلَ كُلَّ قَضَاءٍ قَضَيْتَهُ لَنَا خَيْرًا.

اللَّهُمَّ! أَصْلِحْ لَنَا دِيْنَنَا الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا دُنْيَانَا الَّتِي فِيهَا مَعَاشُنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا آخِرَتَنَا الَّتِي فِيهَا مَعَادُنَا، وَاجْعَلِ الحَيَاةَ زِيَادَةً لَنَا فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَالمَوْتَ رَاحَةً لَنَا مِنْ كُلِّ شَرٍّ.

اللَّهُمَّ! أَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا، وَأَلِّفْ بَيْنَ قُلُوْبِنَا، وَاهْدِنَا سُبَلَ السَّلَامِ، وَأَخْرِجْنَا مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوْرِ.

اللَّهُمَّ! بَارِكْ لَنَا فِي أَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوَّاتِنَا وَأَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّتِنَا وَأَمْوَالِنَا، وَاجْعَلْنَا مُبَارَكِيْنَ أَيْنَمَا كُنَّا.

وَآخِرُ دَعْوَانَا: أَنِ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ.

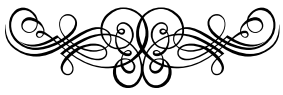

الجَمِيلُ ﷻ

إِنَّ الحَمْدَ لله؛ نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِالله مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَـهَ إِلَّا اللهُ؛ وَحْـدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ.

أَمَّا بَعْدُ:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾[آلِ عِمْرَانَ: ١٠٢]،

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾[النِّسَاءَ: ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾[الأَحْزَابِ: ٧٠- ٧١].

عِبَادَ الله..

جَاءَ فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» عَنْ صُهَيْبٍ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّـةَ، يَقُوْلُ اللهُ ﷻ: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُوْلُوْنَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُـدْخِلْنَا الجَنَّـةَ، وَتُنَجِّنَـا مِنَ النَّارِ؟

فَيَكْشِفُ الحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ ﷻ».

فَسُبْحَانَ مَنْ حَارَتِ الأَفْكَارُ فِي جَمَالِهِ..

وَسُبْحَانَ مَنْ اضْطَرَبَتِ الأَفْهَامُ فِي عَظَمَتِهِ..

وَسُبْحَانَ مَنْ ذَهِلَتِ الأَذْهَانُ لِأَنْوَارِهِ..

فَاللهُ جَمِيلٌ يُحِبُّ الجَمَالَ، بَلْ هُوَ الجَمَالُ كُلُّهُ، وَالجَمَالُ كُلَّهُ مِنْهُ، يَفْعَلُ الجَمِيلَ، وَيُكَافِئُ عَلَى الجَمِيلِ.

وَمِنْ أَسْمَاءِ الله: (الجَمِيلِ ﷻ).

وَهُوَ الجَمِيلُ عَلَى الحَقِيقَةِ كَيْفَ لَا؟!

وَجَمَالُ سَائِرِ هَذِهِ الأَكْوَانِ
مِنْ بَعْضِ آثَارِ الجَمِيلِ، فَرَبُّهَا
أَوْلَى وَأَجْدَرُ عِنْدَ ذِيْ العِرْفَانِ

جَاءَ فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ: «إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الجَمَالَ».

يَقُوْلُ الشَّيْخُ السِّعْدِيُّ ﷺ: "الجَمِيلُ: مَن لَهُ نُعُوْتُ الحُسْنِ وَالإِحْسَانِ، فَإِنَّهُ جَمِيلٌ فِي ذَاتِهِ وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ، فَلَا يُمْكِنُ لَمخْلُوْقٍ أَنْ يُعَبِّرَ عَنْ بَعْضِ جَمَالِ ذَاتِهِ ﷻ، حَتَّى أَنَّ أَهْلَ الجَنَّةِ مَعَ مَا هُمْ فِيهِ مِنَ النَّعِيمِ المُقِيمِ، وَاللَّذَّاتِ وَالسُّرُوْرِ، وَالأَفْرَاحِ الَّتِي لَا يُقَدَّرَ قَدْرُهَا؛ إِذَا رَأَوْا رَبَّهُمْ وَتَمَتَّعُوْا بِجَمَالِهِ نَسَوْا مَا هُمْ فِيهِ مِنَ النَّعِيمِ، وَتَلَاشَى مَا هُمْ فِيهِ مِنَ الأَفْرَاحِ، وَوَدُّوْا أَنْ لَوْ يَدُوْمَ هَذَا الحَالُ؛ لِيَكْتَسُوْا مِنْ جَمَالِهِ وَنُوْرِهِ جَمَالًا إِلَى جَمَالِهِمْ؛ لِأَنَّ قُلُوْبَهُمْ كَانَتْ فِي شَوْقٍ دَائِمٍ وَنُزُوْعٍ إِلَى رُؤْيَةِ رَبِّهِمْ، وَيَفْرَحُوْنَ بِـ (يَوْمِ المَزِيدِ) فَرَحًا تَكَادُ تَطِيرُ لَهُ القُلُوْبُ!

وَكَذِلِكَ هُوَ: الجَمِيلُ فِي أَسْمَائِهِ؛ فَإِنَّهَا كُلَّهَا حُسْنَى، بَلْ أَحْسَنُ الأَسْمَاءِ عَلَى الإِطْلَاقِ وَأَجْمَلُهَا؛ ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾[الأَعْرَافِ: ١٨٠].

فَكُلُّهَا دَالَّةٌ عَلَى غَايَةِ الحَمْدِ وَالمَجْدِ وَالكَمَالِ، لَا يُسَمَّى بِاسْمٍ مُنْقَسِمٍ إِلَى كَمَالٍ وَغَيْرِهِ.

هُوَ: الجَمِيلُ فِي أَوْصَافِهِ؛ فَإِنَّ أَوْصَافَهُ كلَّها أَوْصَافُ كَمَالٍ، وَنُعُوْتُ ثَنَاءٍ وَحَمْدٍ.

وَأَفْعَالُهُ كُلُّهَا جَمِيلَةٌ؛ فَإِنَّهَا دَائِرَةٌ بَيْنَ أَفْعَالِ البِرِّ وَالإِحْسَانِ الَّتِي يُحْمَدُ عَلَيْهَا وَيُشْكَرُ".

قَالَ ابْنُ القَيِّمِ: " وَيَكْفِي فِي جَمَالِهِ: أَنَّهُ لَوْ كَشَفَ الحِجَابَ عَنْ وَجْهِهِ لَأَحْرَقَتْ سُبْحَاتُهُ مَا

انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ.

وَيَكْفِي فِي جَمَالِهِ: أَنَّ كُلَّ جَمَالٍ ظَاهِرٍ وَبَاطِنٍ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ فَمِنْ آثَارِ صَنْعَتِهِ؛ فَمَا الظَّنُّ بِمَنْ صَدَرَ عَنهُ هَذَا الجَمَالُ؟

وَيَكْفِي فِي جَمَالِهِ: أَنَّ لَهُ العِزَّةَ جَمِيعًا، وَالقُوَّة جَمِيعًا، وَالجُوْدَ كُلَّهُ وَالإِحْسَانُ كُلَّهُ، وَالعِلْمَ كُلَّهُ، وَالفَضْلَ كُلَّهُ، وَلِنُوْرِ وَجْهِهِ أَشْرَقَتِ الظُّلُمَاتُ".

وَلَوْ كَانَتِ الأَشْجَارُ أَقْلَامًا، وَالبِحَارُ مِدَادًا، وَالسَّمَاوَاتُ أَلْوَاحًا، وَالخَلَائِقُ يُمْلُوْنَ الثَّنَاءَ، وَيَكْتُبُوْنَ المَدِيحَ عَنْ جَمَالِ الله؛ لَكَانُوْا فِيمَا يَسْتَحِقُّهُ: مُقَصِّرِينَ، وَفِيمَا يَجِبُ لَهُ: مُتَقَطِّعِينَ، وَبِالعَجْزِ عَنِ القِيَامِ بِشُكْرِهِ مُعْتَرِفِينَ.

جَمَالُهُ لَا تُحِيطُ بِهِ العُقُوْلَ، وَلَا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ؛ كَمَا قَالَ النَّبِيَّ ﷺ: «لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ»[أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ].

وَهُوَ ﷻ قَدْ أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ، وَخَلَقَ الإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ.

وَمَا فِيهَا مِنَ البَرِّ وَالبَحْرِ وَالخُضْرَةِ، وَالشَّمْسِ وَالقَمَرِ وَالنُّجُوْمِ وَالدَّوَابِّ: دَلِيلٌ عَلَى جَمَالِهِ ﷻ؛ فَإِنَّهُ مَانِحُ الجَمَالِ، وَمَانِحُ الجَمَالِ أَحَقُّ بِالجَمَالِ مِنْهَا، ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ ١٤﴾[المُؤْمِنُونَ: ١٤]، ﴿هَٰذَا خَلۡقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾[لُقْمَانَ: ١١].

وَاللهُ ﷻ قَالَ: ﴿فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهۡجَةٖ﴾[النَّمْلِ: ٦٠]، ﴿وَلَكُمۡ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسۡرَحُونَ ٦﴾[النَّحْلِ: ٦]، وَلَا يَنْظُرُ إِلَى هَذَا الجَمَالَ إِلَّا مَنْ نَوَّرَ اللهُ قَلْبَهُ بِالإِيْمَانِ؛ فَهُوَ يَرَى وَرَاءَ هَذَا الجَمَالِ جَمَالَ الله وَجَلَالِهِ وَكَمَالِهِ ﷻ.

وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِ الله، وَتَنَكَّرَ لِنُوْرِهِ، وَتَمَرَّدَ عَلَى هِدَايَتِهِ؛ فَإِنَّهُ يُحْرِمُ النَّظَرَ إِلَى إِبْدَاعِ جَمَالِهِ، فَالْعَيْنُ عَمِيَتْ، وَالبَصِيرَةُ طُمِسَتْ!

أَيُّهَا الشَّاكِي وَمَا بِكَ دَاءٌ ... كَيْفَ تَغْدُوْ إِذَا غَدَوْتَ عَلِيلًا

أَتَرَى الشَّوْكَ فِي الوُرُوْدِ وَتَعْمَى ... أَنْ تَـرَى فَوْقَـهُ النَّـدَى إِكْلَـيْلًا
وَالَّـذِي نَفْـسُـهُ بِغَـيْرِ جَمَـالٍ ... لَا يَرَى فِي الوُجُوْدِ شَيْئًا جَمِـيلًا

أَقُولُ قَولِي هَذَا، وَأَستَغْفِرُ اللهَ لِي وَلَكُمْ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرُوهُ؛ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ:

الحَمْدُ للهِ حَمْدًا طَيِّبًا كَثِيرًا مُبَارَكًا فِيهِ كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَـهُ، وَأَشْـهَدُ أَنَّ مُحَمَّـدًا عَبْـدُهُ وَرَسُـولُهُ، صَـلَّى اللهُ وَسَـلَّمَ وَبَـارَكَ عَلَيْـهِ وَعَـلَى آلِـهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنِ اهْتَدَى بِهُدَاهُمْ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

عِبَادَ اللهِ..

الإِيمَانُ بِهَذَا الاسْمِ يَزِيـدُ المُـؤْمِنَ إِيمَانًـا وَشَـوْقًا إِلَى رُؤْيَـةِ اللهِ الجَمِيـلِ، وَكَـانَ مِـنْ دُعَـاءِ النَّبِيِّ ﷺ: «وَأَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِـكَ، وَالـشَّوْقَ إِلَى لِقَائِـكَ..»[حَـدِيثٌ صَـحِيحٌ. رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ].

ثُمَّ تَجِدُهُ مُطْمَئِنًّا رَاضِيًا بِمَا يُقَدِّرُ اللهُ ﷻ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّهُ ﷺ لَا يَفْعَلُ إِلَّا مَا فِيـهِ الحِكْمَـةُ وَالخَـيْرُ لِعَبْدِهِ المُؤْمِنِ؛ لِأَنَّ كُلَّ أَفْعَالِهِ جَمِيلَةٌ، وَمَا يَنْشَأُ مِنَ الفِعْلِ الجَمِيـلِ إِلَّا جَمِيـلٌ، وَهَـذَا هُـوَ حُـسْنُ الظَّنِّ بِاللهِ؛ الَّذِي حَدَّثَ عَنْهُ النَّبِيُّ ﷺ فِي الحَدِيثِ القُدسِي فِي «مُـسْنَدِ الإِمَـامِ أَحْمَـدَ»: أَنَّ رَبَّ العِزَّةِ قَالَ: «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي؛ إِنْ ظَنَّ بِي خَيْرًا فَلَهُ، وَإِنْ ظَنَّ شَرًّا فَلَهُ»[حَدِيثٌ صَحِيحٌ].

وَإِنِّي لَأَدْعُوْ اللهَ حَتَّى كَأَنَّنِي
أَرَى بِجَمِيلِ الظَّنِّ مَا اللهُ صَانِعُ

وَالمُؤْمِنُ تَرَاهُ جَمِيلًا بَاطِنًا وَظَاهِرًا؛ لِأَنَّهُ يَتَقَرَّبُ بِهَـذَا الجَـمَالِ إِلَى اللهِ، وَلِأَنَّ اللهَ حَـثَّ عَـلَى جَمِيلِ الأَقْوَالِ وَالأَخْـلَاقِ وَالأَعْـمَالِ، فَيُحِـبُّ مِـنْ عَبْـدِهِ: أَنْ يُجَمِّـلَ لِـسَانَهُ بِالـصِّدْقِ، وَقَلْبَـهُ بِالإِخْلَاصِ وَالإِنَابَةِ وَالتَّوَكُّلِ، وَجَوَارِحَهُ بِالطَّاعَةِ، وَبَدَنَهُ بِإِظْهَارِ نِعَمِهِ عَلَيْهِ فِي لِبَاسِهِ وَتَطَهُّـرِهِ مِنْ هَذِهِ الأَنْجَاسِ وَالأَحْدَاثِ وَالأَوْسَاخِ وَالشُّعُوْرِ المَكْرُوْهَةِ، وَالخِتَانِ وَتَقْلِيمِ الأَظْفَارِ.

فَيَعْرِفُهُ بِالجَمَالِ الَّذِي هُوَ وَصْفُهُ، وَيَعْبُدُهُ المُؤْمِنُ بِالَّذِي هُوَ شَرْعُهُ وَدِينُهُ.

فَاللهُ ﷻ قَالَ: ﴿فَٱصۡبِرۡ صَبۡرٗا جَمِيلٗا ۝٥﴾[المَعَارِج:٥]، وَقَالَ: ﴿وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا ۝١٠﴾ [المُزَّمِّل:١٠]، وَقَالَ: ﴿فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ ۝٨٥﴾[الحِجْر:٨٥]، وَقَالَ: ﴿وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ۝٤٩﴾[الأَحْزَاب:٤٩].

وَلَـمَّا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِأَصْحَابِهِ: «لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ»، قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُوْنَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً!

قَالَ ﷺ: «إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الجَمَالَ، الكِبْرُ: بَطَرُ الحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ»[أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ].

اللَّهُمَّ! ارْزُقْنَا الجَمَالَ فِي الدَّارَيْنِ، وَارْزُقْنَا الجَمَالَ فِي السَّرِيْرَتَيْنِ: السِّرِّ، وَالعَلَانِيَّةِ، وَارْزُقْنَا الجَمَالَ فِي الأَقْوَالِ وَالأَفْعَالِ؛ يَا رَبَّ العَالَمِينَ!

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ الجَنَّةَ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ، ونَعُوْذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ الهُدَى وَالسَّدَادَ، وَنَسْأَلُكَ التُّقَى وَالعِفَّةَ وَالغِنَى.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنَ الخَيْرِ كُلِّهِ؛ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ؛ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَأَنْ تَجْعَلَ كُلَّ قَضَاءٍ قَضَيْتَهُ لَنَا خَيْرًا.

اللَّهُمَّ! أَصْلِحْ لَنَا دِيْنَنَا الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا دُنْيَانَا الَّتِي فِيهَا مَعَاشُنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا آخِرَتَنَا الَّتِي فِيهَا مَعَادُنَا، وَاجْعَلِ الحَيَاةَ زِيَادَةً لَنَا فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَالمَوْتَ رَاحَةً لَنَا مِنْ كُلِّ شَرٍّ.

اللَّهُمَّ! أَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا، وَأَلِّفْ بَيْنَ قُلُوْبِنَا، وَاهْدِنَا سُبُلَ السَّلَامِ، وَأَخْرِجْنَا مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوْرِ.

اللَّهُمَّ! بَارِكْ لَنَا فِي أَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوَّاتِنَا وَأَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّتِنَا وَأَمْوَالِنَا، وَاجْعَلْنَا

مُبَارَكِيْنَ أَيْنَمَا كُنَّا.

وَآخِرُ دَعْوَانَا: أَنِ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ.

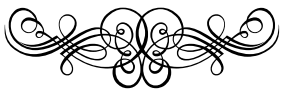

السِّتِّيرُ ﷻ

إِنَّ الحَمْدَ لله؛ نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِالله مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَـهَ إِلَّا اللهُ؛ وَحْـدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ.

أَمَّا بَعْدُ:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[آلِ عِمْرَانَ: ١٠٢]،

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾﴾[النِّسَاءَ: ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾[الأَحْزَابِ: ٧٠- ٧١].

عِبَادَ الله..

مَاذَا لَوْ كُتِبْتَ عَلَى جِبَاهِنَا المَعْصِيَةُ الَّتِي ارْتَكَبْنَاهَا؟!

وَمَاذَا لَوْ كَانَ لِلذُّنُوبِ رَوَائِحُ تَخْرُجُ مِنَّا عَلَى قَدْرِ مَعَاصِينَا؟!

وَمَاذَا لَوْ عَلِمَ النَّاسُ بِمَا سَتَرَهُ اللهُ ﷻ عَلَيْنَا؟!

وَنَسْتَعِيذُ بِهِ مِنْ بَطْشِ مُنْتَقِمٍ ... عِنْدَ التَّجَاهُرِ مِنْهُ بِالعِصْيَانِ

لَكِنَّهُ يُلْقِي عَلَيْهِ سِتْرَهُ ... فَهُوَ السِّتِّيرُ وَصَاحِبُ الغُفْرَانِ

نَعِيشُ فِي هَذِهِ الخُطْبَةِ مَعَ اسْمٍ مِنْ أَسْمَاءِ الله الحُسْنَى، وَهُوَ: اسْمُ (السِّتِّيرُ ﷻ):

صَحَّ عَنْهُ ﷺ مِنْ حَدِيثِ يَعْلَى ﷺ: أَنَّ رَسُوْلَ الله ﷺ رَأَى رَجُلًا يَغْتَسِلُ بِالْبَرَازِ (المَوْضِعُ

الْمُنْكَشِفُ) بِلَا إِزَارٍ، فَصَعَدَ الْمِنْبَرَ، فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ اللهَ حَيِيٌّ سِتِّيرٌ، يُحِبُّ الْحَيَاءَ وَالسَّتْرَ؛ فَإِذَا اغْتَسَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَتِرْ»[حَدِيثٌ صَحِيحٌ. رَوَاهُ أَبُوْ دَاوُدَ].

والسِّتِّيرُ ﷻ هُوَ الَّذِي يَسْتُرُ عَلَى عِبَادِهِ؛ فَلَا يَفْضَحُهُمْ فِي الْمَشَاهِدِ، وَيُحِبُّ مِنْ عِبَادِهِ السَّتْرَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَاجْتِنَابِ مَا يَشِينُهُمْ.

وَرَبُّنَا كَمَا هُوَ سَتَّارٌ لِلْعُيُوْبِ وَالفَضَائِحِ؛ فَهُوَ ﷻ مُحِبٌّ لِتَارِكِ القَبَائِحِ.

تَتَكَتَّمُ الضَّمَائِرُ عَنْ مُسْتَوْدَعَاتِ الأَفْكَارِ؛ فَلَا يَعْلَمُهَا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ وَلَا وَلِيٌّ مُجَابٌ، وَلَا عَالِمٌ جَهْبَذٌ، وَلَا شَيْطَانٌ مَارِدٌ.. وَيَعْلَمُهَا عَلَّامُ الغُيُوْبِ، ثُمَّ يَسْتُرُهَا.

تَتَسَتَّرُ الصُّدُوْرُ بِخَوَاطِرَ وَوَارِدَاتٍ وَمَقَاصِدَ وَنِيَّاتٍ؛ لَا يَنْفُذُ إِلَيْهَا سَمْعٌ، وَلَا يَصِلُ إِلَيْهَا بَصَرٌ.. فَيطَّلِعُ عَلَيْهَا الحَكِيمُ العَلِيمُ، ثُمَّ يَسْتُرُهَا.

يَحْجُبُ اللَّيْلُ بِظُلْمَتِهِ، وَيُغَطِّي بِأَجْنِحَتِهِ السَّمَاءَ، وَهُمْ يَتَهَامَسُوْنَ خُفْيَةً، وَيَتَنَاجَوْنَ سِرًّا؛ فَلَا يَسْمَعُهُمْ جَارٌ، وَلَا يَدْرِي بِهِمْ أَهْلُ الدَّارِ، وَلَا تُنْقَلُ عَنْهُمْ أَخْبَارٌ.. وَلَكِنَّ اللَّطِيفَ الخَبِيرَ عَلِمَ وَسَمِعَ وَرَأَى، ثُمَّ سَتَرَ.

فَالْعَبْدُ يُقَارِفُ شَيْئًا مِنَ الْمَعَاصِي وَالآثَامِ وَهُوَ فَقِيرٌ إِلَى رَبِّهِ؛ حَتَّى أَنَّهُ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَعْصِيَ إِلَّا أَنْ يَتَقَوَّى عَلَى الْمَعَاصِي بِنِعَمِ اللهِ عَلَيْهِ: السَّمْعِ وَالبَصَرِ وَاليَدِ وَالصِّحَةِ وَالْمَالِ.

وَرَبُّنَا ﷻ مَعَ كَمَالِ غِنَاهُ عَنِ الخَلْقِ كُلِّهُمْ وَعَنْ طَاعَتِهِمْ وَعِبَادَتِهِمْ؛ يُكْرِمُ عَبْدَهُ، وَيَسْتُرُهُ، وَيَسْتَحِي مِنْ هَتْكِهِ وَفَضْحِهِ وَتَعْجِيلِ العُقُوْبَةِ بِهِ، ثُمَّ يُوَفِّقُهُ لِلنَّدَمِ وَالتَّوْبَةِ، وَيَعْفُوْ عَنْهُ، وَيَغْفِرُ لَهُ ﷻ، ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾﴾[التَّوْبَةِ: ١٠٤].

لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ السِّتِّيرِ! تُنْتَهَكُ حُرُمَاتُهُ، وَتُخَالَفُ أَوَامِرُهُ، وَيَكْثُرُ الخَطَأُ، وَتَتَعَاظَمُ الذُّنُوْبُ؛ وَمَعَ ذَلِكَ كُلِّهِ يَتُوْبُ وَيَغْفِرُ، وَيَعْفُوْ وَيَصْفَحُ، وَيَسْتُرُ وَيَمْحُوْ، وَيُنَادِينَا -وَهُوَ غَنِيٌّ عَنْ

عِبَادَتِنَا-: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾[الزُّمَر:٥٣].

يَعْلَمُ ضَعْفَنَا، وَيَرَى مَكَانَنَا، وَهُوَ مُطَّلِعٌ عَلَى خَائِنَةِ أَعْيُنِنَا وَمَا تُخْفِي صُدُوْرُنَا، وَمَعَ سَتْرِهِ عَلَيْنَا؛ تَكَرَّمَ عَلَيْنَا وَقَالَ ﷻ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾﴾[الشُّوْرَى:٢٥].

وَلَـمَّا سُئِلَ ابْنُ عُمَرَ ﷺ عَنِ النَّجْوَى، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُوْلَ الله ﷺ يقول: «يَدْنُو أَحَدُكُمْ مِنْ رَبِّهِ حَتَّى يَضَعَ كَنَفَهُ عَلَيْهِ؛ فَيَقُوْلُ: عَمِلْتَ كَذَا وَكَذَا؟ فَيَقُوْلُ: نَعَمْ، وَيَقُوْلُ: عَمِلْتَ كَذَا وَكَذَا؟ فَيَقُوْلُ: نَعَمْ، فَيُقَرِّرُهُ.

ثُمَّ يَقُولُ: إِنِّي سَتَرْتُ عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، فَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ اليَوْمَ»[أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ].

وَكَوْنُكَ -يَا ابْنَ آدَمَ!- كَثِيرَ الزَّلَلِ وَالخَطَإِ؛ فَإِنَّ اللهَ ﷻ مَعَ سَتْرِهِ عَلَيْكَ يُحِبُّ أَنْ تَتُوبَ، لَكِنْ كَرِهَ أَنْ تُذِيعَ مَعَصِيَتَكَ وَأَنْ تُشْهِرَهَا، وَاعْلَمْ أَنَّ مِنْ أَبْغَضِ النَّاسِ إِلَيْهِ: مَنْ بَاتَ عَاصِيًا وَاللهُ يَسْتُرُهُ، ثُمَّ يُصْبِحَ يَكْشِفُ سِتْرَ الله عَلَيْهِ.

جَاءَ فِي «الصَّحِيحِ» مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُوْلَ الله ﷺ يَقُوْلُ: «كُلُّ أُمَّتِي مُعَافًى إِلَّا المُجَاهِرِينَ، وَإِنَّ مِنَ المُجَاهَرَةِ: أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلًا، ثُمَّ يُصْبِحَ وَقَدْ سَتَرَهُ اللهُ عَلَيْهِ، فَيَقُوْلُ: يَا فُلَانُ! عَمِلْتُ البَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا، وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ، وَيُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ الله عَنْهُ»[أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ -وَهَذَا لَفْظُهُ-، وَمُسْلِمٌ].

وَعَنْ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي سَوْدَةَ قَالَ: "لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَهْتِكَ سِتْرَ الله ﷻ، قِيلَ: وَكَيْفَ يَهْتِكُ سِتْرَ الله؟ قَالَ: يَعْمَلُ الرَّجُلُ الذَّنْبَ؛ فَيَسْتُرُهُ اللهُ عَلَيْهِ، فَيُذِيعُهُ فِي النَّاسِ".

قَالَ ابْنُ بَطَّالٍ ﷺ: "وَفِي الجَهْرِ بِالمَعْصِيَةِ: اسْتِخْفَافٌ بِحَقِّ الله وَرَسُوْلِهِ وَبِصَالِحِيْ المُؤْمِنِينَ، وَفِيهِ: ضَرْبٌ مِنَ العِنَادِ لَهُمْ، وَفِي السَّتْرِ بِهَا: السَّلَامَةُ مِنَ الاسْتِخْفَافِ؛ لِأَنَّ المَعَاصِي

تُذِلُّ أَهْلَهَا، وَرَحْمَتُهُ ﷺ سَبَقَتْ غَضَبَهُ، فَلِـذَلِكَ إِذَا سَـتَرَهُ اللهُ فِي الـدُّنْيَا لَمْ يَفْـضَحْهُ فِي الآخِـرَةِ، وَالَّذِي يُجَاهِرُ مُسْتَخِفٌّ؛ فَيَفُوْتُهُ جَمِيعُ ذَلِكَ".

فَمَنْ عَمِلَ مَعْصِيَةً -مَهْمَا عَظُمَتْ- فَلْيُبَادِرْ بِالتَّوْبَةِ وَالإِنَابَةِ، وَلْيُكْثِرْ مِنَ الأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ، وَلْيَسْتُرْ عَلَى نَفْسِهِ وَلْيَطْلُبْ مِنَ اللهِ السَّتْرَ، جَاءَ فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»: أَنَّ رَجُلًا أَصَابَ مِن امْرَأَةٍ دُوْنَ أَنْ يَمَسَّهَا، فَجَاءَ إِلَى رَسُوْلِ اللهِ ﷺ، فَلَمَّا أَخْبَرَهُ وَطَلَبَ أَنْ يَقْضِيَ فِيهِ؛ فَقَالَ عُمَرُ ﷺ: لَقَدْ سَتَرَكَ اللهُ لَوْ سَتَرْتَ عَلَى نَفْسِكَ! وَلَمْ يَرُدَّ النَّبِيُّ ﷺ، فَانْطَلَقَ الرَّجُلُ، فَأَتْبَعَهُ النَّبِيُّ ﷺ رَجُلًا دَعَاهُ، وَتَلَا عَلَيْهِ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾﴾[هُوْدٍ:١١٤]، فَقَالَ الرَّجُلُ: هَذَا لِي خَاصَّةً؟ قَالَ: «بَلْ لِلنَّاسِ كَافَّةً».

اللَّهُمَّ اسْتُرْنَا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ؛ يَا رَبَّ العَالَمِينَ!

أَقُولُ قَولِي هَذَا، وَأَستَغْفِرُ اللهَ لِي وَلَكُمْ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرُوهُ؛ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ:

الحَمْدُ للهِ حَمْدًا طَيِّبًا كَثِيرًا مُبَارَكًا فِيهِ كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَـهُ، وَأَشْـهَدُ أَنَّ مُحَمَّـدًا عَبْـدُهُ وَرَسُـولُهُ، صَـلَّى اللهُ وَسَـلَّمَ وَبَـارَكَ عَلَيْـهِ وَعَـلَى آلِـهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنِ اهْتَدَى بِهُدَاهُمْ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

عِبَادَ اللهِ..

كَانَ مِنْ دُعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ فِي الصَّبَاحِ وَالمَسَاءِ: «اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِي، وَآمِنْ رَوْعَاتِي»[حَدِيثٌ صَحِيحٌ. رَوَاهُ ابْنُ مَاجَه]، وَمَعْنَاهُ: اُسْتُرْ عُيُوْبِي وَتَقْصِيرِي، وَكُلَّ مَا يَسُوْؤُنِي انْكِشَافُهُ.

وَمِنْ هَذَا المَعْنَى جَاءَ السَّتْرُ عَلَى عِبَادِ اللهِ ﷻ، وَتَجَنُّبُ هَتْكِ أَسْتَارِهِمْ وَتَتَبُّعِ عَوْرَاتِهِمْ، جَاءَ فِي «مُسْنَدِ الإِمَامِ أَحْمَدَ»: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يَدْخُلِ الإِيمَانُ قَلْبَهُ! لَا

تَغْتَابُوْا المُسْلِمِينَ، وَلَا تَتَّبِعُوْا عَوْرَاتِهِمْ؛ فَإِنَّهُ مَنْ يَتَّبِعْ عَوْرَاتِهِمْ يَتَّبِعِ اللهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ يَتَّبِعِ اللهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ فِي بَيْتِهِ»[حَدِيثٌ صَحِيحٌ].

وجَاءَ فِي «الصَّحِيحَيْنِ»: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ».

وَصَحَّ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «لَا يَسْتُرُ اللهُ عَلَى عَبْدٍ فِي الدُّنْيَا إِلَّا سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ»[أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ].

وَلَمَّا بَلَّغَ الرَّجُلُ النَّبِيَّ ﷺ عَنْ رَجُلٍ آخَرَ أَنَّهُ زَنَى، قَالَ لَهُ الحَبِيبُ ﷺ: «لَوْ سَتَرْتَهُ بِثَوْبِكَ كَانَ خَيْرًا لَكَ»[حَدِيثٌ صَحِيحٌ. رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ].

وَيَدْخُلُ فِي ذَلِكَ: مَا يَأْتِي فِي أَدَوَاتِ التَّوَاصُلِ مِنْ مُنْكَرَاتٍ أَوْ فَاحِشَةٍ أَوْ خَطَإٍ؛ فَمَنْ نَوَى السَّتْرَ وَلَمْ يَنْشُرْهَا سَتَرَهُ اللهُ ﷻ.

* وَالسَّتْرُ يَكُوْنُ حَتَّى مِنْ أَعْيُنِ الجِنِّ؛ فَعَنْ عَلِيٍّ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ: «سَتْرُ مَا بَيْنَ أَعْيُنِ الجِنِّ وَعَوْرَاتِ بَنِي آدَمَ إِذَا دَخَلَ أَحَدُهُمُ الخَلَاءَ: أَنْ يَقُولَ: بِسْمِ اللهِ»[حَدِيثٌ صَحِيحٌ. رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ].

* الفَرْقُ بَيْنَ (السِّتِّير) وَ(السَّتَّار): كِلَاهُمَا يَدُلُّ عَلَى المُبَالِغَةِ فِي السَّتْرِ؛ فَاللهُ ﷻ يَسْتُرُ عَلَى عِبَادِهِ كَثِيرًا، وَلَكِنَّ أَسْمَاءَ اللهِ تَوْقِيفِيَّةٌ؛ فَلَا مَجَالَ لِلْعَقْلِ فِيهَا، فَلَا نُسَمِّي اللهَ ﷻ إِلَّا بِمَا سَمَّى بِهِ نَفْسَهُ أَوْ سَمَّاهُ بِهِ رَسُوْلُهُ ﷺ.

وَاللَّفْظُ الوَارِدُ فِي السُّنَّةِ: «إِنَّ اللهَ حَيِيٌّ سِتِّيرٌ»[حَدِيثٌ صَحِيحٌ. رَوَاهُ أَبُوْ دَاوُدَ].

يَا مَنْ لَهُ سَتْرٌ عَلَيَّ جَمِيلُ
هَلْ لِي إِلَيْكَ إِذَا اعْتَذَرْتُ قَبُوْلُ
أَيَّدْتَّنِي وَرَحِمْتَنِي وَسَتَرْتَنِي
كَرَمًا فَأَنْتَ لِمَنْ رَجَاكَ كَفِيلُ

وَعصَيْتُ ثُمَّ رَأَيْتُ عَفْوَكَ وَاسِعًا

وَعَـلَيَّ سَـتْرُكَ دَائِـمًا مَـسْبُـوْلُ

فَلَكَ المَحَامِـدُ وَالمَـمَادِحُ فِي الثَّنَـا

يَـا مَـنْ هُـوَ المَقْـصُوْدُ وَالمَـسْؤُوْلُ

اللَّهُمَّ! اسْتُرْ عُيُوْبَنَا وَعَوْرَاتِنَا، وَاغْفِرْ ذُنُوْبَنَا وَزَلَّاتِنَا، وَاخْتِمْ بِالصَّالِحَاتِ أَعْمَالَنَا وَأَعْمَارَنَا، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِيْنَا وَلِجَمِيعِ المُؤْمِنِينَ.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ الجَنَّةَ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ، ونَعُوْذُ بِكَ مِنَ النَّـارِ وَمَـا قَـرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ الهُدَى وَالسَّدَادَ، وَنَسْأَلُكَ التُّقَى وَالعِفَّةَ وَالغِنَى.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنَ الخَيْرِ كُلِّهِ؛ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ؛ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَأَنْ تَجْعَلَ كُلَّ قَضَاءٍ قَضَيْتَهُ لَنَا خَيْرًا.

اللَّهُمَّ! أَصْلِحْ لَنَا دِيْنَنَا الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِنَـا، وَأَصْـلِحْ لَنَـا دُنْيَانَـا الَّتِـي فِيهَـا مَعَاشُـنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا آخِرَتَنَا الَّتِي فِيهَا مَعَادُنَا، وَاجْعَلِ الحَيَاةَ زِيَادَةً لَنَا فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَالمَوْتَ رَاحَةً لَنَا مِـنْ كُلِّ شَرٍّ.

اللَّهُمَّ! أَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا، وَأَلِّفْ بَيْنَ قُلُوْبِنَا، وَاهْدِنَا سُبُلَ السَّلَامِ، وَأَخْرِجْنَا مِنَ الظُّلُـمَاتِ إِلَى النُّوْرِ.

اللَّهُمَّ! بَارِكْ لَنَـا فِي أَسْـمَاعِنَا وَأَبْـصَارِنَا وَقُوَّاتِنَـا وَأَزْوَاجِنَـا وَذُرِّيَّتِنَـا وَأَمْوَالِنَـا، وَاجْعَلْنَـا مُبَارَكِيْنَ أَيْنَمَا كُنَّا.

وَآخِرُ دَعْوَانَا: أَنِ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ.

الدِّيَّانُ ﷺ

إِنَّ الحَمْدَ لله؛ نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِالله مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؛ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

أَمَّا بَعْدُ:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[آلِ عِمْرَانَ: ١٠٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾﴾[النِّسَاءَ: ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾[الأَحْزَابِ: ٧٠- ٧١].

عِبَادَ الله..

رَوَى التِّرْمِذِيُّ: أَنَّ رَجُلًا جَاءَ قَعَدَ بَيْنَ يَدَيِ النَّبِيِّ ﷺ؛ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله! إِنَّ لِي مَمْلُوكِينَ يُكَذِّبُونَنِي وَيَخُونُونَنِي وَيَعْصُونَنِي، وَأَشْتُمُهُمْ وَأَضْرِبُهُمْ، فَكَيْفَ أَنَا مِنْهُمْ؟

قَالَ: «يُحْسَبُ مَا خَانُوكَ وَعَصَوْكَ وَكَذَّبُوكَ وَعِقَابُكَ إِيَّاهُمْ؛ فَإِنْ كَانَ عِقَابُكَ إِيَّاهُمْ بِقَدْرِ ذُنُوبِهِمْ كَانَ كَفَافًا؛ لَا لَكَ وَلَا عَلَيْكَ، وَإِنْ كَانَ عِقَابُكَ إِيَّاهُمْ دُونَ ذُنُوبِهِمْ؛ كَانَ فَضْلًا لَكَ، وَإِنْ كَانَ عِقَابُكَ إِيَّاهُمْ فَوْقَ ذُنُوبِهِمْ؛ اقْتُصَّ لَهُمْ مِنْكَ الفَضْلُ»، فَتَنَحَّى الرَّجُلُ، فَجَعَلَ يَبْكِي وَيَهْتِفُ.

فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «أَمَا تَقْرَأُ كِتَابَ الله: ﴿وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ

﴿نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾[الأَنْبِيَاءِ: ٤٧]؟».

فَقَالَ الرَّجُلُ: وَالله يَا رَسُوْلَ الله! مَا أَجِدُ لِي وَلَهُمْ شَيْئًا خَيْرًا مِنْ مُفَارَقَتِهِمْ! أُشْهِدُكَ أَنَّهُمْ أَحْرَارٌ كُلُّهُمْ.[حَدِيثٌ صَحِيحٌ. رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ].

أَمَا وَالله لَوْ عَرَفَ الأَنَامُ ... لِمَا خُلِقُوْا لَمَا غَفَلُوْا وَنَامُوْا

لَقَدْ خُلِقُوْا لِمَا لَوْ أَبْصَرَتْهُ ... عُيُوْنُ قُلُوْبِهِمْ سَاحُوْا وَهَامُوْا

جَاءَ فِي «الصَّحِيحَيْنِ» مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُوْلُ الله ﷺ: «يَحْشُرُ اللهُ العِبَادَ، فَيُنَادِي بِصَوْتٍ يَسْمَعُه مَنْ بَعُدَ كَمَا يَسْمَعُه مَنْ قَرُبَ: أَنَا المَلِكُ، أَنَا الدَّيَّان، لا يَنْبَغِي لأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ أَنْ يَدْخُلَ النَّارَ وَلَهُ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ حَقٌّ؛ حَتَّى أَقُصَّهُ مِنْهُ، وَلَا يَنْبَغِي لأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ أَنْ يَدْخُلَ الجَنَّةَ وَلأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ النَّار عِنْدَهُ حَقٌّ؛ حَتَّى أَقُصَّهُ مِنْهُ حَتَّى اللَّطْمَةَ».

مِنْ أَسْمَاءِ الله الحُسْنَى: (الدَّيَّانِ ﷻ).

فَرَبُّنَا ﷻ -الَّذِي اسْتَوَى عَلَى عَرْشِهِ فَوْقَ مُلْكِهِ- قَدْ دَانَتْ لَهُ كُلُّ الخَلِيقَةِ، وَعَنَتْ لَهُ الوُجُوْهُ، وَذَلَّتْ لِعَظَمَتِهِ الجَبَابِرَةُ وَكُلُّ البَرِيَّةِ، فَهُوَ ﷻ الَّذِي قَهَرَ كُلَّ المَخْلُوْقَاتِ، وَدَانَتْ لَهُ جَمِيعُ الكَائِنَاتِ؛ فَنَوَاصِي العِبَادِ كُلُّهَا بِيَدِهِ، وَتَصَارِيفُ المُلْكِ وَتَدْبِيرَاتُهِ بِيَدِهِ، وَالمُلْكُ بِيَدِهِ، لَا حَاكِمَ إِلَّا هُوَ، وَلَا رَبَّ غَيْرُهُ، وَلَا إِلَهَ سِوَاهُ.

وَرَبُّنَا ﷻ الدَّيَّانُ؛ الَّذِي يُحَاسِبُ وَيُجَازِي العِبَادَ، وَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ المِيعَادِ؛ كَمَا قَالَ ﷻ: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾﴾[الفَاتِحَةِ: ٤]، ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾[الأَنْبِيَاءِ:٤٧]، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللهَ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُوْمَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ؛ ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ

﴿وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ٣٠﴾[آلِ عِمْرَانَ: ٣٠].

وَاللهُ العَدْلُ؛ فَيَقْتَصُّ لِلْمَظْلُوْمِ مِنَ الظَّالِمِ، وَمِنَ السَّيِّدِ لِعَبْدِهِ، وَكَذِلِكَ مِنَ البَهَائِمِ، قَالَ ﷺ: «يُحْشَرُ الخَلْقُ كُلُّهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ: البَهَائِمُ، وَالدَّوَابُّ، وَالطَّيْرُ، وَكُلُّ شَيْءٍ، فَيَبْلُغُ مِنْ عَدْلِ اللهِ: أَنْ يَأْخُذَ لِلْجَمَّاءِ مِنَ القَرْنَاءِ»[حَدِيثٌ صَحِيحٌ. رَوَاهُ الحَاكِمُ فِي «المُسْتَدْرَكِ»]، وَفِي لَفْظٍ: «وَحَتَّى الذَّرَّةَ مِنَ الذَّرَّةِ»[حَدِيثٌ صَحِيحٌ. رَوَاهُ أَحْمَدُ فِي «المُسْنَدِ»].

اللَّهُمَّ! اغْفِرْ لَنَا مَا قَدَّمْنَا وَمَا أَخَّرْنَا وَمَا أَسْرَرْنَا وَمَا أَعْلَنَّا وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنَّا؛ يَا رَبَّ العَالَمِينَ!

أَقُولُ قَولِي هَذَا، وَأَستَغْفِرُ اللهَ لِي وَلَكُمْ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرُوهُ؛ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ:

الحَمْدُ للهِ حَمْدًا طَيِّبًا كَثِيرًا مُبَارَكًا فِيهِ كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنِ اهْتَدَى بِهُدَاهُمْ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

يَا عَبْدَ اللهِ..

إِذَا عَلِمْتَ بِأَنَّكَ سَتَلْقَى الدَّيَّانَ يَوْمَ القِيَامَةِ؛ يَوْمَ الجَزَاءِ وَالحِسَابِ، وَأَنَّ اللهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ، وَأَنَّ مَا بَيْنَ النَّاسِ مَبْنِيٌّ عَلَى المُشَاحَّةِ، وَأَنَّ مَا بَيْنَ العَبْدِ وَرَبِّهِ مَبْنِيٌّ عَلَى المُسَامَحَةِ، وَالحِسَابُ بِـ (الحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ)؛ فَكَيْفَ تُوَزِّعُ حَسَنَاتِكَ، وَتَأْخُذُ سَيِّئَاتِ غَيْرِكَ، وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّكَ سَتُحَاسَبُ لَا مَحَالَةَ؟!

فَكُنْ كَيِّسًا، وَحَاسِبْ نَفْسَكَ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبْ؛ وَكَمَا قِيلَ: الكَيِّسُ: مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ المَوْتِ، وَالعَاجِزُ: مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا، وَتَمَنَّى عَلَى اللهِ الأَمَانِي!

وَلَمَّا سَأَلَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ أَصْحَابَهُ رضي الله عنهم قَائِلًا: «أَتَدْرُونَ مَا المُفْلِسُ؟».

قَالُوْا: المُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ.

فَقَالَ: «إِنَّ المُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ القِيَامَةِ بِصَلاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا؛ فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنَّ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ؛ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ؛ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ»[أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ].

وَقَالَ عُمَرُ بْنِ الخَطَّابِ ﷺ: "حَاسِبُوْا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوْا، وَزِنُوْا أَعْمَالَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُوْزَنُوْا، فَإِنَّهُ أَهْوَنُ عَلَيْكُمْ فِي الحِسَابِ غَدًا أَنْ حَاسِبُوْا أَنْفُسَكُمُ اليَوْمَ، وَتَزَيَّنُوْا لِلْعَرْضِ الأَكْبَرِ"، ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾﴾[الحَاقَّةِ:١٨].

تَذَكَّرْ يَوْمَ تَأْتِي اللهَ فَرْدًا ... وَقَدْ نُصِبَتْ مَوَازِينُ القَضَاءِ

وَهُتِّكَتِ السُّتُوْرُ عَنِ المَعَاصِي ... وَجَاءَ الذَّنْبُ مُنْكَشِفَ الغِطَاءِ

وَتَذَكَّرْ قَوْلَ أَبِي الدَّرْدَاءَ ﷺ: "البِرُّ لَا يَبْلَى، وَالإِثْمُ لَا يُنْسَى، وَالدَّيَّانُ لَا يَنَامُ، فَكُنْ كَمَا شِئْتَ! كَمَا تَدِينُ تُدَانُ".

وَإِنْ كُنْتَ مَظْلُوْمًا فَأَبْشِرْ بِالدَّيَّانِ، فَهَذَا الاسْمُ تَسْلِيَةٌ لِكُلِّ مَظْلُوْمٍ وَمَقْهُوْرٍ:

أَمَا وَاللهِ إِنَّ الظُّلْمَ شُؤْمٌ ... وَمَا زَالَ المُسِيْءُ هُوَ الظَّلُوْمُ

إِلَى دَيَّانِ يَوْمِ الدِّينِ نَمْضِي ... وَعِنْدَ اللهِ تَجْتَمِعُ الخُصُوْمُ

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ يَا دَيَّانُ! أَنْ تَمُنَّ عَلَيْنَا بِمَغْفِرَةٍ مِنْ عِنْدِكَ، وَأَنْ تَرْحَمَنَا يَوْمَ العَرْضِ عَلَيْكَ.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ الجَنَّةَ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ، ونَعُوْذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ الهُدَى وَالسَّدَادَ، وَنَسْأَلُكَ التُّقَى وَالعِفَّةَ وَالغِنَى.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنَ الخَيْرِ كُلِّهِ؛ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ؛ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَأَنْ تَجْعَلَ كُلَّ قَضَاءٍ قَضَيْتَهُ لَنَا خَيْرًا.

اللَّهُمَّ! أَصْلِحْ لَنَا دِيْنَنَا الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا دُنْيَانَا الَّتِي فِيهَا مَعَاشُنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا آخِرَتَنَا الَّتِي فِيهَا مَعَادُنَا، وَاجْعَلِ الحَيَاةَ زِيَادَةً لَنَا فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَالمَوْتَ رَاحَةً لَنَا مِنْ كُلِّ شَرٍّ.

اللَّهُمَّ! أَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا، وَأَلِّفْ بَيْنَ قُلُوْبِنَا، وَاهْدِنَا سُبَلَ السَّلَامِ، وَأَخْرِجْنَا مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوْرِ.

اللَّهُمَّ! بَارِكْ لَنَا فِي أَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوَّاتِنَا وَأَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّتِنَا وَأَمْوَالِنَا، وَاجْعَلْنَا مُبَارَكِيْنَ أَيْنَمَا كُنَّا.

وَآخِرُ دَعْوَانَا: أَنِ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ.

الجَوَادُ ﷻ

إِنَّ الحَمْدَ لله؛ نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِالله مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَـهَ إِلَّا اللهُ؛ وَحْـدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ.

أَمَّا بَعْدُ:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[آلِ عِمْرَانَ: ١٠٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾[النِّسَاءَ: ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾[الأَحْزَابِ: ٧٠- ٧١].

عِبَادَ الله..

جَاءَ فِي الحَدِيثِ القُدُسِيِّ الطَّوِيلِ عَنْ رَبِّ العِزَّةِ أَنَّهُ قَالَ: «يَا عِبَـادِي! إِنِّي حَرَّمْـتُ الظُّلْـمَ عَلَى نَفْسِي..»[أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ]، وزاد الترمذي: «ذَلِكَ بِـأَنِّي جَـوَادٌ مَاجِـدٌ، أَفْعَـلُ مَـا أُرِيـدُ..» [حَدِيثٌ حَسَنٌ. رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَحَسَّنَهُ].

قَالَ الشَّيْخُ السِّعْدِيُّ ﷺ: "الجَوَادُ، يَعْنِي: أَنَّهُ ﷻ الجَوَادُ المُطْلَقُ؛ الَّذِي عَـمَّ بِجُـوْدِهِ جَمِيـعَ الكَائِنَاتِ، وَمَلَأَهَا مِنْ فَضْلِهِ وَكَرَمِهِ وَنِعَمِهِ المُتَنَوِّعَةِ.

وَخَصَّ بِجُوْدِهِ السَّائِلِينَ بِلِسَانِ المَقَالِ أَوْ لِسَانِ الحَالِ؛ مِنْ بَـرٍّ وَفَـاجِرٍ، وَمُـسْلِمٍ وَكَـافِرٍ، فَمَنْ سَأَلَ اللهَ أَعْطَاهُ سُؤَالَهُ، وَأَنَالَهُ مَا طَلَبَ؛ فَإِنَّهُ بَـرٌّ رَحِـيمٌ، ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ

﴿إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ٥٣﴾[النَّحْل:٥٣]".

فَمَنْ أَعْظَمُ مِنْ رَبِّنا جُوْدًا وَكَرَمًا؟!

الخَلَائِقُ لَهُ عَاصُوْن.. يَكْلَؤُهُمْ فِي مَضَاجِعِهِمْ كَأَنْ لَمْ يَعْصُوْهُ.. يَحْفَظُهُمْ كَأَنْ لَمْ يُذْنِبُوْا.. يَتَفَضَّلُ عَلَى المُسِيْءِ وَيُمْهِلُ المُذْنِبَ، وَيَرْحَمُ التَّائِبَ.

هُوَ الغَنِيُّ عَنْ جَمِيعِ العِبَادِ؛ وَمَعَ هَذَا يَتَحَبَّبُ إِلَيْهِمْ بِالنِّعَمِ وَالجُوْدِ وَالكَرَمِ وَالإِمْهَالِ.

وَاللهُ ﷻ خَزَائِنَهُ مَلْأَى؛ لَا يُنْقِصُهَا نَفَقَةٌ، صَحَّ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «يَدُ اللهِ مَلْأَى لَا يَغِيضُهَا نَفَقَةٌ، سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ؟ فَإِنَّهُ لَمْ يَغِضْ مَا فِي يَدِهِ»[أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ -وَهَذَا لَفْظُهُ-، وَمُسْلِمٌ].

يُحِبُّ مَنْ يُؤَمِّلُهُ مِنَ العِبَادِ، ويُحِبُّ مَنْ يَرْجُوْهُ وَيَسْأَلُهُ؛ لِكَي يَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَنِعَمِهِ، حَتَّى أَنَّهُ مِنْ كَرَمِهِ: يَغْضَبُ عَلَى مَنْ لَا يَسْأَلُهُ، فعِنْدَ التِّرْمِذِيِّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ لَمْ يَسْأَلِ اللهَ يَغْضَبْ عَلَيْهِ»[حَدِيثٌ حَسَنٌ]، وَفِي الحَدِيثِ الآخَرِ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «لَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَمُ عَلَى اللهِ مِنَ الدُّعَاءِ»[حَدِيثٌ حَسَنٌ. رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ].

وَهُوَ الجَوَادُ فَجُوْدُهُ عَمَّ الوُجُوْدَ ... جَمِيعَهُ بِالْفَضْلِ وَالإِحْسَانِ
وَهُوَ الجَوَادُ فَلَا يُخَيِّبُ سَائِلًا ... وَلَوْ أَنَّهُ مِنْ أُمَّةِ الكُفْرَانِ

وَالعَبْدُ المُؤْمِنُ المُوْقِنُ هُوَ: مَنْ يَتَّصِفُ بِصِفَةِ الجُوْدِ، فَقَدْ جَاءَ عِنْدَ التِّرْمِذِيِّ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللهَ جَوَادٌ يُحِبُّ الجُودَ»[حَدِيثٌ صَحِيحٌ].

وَهُنَا يَطْمَعُ المُؤْمِنُ بِفَضْلِ اللهِ وَجُوْدِهِ وَكَرَمِهِ، وَيَعْلَمَ أَنَّ اللهَ الجَوَادَ سَيَجُوْدُ عَلَيْهِ مِنْ فَضْلِهِ وَبَرَكَاتِهِ وَإِحْسَانِهِ أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً، ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجۡرٞ كَرِيمٞ ١١﴾[الحَدِيد:١١]، ﴿وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ﴾[الرُّوْم:٦]، فَهُوَ يُنْفِقُ تَقَرُّبًا إِلَى اللهِ ﷻ.

ونَبِيُّنَا ﷺ أَجْوَدُ الخَلْقِ جَمِيعًا؛ فَهُوَ أَجْوَدُ النَّاسِ بِالخَيْرِ، وَكَانَ أَجْوَدَ مِنَ الخَيلِ المُرْسَلَةِ، وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُوْنُ فِي رَمَضَانَ.

وَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»: "مَا سُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى الإِسْلَامِ شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ، قَالَ: فَجَاءَهُ رَجُلٌ فَأَعْطَاهُ غَنَمًا بَيْنَ جَبَلَيْنِ، فَرَجَعَ إِلَى قَوْمِهِ؛ فَقَالَ: يَا قَوْمِ! أَسْلِمُوا، فَإِنَّ مُحَمَّدًا يُعْطِي عَطَاءً لَا يَخْشَى الفَاقَةَ!"، وَمَا سُئِلَ شَيْئًا قَطُّ فَقَالَ: لَا.

تَرَاهُ إِذَا مَا جِئْتَهُ مُتَهَلِّلًا ... كَأَنَّكَ تُعْطِيهِ الَّذِي أَنْتَ سَائِلُهُ

جَاءَ فِي «مُسْنَدِ الإِمَامِ أَحْمَدَ»: أَنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! إِنَّ لِفُلَانٍ نَخْلَةً، وَأَنَا أُقِيمُ حَائِطِي بِهَا، فَأْمُرْهُ أَنْ يُعْطِيَنِي حَتَّى أُقِيمَ حَائِطِي بِهَا؛ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «أَعْطِهَا إِيَّاهُ بِنَخْلَةٍ فِي الجَنَّةِ»، فَأَبَى.

فَأَتَاهُ أَبُو الدَّحْدَاحِ فَقَالَ: بِعْنِي نَخْلَتَكَ بِحَائِطِي؛ فَفَعَلَ، فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! إِنِّي قَدْ ابْتَعْتُ النَّخْلَةَ بِحَائِطِي، فَاجْعَلْهَا لَهُ، فَقَدْ أَعْطَيْتُكَهَا.

فَقَالَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ: «كَمْ مِنْ عِذْقٍ رَدَاحٍ لِأَبِي الدَّحْدَاحِ فِي الجَنَّةِ؟!» -قَالَهَا مِرَارًا-.

فَأَتَى امْرَأَتَهُ؛ فَقَالَ: يَا أُمَّ الدَّحْدَاحِ! اخْرُجِي مِنَ الحَائِطِ، فَإِنِّي قَدْ بِعْتُهُ بِنَخْلَةٍ فِي الجَنَّةِ، فَقَالَتْ: رَبِحَ البَيْعُ -أَوْ كَلِمَةً تُشْبِهُهَا-.[حَدِيثٌ صَحِيحٌ].

وَالجُوْدُ مَكْرَمَةٌ، وَالبُخْلُ مَبْغَضَةٌ

لَا يَسْتَوِي البُخْلُ عِنْدَ اللهِ وَالجُوْدُ

أَقُولُ قَولِي هَذَا، وَأَستَغْفِرُ اللهَ لِي وَلَكُمْ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرُوهُ؛ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ:

الحَمْدُ للهِ حَمْدًا طَيِّبًا كَثِيرًا مُبَارَكًا فِيهِ كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنِ اهْتَدَى بِهُدَاهُمْ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

قَالَ ابْنُ القَيِّم ﷺ: "وَالجُوْدُ عَشْرُ مَرَاتِبَ.

إِحْدَاهَا: الجُوْدُ بِالنَّفْسِ، وَهُوَ أَعْلَى مَرَاتِبِهِ؛ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ:

يَجُودُ بِالنَّفْسِ، إِذْ ضَنَّ البَخِيلُ بِهَا وَالجُوْدُ بِالنَّفْسِ أَقْصَى غَايَةِ الجُودِ

الثَّانِيَةُ: الجُوْدُ بِالرِّيَاسَةِ، وَهُوَ ثَانِي مَرَاتِبِ الجُودِ، فَيَحْمِلُ الجَوَادَ جُودُهُ عَلَى امْتِهَانِ رِيَاسَتِهِ، وَالجُودِ بِهَا، وَالإِيثَارِ فِي قَضَاءِ حَاجَاتِ المُلْتَمِسِ.

الثَّالِثَةُ: الجُوْدُ بِرَاحَتِهِ وَرَفَاهِيَتِهِ، وَإِجْمَامِ نَفْسِهِ؛ فَيَجُودُ بِهَا تَعَبًا وَكَدًّا فِي مَصْلَحَةِ غَيْرِهِ...

الرَّابِعَةُ: الجُوْدُ بِالْعِلْمِ وَبَذْلِهِ، وَهُوَ مِنْ أَعْلَى مَرَاتِبِ الجُودِ، وَالجُوْدُ بِهِ أَفْضَلُ مِنَ الجُودِ بِالمَالِ؛ لِأَنَّ العِلْمَ أَشْرَفُ مِنَ المَالِ...

الخَامِسَةُ: الجُوْدُ بِالنَّفْعِ بِالجَاهِ؛ كَالشَّفَاعَةِ وَالمَشْيِ مَعَ الرَّجُلِ إِلَى ذِي سُلْطَانٍ وَنَحْوِهِ، وَذَلِكَ زَكَاةُ الجَاهِ المُطَالَبُ بِهَا العَبْدُ، كَمَا أَنَّ التَّعْلِيمَ وَبَذْلَ العِلْمِ زَكَاتُهُ.

السَّادِسَةُ: الجُوْدُ بِنَفْعِ البَدَنِ عَلَى اخْتِلَافِ أَنْوَاعِهِ...

السَّابِعَةُ: الجُوْدُ بِالْعِرْضِ... وَفِي هَذَا الجُودِ مِنْ سَلَامَةِ الصَّدْرِ، وَرَاحَةِ القَلْبِ، وَالتَّخَلُّصِ مِنْ مُعَادَاةِ الخَلْقِ مَا فِيهِ.

الثَّامِنَةُ: الجُوْدُ بِالصَّبْرِ، وَالِاحْتِمَالِ، وَالإِغْضَاءِ، وَهَذِهِ مَرْتَبَةٌ شَرِيفَةٌ مِنْ مَرَاتِبِهِ، وَهِيَ أَنْفَعُ لِصَاحِبِهَا مِنَ الجُودِ بِالمَالِ، وَأَعَزُّ لَهُ وَأَنْصَرُ، وَأَمْلَكُ لِنَفْسِهِ، وَأَشْرَفُ لَهَا، وَلَا يَقْدِرُ عَلَيْهَا إِلَّا النُّفُوسُ الكِبَارُ!...

التَّاسِعَةُ: الجُوْدُ بِالخُلُقِ وَالبِشْرِ وَالبَسْطَةِ، وَهُوَ فَوْقَ الجُودِ بِالصَّبْرِ، وَالِاحْتِمَالِ وَالعَفْوِ، وَهُوَ الَّذِي بَلَغَ بِصَاحِبِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ القَائِمِ، وَهُوَ أَثْقَلُ مَا يُوضَعُ فِي المِيزَانِ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ المَعْرُوفِ شَيْئًا، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ وَوَجْهُكَ مُنْبَسِطٌ إِلَيْهِ»[حَدِيثٌ صَحِيحٌ. رَوَاهُ أَحْمَدُ فِي «المُسْنَدِ»، وأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ بِلَفْظِ: «..بِوَجْهٍ طَلْقٍ»].

العَاشِرَةُ: الجُوْدُ بِتَرْكِهِ مَا فِي أَيْدِي النَّاسِ عَلَيْهِمْ؛ فَلَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهِ، وَلَا يَسْتَشْرِفُ لَهُ بِقَلْبِهِ،

وَلَا يَتَعَرَّضُ لَهُ بِحَالِهِ، وَلَا لِسَانِهِ...".

قِيلَ:

الجُوْدُ: يُغَطِّي كُلَّ عَيْبٍ.

تَسَتَّرْ بِالسَّخَاءِ فَكُلُّ عَيْـــبٍ يُغَطِّيـهِ كَمَا قِيـلَ السَّـخَـــاءُ

وَالجَوَادُ: يَسُوْدُ النَّاسَ بِجُوْدِهِ.

لَوْلَا المَشَقَّةُ سَادَ النَّاسُ كَلُّهُمُ الجُـوْدُ يُفقِـرُ وَالإِقْـدَامُ قَـتَّالُ

اللَّهُمَّ! يَا جَوَادُ: جُدْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِكَ.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ الجَنَّةَ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ، ونَعُوْذُ بِكَ مِنَ النَّـارِ وَمَـا قَـرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ الهُدَى وَالسَّدَادَ، وَنَسْأَلُكَ التُّقَى وَالعِفَّةَ وَالغِنَى.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنَ الخَيْرِ كُلِّهِ؛ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ؛ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَأَنْ تَجْعَلَ كُلَّ قَضَاءٍ قَضَيْتَهُ لَنَا خَيْرًا.

اللَّهُمَّ! أَصْلِحْ لَنَا دِيْنَنَا الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِنَـا، وَأَصْـلِحْ لَنَـا دُنْيَانَـا الَّتِـي فِيهَـا مَعَاشُـنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا آخِرَتَنَا الَّتِي فِيهَا مَعَادُنَا، وَاجْعَلِ الحَيَاةَ زِيَادَةً لَنَا فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَالمَوْتَ رَاحَةً لَنَا مِـنْ كُلِّ شَرٍّ.

اللَّهُمَّ! أَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا، وَأَلِّفْ بَيْنَ قُلُوْبِنَا، وَاهْدِنَا سُبُلَ السَّلَامِ، وَأَخْرِجْنَا مِنَ الظُّلُـمَاتِ إِلَى النُّوْرِ.

اللَّهُمَّ! بَارِكْ لَنَـا فِي أَسْـمَاعِنَا وَأَبْـصَارِنَا وَقُوَّاتِنَـا وَأَزْوَاجِنَـا وَذُرِّيَتِنَـا وَأَمْوَالِنَـا، وَاجْعَلْنَـا مُبَارَكِيْنَ أَيْنَمَا كُنَّا.

وَآخِرُ دَعْوَانَا: أَنِ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ.

الرَّفِيقُ ﷺ

إِنَّ الحَمْدَ لله؛ نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِالله مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَـهَ إِلَّا اللهُ؛ وَحْـدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ.

أَمَّا بَعْدُ:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[آلِ عِمْرَانَ: ١٠٢]،

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾﴾[النِّسَاءَ: ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾[الأَحْزَابِ: ٧٠- ٧١].

عِبَادَ الله..

جَاءَ فِي «الصَّحِيحَيْنِ»: دَخَلَ رَهْطٌ مِنَ اليَهُودِ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ؛ فَقَالُوْا: السَّامُ عَلَيْكُمْ! قَالَتْ عَائِشَةُ: فَفَهِمْتُهَا؛ فَقُلْتُ: وَعَلَيْكُمُ السَّامُ وَاللَّعْنَةُ!

قَالَتْ: فَقَالَ رَسُوْلُ الله ﷺ: «مَهْلًا يَا عَائِشَةُ! إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الأَمْرِ كُلِّـهِ»، فَقُلْـتُ: يَا رَسُولَ الله! أَوَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوْا؟

قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «قَدْ قُلْتُ: وَعَلَيْكُمْ»[هَذَا لَفْظُ البُخَارِيِّ].

وَاهِبُ نَبِيِّنَا هَذَا الخُلُقَ العَظِيمَ هُوَ: اللهُ الرَّفِيقُ ﷻ.

صَحَّ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ»[أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ].

رَبُّنَا ﷻ رَفِيقٌ فِي قَدَرِهِ وَقَضَائِهِ وَأَفْعَالِهِ.

رَبُّنَا ﷻ رَفِيقٌ فِي أَوَامِرِهِ وَأَحْكَامِهِ وَدِينِهِ وَشَرْعِهِ.

وَمِنْ رِفْقِهِ فِي أَفْعَالِهِ: أَنَّهُ ﷻ خَلَقَ المَخْلُوْقَاتِ كُلَّهَا بِالتَّدَرُجِ شَيْئًا فَشَيْئًا؛ بِحَسْبِ حِكْمَتِهِ وَرِفْقِهِ، مَعَ أَنَّهُ قَادِرٌ عَلَى خَلْقِهَا دَفْعَةً وَاحِدَةً، وَفِي لَحْظَةٍ وَاحِدَةٍ.

وَرَبُّنَا ﷻ رَفِيقٌ فِي شَرْعِهِ: فِي أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ؛ فَلَا يُكَلِّفُ العِبَادَ مَا لَا يُطِيقُوْنَ، وَلَمْ يَأْخُذْ عِبَادَهُ بِالتَّكَالِيفِ الشَّاقَّةِ، بَلْ جَعَلَ لَهُمْ الرُّخْصَةَ فِيهَا؛ رِفْقًا بِهِمْ وَرَحْمَةً، وَلَمْ يَأْخُذْ عِبَادَهُ بِالتَّكَالِيفِ دَفْعَةً وَاحِدَةً، بَلْ تَدَرَّجَ بِهِمْ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ؛ حَتَّى تَأْلَفَ النُّفُوْسُ وَتَلِينَ الطِّبَاعُ.

وَمِنْ رِفْقِهِ ﷻ: إِمْهَالُهُ لِصَاحِبِ الذَّنْبِ، وَعَدَمُ مُعَاجَلَتِهِ بِالعُقُوْبَةِ، لِيُنِيبَ إِلَى اللهِ وَيَعُوْدَ إِلَيْهِ.

وَمِنْ رِفْقِهِ ﷻ: أَنَّهُ يَسَّرَ أَسْبَابَ الخَيْرِ كُلِّهَا، وَهُوَ المُتَفَضِّلُ بِهَا، وَأَعْظَمُهَا تَيْسِيرًا: تَيْسِيرُ حِفْظِ كِتَابِهِ وَفَهْمِهِ، ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾﴾[القَمَر:١٧].

وَهُوَ الرَّفِيقُ يُحِبُّ أَهْلَ الرِّفْقِ بَلْ

يُعْطِيهِمُ بِالرِّفْقِ فَوْقَ أَمَانِ

وَإِنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ أَهْلَ الرِّفْقِ، صَحَّ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَيْهِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى العُنْفِ»[حَدِيثٌ صَحِيحٌ. رَوَاهُ أَبُوْ دَاوُدَ].

وَمَنْ عَلِمَ أَنَّ اللهَ رَفِيقٌ ازْدَادَ حُبًّا لله، وَازْدَادَ إِجْلَالًا وَحَمْدًا وَشُكْرًا، وَاللهُ يُحِبُّ أَسْمَاءَهُ وَيُحِبُّ المُتَّصِفِينَ بِهَا -عَدَا مَا بَغَّضَهُ لِعِبَادِهِ مِنهَا-، فَاللهُ رَحِيمٌ يُحِبُّ الرُّحَمَاءَ، كَرِيمٌ يُحِبُّ الكُرَمَاءَ، رَفِيقٌ يُحِبُّ الرُّفَقَاءَ.

وَأَوْلَى النَّاسِ بِهَذَا الخُلُقِ: الأَنْبِيَاءُ، وَعَلَى رَأْسِهِمْ: مُحَمَّدٌ ﷺ، فَقَدْ كَانَتْ حَيَاتُهُ ﷺ مَعَ النَّاسِ يَمْلَؤُهَا الرِّفْقُ، مَا غَضِبَ لِنَفْسِهِ قَطُّ، وَلَا ضَاقَ صَدْرُهُ بِضَعْفِهِمُ البَشَرِيِّ، وَلَا احْتَجَزَ

لِنَفْسِهِ شَيْئًا مِنْ أَعْرَاضِ هَذِهِ الدُّنْيَا، بَلْ أَعْطَاهُمْ كُلَّ مَا مَلَكَتْ يَدَاهُ؛ فِي سَمَاحَةٍ نَدِيَّةٍ، وَوَسِعَهُمْ حِلْمُهُ وَبَرُّهُ، وَعَطْفُهُ وَوُدُّهُ الكَرِيمُ، وَمَا مِنْ امْرِئٍ جَالَسَهُ إِلَّا امْتَلَأَ قَلْبُهُ بِحُبِّهِ؛ وَذَلِكَ لِرِفْقِهِ وَكَرَمِهِ ﷺ.

يَأْتِي الأَعْرَابِيُّ يَبُوْلُ فِي نَاحِيَةِ المَسْجِدِ؛ فَيَقُوْمُ أَصْحَابُ رَسُوْلِ الله ﷺ وَهُمْ يَقُوْلُوْنَ: مَهْ مَهْ! فَقَالَ لَهُمْ رَسُوْلُ الله ﷺ: «لَا تُزْرِمُوهُ، دَعُوهُ!».

فَلَمَّا انْتَهَى؛ دَعَاهُ رَسُوْلُ الله ﷺ؛ فَقَالَ لَهُ: «إِنَّ هَذِهِ المَسَاجِدَ لَا تَصْلُحُ لِشَيْءٍ مِنْ هَذَا البَوْلِ، وَلَا القَذَرِ، إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ الله ﷻ، وَالصَّلَاةِ وَقِرَاءَةِ القُرْآنِ»[أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ].

وَأَوْلَى النَّاسِ بِهَذِهِ الصِّفَةِ بَعْدَ الأَنْبِيَاءِ هُمْ: المُلُوْكُ وَالمَسْؤُوْلُوْنَ، وَالدَّالُّوْنَ عَلَى الله مِنْ أَهْلِ الدَّعْوَةِ وَالعِلْمِ، وَكَذَلِكَ الآبَاءُ.. فَالنَّاسُ لَدَيْهِمْ مِنَ الهُمُوْمِ مَا يَكْفِيهِمْ، وَهُمْ بِحَاجَةٍ إِلَى مَنْ يُوَاسِيهِمْ لَا مَنْ يُعَنِّفُهُمْ، يَحْتَاجُوْنَ إِلَى كَنَفٍ رَحِيمٍ، وَإِلَى رِعَايَةٍ فَائِقَةٍ، وَإِلَى بَشَاشَةٍ سَمِحَةٍ، وَإِلَى وُدٍّ يَسَعُهُمْ..

فَالنَّاسُ أَحْوَجُ إِلَى الرِّفْقِ مِنَ العَطَاءِ مَعَ الغِلْظَةِ، وَأَوْلَى النَّاسِ بِالرِّفْقِ: نَفْسُكَ، ثُمَّ وَالِدَاكَ وَالزَّوْجَةُ وَالأَبْنَاءُ وَالرَّعِيَّةُ وَالعامِلُوْنَ مَعَكَ وَصَحْبُكَ.

يَلِينُ لِكُلِّ ذِيْ ضَعْفٍ وَعَجْزٍ ... وَكَمْ لَانَ لِذِي جَهْلٍ فَلَانَا
رَسُوْلٌ يَحْمِلُ الأَطْفَالَ لُطْفًا ... وَيَجْعَلُ عَاتِقَيْهِ لَهُمْ حِصَانَا
يُلَاطِفُ أَهْلَهُ أَكْرِمْ بِزَوْجٍ ... يُعِفُّ الأَهْلَ يَغْمُرُهُمْ حَنَانَا
زَعِيمُ القَوْمِ خَادِمُهُمْ فَطُوْبَى ... لِمَنْ خَدَمَ الرَّعِيَّةَ أَوْ أَعَانَا
تَشَبَّهْ بِالرَّسُوْلِ تَفُزْ بُدُنْيَا ... وَأُخْرَى وَالشَّقِيُّ مَنِ اسْتَهَانَا

أَقُولُ قَولِي هَذَا، وَأَستَغْفِرُ اللهَ لِي وَلَكُمْ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرُوهُ؛ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ:

الْحَمْدُ لله حَمْدًا طَيِّبًا كَثِيرًا مُبَارَكًا فِيهِ كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنِ اهْتَدَى بِهُدَاهُمْ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

عِبَادَ الله..

صَحَّ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّهُ مَنْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ الرِّفْقِ؛ فَقَدْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنْ خَيْرِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَصِلَةُ الرَّحِمِ وَحُسْنُ الخُلُقِ وَحُسْنُ الجِوَارِ يَعْمُرَانِ الدِّيَارَ، وَيَزِيدَانِ فِي الأَعْمَارِ» [حَدِيثٌ صَحِيحٌ. رَوَاهُ أَحْمَدُ فِي «المُسْنَدِ»].

وَصَحَّ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِذَا أَرَادَ اللهُ ﷻ بِأَهْلِ بَيْتٍ خَيْرًا: أَدْخَلَ عَلَيْهِمُ الرِّفْقَ»[حَدِيثٌ صَحِيحٌ. رَوَاهُ أَحْمَدُ فِي «المُسْنَدِ»].

وَقَالَ ﷺ: «إِنَّ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ»[أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ].

وَلِذَا؛ أَبْغَضُ الخَلْقِ عِنْدَ الخَلْقِ: الفَظُّ الغَلِيظُ؛ فَاللهُ ﷻ قَالَ: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾[آلِ عِمْرَانَ:١٥٩]، وَقَالَ ﷺ: «مَنْ حُرِمَ الرِّفْقَ حُرِمَ الخَيْرَ» أَوْ «مَنْ يُحْرَمِ الرِّفْقَ يُحْرَمِ الخَيْرَ»[أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ].

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الرَّفِيقِ: أَنْ تَرْفِقَ بِنَا، وتُيَسِّرَ لَنَا الخَيْرَ كُلَّهُ.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ الجَنَّةَ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ، ونَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ الهُدَى وَالسَّدَادَ، وَنَسْأَلُكَ التُّقَى وَالعِفَّةَ وَالغِنَى.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنَ الخَيْرِ كُلِّهِ؛ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ

الشَّرِّ كُلِّهِ؛ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَأَنْ تَجْعَلَ كُلَّ قَضَاءٍ قَضَيْتَهُ لَنَا خَيْرًا.

اللَّهُمَّ! أَصْلِحْ لَنَا دِيْنَنَا الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا دُنْيَانَا الَّتِي فِيهَا مَعَاشُنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا آخِرَتَنَا الَّتِي فِيهَا مَعَادُنَا، وَاجْعَلِ الحَيَاةَ زِيَادَةً لَنَا فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَالمَوْتَ رَاحَةً لَنَا مِنْ كُلِّ شَرٍّ.

اللَّهُمَّ! أَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا، وَأَلِّفْ بَيْنَ قُلُوْبِنَا، وَاهْدِنَا سُبَلَ السَّلَامِ، وَأَخْرِجْنَا مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوْرِ.

اللَّهُمَّ! بَارِكْ لَنَا فِي أَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوَّاتِنَا وَأَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّتِنَا وَأَمْوَالِنَا، وَاجْعَلْنَا مُبَارَكِيْنَ أَيْنَمَا كُنَّا.

وَآخِرُ دَعْوَانَا: أَنِ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ.

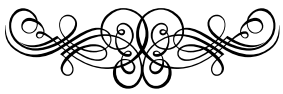

السِّيَادَةُ

إِنَّ الحَمْدَ للهِ؛ نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؛ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

أَمَّا بَعْدُ:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[آلِ عِمْرَانَ: ١٠٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾[النِّسَاءَ: ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾[الأَحْزَابِ: ٧٠- ٧١].

عِبَادَ اللهِ..

جَاءَ فِي «سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ» عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ الشِّخِّيرِ ﷺ قَالَ: انْطَلَقْتُ فِي وَفْدِ بَنِي عَامِرٍ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ: فَقُلْنَا: أَنْتَ سَيِّدُنَا، فَقَالَ: «السَّيِّدُ اللهُ ﷻ».

قُلْنَا: وَأَفْضَلُنَا فَضْلًا، وَأَعْظَمُنَا طَوْلًا، فَقَالَ: «قُولُوا بِقَوْلِكُمْ، أَوْ بَعْضِ قَوْلِكُمْ، وَلَا يَسْتَجْرِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ»[حَدِيثٌ صَحِيحٌ].

وَفِي اللُّغَةِ: السَّيِّدُ: الَّذِي فَاقَ غَيْرَهُ بِالْحِلْمِ وَالْمَالِ وَالرِّفْعَةِ وَالنَّفْعِ، وَالْمُعْطِي مَالَهُ فِي حُقُوقِهِ.

وَيُطْلَقُ السَّيِّدُ عَلَى: مَنْ لَا يَغْلِبُهُ غَضَبُهُ، وَيُطْلَقُ عَلَى: الكَرِيمِ وَالمَلِكِ وَالرَّئِيسِ.

وَسَيِّدُ العَبْدِ: مَوْلَاهُ، وَسَيِّدُ المَرْأَةِ: زَوْجُهَا، قَالَ ﷻ: ﴿وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ﴾[يُوْسُفَ: ٢٥].

وَالسُّؤْدُدُ: الشَّرَفُ.

وَسَيِّدُ كُلِّ شَيْءٍ: أَشْرَفُهُ وَأَرْفَعُهُ.

فَمَنِ الَّذِي كَمُلَ فِي سُؤْدُدِهِ غَيْرُ الله ﷻ؟!

فَرَبُّنَا ﷻ هُوَ السَّيِّدُ؛ الَّذِي قَدْ كَمُلَ فِي سُؤْدُدِهِ، وَالشَّرِيفُ الَّذِي قَدْ كَمُلَ فِي شَرَفِهِ، وَالعَظِيمُ الَّذِي قَدْ كَمُلَ فِي عَظَمَتِهِ، وَالحَلِيمُ الَّذِي قَدْ كَمُلَ فِي حِلْمِهِ، وَالغَنِيُّ الَّذِي قَدْ كَمُلَ فِي غِنَاهِ، وَالجَبَّارُ الَّذِي قَدْ كَمُلَ فِي جَبَرُوْتِهِ، وَالعَالِمُ الَّذِي قَدْ كَمُلَ فِي عِلْمِهِ، وَالحَكِيمُ الَّذِي قَدْ كَمُلَ فِي حِكْمَتِهِ.

فَاللهُ ﷻ السَّيِّدُ الَّذِي كَمُلَ فِي أَنْوَاعِ الشَّرَفِ وَالسُّؤْدُدِ.

هَذِهِ صِفَاتُهُ ﷻ الَّتِي لَا يُشَارِكُهُ فِيهَا أَحَدٌ، وَلَا يُنَازِعُهُ فِيهَا مَخْلُوْقٌ.

الخَلْقُ كُلُّهُمْ عَبِيدٌ لَهُ ﷻ، كُلُّهُمْ مُحْتَاجُوْنَ إِلَيْهِ؛ المَلَائِكَةُ وَالإِنْسُ وَالجِنُّ لَيْسُوْا فِي غِنىً عَنْهُ؛ فَهُمُ الفُقَرَاءُ إِلَى كَرَمِهِ وَلُطْفِهِ وَرِعَايَتِهِ، فَكَانَ حَقًّا لَهُ ﷻ أَنْ يَكُوْنَ سَيِّدًا، وَكَانَ حَقًّا عَلَيْهِمْ أَنْ يَدْعُوْهُ بِهَذَا الاسِمِ.

رَبُّنَا ﷻ السَّيِّدُ المُتَصَرِّفُ فِي الكَوْنِ؛ لَا نِدَّ لَهُ.

وَهُوَ ﷻ السَّيِّدُ الَّذِي يَنْبَغِي أَنْ تُصْرَفَ لَهُ وَحْدَهُ الطَّاعَةُ وَالذُّلُّ وَالخُضُوْعُ، لَا شَرِيكَ لَهُ.

فَهُوَ السَّيِّدُ المَعْبُوْدُ؛ لَا شَرِيكَ لَهُ: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ﴾[الأَنْعَامِ: ١٦٤]، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ ﷺ: "إِلَهًا سَيِّدًا".

قَدْ يُعْطَى الإِنْسَانُ أَمْوَالًا، وَقَدْ يُرْزَقُ عِيَالًا، وَيُوَهَبُ جَاهًا، أَوْ يَنَالُ مَنْصِبًا وَمَرْكِزًا كَرِيمًا،

أَوْ زَعَامَةً عَرِيضَةً، أَوْ رِيَاسَةً مَكِينَةً، قَدْ يَحُفُّ بِهِ الخَدَمُ، وَيُحِيطُ بِهِ الجُنْدُ، وَتَحْرُسُهُ الجُيُوْشُ، وَتَرْضَخُ لَهُ النَّاسُ، وَتَذِلُّ لَهُ الرُّؤُوْسُ، وَتَدِينُ لَهُ الشُّعُوْبُ؛ فَيَبْلَغُ مِنْ سُؤْدِدِ هَذِهِ الدُّنْيَا مَبْلَغًا عَظِيمًا؛ لَكِنَّهُ سُؤْدُدٌ نَاقِصٌ زَائِلٌ.

خَدَعَتْهُمُ الأَحْلَامُ فِي سِنَةِ الكَرَى

مَا أَكْذَبَ الأَحْلَامَ وَالتَّأْوِيلَا!

وَمَنْ آمَنَ بِأَنَّ اللهَ هُوَ: السَّيِّدُ الحَقِيقِيُّ؛ تَعَلَّقَ قَلْبُهُ بِهِ وَحْدَهُ ﷻ؛ تَعلُّقَ خَوْفٍ وَرَجَاءٍ وَاسْتِعَانَةٍ وَتَوَكُّلٍ؛ لِأَنَّهُ المُتَصَرِّفُ فِي شُؤُوْنِ العِبَادِ، وَمَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِها، وَالعِبَادُ جَمِيعًا فُقَرَاءُ إِلَيْهِ؛ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾[فَاطِرٍ:١٥]، فَلَا يَذِلُّ وَلَا يَخْضَعُ إِلَّا للهِ الوَاحِدِ القَهَّارِ السَّيِّدِ الصَّمَدِ.

ذَكَرَ ابْنُ كَثِيرٍ فِي سِيرَةِ الإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ ﷺ عِنْدَمَا كَانَ مَسْجُوْنًا، وَقَدْ تَوَعَّدَهُ الخَلِيفَةُ العَبَّاسِيُّ المَأْمُوْنُ بِالقَتْلِ، قَالَ:"جَاءَ خَادِمٌ، وَهُوَ يَمْسَحُ دُمُوعَهُ بِطَرَفِ ثِيَابِهِ، وَهُوَ يَقُولُ: يَعِزُّ عَلَيَّ يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ! أَنَّ المَأْمُونَ قَدْ سَلَّ سَيْفًا لَمْ يَسُلَّهُ قَبْلَ ذَلِكَ، وَبَسَطَ نِطْعًا لَمْ يَبْسُطْهُ قَبْلَ ذَلِكَ، وَأَنَّهُ يُقْسِمُ بِقَرَابَتِهِ [قَسَمٌ مُحَرَّمٌ] مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَئِنْ لَمْ تُجِبْهُ إِلَى القَوْلِ بِخَلْقِ القُرْآنِ؛ لَيَقْتُلَنَّكَ بِذَلِكَ السَّيْفِ.

قَالَ: فَجَثَا الإِمَامُ أَحْمَدُ عَلَى رُكْبَتَيْهِ، وَرَمَقَ بِطَرْفِهِ إِلَى السَّمَاءِ، ثُمَّ قَالَ: سَيِّدِي! غَرَّ حِلْمُكَ هَذَا الفَاجِرَ حَتَّى يَتَجَبَّرَ عَلَى أَوْلِيَائِكَ بِالضَّرْبِ وَالقَتْلِ، اللَّهُمَّ فَإِنْ يَكُنِ القُرْآنُ كَلَامَكَ غَيْرَ مَخْلُوقٍ فَاكْفِنَا مُؤْنَتَهُ!

قَالَ: فَجَاءَهُمُ الصَّرِيخُ بِمَوْتِ المَأْمُونِ فِي الثُّلُثِ الأَخِيرِ مِنَ اللَّيْلِ".

وَهُوَ الإِلَهُ السَّيِّدُ الصَّمَدُ الَّذِي

صَمَدَتْ إِلَيْهِ الخَلْقُ بِالإِذْعَانِ

الكَامِلُ الأَوْصَافِ مِنْ كُلِّ الوُجُوْهِ

كَمَالُــهُ مَــا فِيــهِ مِــنْ نُقْــصَانِ

أَقُولُ قَولِي هَذَا، وَأَستَغْفِرُ اللهَ لِي وَلَكُمْ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرُوهُ؛ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ:

الحَمْدُ للهِ حَمْدًا طَيِّبًا كَثِيرًا مُبَارَكًا فِيهِ كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَـهُ، وَأَشْـهَدُ أَنَّ مُحَمَّـدًا عَبْـدُهُ وَرَسُـولُهُ، صَـلَّى اللهُ وَسَـلَّمَ وَبَـارَكَ عَلَيْـهِ وَعَـلَى آلِـهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنِ اهْتَدَى بِهُدَاهُمْ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

عِبَادَ اللهِ..

أَرْكَانُ السُّؤْدُدِ فِي الخَلْقِ: الكَرَامَةُ، وَالشَّرَفُ، وَالرِّفْعَةُ، وَعُلُوُّ الذِّكْرِ، وَهَـذِهِ لَا تَكُـوْنُ إِلَّا فِي طَاعَةِ اللهِ ﷻ؛ وَلِذَلِكَ سَادَ الأَنْبِيَاءُ وَالأَوْلِيَاءُ، وَكَانُوْا شَامَةً بَيْنَ النَّاسِ.

وَأَمَّا مَنِ ابْتَعَدَ عَنِ اللهِ وَكَفَرَ بِهِ؛ فَـلَا كَرَامَـةَ لَـهُ وَلَا سِيَادَةَ، وَإِنْ حَـصَلَتْ لَهُـمُ الـسِّيَادَةُ الدُّنْيَوِيَّةُ فَهِيَ زَائِفَةٌ وَمُؤَقَّتَةٌ.

وَلِذَا؛ جَاءَ النَّهْيُ عَنْ تَسْمِيَةِ المُنَافِقِ بِالسَّيِّدِ، رَوَى أَبُوْ دَاوُدَ عَنْهُ ﷺ أَنَّـهُ قَـالَ: «لَا تَقُوْلُـوْا لِلْمُنَافِقِ: سَيِّدٌ، فَإِنَّهُ إِنْ يَكُ سَيِّدًا فَقَدْ أَسْخَطْتُمْ رَبَّكُمْ ﷻ»[حَدِيثٌ صَحِيحٌ].

وَإِطْـلَاقُ (الـسَّيِّدِ) عَـلَى المَخْلُـوْقِ: جَـائِزٌ؛ لِقَوْلِـهِ ﷺ عَـنْ يَحْيَـى عليه السلام: ﴿وَسَيِّدًا﴾[آلِ عِمْرَانَ:٣٩]، وجَاءَ فِي حَدِيثِ الشَّفَاعَةِ: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ وَلَا فَخْرَ»[حَـدِيثٌ صَـحِيحٌ. رَوَاهُ ابْنُ مَاجه]، وَقَوْلِهِ ﷺ فِي سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ رضي الله عنه: «قُومُوا إِلَى سَيِّدِكُمْ»[حَدِيثٌ صَـحِيحٌ. رَوَاهُ أَبُـوْ دَاوُدَ].

وَلَا تَعَارُضَ بَيْنَهُمَا وَبَيْنَ رِوَايَةِ: «السَّيِّدُ اللهُ»[حَدِيثٌ صَحِيحٌ. رَوَاهُ أَبُـوْ دَاوُدَ]؛ لِأَنَّ سَـيِّدَ الخَلْقِ عِنْدَ المُؤْمِنِينَ يُقْصَدُ بِهَا: الرِّئَاسَةُ وَالإِمَامَةُ.

وَالعَرَبُ تَقُوْلُ: فُلَانٌ سَيِّدُنَا؛ أَيْ: رَئِيسُنَا وَالَّذِي نُعظِّمُهُ.

وَأَمَّا وَصْفُ الله ﷻ بِالسَّيِّدِ فَمَعْنَاهُ: أَنَّهُ مَالِكُ الخَلْقِ، وَالخَلْقُ كُلُّهُمْ عَبِيدُهُ.

وَنَهْيُ النَّبِيِّ ﷺ عَنْهُ لَـمَّا قِيلَ لَهُ: أَنْتَ سَيِّدُنَا، قَالَ: «السَّيِّدُ اللهُ، قُولُوا بِقَوْلِكُمْ، أَوْ بَعْضِ قَوْلِكُمْ، وَلَا يَسْتَجْرِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ»[حَدِيثٌ صَحِيحٌ. رَوَاهُ أَبُوْ دَاوُدَ]، فِيهِ: دَلِيلٌ عَلَى: حِمَايَةِ المُصْطَفَى ﷺ حِمَى التَّوْحِيدِ، وَصِيَانَتِهِ لِجَنَابِهِ، وَسَدِّ طُرُقِ الشِّرْكِ.

وَكَرِهَ ﷺ أَنْ يُمْدَحَ فِي وَجْهِهِ، مَعَ أَنَّهُمْ لَمْ يَقُوْلُوْا إِلَّا حَقًّا، فَهُوَ القَائِلُ: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ» [أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ]، وَخَوْفًا عَلَيْهِمْ مِنِ انْصِرَافِ القَلْبِ إِلَى نَوْعٍ مِنَ التَّعَلُّقِ بِالمَخْلُوْقِينَ وَالذُّلِّ لَهُمْ وَالانْكِسارِ؛ الَّذِي لَا يَحِلُّ وَلَا يَجُوْزُ صَرْفُهُ إِلَّا لله الوَاحِدِ القَهَّارِ.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ السَّيِّدِ: أَنْ تَرْفَعَ ذِكْرَنَا، وَتَضَعَ وِزْرَنَا؛ فَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ الجَنَّةَ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ، ونَعُوْذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ الهُدَى وَالسَّدَادَ، وَنَسْأَلُكَ التُّقَى وَالعِفَّةَ وَالغِنَى.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنَ الخَيْرِ كُلِّهِ؛ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ؛ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَأَنْ تَجْعَلَ كُلَّ قَضَاءٍ قَضَيْتَهُ لَنَا خَيْرًا.

اللَّهُمَّ! أَصْلِحْ لَنَا دِيْنَنَا الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا دُنْيَانَا الَّتِي فِيهَا مَعَاشُنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا آخِرَتَنَا الَّتِي فِيهَا مَعَادُنَا، وَاجْعَلِ الحَيَاةَ زِيَادَةً لَنَا فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَالمَوْتَ رَاحَةً لَنَا مِنْ كُلِّ شَرٍّ.

اللَّهُمَّ! أَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا، وَأَلِّفْ بَيْنَ قُلُوْبِنَا، وَاهْدِنَا سُبُلَ السَّلَامِ، وَأَخْرِجْنَا مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوْرِ.

اللَّهُمَّ! بَارِكْ لَنَا فِي أَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوَّاتِنَا وَأَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّتِنَا وَأَمْوَالِنَا، وَاجْعَلْنَا مُبَارَكِيْنَ أَيْنَمَا كُنَّا.

وَآخِرُ دَعْوَانَا: أَنِ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ.

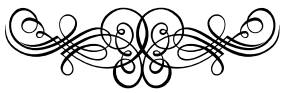

الطَّيِّبُ ﷺ

إِنَّ الحَمْدَ لله؛ نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِالله مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَـهَ إِلَّا اللهُ؛ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

أَمَّا بَعْدُ:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[آلِ عِمْرَانَ: ١٠٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾[النِّسَاءَ: ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾[الأَحْزَابِ: ٧٠- ٧١].

عِبَادَ الله..

جَاءَ فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ؛ فَقَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾﴾[الْمُؤْمِنُونَ:٥١]، وَقَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾[البَقَرَةِ:١٧٢]».

ثُمَّ ذَكَرَ: «الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ، أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ: يَا رَبِّ.. يَا رَبِّ! وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالحَرَامِ؛ فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟!».

فَرَبُّنَا ﷻ مُطَهَّرٌ عَنْ كُلِّ النَّقَائِصِ وَالعُيُوبِ، مُنَزَّهٌ عَنْ كُلِّ آفَةٍ وَشَرٍّ وَسُوْءٍ؛ لِكَمَالِهِ ﷻ وَجَلَالِهِ مِنْ كُلِّ الوُجُوْهِ.

وَرَبُّنَا ﷻ مُنَزَّهٌ عَنْ كُلِّ وَصْفٍ خَالٍ مِنْ كَمَالٍ أَوْ خَالٍ مِنْ طِيبِ الثَّنَاءِ؛ فِي أَيِّ حَالٍ مِنَ الأَحْوَالِ.

وَرَبُّنَا ﷻ الطَّيِّبُ فِي ذَاتِهِ؛ فَهِيَ أَكْمَلُ الذَّوَاتِ، المُتَّصِفَةُ بِأَعْلَى الصِّفَاتِ وَأَكْمَلِهَا.

وَالطَّيِّبُ فِي أَسْمَائِهِ ﷻ؛ لِإِنْبَائِهَا عَنْ أَحْسَنِ المَعَانِي، وَأَشْرَفِ الدِّلَالَاتِ.

وَالطَّيِّبُ فِي أفعاله ﷻ؛ لِأَنَّهَا فِي غَايَةِ الحَقِّ وَالصَّوَابِ، فَلَا يَفْعَلُ إِلَّا الأَكْمَلَ وَالأَحْسَنَ وَالأَطْيَبَ.

وَالطَّيِّبُ فِي أَقْوَالِهِ ﷻ، فمِنْهُ الصِّدْقُ فِي الأَخْبَارِ، وَالعَدْلُ فِي الأَوَامِرِ وَالمَنْهِيَاتِ.

وَهُوَ ﷻ الطَّيِّبُ فِي أَحْكَامِهِ القَدَرِيَّةِ، فَهُوَ مُنَزَّهٌ عَنِ الشَّرِّ؛ «وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ»[أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ].

وَطَيِّبٌ فِي أَحْكَامِهِ الشَّرْعِيَّةِ؛ لِأَنَّهَا مُتَضَمِّنَةٌ مَصْلَحَةَ العِبَادِ.

وَطَيِّبٌ فِي أَحْكَامِهِ الجزائية؛ لِأَنَّهُ يَحْكُمُ بِعَدْلِهِ وَقِسْطِهِ وَفَضْلِهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ.

وَاللهُ ﷻ طَيَّبَ الجَنَّةَ لِلْمُؤْمِنِينَ؛ فَجَعَلَهَا ذَاتَ رِيحٍ طَيِّبَةٍ، ﴿وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴿٦﴾﴾[مُحَمَّدٍ:٦].

فَإِذَا كَانَ اللهُ ﷻ الطَّيِّبُ عَلَى الإِطْلَاقِ؛ فَهُوَ لَا يَقْبَلُ مِنَ الأَعْمَالِ وَالأَقْوَالِ إِلَّا مَا كَانَ مَوْصُوْفًا بِالطِّيبِ؛ ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾[فَاطِرٍ:١٠]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾[البَقَرَةِ:٢٦٧].

وَعِنْدَ البُخَارِيِّ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ؛ وَلَا يَقْبَلُ اللهُ إِلَّا الطَّيِّبَ، وَإِنَّ اللهَ يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يُرَبِّيهَا لِصَاحِبِهَا كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ؛ حَتَّى تَكُوْنَ

مِثْلَ الجَبَلِ».

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنَ الطَّيِّبِينَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ؛ يَا رَبَّ العَالَمِينَ!

أَقُولُ قَولِي هَذَا، وَأَستَغْفِرُ اللهَ لِي وَلَكُمْ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرُوهُ؛ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ:

الحَمْدُ للهِ حَمْدًا طَيِّبًا كَثِيرًا مُبَارَكًا فِيهِ كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنِ اهْتَدَى بِهُدَاهُمْ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

عِبَادَ اللهِ..

المُؤْمِنُ كُلُّهُ طَيِّبٌ: قَلْبُهُ وَلِسَانُهُ وَجَسَدُهُ؛ بِمَا يَسْكُنُ فِي قَلْبِهِ مِنَ الإِيمَانِ، وَيَظْهَرُ عَلَى لِسَانِهِ مِنَ الذِّكْرِ، وَعَلَى جَوَارِحِهِ مِنَ الأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ؛ الَّتِي هِيَ ثَمَرَةُ الإِيمَانِ، وَلِذَلِكَ؛ اشْتَقَّ اللهُ ﷻ لِلطَّيِّبِينَ اسْمًا مِنْ أَسْمَائِهِ الحُسْنَى وَوَصْفًا مِنْ أَوْصَافِهِ؛ فَقَالَ ﷻ: ﴿وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾﴾[النُّورِ:٢٦].

وَهَدَى أَوْلِيَاءَهُ الطَّيِّبِينَ: ﴿وَهُدُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٢٤﴾﴾ [الحَجِّ:٢٤].

فَالمُؤْمِنُ طَيِّبٌ، حَسَنُ الخُلُقِ، لَا يَتَأَثَّرُ بِسَفَهِ السَّفَهَاءِ، لَا يَتْرُكُ كَرَمَهُ لِبُخْلِ البُخَلَاءِ، يُقَابِلُ غَدْرَ الأَصْحَابِ بِالوَفَاءِ، يَلْبَسُ الحَيَاءَ إِذَا لَقِيَ الفُجُورَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ بِالعَطَاءِ إِذَا قَبَضَ النَّاسُ أَيْدِيَهُمْ، حَلِيمٌ لَا يَسْتَخِفُّهُ طَيْشُ الجَاهِلِينَ، أَمِينٌ إِذَا كَثُرَ الخَائِنُونَ، وَإِذَا قَلَّ النَّاصِحُونَ كَانَ نَاصِحًا، وَإِذَا كَثُرَ الكَاذِبُونَ كَانَ هُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ، الأَصْلُ فِيهِ: حُسْنُ الخُلُقِ، وَالطِّيبُ حَالُهُ؛ كَالنَّخْلِ.

كُنْ كَالنَّخِيلِ عَنِ الأَحْقَادِ مُرْتَفِعًا ... يُرْمَى بِصَخْرٍ فَيُلْقِي أَطْيَبَ الثَّمَرِ

يَقُوْلُ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ ﷺ: "كُنْتُ أَمْشِي مَعَ رَسُولِ الله ﷺ وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظُ الحَاشِيَةِ، فَأَدْرَكَهُ أَعْرَابِيٌّ؛ فَجَبَذَ بِرِدَائِهِ جَبْذَةً شَدِيدَةً! فَنَظَرْتُ إِلَى صَفْحَةِ عَاتِقِ النَّبِيِّ ﷺ وَقَدْ أَثَّرَتْ بِهَا حَاشِيَةُ الرِّدَاءِ مِنْ شِدَّةِ جَبْذَتِهِ! ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ! مُرْ لِي مِنْ مَالِ اللهِ الَّذِي عِنْدَكَ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ؛ فَضَحِكَ، ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ".

وَلِهذا لَـمَّا طَابَ الْمُؤْمِنُ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا؛ أَكْرَمَهُ اللهُ بِدُخُوْلِ دَارِ الطَّيِّبِينَ: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾﴾[النَّحْلِ:٣٢]، ﴿وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾[التَّوْبَةِ:٧٢].

اللَّهُمَّ! اجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ الطَّيِّبِينَ الَّذِينَ يُقَالُ لَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ: ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٤٩﴾﴾[الأَعْرَافِ:٤٩].

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ الجَنَّةَ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ، ونَعُوْذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ الهُدَى وَالسَّدَادَ، وَنَسْأَلُكَ التُّقَى وَالعِفَّةَ وَالغِنَى.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنَ الخَيْرِ كُلِّهِ؛ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ؛ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَأَنْ تَجْعَلَ كُلَّ قَضَاءٍ قَضَيْتَهُ لَنَا خَيْرًا.

اللَّهُمَّ! أَصْلِحْ لَنَا دِيْنَنَا الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا دُنْيَانَا الَّتِي فِيهَا مَعَاشُنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا آخِرَتَنَا الَّتِي فِيهَا مَعَادُنَا، وَاجْعَلِ الحَيَاةَ زِيَادَةً لَنَا فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَالمَوْتَ رَاحَةً لَنَا مِنْ كُلِّ شَرٍّ.

اللَّهُمَّ! أَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا، وَأَلِّفْ بَيْنَ قُلُوْبِنَا، وَاهْدِنَا سُبُلَ السَّلَامِ، وَأَخْرِجْنَا مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوْرِ.

اللَّهُمَّ! بَارِكْ لَنَا فِي أَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوَّاتِنَا وَأَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّتِنَا وَأَمْوَالِنَا، وَاجْعَلْنَا مُبَارَكِيْنَ أَيْنَمَا كُنَّا.

وَآخِرُ دَعْوَانَا: أَنِ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ.

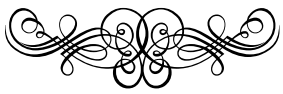

المُحْسِنُ ﷻ

إِنَّ الحَمْدَ لله؛ نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِالله مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَـهَ إِلَّا اللهُ؛ وَحْـدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ.

أَمَّا بَعْدُ:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[آلِ عِمْرَانَ: ١٠٢]،

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾﴾[النِّسَاءَ: ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾[الأَحْزَابِ: ٧٠- ٧١].

عِبَادَ الله..

إِنَّ مِنْ أَسْمَاءِ الله الحُسْنَى: (المُحْسِنِ ﷻ)، فَهَلْ رَأَيْتُمْ أَشَدَّ مِنْهُ إِحْسَانًا وَكَرَمًا وَجُوْدًا؟!

صَحَّ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِذَا حَكَمْتُمْ فَاعْـدِلُوْا، وَإِذَا قَتَلْـتُمْ فَأَحْـسِنُوْا، فَـإِنَّ اللهَ ﷻ مُحْـسِنٌ يُحِبُّ الإِحْسَانَ»[حَدِيثٌ حَسَنٌ. رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي «المُعْجَمِ الأَوْسَطِ»].

رَبُّنَا ﷻ بَلَغَ الكَمَالَ فِي ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ؛ ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَا﴾[الأَعْرَافِ: ١٨٠]، فَلَا أَحْسَنَ وَلَا أَكْمَلَ مِنْهُ!

وَرَبُّنَا ﷻ هُوَ: ﴿ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥ﴾[السَّجْدَةِ: ٧].

فَالإِحْسَانُ لَهُ وَصْفٌ لَازِمٌ، فَلَا يَخْلُوْ مَوْجُوْدٌ مِنْ إِحْسَانِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ، فَهُـوَ غَمَـرَ الخَلْـقَ

جَمِيعًا بِإِحْسَانِهِ وَفَضْلِهِ؛ بَرَّهُمْ وَفَاجِرَهُمْ، مُؤْمِنَهُمْ وَكَافِرَهُمْ، وَلَا قِيَامَ لَهُمْ وَلَا بَقَاءَ إِلَّا بِهِ وَبِجُوْدِهِ وَإِنْعَامِهِ.

وَيَتَجَلَّى إِحْسَانُ اللهِ ﷻ لِلْعَبْدِ بِأَنْ أَخْرَجَهُ مِنَ العَدَمِ إِلَى الوُجُوْدِ، ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴿١﴾﴾[الإِنْسَانِ:١]، ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾﴾[السَّجْدَةِ:٧].

ثُمَّ صَوَّرَهُ فِي أَحْسَنِ صُوْرَةٍ: ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾[غَافِرٍ:٦٤].

ثُمَّ جَعَلَ لَهُ عَقْلًا يُمَيِّزُ بَيْنَ الحَقِّ وَالبَاطِلِ: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾﴾[البَلَدِ:١٠].

وَسَخَّرَ لَهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا فِيهِنَّ: ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾[لُقْمَانَ:٢٠].

وَأَسْبَغَ عَلَيْهِ النِّعَمَ الَّتِي لَا تُعَدُّ وَلَا تُحْصَى: ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾[إِبْرَاهِيمَ:٣٤].

وَأَعْظَمُ الإِحْسَانِ لِلْعَبْدِ: تَوْفِيقُهِ لِهَذَا الدِّينِ، وَشَرْحُ صَدْرِهِ لِلْإِسْلَامِ وَالثَّبَاتُ عَلَى الحَقِّ إِلَى المَمَاتِ، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾[النَّحْلِ:١٢٨]، وَتَوْفِيقُ أَوْلِيَائِهِ إِلَى الحَيَاةِ الطَّيِّبَةِ الآمِنَةِ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾[النَّحْلِ:٩٧]..

وَتَفْرِيجُ كَرْبِ أَوْلِيَائِهِ هُوَ: إِنْجَاؤُهُمْ مِنَ الشَّدَائِدِ وَالهُمُوْمِ؛ فَاللهُ ﷻ قَالَ حِكَايَةً عَنْ يُوْسُفَ ﷺ: ﴿إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ﴾[يُوْسُفَ:١٠٠].

وَمِنَ الإِحْسَانِ إِلَى أَوْلِيَائِهِ: الثَّنَاءُ عَلَيْهِمْ لِحُسْنِ عِبَادَتِهِمْ وَطَاعَتِهِمْ، جَاءَ فِي «صَحِيحِ ابْنِ حِبَّانَ» عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ اللهَ قَدْ أَحْسَنَ الثَّنَاءَ عَلَيْكُمْ فِي الطُّهُوْرِ»[حَدِيثٌ صَحِيحٌ].

ثُمَّ يَتَجَلَّى كَمَالُ إِحْسَانِهِ لِأَوْلِيَائِهِ فِي الدَّارِ الآخِرَةِ؛ الَّذِي هُوَ أَعْلَى الإِحْسَانِ وَزِيَادَةٌ، قَالَ ﷻ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾[يُونُس:٢٦]، فَالحُسْنَى لَهُمْ: الجَنَّةُ، وَالزِّيَادَةُ: النَّظَرُ إِلَى وَجْهِ رَبِّهِمُ الأَعْلَى؛ الَّذِي لَا أَحْسَنَ وَلَا أَجْمَلَ وَلَا أَكْمَلَ وَلَا أَسْمَى مِنْهُ!

وَجَمَعَ ﷻ لَهُمْ مِنَ الثَّوَابَيْنِ: المُعَجَّلِ وَالمُؤَجَّلِ فِي قوله: ﴿فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾﴾[آل عِمْرَان:١٤٨].

وَرَبُّنَا ﷻ إِحْسَانُهُ عَظِيمٌ؛ فَأَحْسَنَ شَرْعَهُ وَجَعَلَهُ مُشْتَمِلًا عَلَى العَوَاقِبِ الحَمِيدَةِ، وَالغَايَاتِ العَظِيمَةِ؛ الَّتِي فِيهَا خَيْرٌ لِكُلِّ الخَلْقِ، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [المَائِدَة:٥٠].

اللَّهُمَّ! اجْعَلْنَا مِنَ المُحْسِنِينَ؛ يَا رَبَّ العَالَمِينَ!

أَقُولُ قَولِي هَذَا، وَأَستَغْفِرُ اللهَ لِي وَلَكُمْ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرُوهُ؛ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ:

الحَمْدُ للهِ حَمْدًا طَيِّبًا كَثِيرًا مُبَارَكًا فِيهِ كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنِ اهْتَدَى بِهُدَاهُمْ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

عِبَادَ اللهِ..

رَبُّنَا ﷻ يُحِبُّ أَسْمَاءَهُ، وَيُحِبُّ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ يَتَقَرَّبُوا إِلَيْهِ بِمُقْتَضَى مَعَانِي أَسْمَائِهِ؛ فَهُوَ رَحِيمٌ يُحِبُّ الرُّحَمَاءَ، كَرِيمٌ يُحِبُّ الكُرَمَاءَ، مُحْسِنٌ يُحِبُّ المُحْسِنِينَ، قَالَ ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾﴾[البَقَرَة:١٩٥].

وَالإِحْسَانُ نَوْعَانِ:

١) إِحْسَانٌ فِي عِبَادَةِ اللهِ ﷻ، وَهِيَ أَعْلَى مَقَامَاتِ الدِّينِ وَأَرْفَعُهَا؛ كَمَا جَاءَ فِي حَدِيثِ

جِبرِيلَ المَشْهُوْرِ، وَفُسِّرَ الإِحْسَانُ فِي الحَدِيثِ: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنَّ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»[أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ].

٢) وَإِحْسَانٌ إِلَى عِبَادِ اللهِ ﷻ، وَذَلِكَ بِإِيصَالِ جَمِيعِ أَنْوَاعِ الخَيْرِ لَهُمْ، وَالكَفِّ عَنْ أَذَاهُمْ؛ قَالَ ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾﴾[التَّوْبَةِ:١٢٠]، وَقَالَ: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾﴾[الرَّحْمَنِ:٦٠].

وَصَحَّ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «حَيْثُمَا كُنْتُمْ فَأَحْسَنْتُمْ عِبَادَةَ اللهِ؛ فَأَبْشِرُوْا بِالجَنَّةِ»[حَدِيثٌ صَحِيحٌ. رَوَاهُ الدُّوْلَابِيُّ فِي «الكُنَى وَالأَسْمَاءِ»]، وَأَوْلَى النَّاسِ بِذَلِكَ: الوَالِدَانِ؛ لقوله ﷻ: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا﴾[الأَحْقَافِ:١٥]، وَقَالَ ﷻ: ﴿وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾[القَصَصِ: ٧٧].

إِلَيْكَ إِلَهَ العَرْشِ أَشْكُوْ تَضَرُّعًا
وَأَدْعُوْكَ فِي الضَّرَّاءِ ربِّي لِتَسْمَعَا
إِلَهِي فَحَقِّقْ ذَا الرَّجَاءِ وَكُنْ بِنَا
رَؤُوْفًا رَحِيمًا مُسْتَجِيبًا لَنَا الدُّعَا
فَيَا مُحْسِنًا قَدْ كُنْتَ تُحْسِنُ دَائِمًا
وَيَا وَاسِعًا قَدْ كَانَ عَفْوُكَ أَوْسَعَا
نَعُوْذُ بِكَ اللَّهُمَّ مِنْ سُوْءِ صُنْعِنَا
فَإِنَّ لَنَا فِي العَفْوِ مِنْكَ لَمَطْمَعَا
أَغِثْنَا أَغِثْنَا وَارْفَعْ الشِّدَّةَ الَّتِي
أَصَابَتْ وَصَابَتْ وَاكْشِفِ الضُّرَّ وَارْفَعَا

وَجُـدْ وَتَفَـضَّلْ بِالَّـذِي أَنْـتَ أَهْلُهُ

مِنَ العَـفْـوِ وَالغُـفْـرانِ يَا خَيْـرَ مَنْ دَعَا

اللَّهُمَّ! اجْعَلْنَا مِنَ المُحْسِنِينَ، وَأَحْسِنْ إِلَيْنَا؛ يَا رَبَّ العَالَمِينَ!

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ الهُدَى وَالسَّدَادَ، وَنَسْأَلُكَ التُّقَى وَالعِفَّةَ وَالغِنَى.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ الجَنَّةَ، وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، وَنَعُوْذُ بِكَ مِنَ النَّارِ، وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنَ الخَيْرِ كُلِّهِ؛ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ؛ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَأَنْ تَجْعَلَ كُلَّ قَضَاءٍ قَضَيْتَهُ لَنَا خَيْرًا.

اللَّهُمَّ! أَصْلِحْ لَنَا دِيْنَنَا الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا دُنْيَانَا الَّتِي فِيهَا مَعَاشُنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا آخِرَتَنَا الَّتِي فِيهَا مَعَادُنَا، وَاجْعَلِ الحَيَاةَ زِيَادَةً لَنَا فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَالمَوْتَ رَاحَةً لَنَا مِنْ كُلِّ شَرٍّ.

اللَّهُمَّ! أَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا، وَأَلِّفْ بَيْنَ قُلُوْبِنَا، وَاهْدِنَا سُبَلَ السَّلَامِ، وَأَخْرِجْنَا مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوْرِ.

اللَّهُمَّ! بَارِكْ لَنَا فِي أَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوَّاتِنَا وَأَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّتِنَا وَأَمْوَالِنَا، وَاجْعَلْنَا مُبَارَكِيْنَ أَيْنَمَا كُنَّا.

وَآخِرُ دَعْوَانَا: أَنِ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ.

المُعْطِي ﷻ

إِنَّ الحَمْدَ لله؛ نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِالله مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَـهَ إِلَّا اللهُ؛ وَحْـدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ.

أَمَّا بَعْدُ:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[آل عِمْرَان: ١٠٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾[النِّسَاء: ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾[الأَحْزَاب: ٧٠- ٧١].

عِبَادَ الله..

جَاءَ فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُوْلُ الله ﷺ: «بَيْنَمَا رَجُـلٌ بِفَلَاةٍ مِنَ الأَرْضِ، فَسَمِعَ صَوْتًا فِي سَحَابَةٍ: اِسْقِ حَدِيقَةَ فُلانٍ؛ فَتَنَحَّى ذَلِكَ السَّحَابُ، فَـأَفْرَغَ مَاءَهُ فِي حَرَّةٍ، فَانْتَهَى إِلَى الحَرَّةِ، فَإِذَا هُوَ فِي أَذْنَابِ شِرَاجٍ، وَإِذَا شَرَاجَـةٌ مِـنْ تِلْـكَ الـشِّرَاجِ قَـدْ اسْتَوْعَبَتْ ذَلِكَ المَاءَ كُلَّهُ، فَتَبِعَ المَاءَ؛ فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ فِي حَدِيقَتِهِ، يُحَوِّلُ المَاءَ بِمِسْحَاتِهِ.

فَقَالَ لَهُ: يَا عَبْدَ الله! مَا اسْمُكَ؟ قَالَ: فُلانٌ -بِالاسْمِ الَّذِي سَمِعَ فِي السَّحَابَةِ-.

فَقَالَ لَهُ: يَا عَبْدَ الله! لِمَ سَأَلْتَنِي عَنِ اسْمِي؟ قَالَ: إِنِّي سَـمِعْتُ صَـوْتًا فِي الـسَّحَابِ الَّـذِي هَذَا مَاؤُهُ، يَقُولُ: اِسْقِ حَدِيقَةَ فُلانٍ بِاسْمِكَ، فَمَا تَصْنَعُ فِيهَا؟ قَالَ: أَمَا إِذَا قُلْتَ هَذَا؛ فَإِنِّي أَنْظُـرُ

إِلَى مَا خَرَجَ مِنْهَا؛ فَأَتَصَدَّقُ بِثُلُثِهِ، وَآكُلُ أَنَا وَعِيَالِي ثُلُثَهُ، وَأَرُدُّ ثُلُثَهُ»؛ فَسُبْحَانَه مِنْ خَلَّاقٍ عَظِيمٍ، جَوَادٍ كَرِيمٍ!

العَطَاءُ: مِنْ أَجَلِّ هِبَاتِهِ، وَالكَرَمُ: صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِهِ، وَالجُوْدُ: مِنْ أَعْظَمِ سِمَاتِهِ، فَمَنْ أَعْظَمُ مِنْهُ جُوْدًا وَكَرَمًا وَعَطَاءً؟!

وَإِنَّ مِنْ أَسْمَاءِ الله الحُسْنَى: (المُعْطِي ﷻ).

صَحَّ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَإِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ، وَاللهُ يُعْطِي» [أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ].

فَرَبُّنَا ﷻ هُوَ: المُعْطِي عَلَى الحَقِيقَةِ لِكُلِّ الخَلِيقَةِ، لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَى، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعَ.

فَعَطَاؤُهُ ﷻ لِكُلِّ مَوْجُوْدٍ فِي الوُجُوْدِ، لَيْسَ لَهُ حُدُوْدٌ، وَلَا مُقَيَّدٌ بِقُيُوْدٍ، وَهُوَ كَمَالُ الكَرَمِ وَالجُوْدِ.

وَرَبُّنَا إِذَا أَعْطَى؛ فَتَفَضُّلٌ وَإِصْلَاحٌ، وَإِذَا مَنَعَ فَحِكْمَةٌ وَصَلَاحٌ.

هُوَ مَانِعٌ مُعْطٍ فَهَذَا فَضْلُهُ ... وَالمَنْعُ عَيْنُ العَدْلِ لِلْمَنَّانِ

يُعْطِي بِرَحْمَتِهِ وَيَمْنَعُ مَنْ يَشَـ ... ـاءُ بِحِكْمَةٍ وَاللهُ ذُوْ سُلْطَانِ

وَعَطَاءُ اللَّهِ نَوْعَانِ:

١- عَطَاءٌ عَامٌّ: فِي الدُّنْيَا، وَهُوَ: لِكُلِّ الخَلَائِقِ أَجْمَعِينَ؛ مُؤْمِنِهِمْ وَكَافِرِهِمْ، فَاللهُ ﷻ أَصْلَحَ لَهُمْ أَمْرَهُمْ فِي دُنْيَاهُمْ، قَالَ ﷻ: ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾﴾[الإِسْرَاءِ: ٢٠]، وَقَالَ: ﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾﴾[طه: ٥٠].

٢- وَعَطَاءٌ خَاصٌّ: فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَهُوَ: لِأَنْبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ وَعِبَادِهِ الصَّالِحِينَ، فَيَهَبُ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا الرِّزْقَ الحَلَالَ وَالذُّرِّيَةَ الصَّالِحَةَ، وَالإِيمَانَ وَالتَّقْوَى، وَاليَقِينَ وَالهُدَى المُبِينَ، وَهِيَ أَعْظَمُ العَطَايَا فِي الدُّنْيَا.

رَوَى الحَاكِمُ فِي «المُسْتَدْرَكِ»، وَصَحَّحَهُ الذَّهَبِيُّ: عَنْ رَسُوْلِ الله ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللهَ يُعْطِي الدُّنْيَا لِمَنْ يُحِبُّ وَمَنْ لَا يُحِبُّ، وَلَا يُعْطِي الدِّينَ إِلَّا مَنْ يُحِبُّ».

وَأَمَّا فِي الآخِرَةِ فَهِيَ العَطِيَّةُ الكُبْرَى فِي جَنَّاتِهِ العُلَا؛ الَّتِي لَا أَكْمَلَ وَلَا أَجَلَّ مِنْهَا! قَالَ ﷻ: ﴿جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾﴾[النَّبَإِ:٣٦].

وَأَعْظَمُ العَطَاءِ فِي دَارِ الحُسْنَى وَالبَهَاءِ: رِضَا رَبِّ العَالَمِينَ، وَالنَّظَرُ إِلَى وَجْهِهِ الكَرِيمِ.

اللَّهُمَّ لَا تَحْرِمْنَا لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ الكَرِيمِ؛ يَا رَبَّ العَالَمِينَ!

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَأَستَغْفِرُ اللهَ لِي وَلَكُمْ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرُوهُ؛ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ:

الحَمْدُ لله حَمْدًا طَيِّبًا كَثِيرًا مُبَارَكًا فِيهِ كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنِ اهْتَدَى بِهُدَاهُمْ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

عِبَادَ الله..

رَبُّنَا كَرِيمٌ يُحِبُّ الكُرَمَاءَ، وَهُوَ المُعْطِي وَيُحِبُّ أَهْلَ العَطَاءِ؛ وَلِذَلِكَ سَادَ النَّاسَ أَهْلُ العَطَاءِ، جَاءَ عِنْدَ أَبِي دَاوُدَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «الأَيْدِي ثَلَاثَةٌ: فَيَدُ الله العُلْيَا، وَيَدُ المُعْطِي الَّتِي تَلِيهَا، وَيَدُ السَّائِلِ السُّفْلَى، فَأَعْطِ الفَضْلَ، وَلَا تَعْجَزْ عَنْ نَفْسِكَ»[حَدِيثٌ صَحِيحٌ].

وَلِلكُرَمَاءِ الأَجْرُ الكَبِيرُ مِنْ عِنْدِ مَلِكِ المُلُوكِ؛ ﴿وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾﴾[الحَدِيدِ:٧].

وَقَدْ وَعَدَ ﷻ رَسُوْلَهُ ﷺ أَنْ يُعْطِيَهُ حَتَّى يُرْضِيَهُ: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴿٥﴾﴾ [الضُّحَى:٥].

وَمِمَّا أَعْطَاهُ اللهُ رَسُوْلَهُ فِي الآخِرَةِ: نَهْرُ الكَوْثَرِ: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴿١﴾﴾[الكَوْثَرِ:

١]، جَاءَ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ عَنِ الكَوْثَرِ: «نَهْرٌ وَعَدَنِيهِ رَبِّي ﷻ، عَلَيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ، هُوَ: حَوْضٌ تَرِدُ عَلَيْهِ أُمَّتِي يَوْمَ القِيَامَةِ، آنِيَتُهُ عَدَدُ النُّجُوْمِ»[أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ].

سُبْحَانَ مَنْ يُعْطِي المُنَى بِخَوَاطِرٍ ... فِي النَّفْسِ لَمْ يَنْطِقْ بِهِنَّ لِسَانُ

سُبْحَانَ مَنْ لَا شَيْءَ يَحْجُبُ عِلْمَهُ ... فَالسِّرُّ أَجْمَعُ عِنْدَهُ إِعْلَانُ

سُبْحَانَ مَنْ هُوَ لَا يَزَالُ وَرِزْقُهُ ... لِلْعَالَمِينَ بِهِ عَلَيْهِ ضَمَانُ

اللَّهُمَّ! أَعْطِنَا وَلَا تَحْرِمَنَا، وَجُدْ عَلَيْنَا وَلَا تَرُدَّنَا خَائِبِينَ؛ يَا رَبَّ العَالَمِينَ!

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ الهُدَى وَالسَّدَادَ، وَنَسْأَلُكَ التُّقَى وَالعِفَّةَ وَالغِنَى.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ الجَنَّةَ، وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، وَنَعُوْذُ بِكَ مِنَ النَّارِ، وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنَ الخَيْرِ كُلِّهِ؛ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ؛ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَأَنْ تَجْعَلَ كُلَّ قَضَاءٍ قَضَيْتَهُ لَنَا خَيْرًا.

اللَّهُمَّ! أَصْلِحْ لَنَا دِيْنَنَا الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا دُنْيَانَا الَّتِي فِيهَا مَعَاشُنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا آخِرَتَنَا الَّتِي فِيهَا مَعَادُنَا، وَاجْعَلِ الحَيَاةَ زِيَادَةً لَنَا فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَالمَوْتَ رَاحَةً لَنَا مِنْ كُلِّ شَرٍّ.

اللَّهُمَّ! أَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا، وَأَلِّفْ بَيْنَ قُلُوْبِنَا، وَاهْدِنَا سُبَلَ السَّلَامِ، وَأَخْرِجْنَا مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوْرِ.

اللَّهُمَّ! بَارِكْ لَنَا فِي أَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوَّاتِنَا وَأَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّتِنَا وَأَمْوَالِنَا، وَاجْعَلْنَا مُبَارَكِيْنَ أَيْنَمَا كُنَّا.

وَآخِرُ دَعْوَانَا: أَنِ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ.

المِنَّانُ ﷻ

إِنَّ الحَمْدَ لله؛ نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِالله مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَـهَ إِلَّا اللهُ؛ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ.

أَمَّا بَعْدُ:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[آلِ عِمْرَانَ: ١٠٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾[النِّسَاءَ: ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾[الأَحْزَابِ: ٧٠- ٧١].

عِبَادَ الله..

مِنَنُ اللهُ ﷻ لَا تُعَدُّ وَلَا تُحْصَى! فَكَمْ مِنْ بَلْوَى رَفَعَهَا! وَكَمْ مِنْ مَرَضٍ شَفَانَا مِنْهُ! وَكَمْ مِنْ حُزْنٍ جَبَرَهُ؟ وَكَمْ مِنْ هَمٍّ فَرَّجَهُ؟

وَإِنَّ أَعْظَمَ مِنَّةٍ يَرْجُوْهَا العَبْدُ فِي آخِرَتِهِ: مَغْفِرَةُ ذُنُوْبِهِ، وَإِنَّ مَغْفِرَتَهُ تُنَال بِالإِيْمَانِ وَالعَمَلِ الصَّالِحِ؛ وَإِنْ قَلَّ.

فَهَذَا الكِفْلُ يَعَفُّ عَنِ امْرَأَةٍ، وَيُعْلِنُ تَوْبَتَهُ، فَيَمُوْتُ مِنْ لَيْلَتِهِ؛ فَيَغْفِرُ اللهُ ﷻ لَهُ.

وَهَذَا الأُصَيْرَمُ عَمْرُو بْنُ ثَابِتٍ يُسْلِمُ يَوْمَ أُحُدٍ، وَيُقْتَلُ يَوْمَهَا، وَمَا صَلَّى صَلَاةً وَاحِدَةً، فَذَكَرُوْهُ لِلنَّبِيِّ ﷺ؛ فَقَالَ: «إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ»[حَدِيْثٌ صَحِيحٌ. رَوَاهُ أَحْمَدُ فِي «المُسْنَدِ»، وَقَالَ

الهَيْثَمِيُّ فِي «المَجْمَعِ»: "رِجَالُهُ ثِقَاتٌ"].

وَالرَّجُلُ الَّذِي قَتَلَ مِئَةَ نَفْسٍ؛ اطَّلَعَ اللهُ ﷻ عَلَى صِدْقِ توْبَتِهِ؛ فَغَفَرَ لَهُ.

ثُمَّ إِنَّ أَعظَمَ مِنَّةٍ عَلَى العَبْدِ فِي هَذِهِ الحَيَاةِ هِيَ: الهِدَايَةُ: ﴿بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيۡكُمۡ أَنۡ هَدَىٰكُمۡ لِلۡإِيمَٰنِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٧﴾[الحُجُرَاتِ:١٧].

وَإِنَّ مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ: (المَـنَّانِ ﷻ).

نَقِفُ مَعَ اسْمِ اللهِ: (المَنَّانِ)؛ نُجَدِّدُ إِيمَانَنَا بِهِ، وَنَتَأَمَّلُ فِيهِ، لَعَلَّ اللهَ ﷻ يَرْحَمَنَا بِهِ:

جَاءَ فِي «السُّنَنِ» عَنْ أَنَسٍ ﷺ: أَنَّهُ كَانَ جَالِسًا مَعَ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ، وَرَجُلٌ يُصَلِّي، ثُمَّ دَعَا: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الحَمْدُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ المَنَّانُ، بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ، يَا ذَا الجَلَالِ وَالإِكْرَامِ.. يَا حَيُّ.. يَا قَيُّوْمُ!

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «دَعَا اللهَ بِاسْمِهِ الأَعْظَمِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى» [حَدِيثٌ صَحِيحٌ].

فَرَبُّنَا ﷻ عَظِيمُ الهِبَاتِ وَالعَطَايَا وَالإِحْسَانِ، فَهُوَ ﷻ يَبْدَأُ بِالنَّوَالِ قَبْلَ السُّؤَالِ، وَهُوَ المُعْطِي ابْتِدَاءً وَانْتِهَاءً، وَيُعْطِي فَوْقَ الآمَالِ وَالرَّجَاءِ.

فَلَمَّا كَانَ المَنُّ مِنْهُ بِالجُوْدِ وَالعَطَاءِ عَلَى جَمِيعِ عِبَادِهِ؛ كَانَتْ لَهُ المِنَّةُ عَلَيْهِمْ، وَلَا مِنَّةَ عَلَيْهِ مِنْ أَحَدٍ، وَمِنْ أَعْظَمِ هِبَاتِهِ: أَنَّهُ أَعْطَى الحَيَاة والعَقْلَ وَالمَنْطِقَ، وَصَوَّرَ فَأَحْسَنَ، وَأَنْعَمَ فَأَجْزَلَ.

وَمِنْ أَعْظَمِ مِنَنِهِ ﷻ عَلَى عِبَادِهِ أَجْمَعِينَ: أَنَّهُ أَرْسَلَ الرُّسُلَ إِلَيْهِمْ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ؛ فَأَنْقَذَ بِمَنِّهِ أَوْلِيَاءَهُ المُؤْمِنِينَ، وَهَدَاهُمْ إِلَى الصِّرَاطِ المُسْتَقِيمِ، وَعَصَمَهُمْ مِنَ الجَحِيمِ..

﴿لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ١٦٤﴾[آلِ عِمْرَانَ:١٦٤]، ﴿بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيۡكُمۡ أَنۡ هَدَىٰكُمۡ لِلۡإِيمَٰنِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٧﴾[الحُجُرَاتِ:١٧].

وَمِنْ مِنَنِهِ: أَنَّهُ يُنْجِي الْمُسْتَضْعَفِينَ فِي كُلِّ زَمَانٍ مِنَ الْمُتَكَبِّرِينَ وَالْمُفْسِدِينَ، فَيُنْعِمُ عَلَيْهِمْ بِالأَمْنِ وَالتَّمْكِينِ: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝٥﴾[القَصَص:٥].

وَاللهُ ﷻ أَحَقُّ مَنْ شُكِرَ، وَأَحَقُّ مَنْ عُبِدَ، فَنَعِيمُهُ لِلْمُؤْمِنِينَ دَائِمٌ مُتَوَاصِلٌ إِلَى دُخُوْلِ الجَنَّةِ، فَنَعِيمُ الله لِأَوْلِيَائِهِ فِي الدُّنْيَا: الهِدَايَةُ وَالحِفْظُ، وَفِي الآخِرَةِ: النَّجَاةُ مِنَ النَّارِ، وَدُخُوْلُ الجَنَّةِ، وَالنَّظَرُ إِلَى وَجْهِهِ الكَرِيمِ، قَالَ ﷻ: ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ۝٢٦ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ۝٢٧ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ۝٢٨﴾[الطُّوْر: ٢٦-٢٨].

وَانْظُرْ إِلَى مِنَنِ الله ﷻ عَلَيْكَ! فَعَطَاءُ الله تَامٌّ كَامِلٌ، وَمِنْ أَكْبَرِ مِنَنِهِ: أَنَّهُ أَخْبَرَكَ بِهَذَا الاسْمِ، كَمَا فَتَحَ عَلَى الصَّحَابِيِّ لِكَيْ يَدْعُوْ بِهِ وَيَتَقَرَّبَ إِلَيْهِ بِهِ.

وَتَذَكَّرْ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ عَلَى الدَّوَامِ؛ فَهُوَ الَّذِي أَعْطَاكَ ثُمَّ تَفَضَّلَ عَلَيْكَ بِشُكْرِهِ، ثُمَّ شَكَرَكَ عَلَى شُكْرِكَ، وَهَذَهِ مِنْ أَعْظَمِ المِنَنِ عَلَيْكَ.

وَنِعَمُ الله ﷻ حَقِيقَةٌ فِيهَا اللَّذَّةُ وَالجَمَالُ، بَلْ تَزِيدُ كُلَّمَا تَقَرَّبْتَ إِلَى المَنَّانِ كَثِيرِ العَطَاءِ، الرَّزَّاقِ بِغَيْرِ حِسَابٍ، وَإِنَّ الدُّنْيَا لَا يَطِيبُ العَيْشُ فِيهَا إِلَّا بِمِنَّتِهِ.

وَعَطَايَاهُ شَمِلَتْ المُؤْمِنَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَشَمِلَتْ الكَافِرَ فِي الدُّنْيَا دُوْنَ الآخِرَةِ.

وَالمُؤْمِنُ إِذَا رَأَى مِنَنَ الله ﷻ عَلَيْهِ؛ ذُهِلَ قَلْبُهُ، وَطَابَتْ نَفْسُهُ، وَصَارَ عَبْدًا فَقِيرًا إِلَى مَوْلَاهُ، مُثْنِيًا عَلَيْهِ وَحْدَهُ ﷻ، وَهَذَا أَعْظَمُ بَابٍ يَدْخُلُ مِنْهُ العَبْدُ عَلَى رَبِّهِ، وَهُوَ: بَابُ الذُّلِّ وَالانْكِسَارِ بَيْنَ يَدَيْهِ؛ دَاعِيًا وَرَاجِيًا وَمُنَادِيًا: يَا مَنَّانُ!

وَهُنَا؛ تَتَحَقَّقُ الأَمَانِيُّ، وَيُعْطَى السَّائِلُ، وَيُغْفَرُ لِلْمُذْنِبِ، وَيُفَرَّجُ الهَمُّ، وَيُكْشَفُ الغَمُّ، وَيُفَكُّ الأَسِيرُ، وَيُشْفَى المَرِيضُ، وَيَعُوْدُ الغَائِبُ، وَيُجَابُ لِلمُضْطَرِ: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا

دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [النَّمْلِ:٦٢].

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِمَّنْ دَعَاكَ فَأَجَبْتَهُ؛ يَا رَبَّ العَالَمِينَ!

أَقُولُ قَولِي هَذَا، وَأَستَغْفِرُ اللهَ لِي وَلَكُمْ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرُوهُ؛ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ:

الحَمْدُ للهِ حَمْدًا طَيِّبًا كَثِيرًا مُبَارَكًا فِيهِ كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنِ اهْتَدَى بِهُدَاهُمْ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

عِبَادَ اللهِ..

إِذَا كَانَ اللهُ ﷻ قَدْ امْتَدَحَ نَفْسَهُ بِمِنَّتِهِ عَلَى عِبَادِهِ؛ فَقَدْ ذَمَّ الَّذِينَ يَمُنُّونَ عَلَى اللهِ أَوْ عَلَى عِبَادِ اللهِ؛ بِمَا أَنْفَقُوهُ مِنْ أَمْوَالِهِمْ، وَبِمَا قَدَّمُوهُ مِنْ أَعْمَالِهِمْ؛ فَاللهُ قَدْ قَالَ: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾﴾[الحُجُرَاتِ:١٧].

وَحَذَّرَنَا رَبُّنَا ﷻ مِنْ أَنْ نَمُنَّ بِمَا نُقَدِّمُهُ؛ فَهِيَ مُبْطِلَةٌ لِلصَّدَقَةِ وَالأَجْرِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ﴾[البَقَرَةِ:٢٦٤].

وَحَذَّرَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ المَنِّ، فَقَالَ ﷺ: «ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ: المَنَّانُ؛ الَّذِي لَا يُعْطِي شَيْئًا إِلَّا مَنَّهُ، وَالمُنْفِقُ سِلْعَتَهُ بِالحَلِفِ الفَاجِرِ، وَالمُسْبِلُ إِزَارَهُ»[أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ].

وَصَحَّ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ: مَنَّانٌ، وَلَا عَاقٌّ، وَلَا مُدْمِنُ خَمْرٍ»[حَدِيثٌ صَحِيحٌ. رَوَاهُ النَّسَائِيُّ].

أَفْسَدْتَ بِالمَنِّ مَا أُوْلَيْتَ مِنْ نِعَمٍ

لَيْسَ الكَرِيمُ إِذَا أَسْدَى بِمَنَّانِ

وَلِذَا؛ كَانَ أَهْلُ الصَّلَاحِ يَتَوَاصَوْنَ بَيْنَهُمْ بِقَوْلِهِمْ: إِذَا أَعْطَيْتَ رَجُلًا شَيْئًا، وَرَأَيْتَ أَنَّ سَلَامَكَ يَثْقُلُ عَلَيْهِ؛ فَكُفَّ سَلَامَكَ عَنْهُ.

وَأَهْلُ المَكَارِمِ إِذَا اصْطَنَعُوْا صَنِيعَةً لِأَحَدٍ نَسُوْهَا، وَإِذَا أَسْدَى إِلَيْهِمْ أَحَدٌ مَعْرُوْفًا فَلَا يَنْسَوْنَهُ أَبَدًا.

وَمَا تَخْفَى المَكَارِمُ حَيْثُ كَانَتْ وَلَا أَهْلُ المَكَارِمِ حَيْثُ كَانُوْا

اللَّهُمَّ يَا مَنَّانُ! اُمْنُنْ عَلَيْنَا بِصَلَاحِ حَالِنَا وَصَلَاحِ ذُرِّيَتِنَا، وَأَحْسِنْ لَنَا الخَاتِمَةَ.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ الهُدَى وَالسَّدَادَ، وَنَسْأَلُكَ التُّقَى وَالعِفَّةَ وَالغِنَى.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ الجَنَّةَ، وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، وَنَعُوْذُ بِكَ مِنَ النَّارِ، وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنَ الخَيْرِ كُلِّهِ؛ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ؛ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَأَنْ تَجْعَلَ كُلَّ قَضَاءٍ قَضَيْتَهُ لَنَا خَيْرًا.

اللَّهُمَّ! أَصْلِحْ لَنَا دِيْنَنَا الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا دُنْيَانَا الَّتِي فِيهَا مَعَاشُنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا آخِرَتَنَا الَّتِي فِيهَا مَعَادُنَا، وَاجْعَلِ الحَيَاةَ زِيَادَةً لَنَا فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَالمَوْتَ رَاحَةً لَنَا مِنْ كُلِّ شَرٍّ.

اللَّهُمَّ! أَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا، وَأَلِّفْ بَيْنَ قُلُوْبِنَا، وَاهْدِنَا سُبُلَ السَّلَامِ، وَأَخْرِجْنَا مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوْرِ.

اللَّهُمَّ! بَارِكْ لَنَا فِي أَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوَّاتِنَا وَأَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَتِنَا وَأَمْوَالِنَا، وَاجْعَلْنَا مُبَارَكِيْنَ أَيْنَمَا كُنَّا.

وَآخِرُ دَعْوَانَا: أَنِ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ.

الوِتْرُ

إِنَّ الحَمْدَ لله؛ نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِالله مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَـهَ إِلَّا اللهُ؛ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ.

أَمَّا بَعْدُ:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾[آلِ عِمْرَانَ: ١٠٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾[النِّسَاءَ: ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾[الأَحْزَابِ: ٧٠- ٧١].

عِبَادَ الله..

قَالَ ابْنُ القَيِّمِ ﷺ: "إِذَا اسْتَغْنَى النَّاسُ بِالدُّنْيَا؛ فَاسْتَغْنِ أَنْتَ بِـالله، وَإِذَا فَرِحُـوْا بِالـدُّنْيَا؛ فَافْرَحْ أَنْتَ بِالله، وَإِذَا أَنِسُوْا بِأَحْبَابِهِمْ؛ فَاجْعَلْ أُنْسَكَ بِالله، وَإِذَا تَعَزَّفُوْا إِلَى مُلُوْكِهِمْ وَكُـبَرَائِهِمْ وَتَقَرَّبُوْا إِلَيْهِمْ لِيَنَالُوْا بِهِمُ العِزَّةَ وَالرِّفْعَةَ؛ فَتَعَرَّفْ أَنْتَ إِلَى الله، وَتَوَدَّدْ إِلَيْهِ تَنَلْ بِذَلِكَ غَايَةَ العِـزِّ وَالرِّفْعَةِ".

وَقَالَ أَبُوْ سُلَيْمَانَ: "طُوْبَى لِمَنْ صَحَّتْ لَهُ خُطْوَةٌ وَاحِدَةٌ لَا يُرِيدُ بِهَا إِلَّا اللهَ ﷻ".

فَحَيَّ عَلَى جَنَّاتِ عَدْنٍ فَإِنَّهَا ... مَنَازِلُنَـا الأُوْلَى وَفِيهَـا المُخَـيَّمُ

وَحَيَّ عَلَى رَوْضَاتِهَا وَخِيَامِهَا ... وَحَيَّ عَلَى عَيْشٍ بِهَا لَيْسَ يُـسْأَمُ

جَاءَ عَنْهُ ﷺ فِي الحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ أَبُوْ هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «لِلَّهِ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ اسْمًا؛ مَنْ حَفِظَهَا دَخَلَ الجَنَّةَ، وَإِنَّ اللهَ: وِتْرٌ، يُحِبُّ الوِتْرَ»[أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ -وَهَذَا لَفْظُهُ-].

فَرَبُّنَا ﷻ الفَرْدُ؛ لَا شَرِيكَ لَهُ وَلَا نَظِير، بَلْ هُوَ الإِلَهُ الأَحَدُ الصَّمَدُ؛ الَّذِي لَمْ يَلِدْ، وَلَمْ يُوْلَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ.

وَرَبُّنَا ﷻ المُتَفَرِّدُ بِصِفَاتِ الكَمَالِ وَنُعُوْتِ الجَلَالِ.

وَهُوَ ﷻ الفَرْدُ فِي رُبُوْبِيَّتِهِ وَأُلُوْهِيَّتِهِ، وَفِي صِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ، لَا مَثِيلَ لَهُ وَلَا شَبِيهَ لَهُ، وَلَا نَظِيرَ لَهُ، وَلَا عَدِيلَ؛ لِكَمَالِهِ مِنْ كُلِّ الوُجُوْهِ ﷻ؛ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾[الشُّوْرَى:١١]، ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾[الإِخْلَاصِ:٤]، ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾[مَرْيَمَ:٦٥]، ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾[البَقَرَةِ:٢٢].

وَمَنْ أَقَرَّ بِذَلِكَ؛ ذَلَّ لَهُ وَخَضَعَ لَهُ ﷻ، وَأَحَبَّهُ وَرَجَاهُ وَوَحَّدَهُ، وَتَوَكَّلَ عَلَيْهِ، وَأَنَابَ إِلَيْهِ، وَأَخْلَصَ عِبَادَتَهُ لَهُ، وَاللهُ ﷻ لَمْ يَخْلُقْنَا إِلَّا لِذَلِكَ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾[الذَّارِيَاتِ:٥٦]، وَهِيَ: إِفْرَادُهُ بِالعِبَادَةِ.

وَكُلُّ مَا دُوْنَهُ شَفْعٌ؛ فَهُوَ مِنَ الخَلِيقَةِ، وَهِيَ لَا تَسْتَقِرُّ وَلَا تَعْتَدِلُ إِلَّا بِالزَّوْجِيَّةِ: ﴿وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾﴾[الذَّارِيَاتِ:٤٩]، وَلِأَنَّ النَّاسَ يَحْتَاجُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ؛ ﴿لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾[الزُّخْرُفِ:٣٢].

وَرُبَّمَا وَصَلَ بِهِمُ الحَالُ أَنْ يَتَّكِلُوْا عَلَى المَخْلُوْقِينَ وَيَنْسَوْا الخَالِقَ، ثُمَّ يَحْصُلُ أَنْ يَبْلَغَ بِهِمُ الحُبُّ مَبْلَغًا كَحُبِّ اللهِ أَوْ أَشَدَّ؛ فَتَنْصَرِفَ القُلُوْبُ مِنَ الخَالِقِ إِلَى المَخْلُوْقِ! ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾[البَقَرَةِ:١٦٥].

وَالقُلُوْبُ مَفْطُوْرَةٌ عَلَى حُبِّ مَنْ أَحْسَنَ إِلَيْهَا، وَمِنْ هُنَا يَدْخُلُ الشَّيْطَانُ.

وَهُنَا؛ حَذَّرَ اللهُ ﷻ الخَلْقَ أَنْ يَقَعُوْا فِي الشِّرْكِ -وَهُمْ يَعْلَمُوْنَ أَوْ لَا يَعْلَمُوْنَ!- كَمَنِ اتَّخَذَ المَحْبُوْبَ ربًّا أَوْ شَفِيعًا؛ فَقَالَ ﷻ: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾[البَقَرَة:٢٢]، وَقَالَ: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ ۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [الزُّمَر:٤٣].

وَمِنْ قَوْلِهِ ﷻ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾﴾[الإِخْلَاص:١] تَنْطَلِقُ قَاعِدَةُ: الإِيمَانِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، وَيُذَكِّرُ النَّبِيُّ ﷺ أُمَّتَهُ بِهَذِهِ القَاعِدَةِ: «وَهُوَ: وِتْرٌ، يُحِبُّ الوِتْرَ»؛ أَيْ: أَنَّ اللهَ ﷻ وَاحِدٌ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَلَا نِدَّ لَهُ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا لَكَ مُوَحِّدِينَ ذَاكِرِينَ؛ يَا رَبَّ العَالَمِينَ!

أَقُولُ قَولِي هَذَا، وَأَستَغْفِرُ اللهَ لِي وَلَكُمْ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرُوهُ؛ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ:

الحَمْدُ للهِ حَمْدًا طَيِّبًا كَثِيرًا مُبَارَكًا فِيهِ كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنِ اهْتَدَى بِهُدَاهُمْ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

عِبَادَ اللهِ..

تَتَجَلَّى مَحَبَّتُهُ ﷺ لِلْوِتْرِ -وَهُوَ: التَّوْحِيدُ- فِي كَثِيرٍ مِنَ العِبَادَاتِ القَوْلِيَّةِ وَالفِعْلِيَّةِ؛ فَالصَّلَوَاتُ المَفْرُوْضَةُ: خَمْسٌ، وَصَلَاةُ اللَّيْلِ خِتَامُهَا: وِتْرٌ، وَيُغْتَسِلُ: وِتْرًا، وَأَعْدَادُ الطَّهَارَةِ: وِتْرٌ، وَتَكْفِينُ المَيِّتِ: وِتْرٌ، وَالِاسْتِغْفَارُ أَدْبَارَ الصَّلَوَاتِ المَكْتُوْبَةِ: وِتْرٌ، وَكَثِيرٌ مِنَ الأَذْكَار.

وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُرَاعِي الوِتْرَ فِي سَائِرِ شُؤُوْنِهِ؛ فَجَاءَ عَنْهُ الاصْطِبَاحُ بِسَبْعِ تَمَرَاتٍ، وَشُرْبُ المَاءِ فِي أَنْفَاسٍ ثَلَاثَةٍ.

وَمِنْ حُبِّهِ ﷺ لِلْوِتْرِ: أَنَّهُ خَصَّ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِنْ أَسْمَائِهِ الحُسْنَى بِأَنَّ مَنْ أَحْصَاهَا

دَخَلَ الجَنَّةَ.

إِلَيْـكَ وَجَّهْـتُ يَـا مَـوْلَايَ آمَـالِي
فَاسْمَعْ دُعَائِي وَارْحَمْ ضَعْفَ أَحْوَالِي
فَلَا تَكِلْنِـي إِلَى مَـنْ لَـيْسَ يَكْلَـؤُنِي
وَكُنْ كَفِيلِـي فَأَنْـتَ الكَافِـلُ الكَـافِي

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الوِتْرِ: أَنْ تُدْخِلَنَا الجَنَّةَ، وَتُجِيرَنَا مِنَ النَّارِ.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ الهُدَى وَالسَّدَادَ، وَنَسْأَلُكَ التُّقَى وَالعِفَّةَ وَالغِنَى.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ الجَنَّةَ، وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، وَنَعُوْذُ بِكَ مِنَ النَّارِ، وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنَ الخَيْرِ كُلِّهِ؛ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ؛ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَأَنْ تَجْعَلَ كُلَّ قَضَاءٍ قَضَيْتَهُ لَنَا خَيْرًا.

اللَّهُمَّ! أَصْلِحْ لَنَا دِيْنَنَا الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا دُنْيَانَا الَّتِي فِيهَا مَعَاشُنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا آخِرَتَنَا الَّتِي فِيهَا مَعَادُنَا، وَاجْعَلِ الحَيَاةَ زِيَادَةً لَنَا فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَالمَوْتَ رَاحَةً لَنَا مِنْ كُلِّ شَرٍّ.

اللَّهُمَّ! أَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا، وَأَلِّفْ بَيْنَ قُلُوْبِنَا، وَاهْدِنَا سُبَلَ السَّلَامِ، وَأَخْرِجْنَا مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوْرِ.

اللَّهُمَّ! بَارِكْ لَنَا فِي أَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوَّاتِنَا وَأَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّتِنَا وَأَمْوَالِنَا، وَاجْعَلْنَا مُبَارَكِيْنَ أَيْنَمَا كُنَّا.

وَآخِرُ دَعْوَانَا: أَنِ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ.

المُسْتَعَانُ

إِنَّ الحَمْدَ لله؛ نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِالله مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَـهَ إِلَّا اللهُ؛ وَحْـدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ.

أَمَّا بَعْدُ:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[آلِ عِمْرَانَ: ١٠٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾[النِّسَاءَ:١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾[الأَحْزَابِ:٧٠- ٧١].

الـنَّفْسُ تَجْـزَعُ أَنْ تَكُـوْنَ فَقِـيرَةً
وَالفَقْـرُ خَـيْرٌ مِـنْ غِنًـى يُطْغِيهَـا
وغِنَـى الـنَّفْسِ هُـوَ الكَافِـي فَـإِنْ
أَبَتْ فَجَمِيعُ مَا فِي الأَرْضِ لَا يَكْفِيهَا

يَا عَبْدَ الله..

فَرِّغْ خَاطِرَكَ لِلهَمِّ الَّذِي أُمِرْتَ بِهِ، وَلَا تُشْغِلْهُ بِمَا ضُمِنَ لَكَ؛ فَإِنَّ الرِّزْقَ وَالأَجَلَ قَرِينَـانِ مَضْمُوْنَانِ، فَمَا دَامَ الأَجَلُ بَاقِيًا كَانَ الرِّزْقُ آتِيًا، وَإِذَا سَدَّ عَلَيْكَ بِحِكْمَتِهِ طَرِيقًا مِنْ طُرُقِهِ؛ فَتَحَ لَكَ بِرَحْمَتِهِ طَرِيقًا لَكَ مِنْهُ.

لَـمَّا ارْتَفَعَتِ الأَسْعَارُ فِي عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ النَّاسُ: يَا رَسُوْلَ الله! غَلَا السِّعْرُ؛ فَسَعِّرْ لَنَا؟ فَقَالَ رَسُوْلُ الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ هُوَ المُسَعِّرُ القَابِضُ البَاسِطُ الرَّازِقُ»[حَدِيثٌ صَحِيحٌ. رَوَاهُ ابْنُ مَاجَه].

ومِنْ أَسْمَاءِ الله: (المُسَعِّرِ ﷻ).

فَرَبُّنَا ﷻ هُوَ الَّذِي يُرَخِّصُ الأَشْيَاءَ وَيُغَلِّيهَا؛ وِفْقَ تَدْبِيرِهِ الكَوْنِيِّ، أَوْ مَا أَمَرَ بِهِ العِبَادَ فِي تَدْبِيرِهِ الشَّرْعِيِّ.

وَهُوَ ﷻ الَّذِي يَزِيدُ الشَّيْءَ وَيَرْفَعُ مِنْ قِيمَتِهِ، أَوْ تَأْثِيرِهِ وَمَكَانَتِهِ؛ فَيَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وِفْقَ مَشِيئَتِهِ وَحِكْمَتِهِ.

وَهُوَ ﷻ يُسَعِّرُ بِعَدْلِهِ العَذَابَ عَلَى أَعْدَائِهِ فِي النَّارِ، قَالَ ﷻ: ﴿وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾﴾[الفَتْح:١٣].

حَارَتِ الأَفْكَارُ فِي قُدْرَتِهِ، وَاضْطَرَبَتِ الأَفْهَامُ فِي عَظَمَتِهِ، وَذُهِلَتِ الأَذْهَانُ فِي حِكْمَتِهِ!

أَعْطَى قَارُوْنَ حَتَّى نَاءَتِ العُصْبَةُ بِمَفَاتِيحِ كَنْزِهِ، وَصَبَّ المَالَ عَلَى أُمَيَّةَ بْنِ خَلَفٍ فِي الدِّيبَاجِ وَالحَرِيرِ، وَجَوَّعَ رَسُوْلَهُ ﷺ حَتَّى رَبَطَ الحَجَرَ عَلَى بَطْنِهِ وَأَكَلَ وَرَقَ الشَّجَرِ!!

لِلَّهِ ﷻ حِكْمَةٌ فِي خَلْقِهِ، وَمَقَالِيدُ الأُمُوْرِ بِيَدِهِ، وَمقَادِيرُ الأَشْيَاءِ عِنْدَهُ، وَمَفَاتِيحُ الأُمُوْرِ لَدَيْهِ، وَمَصِيرُ العِبَادِ إِلَيْهِ.

وَهُوَ الوَلِيُّ الحَقُّ، وَرَبُّ الخَلْقِ، وَصَاحِبُ الأَمْرِ، وَإِلَيْهِ المَآبُ، وإِلَيْهِ المُشْتَكَى، وَبِهِ المُسْتَغَاثُ وَعَلَيْهِ التُّكْلَانُ.

﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾[الأَنْبِيَاء:٢٣].

تَتَقَطَّعُ النَّفْسُ أَسَفًا، وَيَمْتَلِئُ الصَّدْرُ كُرُبًا؛ فَيَأْتِي اللهُ ﷻ بِالفَرَجِ، وَتَغْزُرُ الدُّمُوْعَ فِي المَحَاجِرِ، وَتَبْلُغُ القُلُوْبُ الحَنَاجِرَ؛ فَيَأْتِي اللهُ ﷻ بِالفَرَجِ، وَتَرْتَفِعُ الأَسْعَارُ، وَتَتَلَوَّى البُطُوْنُ مِنَ

الجُوْعِ، وَتُفْرَمُ الأَكْبَادُ مِنَ الظَّمَإِ، وَيَكْثُرُ الدَّيْنُ وَيَزِيدُ الفَقْرِ؛ فَيَأْتِي اللهُ ﷻ بِالفَرَجِ، ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾﴾[الرَّعْد:٨].

فَهُوَ أَعْلَمُ بِحَالِ العِبَادِ وَمَا يُصْلِحُهُمْ؛ ﴿ ۞ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾﴾[الشُّوْرَى:٢٧].

وَارْتِفَاعُ السِّعْرِ سَبَبٌ لِنُدْرَةِ السِّلَعِ وَارْتِفَاعِ أَسْعَارِهَا؛ رُبَّمَا كَانَ بِسَبَبِ مَا أَحْدَثَهُ النَّاسُ مِنْ ظُلْمٍ لِأَنْفُسِهِمْ أَوْ لِغَيْرِهِمْ.

قَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّة ﷺ: "فَالْغَلَاءُ بِارْتِفَاعِ الأَسْعَارِ وَالرُّخْصِ بِانْخِفَاضِهَا، وَهُمَا: مِنْ جُمْلَةِ الحَوَادِثِ الَّتِي لَا خَالِقَ لَهَا إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ، وَلَا يَكُونُ شَيْءٌ مِنْهَا إِلَّا بِمَشِيئَتِهِ وَقُدْرَتِهِ.

لَكِنْ هُوَ ﷻ قَدْ جَعَلَ بَعْضَ أَفْعَالِ العِبَادِ سَبَبًا فِي بَعْضِ الحَوَادِثِ؛ كَمَا جَعَلَ قَتْلَ القَاتِلِ سَبَبًا فِي مَوْتِ المَقْتُوْلِ، وَجَعَلَ ارْتِفَاعَ الأَسْعَارِ قَدْ يَكُونُ لِسَبَبِ ظُلْمِ بَعْضِ العِبَادِ، وَانْخِفَاضِهَا قَدْ يَكُوْنُ لِسَبَبِ إِحْسَانِ بَعْضِ النَّاسِ".

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الهُدَى وَالتُّقَى وَالعَفَافَ وَالغِنَى؛ يَا رَبَّ العَالَمِينَ!

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَأَستَغْفِرُ اللهَ لِي وَلَكُمْ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرُوهُ؛ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ:

الحَمْدُ للهِ حَمْدًا طَيِّبًا كَثِيرًا مُبَارَكًا فِيهِ كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنِ اهْتَدَى بِهُدَاهُمْ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

لَمَّا قِيلَ لِبَعْضِ السَّلَفِ: غَلَتِ الأَسْعَارُ، قَالَ: أَخْفِضُوْهَا بِالاسْتِغْفَارِ.

وَالمُؤْمِنُ -وَإِنْ غَلَتِ الأَسْعَارُ- وَاثِقٌ مِنْ رَبِّهِ، مُطْمَئِنٌّ إِلَيْهِ، مُتَوَكِّلٌ عَلَيْهِ: ﴿إِنَّ وَلِيِّۦَ ٱللَّهُ

﴿ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾﴾[الأَعْرَافِ:١٩٦].

أَتَى النَّاسُ إِلَى سَلَمَةَ بْنِ دِينَارٍ؛ فَقَالُوْا لَهُ: "يَا أَبَا حَازِمٍ! أَمَّا تَرَى؟ قَدْ غَلَا السِّعْرُ! فَقَالَ: وَمَا يَغُمُّكُمْ مِنْ ذَلِكَ؟! إِنَّ الَّذِي يَرْزُقُنَا فِي الرُّخْصِ هُوَ الَّذِي يَرْزُقُنَا فِي الغَلَاءِ".

وَلَـمَّا قِيلَ لِأَعْرَابِيٍّ: لَقَدْ أَصْبَحُ رَغِيفُ الخُبْزِ بِدِينَارٍ!

فَأَجَابَ: وَالله! مَا هَمَّنِي ذَلِكَ؛ وَلَوْ أَصْبَحَتْ حَبَّةُ القَمْحِ بِدِينَارٍ! أَنَا أَعْبُدُ اللهَ كَمَا أَمَرَنِي وَهُوَ يَرْزُقُنِي كَمَا وَعَدَنِي!

وَالنَّاسُ إِذَا رَجَعُوْا إِلَى اللهِ ﷻ فَتَحَ عَلَيْهِم بَرَكَاتِ الأَرْضِ؛ فَتَرْخُصُ الأَسْعَارُ، وَيَزِيدُ الرِّزْقُ؛ لِأَنَّ اللهَ ﷻ قَالَ: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾[الأَعْرَافِ:٩٦]، وَقَالَ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾[الطَّلَاقِ:٢-٣].

وَالعَبْدُ المُؤْمِنُ كَمَا يُحِبُّ أَنَّ اللهَ ﷻ يَرْزُقَهُ، وَيَرْغَبُ بِإِحْسَانِ اللهِ إِلَيْهِ؛ فَلْيَأْتِ بِمَا يُحِبُّ اللهُ؛ فَاللهُ ﷻ قَالَ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾﴾[البَقَرَةِ:١٩٥].

فَالتَّاجِرُ المُؤْمِنُ يُرَاقِبُ اللهَ ﷻ فِي مُعَامَلَاتِهِ كُلِّهَا، وَيُرَاقِبُ اللهَ ﷻ فِي تَعَامُلِهِ مَعَ خَلْقِهِ؛ فَلَا يَسْتَغِلُّ النَّاسَ فِي زِيَادَةِ الأَسْعَارِ، أَوْ يُخْفِي قُوْتًا أَوْ سِلْعَةً سَعْيًا لِلتَّفَرُّدِ وَالاحْتِكَارِ، فَإِنَّ اللهَ الرَّزَّاقَ القَوِيَّ المَتِينَ مُطَّلِعٌ عَلَيْهِ وَعَلَى نِيَّتِهِ، فَإِنْ كَانَ صَادِقًا بَارَكَ اللهُ فِي رِزْقِهِ؛ كَمَا صَحَّ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَا بُوْرِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا»، وَإِنْ كَانَ غَاشًّا لِلْمُسْلِمِينَ مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِ، قَالَ ﷺ: «وَإِنْ كَتَمَا وَكَذَبَا مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا»[أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ]، وَصَحَّ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «لَحْمٌ نَبَتَ مِنْ سُحْتٍ؛ النَّارُ أَوْلَى بِهِ»[حَدِيثٌ صَحِيحٌ. رَوَاهُ أَحْمَدُ فِي «المُسْنَدِ»].

ثُمَّ إِنَّ المُؤْمِنَ أُمِرَ بِالسَّمَاحَةِ فِي البَيْعِ وَالشِّرَاءِ؛ صَحَّ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «رَحِمَ اللهُ رَجُلًا: سَمْحًا إِذَا بَاعَ، وَإِذَا اشْتَرَى، وَإِذَا اقْتَضَى»[أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ].

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ المُسَعِّرَ: أَنْ تَرْفَعَ عَنَّا وَعَنِ المُسْلِمِينَ الغَلَاءَ وَالبَلَاءَ وَالفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ؛ يَا رَبَّ العَالَمِينَ!

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ الهُدَى وَالسَّدَادَ، وَنَسْأَلُكَ التُّقَى وَالعِفَّةَ وَالغِنَى.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ الجَنَّةَ، وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، وَنَعُوْذُ بِكَ مِنَ النَّارِ، وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنَ الخَيْرِ كُلِّهِ؛ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ؛ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَأَنْ تَجْعَلَ كُلَّ قَضَاءٍ قَضَيْتَهُ لَنَا خَيْرًا.

اللَّهُمَّ! أَصْلِحْ لَنَا دِيْنَنَا الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا دُنْيَانَا الَّتِي فِيهَا مَعَاشُنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا آخِرَتَنَا الَّتِي فِيهَا مَعَادُنَا، وَاجْعَلِ الحَيَاةَ زِيَادَةً لَنَا فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَالمَوْتَ رَاحَةً لَنَا مِنْ كُلِّ شَرٍّ.

اللَّهُمَّ! أَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا، وَأَلِّفْ بَيْنَ قُلُوْبِنَا، وَاهْدِنَا سُبَلَ السَّلَامِ، وَأَخْرِجْنَا مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوْرِ.

اللَّهُمَّ! بَارِكْ لَنَا فِي أَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوَّاتِنَا وَأَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّتِنَا وَأَمْوَالِنَا، وَاجْعَلْنَا مُبَارَكِيْنَ أَيْنَمَا كُنَّا.

وَآخِرُ دَعْوَانَا: أَنِ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ.

وَخِتَـامًـا..

انْتَهَى بِحَمْدِ الله مَا تَيَسَّرَ جَمْعُهُ فِي هَذَا الكِتَابِ؛ الَّذِي أَسْـأَلُ اللهَ ﷻ أَنْ يَتَقَبَّلَـهُ مِنِّـي، وَأَنْ يَنْفَعَ بِهِ سَائِرَ العِبَادِ.

وَصَلَّى اللهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

وَالحَمْدُ لِلَّـهِ رَبِّ العَالَمِينَ

مُحْتَوَيَاتُ الكِتَابِ

المُحْتَوَى	الصَّفْحَةُ
مُقَدِّمَةٌ	٥

الخُطَبُ وَالدُّرُوسُ فِي أَسْمَاءِ اللَّهِ الحُسْنَى

اللهُ، الإِلَهُ	٦
الرَّبُّ	١٢
الوَاحِدُ، الأَحَدُ	٢٠
الصَّمَدُ	٢٧
الرَّحْمَنُ، الرَّحِيمُ	٣٣
الحَيُّ	٤١
القَيُّوْمُ	٤٦
المَلِيكُ، المَالِكُ، المَلِكُ	٥١
القُدُّوْسُ	٥٩
السَّلَامُ	٦٤
المُؤْمِنُ	٦٩
المُهَيْمِنُ	٧٦
العَزِيزُ	٨١

الجَبَّارُ	٨٨
المُتَكَبِّرُ	٩٤
الكَبِيرُ	١٠٠
الخَالِقُ، الخَلَّاقُ	١٠٧
البَارِئُ	١١٢
المُصَوِّرُ	١١٧
العَفُوُّ	١٢٢
الغَفُوْرُ، الغَفَّارُ	١٢٨
القَاهِرُ، القَهَّارُ	١٣٤
الوَهَّابُ	١٤٠
الرَّزَّاقُ، الرَّازِقُ	١٤٦
الفَتَّاحُ	١٥٢
السَّمِيعُ	١٥٩
البَصِيرُ	١٦٥
التَّوَّابُ	١٧١
العَلِيمُ العَالِمُ	١٧٩
العَلِيُّ، الأَعْلَى، المُتَعَالِ	١٨٦
العَظِيمُ	١٩٢
القَوِيُّ	١٩٩
المَتِينُ	٢٠٥

القَادِرُ، القَدِيرُ، المُقْتَدِرُ	٢١١
الحَفِيظُ، الحَافِظُ	٢١٨
الغَنِيُّ	٢٢٥
الحكِيمُ، الحَكَمُ	٢٣١
اللَّطِيفُ	٢٣٧
الخَبِيرُ	٢٤٢
الحَلِيمُ	٢٤٩
الرَّؤُوْفُ	٢٥٥
البَرُّ	٢٦١
القَرِيبُ	٢٦٨
المَجِيدُ	٢٧٤
المُجِيبُ	٢٨١
الحَمِيدُ	٢٨٧
الشَّاكِرُ، الشَّكُوْرُ	٢٩٣
الكَرِيمِ، الأَكْرَمُ	٣٠٠
المُقِيتُ	٣٠٦
الوَاسِعُ	٣١٢
الفتاح	٣١٨
الرَّقِيبُ	٣٢٥
الحَسِيبُ	٣٣١

الشَّهِيدُ	٣٣٨
الحَقُّ	٣٤٣
المُبِينُ	٣٤٩
المُحِيطُ	٣٥٤
الودود	٣٥٩
الأَوَّلُ، الآخِرُ، الظَّاهِرُ، البَاطِنُ	٣٦٦
النُّوْرُ	٣٧١
السُّبُّوْحُ	٣٧٧
الكَافِي	٣٨٣
الوَلِيُّ، المَوْلَى	٣٨٨
الهَادِي	٣٩٥
النَّصِيرُ	٤٠٢
الوَارِثُ	٤٠٧
الشَّافِي	٤١٢
الجَمِيلُ	٤١٩
السِّتِّيرُ	٤٢٥
الدَّيَّانُ	٤٣١
الجَوَادُ	٤٣٦
الرَّفِيقُ	٤٤١
السَّـيِّد	٤٤٦

الطَّـيِّبُ	٤٥٢
المُحْسِنُ	٤٥٧
المُعْطِي	٤٦٢
المَـنَّانُ	٤٦٦
الوِتْرُ	٤٧١
المُسَعِّرُ	٤٧٥
مُحْتَوَيَاتُ الكِتَابِ	٤٨١